الروض الفائق

فى المواعظ والرقائق

للعالم العلامة والحبر البحر الفهامة

الشيخ البارع شعيب بن سعد بن عبد الكافى

المعروف بالحرفيش

راجعه وقدم له

طه عبد الرءوف سعد

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

طبعة جديدة مصححة - معتنى بإخراجها

أصح الطبعات - وأكثرها شمولا

رقم ايداع ١٩٩٨ - ٨٠٧٤

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع

المنصورة : أمام جامعة الأزهر

ت: ٣٥٧٨٨٢



كلمة الناشر

الحمد لله وكفى وصلاة وسلام وبركة على عباده الذين اصطفى.

وأصلى وأسلم وأبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

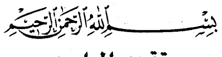
لما كانت مكتبتنا - جعلها الله منارا لخدمة العلم والدين قد جالت فى نواحى المكتبة العربية الزاخرة بأمهات الكتب المشتملة على العلوم والمعارف وقد ألقينا بدلونا بين الدلاء نستخلص أمهات الكتب وحصيلة وذخيرة عقول علماء العربية والإسلام.

ولما كان هذا العصر الذى جمدت فيه القلوب وتحجرت فيه العيون وطغت المادة على العقول استخرنا الله فى إخراج هذا السفر القيم عله يخفف ولو قليلاً من غلواء هذا الكم الهائل من جيوش المادية ويرقق القلوب ويجذبها نحو العمل الصالح والسير فى طريق الله تعالى.

وها نحن نقدم لك هذه الطبعة الصحيحة المتقنة المراجعة بدقة وقد أخرجناها بشكل يسر الملايين من عشاق هذا النوع من التأليف.

﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.



تقديم المراجع

الحمد لله، أمر ألا نعبد إلا إياه ذلك الدين القيم. وأشكره جل فى علاه أن جعلنا خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله وبرسله وبكتبه وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره حلوه ومره.

وأصلى وأسلم على الرسول الصادق الأمين محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب الذى اختاره الله تعالى على فترة من الرسل، بعثه بخير دين يهدى به الخلق إلى طريق مستقيم.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى الأكرم والجناب الأعظم وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله على خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

اللهم صل وسلم وبارك على من سلك سبيلهم واتبع طريقهم ونهج نهجهم وسار على منوالهم وسلم تسليما كثيرا.

وبعد:

فإن من المرغب فيه وتحصل الفائدة به إن شاء الله هو الوعظ والتذكير.

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾.

فالواجب على الواعظ الرشيد أن يتخول الناس بالموعظة شرط ألا يملهم.

وليكن وعظه بما وجد من ذلك من كتاب رب العالمين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. أيضا بما ثبت من السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

فإن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى سيدنا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

أيضا التحديث بالقصص الصادق من أحوال صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، كذلك التذكير بقصص الصالحين للعبرة والموعظة الحسنة بشرط أن تكون

صادقة لا تزييف فيها ولا كذب ولا افتراء.

وبعد:

فها نحن نقدم لهذا الكتاب: **(الروض الفائق فى المواعظ والرقائق)**

للشيخ شعيب بن عبد الله بن سعد بن عبد الكافى المعروف بالحرفيش.

وإذا كان فيه الكثير من الأحاديث الصحيحة والآثار الحميدة إلا أنه لا يخلو من بعض الهفوات قد أشرنا لها فى أماكنها. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

اللهم يا واسع الخيرات يا كثير البركات اجعلنا من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه، واجعلنا من الذين يقولون فيفعلون ويفعلون فيخلصون ويخلصون فيقبلون.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

ترجمة الشيخ المؤلف

كما وردت في الأعلام للزركلي

جـ٣ ص ١٦٧

هو الشيخ العلامة: شعيب بن سعد بن عبد الكافي المصري المكي الحُرَيْفيشي الصوفي صاحب كتاب (الروض الفائق في المواعظ والرقائق) .

وله أيضا كتاب (تمام الروضة النضرة في خصائص العشرة).

وله أيضا (شرح قصيدة من ذاق طعم شراب القوم يدريه) مخطوط في مكتبة أوقاف بغداد.

رحمه الله رحمة واسعة.

١ـ لمزيد من المعرفة بالمؤلف راجع [معجم المؤلفين لرضا كحالة] .

٢ـ فهرس المؤلفين بمكتبة الأسد بدمشق.

٣ـ الأعلام للزركلي.



خطبة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(وبعد) فهذا كتاب الروض الفائق فى المواعظ والرقائق يشتمل على خطب وتنزيهات وأحاديث مرويات وقصائد وحكايات ورقائق وعظيات، ومناقب الصالحين وذكر المشايخ العارفين وتذكير أهل الذنوب والآثام وإيقاظهم من الغفلة والمنام ووصيته بذكر سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. ورصعته بقصائد من نظم الأولياء وإشارات من كلام الفضلاء تروق السامع وتلذ بها المسامع، وتنشئ الخشوع وترسل الدموع، وقصدت بذلك رحمة أرحم الراحمين والنفع لكافة المسلمين. تأليف العبد الظالم لنفسه المعترف بذنبه الراجى رحمة ربه، شعيب الحريفيش غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالرحمة والمغفرة آمين.

*****

المجلس الأول فى فضل الصلاة على النبى ﷺ
وفضل بسم الله الرحمن الرحيم

اعلموا يا إخوانى أن هذه بضاعتى وها أنا أعرضها عليكم فمن رأى خيراً فليحمد الله تعالى وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ. ومن رأى غير ذلك فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فإنها جبر لنقص المقصرين ولقلوب المنكسرين، وقد ورد فى صحيح السنة أنها كنز من كنوز الجنة، واعلموا يا إخوانى أنه ما سلم من النقص والخلل والخطايا والزلل إلا النبى ﷺ المفضل والرسول المبجل صاحب الوصف الأكمل والقد الأعدل، وما صح الفضل والكمال إلا لمن جمعت فيه أشرف الخصال، الذي أوتى جوامع الكلم وخص بالفضل والعلم والعقل والأنفال.

وهو الذى قد حاز كل الكمال وخص بالفضل وحسن المقال وهو الذى جاءنا رحمة مفرقا بين الهدى والضلال، محمد المبعوث من هاشم أفضل من حاز جميع الخصال

صلى الله عليه طول المدى ... ما عطر الكون فى نسيم الشمال

(عباد الله) ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا**».

(إخوانى) أحضروا قلوبكم وتفكروا وميزوا بعقولكم وانظروا من هو الذى يصلى عليكم ويكافئكم ويجازيكم بالصلاة الواحدة عشرة. فأى ربح أعظم من هذا الربح وأية تجارة أربح من هذه التجارة. فيا معشر التجار الراغبين فى كسب الدرهم والدينار لو قيل لأحدكم البلد الفلانى فيه بضاعة تكسب الدرهم درهمين والدينار دينارين لسارعتم إليها وتزاحمتم عليها، وبذلتم فيها المجهود بالمزايدة لما فيها من الربح والفائدة فكيف لكم بهذه البضاعة الرابحة والتجارة الناجحة التى أخبركم بها الصادق الأمين عن رب العالمين، أنكم كلما صليتم على نبيكم صلاة واحدة صلى الله عليكم بها عشرة فانظروا هذا الربح واجنوا هذه الثمرة، وينشد فى المعنى :

من عامل الله لم تخسر تجارته	وكل قلب خراب بالتقى عمره
وما تصلى على المختار واحدة	إلا عليك يصلى ربه عشره
فاغنم صلاتك عليه يا هذا تفز	بالربح عند إله فاز من شكره

فيا معشر الفقراء الصادقين الكبراء منكم استفدنا وعنكم روينا وبكم رحمنا والله ما عرضت بذكركم آمركم وأنهاكم وإنما تمثلت بقول القائل أحياء القلوب ارحموا أموات القلوب، ويكفيكم شرفا وفخراً أن الله تعالى قد مدحكم فى كتابه وشرفكم بخطابه فقال تعالى: **﴿للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض﴾** ويهنيكم أن ذكركم رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر الفقراء اصبروا حتى تلقونى على الحوض فإنكم أول زمرة ترد على**» فسبحان من أعطاكم وكمل لكم السرور وحياكم، وبلغكم القصد والسول بقول هذا السيد الرسول ﷺ: «**فقراء أمتى تدخل الجنة قبل أغنيائها بنصف يوم وهو خمسمائة عام يأكلون ويشربون ويتنعمون والناس فى كرب الحساب**» فسبحان من رفع لهم قدراً ونشر لهم ذكرا، وأعطاهم صبراً وضاعف لهم ثوابا وأجرا، وما أحسن ما قال فيهم غلامهم الحريفيش:

هم الفقراء أهل الله حقا	وقد حازوا بضيق الفقر فخرا
هم الفقراء قد صبروا وذلوا	فعوضهم بذاك الصبر أجرا
هم الفقراء والسادات حقا	ومنهم تكتسى الأكوان عطرا
هم الفقراء عنهم فارو ذكرا	وحدث عنهمو سرا وجهرا
فكم صبروا على ضيم الليالى	فعوضهم بذاك الكسر جبرا
وقد زاروا الحبيب وشاهدوه	وقد سجدوا له حمدا وشكرا

فيا أيها الفقراء بالذى أنعم عليكم وزاد فى الإحسان إليكم إن ما نشتهى أن تجبرونا وتوافقونا وترفعوا أصواتكم معنا بالصلاة على النبى ﷺ، فإن من صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليها بها عشرا، فهذه تسعة زائدة فأى ربح أعظم من هذا وأى فائدة قال ﷺ: «**من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا، ومن صلى على عشرا، صلى الله عليه مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه ألفا ومن صلى على ألفا زاحمت كتفه كتفى على باب الجنة**».

(إخوانى) فماذا عسى أن يوصف الواصف أو يقول وقد قال المصطفى الرسول الذى بين الكتاب والسنة: «**من صلى على ألفا زاحمت كتفه كتفى على باب الجنة**».

صلوا على الهادى البشير محمد	تحظوا من الرحمن بالغفران
فالله قد أثنى عليه مصرحا	فى محكم الآيات والقرآن

وقيل إنه من صلى عليه وهو قائم غفر له قبل أن يجلس ومن صلى عليه وهو قاعد غفر له قبل أن يقوم، ومن صلى عليه وهو نائم غفر له قبل أن يستيقظ من منامه، وذلك أن العبد إذا عاش ما شاء الله وكان على غير التوحيد فإذا أراد الله به خيرا ألهمه كلمة الشهادة فيأتى بعض المسلمين إليه فيلقنه الشهادة ويكررها عليه ثم يقول بعد ذلك صل على النبى ﷺ، فإذا فعل ذلك وحسن إسلامه وصلى على النبى ﷺ فإن كان قائما غفر له قبل أن يقعد، وإن كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم.

صلوا على خير الأنام محمد	إن الصلاة عليه نور يعقد
من كان صلى قاعدا يغفر له	قبل القيام، وللمتاب يجدد
وكذلك إن صلى عليه وهو قائما	يغفر له قبل القعود ويرشد

وقيل إنه من صلى على النبى ﷺ فى نومه غفر له قبل أن يستيقظ، كما جرى لأم أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أتى النبى ﷺ ومعه أمه وكان فى أول الليل فتحدث النبى ﷺ مع أبى بكر الصديق وطاب لهم الحديث فدخل الليل ونامت أم أبى بكر فلما أراد الانصراف قال النبى ﷺ لأبى بكر: «**كيف حالك**» فقال: بخير يا رسول الله غير أن هذه أمى وليس لى عنها غنى فادع الله لها ياسيد الأنام أن يلهمها الإسلام فبسط النبى ﷺ يديه وهمهم بشفتيه ودعا لها بعض من كان حاضرا والله لقد سمعناها تنطق بالشهادة وكلمة الإخلاص وهى نائمة فلما استيقظت رفعت صوتها وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فهذه - يعنى أم أبى بكر - غفر لها قبل أن تستيقظ تصديقاً لحديث رسول الله ﷺ[1] ومثل هذا جرى كثير لمن كان على غير الإسلام، فيرى النبى ﷺ فى المنام فيسلم على يديه ويصلى عليه فينتبه وقد غفر له. هنيئا لعين قد رأت نور أحمد وفازت جهاراً منه بالحسن والرؤيا:

وقد أسعد الرحمن عبداً دعا له	فأضحى سعيداً فى الممات وفى المحيا
وبدل دين الشرك بالنور والهدى	وبلغ ما يهوى من الدين والدنيا
وفاز برؤيا المصطفى سيد الورى	نبى حباه الله بالرتبة العليا
عليه صلاة الله ما طاف طائف	بمكة بيت الله قصداً أتى سعيا
صلاة شذاها عطَّر الكون جهرة	فمن قاسها بالمسك يوما فما استحيا

(وقال بعض الصوفية): كان لى جار مسرف على نفسه لا يعرف من سكره يومه من أمسه وكنت أعظه فلا يقبل وآمره بالتوبة فلا يفعل فلما مات رأيته فى المنام فى

(١) هذه القصة لا أصل لها. وإن كان المعنى صحيحا.

أرفع مقام وعليه من حلل الجنة لباس الإعزاز والإكرام فقلت له: بم نلت هذه المنزلة والمقام فقال. حضرت يوماً مجلس الذكر فسمعت المحدث يقول من صلى على النبى ﷺ ورفع صوته وجبت له الجنة ثم رفع المحدث صوته بالصلاة على النبى ﷺ ورفعت أنا صوتى معه ورفع القوم أصواتهم فغفر لنا جميعاً ذلك اليوم فكان نصيبى من المغفرة أن جاد على مولاى بهذه النعمة.

يا فوز من صلى عليه فإنه	يحوى الأمانى بالنعيم السرمدى
إن شئت من بعد الضلالة تهتدى	صلى على الهادى النبى محمد
يا قومنا صلوا عليه لتظفروا	بالبشر والعيش الهنى الأرغد
ويخصكم رب الأنام بفضله	والفوز بالجنات يوم الموعد
صلى عليه الله جل جلاله	ما لاح فى الآفاق نجم الفرقد

ومن فضائل الصلاة على النبى ﷺ أن امرأة كان لها ولد مسرف على نفسه وكانت تأمره بالخير وتنهاه عن الفحشاء والمنكر والقضاء غالب عليه، فمات وهو مصر على ما كان عليه فحزنت عليه أمه حزنا شديداً حيث مات على غير توبة، فتمنت أن تراه فى المنام فرأته وهو يعذب فازدادت عليه حزنا، فلما كان بعد مدة رأته وهو على هيئة حسنة فى فرح وسرور فسألته عن حاله وقالت: يا ولدى إنى رأيتك تعذب فبم نلت هذه المنزلة؟ فقال: يا أماه اجتاز رجل مسرف على نفسه بالتربة التى أنا فيها فنظر إلى القبور وتفكر فى البعث والنشور، واعتبر بالموتى فبكى على زلته وندم على خطيئته، وتاب إلى الله عز وجل وعقد التوبة معه ألا يعود ففرحت بتوبته ملائكة السماء فبالله ما أحسن الصلح مع الحبيب، ثم إنه لما تاب وعلم الله صدق توبته وتاب عليه قرأ شيئا من القرآن وصلى على النبى ﷺ عشرين مرة وأهدى ثوابها لأهل التربة التى أنا فيها فقسم ثوابه علينا فنابنى من ذلك خير فغفر الله لى به وحصل لى الخير ما ترين فاعلمى يا أماه أن الصلاة على النبى ﷺ نور فى القلوب وتكفير للذنوب ورحمة للأحياء والأموات.

لأحمد فضل لا يحد ولا يحصى	ومن شأنه بين الورى أبدا يقصى
هو القرشى الهاشمى الذى سرى	من المسجد الأسنى إلى المسجد الأقصى
نبى دنا من قاب قوسين مذ دنا	فسبحان من وصى إليه بما وصى
عليه صلاة لا انتهاء لوصفها	من الله ربى لا تحد ولا تحصى

فسبحان من شرف سيد المرسلين على جميع المخلوقين، وجعله بالمؤمنين رؤوفا رحيما وآتاه فضلا عظيما وخلقا كريما، وداوى به من أمراض الجهالة والضلالة قلوبا وجسوما وبلغه المراد وهدى به العباد صراطا مستقيما، وقال فى حقه تعظيما لنا وتبجيلا له وتعظيما : **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾** .

(شعر مخمس):

الله زاد محمــــــدا تكـريما	وحباه فضلا من لدنه عظيــــما
واختاره فى المـرسلين كريمـــا	ذا رأفة بالمـؤمنين رحيـــــما

صلوا عـليه وسلـموا تسليما

يا أمة الهادى خصصـــتم بالوفا	بين الورى والصدق أيضا والصفا
صلوا على الهادى النبى المصطفى	فالله قد صلـــــى عليه قديما

صلوا عـليه وسلـموا تسليما

فمتـى أرى الهادى يبـشر باللـقا	ويضمنا باب المحـــصب والتقا
وأرى ضريح المصطـفى قد أشرقا	مولى رحيما لا يزال حليـمـــا

صلوا عـليه وسلـموا تسليما

ثم الرضـــا على آله الكرماء	وكذلك عن أصحـــابه الخلفاء
فهواهمو دينى وعقـــد ولائى	قوما تراهم فى المعـــاد نجوما

صلوا عـليه وسلـموا تسليما

ثم إن أولى ما فاه به اللسان واستفتح بـه الإنسان اسم الملك المنان الذى أخبرنا به سيد الأكوان بقوله: **«كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم»** أى مقطوع البركة وكـل آن إذ اسم الله تعالى يعبق به كل مكان وهـو نور البهجة فى السر والعـيان وحرز مانع وأمان، وروى أبو هـريرة رضى الله عنه عن الـنبى ﷺ أنه قال: **«كل أمر ذى بـال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع وقيل أجذم»** ومعناه ناقص وقليل البركة، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«خير الناس وخير من يمشى على وجه الأرض المعلمون فإنهم كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تشاجروهم فإنه إذا قال المعلم للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبى وبراءة لأبـويه من النار وبراءة للمعلم»**، وقال جابر بن

عبد الله لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم من المشرق إلى المغرب، وماج البحر وأصغت البهائم بأذنيها ورجمت الشياطين وحلف الله بعزته لا يسمى اسمه على شىء إلا بارك عليه ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة.

اسم إذا قرع القلوب تمايلت ... طربا وتمت بالتقى أسرارها
وإذا حدا الحادى بطيب حديثه ... طابت وفاحت بالرضا أزهارها
ترتاح إن ذكر اسمه ويهزها ... طرباً إذا حفت به أوكارها
وإذا ابتدأت بذكره فى حضرة ... حضر السرور بها وطاب مزارها

(وروى مسلم) فى صحيحه والنسائى والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: إذا دخل الرجل بيته فذكر بسم الله عند دخوله قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل ولم يذكر بسم الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت والعشاء» فالله تعالى يطرد الشيطان ويدر البركة فى المكان، وبسم الله الرحمن الرحيم لها فضائل كثيرة، وبركات غزيرة فلو أن أهل السموات والأرض يكتبون فضائل بسم الله الرحمن الرحيم لم يدركوا عشر عشر فضلها.

كرر على الذكر من أسمائه ... واجل القلوب بنوره وضيائه
اسم به الكون استفاد ضياءه ... فى أرضه وفضائه وسمائه
لا يحصر الوصاف بعض صفاته ... كلا ولا يدرون كنه سنائه
حارت عقول القوم عند صفائه ... ضاءت قلوب الخلق من لألائه
يارب باسمك أرتجى منك الرضا ... والعفو عن عبد رزى بخطائه
أعد اسمه للعارفين تلاوة ... تلقى به المعروف من آلائه
يارب أسألك الإعانة فى غد ... بعظيم اسمك فهو عين دوائه
يارب عبدك قد براه سقامه ... قد حارت الأفكار فى أدوائه
يارب باسمك أرتجى منك الشفا ... أنت المرجَّى دائما لشفائه
يارب بالهادى البشير المصطفى ... الصادق المصدوق فى أنبائه
ارحم غريقا فى بحار ذنوبه ... وأجره حقا من قيود عنائه
يارب صلِّ على النبى محمد ... ما لاح برق فى دجا ظلمائه

المجلس الثانى يشتمل على قوله تعالى: الرحمن علم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العطوف الرؤوف المنان الكريم العظيم القديم الإحسان، العلى الغنى القوى السلطان الأول ولا أزمان، الآخر ولا أكوان، الباقى ولا إنس ولا جان، الذى كتب بأقلام الأحكام فى ألواح أرواح الأنام آيات التوحيد والإيمان، وأوقد مصابيح التوفيق لقلوب أهل التصديق فرأوا جمالا لا يمل للعيان ولا يخيل للجنان، أخرج به ذرية آدم بأرض نعمان وقسمهم إلى ذى حظ وحرمان، فكم حقير رفع وكم عزيز هان، صفى أسرار قوم وكدر أسرار آخرين وشان، فأهل الكدر يتعادون وأهل الصفا يتهادون ويتداعون كالإخوان ويتلاقون بالقلوب وإن تباعدت الأوطان، ويتعارفون بالغيوب فتحن إليهم القلوب وتتعاطف وإن لم ينطلق اللسان، ويتلاقون بالإخلاص للضمائر وإن نأى بهم المكان، ويحذر بعضهم بعضا مواطن الإثم والخسران، ويتواسون بالبر والإيثار والفضل والإحسان كما أمرهم بذلك خالق الخلق ومكون الأكوان، فقال الله تعالى فى محكم القرآن: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** فسبحان من أظهر أسرار البيان فى تعليم تعظيم علم القرآن كتب مسطور الإلهام بقلم الإفهام فى تعليم خلق الإنسان علمه البيان دبر الأدوار بمقدار الأقدار فى تكوير النهار على الليل والليل على النهار والشس والقمر بحسبان، يسبحه الحجر والمدر، والشمس والقمر، والنجم والشجر يسجدان أظهر آثار صنعه لأبصار أهل معرفته فكبا جواد العقل فى بيداء قدرته التى أبدعها لما علم أن السماء رفعها ووضع الميزان، فالخائنون واقفون على أقدام الألطاف متصفون بأحسن الأوصاف يناديهم منادى العدل والإنصاف: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾**، والعارفون محافظون على ملازمة الخدمة تحقيق وتصديق وعد **﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾**، فهم فى محاريب عبادتهم يتمايلون وقت السحر ميل الشجر بالأغصان، هز الشوق أفنان قلوبهم فتناثرت الأفنان للسان يضرع والقلب يخشع والعين تدمع، والوقت بستان خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم ونعمان سرورهم أساورهم والخشوع تيجان خضوعهم، حلاهم بدر ومرجان باعوا الحرص بالقناعة، فما ملك أنوشروان إن طالت أيام الحياة والمحب إلى الحبيب ظمآن، فإذا وردوا القيامة تلقاهم بشير لولاه ما طابت الجنان يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان، فتلمّح بعين البصيرة أيها الإنسان وأجل مرآة السريرة ترى البرهان أين أنت منهم هل نائم، كيقظان، كم بينك وبينهم؟

أين الشجاع من الجبان؟ ما للمواعظ فيك موضع القلب بالهوى ملآن، قف على باب الحبيب وقوف ولهان، ونكس رأس الحياء تنكيس ندمان، واركب سفينة الصدق فهذا الموت طوفان، وأفق من خمار الهوى، فإلى متى أنت بخمار الهوى سكران، أتبيع ما يبقى بما يفنى هذا عين الخسران، تالله لو أشرفت على وادى الرجاء لرأيت الأبطال والفرسان، لو مررت على ركائب الأحباب لسمعت حداة الأظعان لو وقفت على طريق الأحباب لشاهدت الركبان:

يا غافلا يتمادى ... فى اللهو كم هذا الزلل
غدا عليك ينادى ... يا ناكثا خوان
لا تغترر بالدنيا ... فليس هى دار البقا
الدار دار الأخرى ... فجد فى البنيان
أبناء عشر تواصوا ... بالخير فيما بينكم
فالخير لا شك عاده ... من الصغر قد بان
أبناء عشرين جدوا ... واستغنموا شبابكم
ما دام غصن الشبيبة ... لكم رطب ريان
يابن الثلاثين بادر ... إلى الممات فربما
تأتى المنايا بغتة ... وتحرم الإمكان
وأنت ماذا عذرك ... ذا الوقت يابن الأربعين
وقد بلغت عذرك ... فاسبق إلى الإحسان
أبناء خمسين هذا ... وقت الرجوع عن الزلل
فليس بعد الزيادة ... شىء سوى النقصان
أبناء ستين كونوا ... من المنون على حذر
فما أحد قط يعطى ... من المنون أمان
أبناء سبعين وافى ... جيش المشيب
ومابقى للزرع غير حصاده ... وينشر الديوان
يا ابن الثمانين قل لى في الدهر ... فى الدهر ماذا تنتظر
قد حان وقت رحيلك ... وشالت الركبان
أبناء تسعين فوزوا ... فقد كتب توقيعكم
من ربكم بالإنابة ... والعفو والغفران

وأنــت يــا ابــن المــائــة	قــد حــان وقــتــك
ما بقى غيـر التوجه إلى الله	فــى الســر والإعــلان
قــد حــان وقت رحــيــلــك	فــقــم تجــهــز لــلــسـفــر
وحــصــل الــزاد كــي لا	تجــى غــــدا نــدمــان

(قال) أبو إسحاق إبراهيم الخواص رحمة الله تعالى عليه كنت فى طريق مكة أسير على الوحدة فتهت عن الطريق فكنت أمشى يومين وليلتين حتى أدركنى المسا فاغتممت بسبب الوضوء وفقد الماء وكانت ليلة مقمرة فسمعت صوتا ضعيفاً يقول إلىَّ يا أبا إسحاق فدنوت منه فإذا هو شاب حسن الشباب نظيف الأثواب وعند رأسه ريحان مختلف الألوان، فتعجبت من ذلك فى تلك البرية كيف عنده الرياحين ومطروح على الرمل وليس له حركة، فقال يا أبا إسحاق قد دنت وفاتى وسألت الله تعالى أن يحضر وفاتى وليا من أوليائه، فنوديت أن سيحضر وفاتك أبو إسحاق الخواص، وإنى لأرجو أن يكون أنت وأنا منتظرك، فقلت يا أخى ما الذى حبسك فقال كنت بين أهلى فى عز ورقة عيش فخطر لى السفر واشتهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت فى هذه البقعة منذ شهر وقد حضرت الوفاة فقلت له ألك والدان قال نعم وأخت صالحة فقلت هل اشتقت إليهم قط أو خطروا ببالك قال لا إلا اليوم فإنى أحببت أن أشم منهم رائحة وأجدد بهم عهدا فاجتمعت عندى وحوش كثيرة وأتونى بهذه الرياحين وبكوا معى فبقيت متحيراً فى أمره متفكراً فى حاله ووقع حب الشاب فى قلبى وانجذب إليه سرى فبينما أنا كذلك إذا أقبلت حية عظيمة ومعها باقة نرجس لم أر أحسن منها ولا أزكى رائحة فوضعتها عند رأسه وقالت بلسان فصيح يا إبراهيم اعدل عن ولى الله فإن الحق سبحانه وتعالى غيور، قال فلحقنى حال مما رأيت وصحت صيحة وغشى على فما أفقت إلا والشاب قد فارق الدنيا فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون هذه محنة عظيمة كيف أصنع فى غسله وتجهيزه، فأرسل الله على النعاس حتى تملكنى فنمت فما أفقت إلا طلوع الشمس وأنا على الحالة التى أعرفها ولم أجد للشاب أثراً فبقيت محزونا عليه فلما قضيت الحج أتيت شمشاط فاستقبلنى نساء عليهن مرقعات وفى أوائلهن امرأة عليها مرقعة وثوب شعر وبيدها ركوة وهى لا تفتر عن ذكر الله تعالى فتأملتها فما رأيت واحدة فى النساء أشبه للشاب منها فنادتنى يا أبا إسحاق أنا فى انتظارك منذ أيام حدثنى عن أخى وقرة عينى وثمرة فؤادى ثم بكت وارتفع بكاءها، فبكيت لبكائها ووصفت لها الشاب

وما شاهـدت منه ومن الرياحـين فلما بلـغت إلى قوله أحـببت أن أشم منهـم رائحة قالت: هـاه هاه بلغ الشم ثـم الشم ثم سقـطت إلى الأرض ميتـة فاحتوشها أتـرابها وأصحابها وقالوا: يـا أبا إسحاق جزاك الله خيراً، فلما دفنت أقمـت على قبرها إلى الليل فرأيتها فى المنام وهى فى روضة خضراء، والشاب عندها وهما يقرآن **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾**.

قوم إذا عبث الزمـــان بأهله	كان المفر من الزمان إليــــهم
وإذا أتيتهمو لدفع ملــــمة	جـادوا عليك بما يكون لديهم

(وحكى) عن الشبلى رحمه الله تعالى أنه رأى فى بعض الأيام مجنونا والصبيان يرمونه بـالحجارة وقد أدموا وجهه وشـجوا رأسه فجعل الشـبلى يزجرهم عنـه فقالوا دعنا نقتله فإنه كافر يزعم أنه يرى ربه ويخاطبه، فقال: كفوا عنه ثم تقدم إليه الشبلى فوجده يتحدث ووجهه يـضحك ويقول: أجميل منك تسلط علـى هؤلاء الصبيان ثم قال ما الذى يقولون عنى قلت يقولون تزعم أنك ترى ربك ويخاطبك فصرخ صرخة عظيمة ثم قال: يا شبـلى وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بقربـه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت مـن ألم البين، قال الشبلى: فعلمـت أنه من الخواص أرباب الإخلاص فقلت حبيبى ما حـقيقة المحبة فقال يا شبلى لو قطرت قطـرة من المحبة فى البحار أو وضعت ذرة منـها على الجبال لصـارت هباء منثورا، فكيـف بقلب كساه الغـرام قلقا وزفيرا وزاده الهيام حرقا وتحسيرا.

كشف الحـبيب لمن دعـاه ستورا	وسقاه كـأسا فاغتدى مـخمورا
واعتـاده حر اللـهيب ولـم يرد	إلا الحبـيب فـنال مـنه حـبورا
يا فـوز من كان الحـبيب نـديمه	وغدا إلـيه فـى الجميـع مشـيرا
وإذا رأيـت محـبه فـى سكـره	خـلع الـعـذار رأيـته مـعـذورا
من ذا يطيق الصبـر عن محبوبه	حاشى المحب يكون عنه صبورا

(إخوانى) المحبة حبـة بذرت فى أرض القلوب وسـقيت بماء التوبـة من الذنوب فأنبتت سـنابل المحبة فى كل سنـبلة مائة حبة فلـو وضعت حبة منها لأطـيار القلوب لهامت فى هوى المحبوب فالله در رجال ما تركوا فى قلوبهم لغير محبوبهم مجال:

عـج بـالمـعـالـم والـربـوع	واسأل بـهن من الـرجوع

أين الذين عهدتهم	يا دار العز المنيع
والنهى والأمر المطاع	بذروة القصر الرفيع
إن لم تجبك ديارهم	يا صاح بالأمر الفظيع
فلسان حالهم يقول	ما تنظرون إلى الربوع
قد أصبحت مهجورة	من بعد منظرها البديع
هيهات أن ينجو غدا	يوم الحساب سوى المطيع

فلله درهم من أقوام مالوا إلى الله وتركوا المال وعرضوا عن الدنيا شغلا بالمال، واعتبروا بمن مضى وتغير الأحوال، وساعدهم على اليقظة أكل الحلال.

(قال ذا النون المصرى رحمة الله عليه) مررت يوما ببعض الأسواق فرأيت جنازة محمولة أربعة أنفس وليس معها أحد فقلت والله لأكونن خامسهم لأنال الأجر والثواب فلما أتوا الجبانة قلت يا قوم أين ولى هذا الميت فيصلى عليه فقالوا يا شيخ كلنا فى الأمر سواء ليس منا أحد يعرفه فتقدمت وصليت عليه وأنزلناه فى لحده وحثونا عليه التراب فلما هموا بالانصراف قلت لهم ما شأن هذا الميت فقالوا لا نعرف خبره غير أن امرأة اكترتنا لنحمله إلى هذا المكان وهى لاحقة بنا الآن فبينما نحن فى الحديث إذا جاءت امرأة عليها سيما الخير والصلاح باكية العين حزينة القلب فلما وقفت على القبر كشفت وجهها ونشرت شعرها ورفعت يديها إلى السماء وهى تتضرع وتقول كلاما وتدعو ساعة ثم سقطت إلى الأرض مغشيا عليها ثم أفاقت بعد ذلك وهى تضحك، فقلت لها أخبرينى عن خبرك وخبر هذا الميت وكيف الضحك بعد ذلك البكاء الشديد فقالت من أنت فقلت ذو النون فقالت والله لولا أنك من أعيان الصالحين لما أخبرتك هذا ولدى وقرة عينى، كان تائها بشبابه لابسا ثياب إعجابه لم يدع سيئة إلا ارتكبها ولا معصية إلا سعى إليها وطلبها وقد بارزمولاه العلام بالمعاصى والآثام فحصل له يوما من الأيام ألم من الآلام منذ ثلاثة أيام فلما عاين الموت قال يا أماه سألتك بالله إلا ما قبلت وصيتى إذا أنا مت فلا تعلمى بموتى أحدا من أصحابى وإخوانى ولا من أهلى وجيرانى فإنهم لا يترحمون علىَّ لسوء فعلى وكثرة ذنوبى وجهلى ثم بكى وقال:

لى ذنوبى شغلتنى	عن صيامى وصلاتى

تركت جسمي عليلا	مات من قبل وفاتي
ليتني تبت لربي	من جميع السيآت
أنا عبد يا إلهي	هائم في الفلوات
بحت جهرا بعيوبي	وذنوبي قاتلاتي
قد توالت سيآتي	وتلاشت حسناتي

ثم بكى وقال يا أماه آه على ما فرطت فى جنب الله، آه على قلبى مااقساه بالله عليك يا أماه إذا أنا مت فضعى خدى على الأرض والتراب وضعى قدمك على الخد الآخر وقولى هذا جزاء عبد عصى مولاه وخالفه وترك أمره، واتبع هواه، فإذا دفنتينى فارفعى يدك إلى الله عز وجل وقولى اللهم إنى رضيت عنه فارض عنه، فلما مات فعلت به جميع ما أوصانى به فلما رفعت رأسى إلى السماء سمعت صوتا بلسان فصيح انصرفى يا أماه فقد قدمت على رب كريم غير غضبان على فلما سمعت ذلك ضحكت.

(قال منصور بن عمار رحمه الله) إذا دنا موت العبد قسم حاله على خمسة أقسام المال للوارث، والروح لملك الموت، واللحم للدود، والعظم للتراب، والحسنات للخصوم، ثم قال إن ذهب الوارث بالمال يجوز، وإن ذهب ملك الموت بالروح يجوز، فياليت الشيطان لا يذهب بالإيمان عند الموت فيكون فراقا من الرب سبحانه وتعالى، نعوذ بالله من ذلك، فإن كل فراق إلى اجتماع وفراق الرب سبحانه وتعالى لا يدركه أحد.

(وعن محمد بن نعيم رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **«ماجاءنى جبريل عليه السلام إلا وهو يرتعد خوفا من الجبار، ولما ظهر إبليس ما ظهر من المحافظة والطرد بعد القرب والحظوة والعبادة طفق جبرائيل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله تعالى إليهما مالكما تبكيان هذا البكاء وإنى لا أظلم أحدًا قالا يا ربنا إنا لا نأمن مكرك يعنى قضاءك وحكمك بالبعد بعد القرب، وبالشقاء بعد السعادة، فقال الله تعالى لهما هكذا كونا لا تأمنا مكرى»**[1].

(وعن عمر رضى الله عنه) أنه خرج إلى صلاة الجمعة فلقيه إبليس فى صورة شيخ عابد فقال: إلى أين يا عمر فقال إلى الصلاة فقال فقد قضيت الصلاة وفاتتك

(١) لم أجده فى الكتب المعتمدة.

الجمعة فعرفه فأمسك بتلابيبه فأبيت واستكبرت وكنت من الكافرين وأبعدت إلى يوم الدين، فقال تأدب يا عمر هل كانت الطاعة بيدى أم الشقاوة بمشيئتى أنا كنت أبسط سجادتى تحت قوائم العرش ولم أترك من السماء بقعة إلا ولى فيها سجدة وركعة، ومع هذا القرب قيل لى **﴿اخرج منها فإنك رجيم* وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾** فإن كنت يا عمر قد أمنت مكر الله فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فقال له عمر اذهب فلا طاقة لى بكلامك.

(إخوانى) أين الذين كانوا فى اللذات يتقلبون ويتجبرون على الخلق ويتكبرون، ضربت لهم كؤوس المنون فهم لها يتجرعون وتركوا الأموال التى كانوا لها يجمعون، وفارقوا العيش الذى كانوا به يتمتعون، فلو رأيتهم يا هذا فى حلل الندامة يرفلون ويساقون إلى الموت وهم ينظرون **﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**.

إليك من مكرك يا سيدى ... كل البرايا دائما يحذرون
فكم ذنوب وعيوب مضت ... ونحن عنها سيدى غافلون
نضيع العمر بكسب الخطا ... فنحن فى أوقاتها لاعبون
نشاهد الموت ولا نرعوى ... ولا تنبهنا الريب المنون
بل غفلة تطمس أبصارنا ... وشقوة خابت لديها الظنون
فنحن يارب الورى كلنا ... إليك من زلاتنا هاربون
لكنا نسأل رب الورى ... عفوا وصفحا كى تقر العيون
بالمصطفى الهادى شفيع الورى ... هونه يارب علينا يهون

(وعن عبد الله بن أحمد المؤذن رحمه الله) قال كنت أطوف حول الكعبة وإذا برجل متعلق بأستارها وهو يقول اللهم أخرجنى من الدنيا مسلما لا يزيد على ذلك شيئاً فقلت له ألا تزيد على هذا الدعاء شيئا فقال لو علمت قصتى فقلت له وما قصتك قال كان لى إخوان وكان الأكبر منهما مؤذنا أذن أربعين سنة احتسابا فلما حضره الموت دعا بالمصحف فظننا أنه يتبرك به ويقرأ منه شيئاً فأخذه بيده وأشهد على نفسه من حضر أنه برىء مما فيه ثم تحول إلى دين النصرانية فمات نصرانيا فلما دفن أذن الآخر ثلاثين سنة فلما حضره الموت فعل كما فعل الأخ الأكبر فمات على دين النصرانية أيضا نعوذ بالله من مكر الله، وإنى أخاف على نفسى أصير مثلهما فأنا أدعو

الله تعالى أن يحفظ على دينى قال فقلت ما كان ذنبهما قال كان يتتبعان عورات النساء وينظران إلى الشباب.

يا مطلقا نظرة فى الشهوات يا مستبيحا للمحرمات يا مغرورا باللذات الفانيات هلا اعتبرت بأقوام أخرجوا من ديارهم وقد تمسكوا بحبل اغترارهم ولم يقبل منهم قول فى اعتذارهم عندما نادى منادى إنذارهم قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم:

وا خجلة العبد من إحسان سيده — وا حيرة القلب من ألطاف معناه
واحسرة الطرف كم ترنو لخائنة — من المآثم لا يرضى بها الله
فكم أسأت فبالإحسان عاملنى — واخجلتى وا حيائى حين ألقاه
وكم من أياد غير واحدة — وافت إلىّ تريننى أنه الله
بلطفه وبفضل منه عرفنى — فى حبه كيف أرجوه وأخشاه
يانفس كم بخفى اللطف عاملنى — وقد رآنى على ما ليس يرضاه
يانفس توبى من العصيان وانزجرى — فقد كفى ما جرى لى حسبى الله

(وعن أبى يزيد البسطامى رحمة الله عليه) أنه كان إذا توضأ وقعت الزلزلة على أعضائه إلى أن يقوم إلى الصلاة يكبر فيسكت عنه ذلك فقيل له فى ذلك فقال أخاف أن تدركنى الشقاوة فأتخطى إلى كنائس اليهود والنصارى أو بيعهم فنعوذ بالله من مكر الله.

(وعن سفيان الثورى رضى الله عنه) أنه خرج إلى مكة حاجا فكان يبكى من أول الليل إلى آخره فى المحمل فقال له شيبان الراعى يا سفيان لم بكاؤك إن كان لأجل المعصية فلا تعصه فقال سفيان أما الذنوب فما خطرت ببالى قط صغيرها ولا كبيرها، وليس بكائى يا شيبان من أجل المعصية ولكن من خوف الخاتمة، لأنى رأيت شيخا كبيرا كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة وجاور بيت الله الحرام سنين وكان تلتمس بركته ويستسقى به الغيث فلما مات تحول وجهه عن القبلة ومات إلى المشرق كافرا فما أخاف إلا من سوء الخاتمة فقال له إن ذلك من شؤم المعصية والإصرار على الذنوب فلا تعص ربك طرفة عين:

يا نفس توبى فإن الموت قد حانا — واعص الهوى فالهوى ما زال فتانا
فى كل يوم لنا ميت نشيعه — ننسى بمصرعه آثار موتانا
يا نفس مالى وللأموال أكنزها — خلفى وأخرج من دنياى عريانا

ما بالنا نتعامى عن مصارعنا ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
فكم رأينا أناسا صالحين قضوا موتا وقد سلبوا دينا وإيمانا
واستبدلوا الكفر بالإيمان وانفصلوا بسوء خاتمة للموت أعيانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبا قد آن تقصيرها قد آن قد آنا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت تخر له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا مستبدلين من الأوطان أوطانا
أخلوا منازلا كان العز مفرشها واستفرشوا حفرا غبرا وقيعانا
يا راكدا في ميادين الهوى مرحا ورافلا في ثياب الغي نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا

(وعن حمزة بن عبد الله) قال شهدت أبا بكر الشاشى عند موته فقلت له كيف حالك قال كسفينة تدور على الغرق فلا أدرى أأنجو بالسلامة وتأتى الملائكة بالبشارة ألا تخافوا ولا تحزنوا أم تغرق السفينة وتأتى الملائكة تقول لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجوراً، أى بعدا بعدا فلا تصلح لنا يا خبيث يا عاصى ابك على ظلام قلبك فإنه يضيء إذا بكى السحاب على الربا تبسمت ويحك يقول أنا تائب ونتوقف انهض وبادر فتلاف خيراً فات إذا صدق التائب فى توبته أنسى الله كاتبيه ما كتبا وأوحى الله تعالى إلى الأرض أن اكتمى على عبدى:

يارب قد تبت فاغفر زلتى كرما وارحم بعفوك من أخطأ ومن ندما
لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله عمرى فخذ بيدى يا خير من رحما
هذا مقام ظلوم خائف وجل لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما
فاصفح بعفوك عمن جاء معتذراً واغفر ذنوب مسيء طالما اجترما

(إخوانى) الشيطان راصد يرصد فى جميع المقاصد يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم لا تسمعوا قوله فإنه كذاب أشر ولا تقبلوا نصحه فإنه غشاش إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير واعجبا لمن كان فى ظهر أبيه آدم كيف يدخل نارا وقودها الناس والحجارة يا ابن آدم إنما طردنا إبليس لأنه لم يسجد لأبيك فالعجب منك كيف صالحته وهجرتنا:

لا عذر لى قد أتى المشيب فليت شعرى متى أتوب

إبـلـيـس قـد غـرنـى ونـفـسـى ومـسـنـى مـنـهـمـا الـلـغـوب
إذا انـقـضـى لـلـشـقـاء ذنـب تجـــددت بـــعـــده ذنـــوب
ومـــن ورائـى حـــلـــول قـبـــر ســاكـــنـــه مـفـــرد غـــريـــب
ولـــســـت أدرى إذا أتـــانـــى رســـول ربـــى بمـــا أجـــيـــب
هـل أنـا عـنـــد الجـواب مـنـى أخـطـى فـى القـول أم أصـيـب
أم أنـــا يـــوم الحـــســـاب نـــاج أم لـــى فـى نـــاره نـــصـــيـــب
يـا رب جـد لـى عـلـى رجـائـى بمـنـــة مـنـــك لا أخـــيـــب

(وحكى) أن مؤذنا أذن فى منارة أربعين سنة فصعد يوماً وأذن حتى بلغ قوله حى على الفلاح فـوقع بصره على امرأة نصرانـية فذهب عقله وقلـبه فترك الأذان وذهب إليها وخطبها فقالت مهرى ثقيل عليك فقال وما هو قالت تدخل فى دينى وتترك دين الإسلام فـكفر بـالله ودخل فى ديـنها فقـالت له إن أبـى فى أسفـل الدار انزل إلـيه واخطبنى منه فنزل فنزلت رجله فسقـط ومات كافرا ولم يقض شهوته منها نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

(وكذلك يروى) أن أخوين كان أحدهـما عابداً والآخر مسرفا علـى نفسه وكان العابد يتمنى أن يرى إبليس فى محرابه فتـمثل له يوما وقال يا أسفا عليك ضيعت من عمرك أربعين سنة فـى حصر نفسك وإتعاب بدنك وقد بقى من عـمرك مثل ما مضى فأطلق نـفسك فى شهواتـها وتلذذ ثم تب بعـد ذلك وعد إلى العبـادة فإن الله غفور رحيم فقال العابد أنزل إلى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على الهوى واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعـبد الله فى العشرين التـى بقى من عمرى فنزل وقـال أخوه المسرف على نفسه قد أفنيت عمرى فى المعصية وأخى العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لأتوبن وأصعـد إلى أخى وأوافقه فى الـعبادة ما بقى مـن عمرى فلعل الله يـغفر لى فطلع على نية التـوبة ونزل أخوه على نية المعصية فزلت رجله فـوقع على أخيه فماتا جميعا فى السلم فحشر العابد على نية المعصية وحشر المسرف على نية التوبة.

(إخوانى) فرغوا قلوبكم للاعتبار فيما يجرى فى الليل والنهار. كم من بعيد قرب وكم من قـريب أبعده وجفـاء الأهل والجار كان حظ الأول الجـنة وحظ الثانـى النار فاعتبروا يا أولى الأبصار ندم العابد على تغيـير نيته بلا شك وخفا وبكى على تفريطه بعد عبادتـه إذ زل وهفا يود لو أن صافى وده يرد ويـرجع إلى الوفا وسيعلـم أنه بنى

على شفا جرف هار فاعتبروا يا أولى الأبصار:

أنـاس أعـرضوا عـنـا بلا جـرم ولا معـنى
أسـاءوا ظنـهـم فـينـا فهلا أحـسنوا الظـنا
فـإن عادوا لـنـا عدنـا وإن خانـوا فما خـنا
وإن كانـوا قد استغـنوا فإنـا عنـهمـا أغنـى

(وقال الإمام أبو محمد رحمة الله عليه) خرج ثلاثة من الزهاد يريدون الحج إلى بيت الله الحرام فى وسط السنـة متوكلين بغير زاد فنزلوا قرية فيـها نصارى فوقع نظر رجل منهم على محاسـن امرأة نصرانية فتعلق قلبه بها فلما عـزموا على السفر احتال منهم بـحيلة وقعد وسار صـاحباه وتركاه فى القـرية فأفشى سره لأبى المـرأة فقال له مهرها ثـقيل عليك لا تـقدر عليه فقال ومـا هو قال تترك دين الإسـلام وتدخل دين النصرانية فتنصر وتزوجها وولدت له ولدان، ومات على دين النصرانية فرجع صاحباه من سياحتهما وسألا عنه فقيل لهما إنه توفى على دين النصرانية، ودفنوه فى مقابرهم فذهبا إلى المقبرة فوجدا امرأته وولديه يبكون على القبر فجعل صاحباه يبكيان من بعيد فقالت لهما المرأة مم تبـكيان فقصا عليها القصة وعبادته وزهـده وصلاته فلما سمعت ذلك رق قلبها إلى الإسلام فأسلمت هى وولداهـا فقال الشيخ أبو محمد سبحان الله مات من كان مسلما على الكفر وأسلم من كـان كافراً فكذلك ينبغى أن يخاف المسلم عاقبة أمره ويسأل الله تعالى حسن الخاتمة:

سبحـان من خلق الأشيـاء وقدرها ومن يجـود على العاصى ويـستره
يخفـى القبيـح ويبدى كل صـالحة ويغـمر الـعبد إحـسانـا ويشـكره
ويغـفر الـذنب للـعاصى ويـقبـله إذا أنـاب وبـالـغـفـران يـجـبـره
ومـن يـلوذ بـه فـى دفـع نائـبـة يعـطيـه من فضـله عـزا وينـصره
ولا يـضـيـع مـشـقـالا لمجـتـهـد بـل فـى المـآل يربـيـه ويـدخـره
ومن يـكن قـلبـه من ذنـبه دنـسا فـبـالمـدامـع والتـقـوى يـطـهـره
وليـس للـعبـد تصـريف وإن لـه مـولاه إن شـاء يغـنـيـه ويفـقـره
فلا الحـذر ينـجى العـبد مـن قدر يــريــده الله أو أمـــر يــدبــره
فـنسـأل الله حـقا حـسـن خاتمـة عـند المـمات وصـفـوا لا يكـدره

(قال منصور بن عمار رحمة الله عليه) كان لى أخ فى الله يعتقدنى ويزورنى فى شدة ورخاء وكنت أراه كثير العبادة والتهجد والبكاء، ففقدته أياما فقيل لى هو ضعيف فسألت عن داره فأتيت الباب فطرقته فخرجت إلى ابنته فقالت من تريد فقلت فلانا فدخلت واستأذنت لى ثم عادت وقالت لى ادخل فدخلت فوجدته فى وسط الدار وهو مضطجع على فراش وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له وأنا خائف منه يا أخى أكثر من قول لا إله إلا الله ففتح عينيه ونظر إلى شزرا وغشى عليه فقلت له ثانيا يا أخى أكثر من قول لا إله إلا الله ففتح عينيه ونظر إلى شزرا وغشى عليه، فقلت له ثالثا يا أخى أكثر من قول لا إله إلا الله ولئن لم تقلها لا غسلتك ولا كفنتك ولاصليت عليك ففتح عينيه وقال يا أخى يا منصور هذه كلمة حيل بينى وبينها فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ثم قلت له يا أخى أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام فقال يا أخى كل ذلك كان لغير وجه الله إنما كنت أفعل ذلك ليقال عنى وأذكر به وكنت أفعل ذلك رياء الناس، فإذا خلوت بنفسى أغلقت الباب وأرخيت الستور وشربت الخمور وبارزت ربى بالمعاصى ودمت على ذلك مدة فأصابنى مرض أشرفت فيه على الهلاك فقلت لابنتى هذه ناولينى المصحف ففعلت فأخذته فجعلت اقرأ فيه حرفا حرفا حتى بلغت سورة يس فرفعت المصحف وقلت اللهم بحق هذا القرآن العظيم إلا ما شفيتنى وأنا لا أعود إلى ذنب أبدا ففرج الله عنى فلما شفيت عدت إلى ما كنت عليه من اللهو واللذات والزهو وأنسانى الشيطان العهد الذى كان بينى وبين ربى وبقيت على ذلك مدة من الزمان فمرضت مرضاً أشرفت فيه على الموت فأمرت أهلى فأخرجونى إلى وسط الدار على عادتى ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه ثم رفعته وقلت اللهم بحرمة ما فى هذا المصحف الكريم من كلامك القديم إلا ما فرجت عنى فاستجاب الله منى وفرج عنى ثم عدت إلى ما كنت عليه من الهوى والغى فوقعت فى هذا المرض فأمرت أهلى فأخرجونى إلى وسط الدار كما ترانى، ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لى فيه حرف واحد فعلمت أن الله سبحانه وتعالى قد غضب على، فرفعت رأسى إلى السماء وقلت اللهم بحرمة هذا المصحف إلا ما فرجت عنى يا جبار الأرض والسماء فسمعت هاتفا يقول ولم أر شخصه:

تتوب من الذنوب إذا مرضتا	وترجع للذنوب إذا برئتا
إذا ما الضر مسك أنت باك	وأخبث ما يكون إذا قويتا

فكم من كربة نجاك منها — وكم كشف البلاء إذا بليتا
وكم غطاك فى ذنب وعنه — مدى الأيام جهرا قد نهيتا
أما تخشى بأن تأتى المنايا — وأنت على الخطايا قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد فضلا — عليك ولا ارعويت ولا خشيتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدا — وأنت لكل معروف نسيتا
فدارك قبل نقلك عن ديارك — إلى قبر إليه قد نعيتا

قال منصور بن عمار: والله ما خرجت من عنده إلا وعينى تسكب العبرات، فما وصلت إلى الباب إلا وقيل قد مات فلان فنسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الخاتمة فكم من نفس مكر بها بعد أن كانت صائمة قائمة.

(وحكى) عن عبد الله الموصلى قال كان عهدنا رجل موله يدعى بقضيب البان وكان لا يقدر أحد أن يكلمه من عظم حرمته وهيبته وكان كثير البكاء فجمعتنى به المقادير فى خلوة له فقلت يا سيدى بالذى شغلك به عمن سواه ما كان سبب تولهك وانفرادك عن الناس فنظر إلى وبكى بكاء شديد، ثم اصفر لونه واضطرب وغشى عليه فظننت أنه قد مات، فلما أفاق آنسته بالكلام ولاطفته بالخطاب وسألته عن حاله وأقسمت عليه فحدثنى وهو يبكى فقال كنت أخدم شيخى وكان من الأبدال فخدمته أربعين سنة وهو مجتهد فى العبادة، فلما كان قبل موته بثلاثة أيام دعانى وقال يا ولدى يا عبد الله لى عليك حق ولك على حق ومن تمام حقى عليك أن تصغى لما أقول وتحفظ وصيتى فقلت له حبا وكرامة فقال بقى من عمرى ثلاثة أيام وأموت على غير فطرة الإسلام، فإذا أنا مت فضعنى فى تابوت بثيابى واحمل تابوتى فى الليل إلى أرض كذا فى ظاهر البلد وامكث حتى تطلع الشمس فإذا رأيت جماعة قد جاؤا ومعهم تابوت فوضعوه إلى جانب تابوتى وأخذوا تابوتى ومضوا فخذ التابوت الذى جاءوا به وعد إلى الزاوية فافتحه واخرج الرجل الذى فيه وافعل معه ما كان يجب عليك أن تفعله معى والسلام، فبكيت وقلت يا سيدى كيف يكون هذا الأمر فقال يا ولدى هذا جرى فى اللوح المحفوظ ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ «لا يُسئل عما يفعل» فلما كان بعد ثلاثة أيام اضطرب الشيخ وتغير لونه واسود وجهه ودار إلى ناحية الشرق وانكب على وجهه ومات، فبكيت بكاء شديدا، ولحقنى عليه من الحزن ما لم يعلمه إلا الله عز وجل ثم ذكرت وصيته فوضعته فى تابوت فلما كان الليل خرجت إلى الأرض التى سماها فوضعته ومكثت حتى طلعت الشمس، فإذا بجماعة قد أقبلوا ولهم عويل ومعهم تابوت فوضعوه إلى جانب ذلك التابوت وتقدم رجل منهم وحمل

التابوت الذى كان معى ومضى فتعلقت به وقلت لا سبيل لك إلى أخذ هذا التابوت حتى تخبرنى بخبرك، فقال أنا خادم هذا البطريق منذ أربعين سنة فلما كان قبل موته بثلاثة أيام أحضرنى وقال يا ولدى لى عليك حق ولك على حق ومن تمام حقى عليك إذا أنا مت بعد ثلاثة أيام فضعنى فى التابوت واحملنى إلى المكان الفلانى وذكر هذا المكان، فإذا وجدت تابوتا موضوعا فخذه وضع التابوت الذى أنا فيه مكانه واحمله إلى الكنيسة وما كان يجب عليك أن تفعله فى حقى فافعله مع صاحب ذلك التابوت والسلام فلما كان بعد ثلاثة أيام تهلل وجهه بالفرح ونطق بالشهادتين ومات مسلما ففعلت ما أمرنى به وقد جئت به، قال عبد الله فحملت التابوت الذى جاء به ومضيت إلى الزاوية ففتحته فإذا به شيخ على وجهه أنوار وشيبة بيضاء عليها وقار فأخرجته من التابوت ونزعت ثيابه وغسلته أنا والفقراء وصلينا عليه ودفناه فى الزاوية وكان يوماً مشهودا فخرجت هائماً على وجهى من خوف الخاتمة، وسوء المنقلب فهذا كان سبب تولهى فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة، ونعوذ بالله من مكره تعالى فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون:

يا ويح من ضل سبيل الهدى	وفاته منك بلوغ المرام
ومن إلى حصنك آويته	فركنه فى عزة لا يضام
كم صالح قد صف أقدامه	فى الليل يبكى بالدموع السجام
وما له حظ سوى إنه	أشقاه مولاه بطول القيام
وكم قريب خاب سعيا وما	نال سوى التعذيب والانتقام
وكم بعبد نال ما يرتجى	ونال فى عقباه أعلى مقام
يا أيها اللوام كفوا فمن	دليله مسن جبره لا يلام
من لم يكن أهلا لوصل فما	يفيده القرب ولا الاعتصام
فسطوة الأقدار لا تعتدى	فانتبهوا من نومكم يا نيام
يا أيها المذنب قم واعتذر	وتب من الذنب وكسب الآثام
إلى متى أنت ترى غاديا	ورائحا فى اللهو وطوع الغرام
أنب إلى الله وتب واستقم	من قبل أن تشرب كاس الحمام
وإن تخف قبح ذنوب مضت	فلذ بمولى الخلق خير الأنام
محمد المختار من هاشم	أفضل من حج وصلى وصام
صلى عليه الله ما أشرقت	طلائع الصبح وولى الظلام

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد نبيك العظيم ورسولك الكريم والداعى إلى الصراط المستقيم. اللهم إنا قد توسلنا بجاهه إليك واعتمدنا بشفاعته لديك أن تؤمن خوفنا وتستر عيوبنا وتغفر ذنوبنا. إلهى إن كنت لا تقبل إلا المجتهدين فمن للمقصرين إن كنت لا ترحم إلا الطائعين فمن للعاصين والمذنبين. إلهى قد علمنا السوء من أنفسنا فتب علينا. إلهى هب لنا من فضلك ما تغنينا به عمن سواك ومن عفوك ما تؤبنا به إلى ركنك، رحماك إلهى ارزقنا توفيق الطاعة، وبغض المعصية وإخلاص النية وحسن الطوية، والرجوع إليك بالكلية وارحمنا رحمة تجبر بها كسرنا وتغنى بها فقرنا وتكفِّر بها وزرنا وترفع بها قدرنا وانفعنا بما سمعناه من كلامك القديم وحديث رسولك الكريم وشفعه فى تقصيرنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم برحمتك يا أرحم الراحمين آمين.

*****

المجلس الثالث في ذكر الموت وزيارة القبور والترحم على أهلها

الحمد لله المستحق لغايات التحميد المتوحد فى كبريائه من غير تكيف ولا تحديد العلى القوى الولى الحميد المغنى المبدئ المعيد المعطى الذى لا يفنى عطاؤه ولا يبيد المانع فلا معطى لما منع ولا راد لما يريد، خلق الخلائق وسلكهم أحسن الطريق إلى الأمر الرشيد وصورهم فأحسن صورهم وبشرهم فى الجنة بالنعيم والتخليد، وبصرهم بعين الاعتبار، وحذرهم من عذاب النار والوعيد وألزمهم شكره وضمن لهم كنز فضله المزيد وحكم عليهم بالموت فما لأحد عنه محيص ولا محيد، فكم أبكي خليلا بفراق خليله وكم أيتم وليدا وشغله ببكائه وعويله فهو لا يبدى بفرط حزنه ولا يعيدهم بالموت مشيد الأعمار وحكم بالفناء على أهل هذه الدار الأحرار منهم والعبيد، أوحش المنازل من أقمارها، ونفر طيور الأرواح من أوكارها، وعوضهم من لذة العيش بالتنغيص والتنكيد فالملك والمملوك والغنى والصعلوك تساوت قبورهم فى الفقر والبيد، فسبحان من أذل بالموت من الجبابرة كل جبار عنيد، وكسر به من الأكاسرة كل بطل صنديد، أخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور، وقطع حبل أمدهم المديد أخذ به الآباء والجدود والأطفال من المهود فأسكنهم اللحود، وعفر وجوههم فى الصعيد وساوى فى الموت بين الصغير والكبير والغنى والفقير والمأمور

والأمير والوليد أفنى به الذكور والأناث فهم فى سجن الأجداث إلى يوم الوعيد، أفلا يعتبر الغافل بمصرعهم وقد أفناهم الموت بأجمعهم وفرق شملهم بالتبديد فكيف يغتر الإنسان وهو عالم بأن الله تعالى يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ولم يكن عنه محيداً ما كانت نفوسهم بذلك عالمة وهى من الموت غير سالمة **﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾** أين أهل المدن والحصون؟ أين أرباب المعانى والفنون؟ أين المحصنون بكل حصن منيع وقصر مشيد؟ أين الأمم الماضية؟ أين أرباب القصور العالية حق عليهم الوعيد فلو عاينتهم فى قبورهم لعجبت من أمورهم قد غير البلى أحوالهم ومزق أوصالهم ولم يعرف منهم الأحرار من العبيد، أما أصبح منهم ذو الشدة والبأس بعد القرب والإيناس فى ظلمة اللحود وحيد، أما وعظهم الموت بمن أخذ من شقى وسعيد وقريب وبعيد أما أنذرهم قول الملك الحميد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد :

ويحك نبه نفسك	وأعمل لما تلقى غدا الموت
يأتى بغتة وليس منه محيد	إن كنت يا صاح نائم
لابد فى القبر تنتبه وأنت فيه	محير عما تريده بعيد
من لك إذا مت مليك	من كان يهوى صحبتك
وحزت لحدك وحدك	مفلس غريب وحيد
أهل القبور يتمنوا	ما أنت فيه مجتهد
ولست تدرى من هو	منهم شقى وسعيد
فدع دموعك تجرى	قبل أن يقال من عصى
ألم تكن قبل تدرى	إن الحساب شديد
كل القلوب قد لانت	لكن قلبك قد قسا
كأن قلبك أضحى	بين القلوب حديد
ويحك فهى زادك	واحذر ينفد يا فتى
قبل أن تسافر بغتة	ما يشفع التنقيد

(وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه) قال: أتيت رسول الله ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار يا رسول الله من أكيس الناس قال :**«أكثرهم للموت ذكرا، وأحسنهم له استعدادا أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرم الآخرة»**.

(وعن عائشة رضى الله عنها) قالت قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» فقلت يا رسول الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت، فقال: «**ليس ذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقائه والكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه**» ذكره مسلم، وذكر مسلم بن الحجاج من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به قال فإن كان لابد متمنيا فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيرًا لى فاجتهد أيها العبد فى العمل الصالح واشفق من كأس لابد أنك ذائقه وارحل عن عيش لابد أنك مفارقه يا ناسيا للرحيل وقد حف نجيب الرحيل سائقه اعتبر من سبقك فإنما يعصى المنى سابقه.

ألا أيها القلب الكثير علائقه	ألم تر أن الدهر تجرى بوائقه
رويدك لا تنس المقابر والبلى	وطعمة كاس الموت إنك ذائقه
ألا أيها الباكى على الموت بعده	رويدك لا تعجل فإنك لاحقه
إذا اعتصم المخلوق من فتن الهوى	بخالقه أنجاه منهن خالقه
أرى صاحب الدنيا مقيما بجهله	على ثقة من صاحب لا يفارقه
فلا تتمن الموت يا صاح إنه	سيأتيك منه عن قريب طوارقه

(وروى) عن النبى ﷺ إنه قال: «**ما الميت فى قبر إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابنته أو أخيه أو صديق فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها**»[1] وقال رسول الله ﷺ: «**يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم، ما غرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود غرك بى إذا كنت تمر بى فإن كان صالحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر إذا أتحول عليه روضة خضراء ويعود جسمه وتصعد روحه إلى الله عز وجل**».

ولو أنا إذا متنا تركنـــــا	لكان الموت راحة كل حـى
ولكنا إذا متنا بعثنـــــا	ونسئل بعده عن كل شـى

(روى) إسماعيل بن محمد عن كعب الأحبار رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

(١) الحديث لا أصل له وإن كان معناه صحيحا.

«لا يمر أحد فى المقابر إلا وتناديه أهل القبور يا غافل لو علمت ما نحن نعلم لذاب لحمك وجسمك كما يذوب الثلج فى النار»[1] . وقال النبى ﷺ : **«من أراد أن يزور قبرا فليزره ولا يقول إلا خيراً فإن الميت يتأذى مما يتأذى منه الحى».**

(ويروى) عن ابن عباس رضى الله عنه إنه قال ما من رجل يمر على قبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام.

تناجيك أموات وهن سكوت	وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة	لمن تجمع الدنيا وأنت تموت
وإنكموا إذما علينا فسلموا	نرد عليكم واللسان صموت

وقال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب قال يا أبا حازم كيف القدوم على الله تعالى؟ قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتى أهله فرحا وأما المسىء فكالعبد الآبق يأتى مولاه خائفا محزونا.

(وقال أبو سليمان الدارانى رحمة الله عليه) قلت لأم هارون العابدة أتحبين أن تموتى قالت لا، قلت: ولم؟ قالت: والله لو عصيت مخلوقا لكرهت لقاءه فكيف الخالق جل جلاله:

وكيف يلذ العيش من هو عالم	بأن إله الخلق لابد سائله
فيأخذ منه ظلمة لعباده	ويجزيه بالخير الذى هو فاعله
وكيف يلذ العيش من كان سائرا	إلى لحد قبر فيه تبلى شمائله
ويذهب رسم الوجه من بعد ضوئه	قريبا ويبلى جسمه ومفاصله

(وقال أبو بكر الكتانى رحمة الله عليه) كان رجل يحاسب نفسه على سيئاته وخطاياه فحسب يوما سنينه فوجدها ستين سنة فحسب أيامها فوجدها أحداً وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال يا ويلتاه وأنا آتى ربى بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة يقول هذا لو كان فى كل يوم ذنب واحد فكيف بذنوب لا تحصى ثم قال آه على عمرت دنياى وخربت آخرتى وعصيت مولاى الوهاب ثم لا أشتهى القلة من العمران إلى الخراب وكيف أقدم فى يوم

(١) غير صحيح وإن كان عذاب القبر حقًا أعاذنا الله منه وأذاقنا نعيمه.

الحساب على الكتاب والعذاب بلا عمل ولا ثواب:

منـــازل دنيـــاى عمرتهـــــا وخربت دارى فى الآخره

فأصبحت أنكر دارى الخراب وأرغب فى دارى العامره

ثم شهق شهقة عظيمة ووقع على الأرض فحركوه فإذا هو ميت رحمة الله عليه.

(قال أبو عمر الضرير) حدثنى سـهل أخو حازم قال رأيت مالك بـن دينار فى المنام بعد موته فقلت له: يا أبا يحيى بماذا قدمت على الله عز وجل قال: قدمت عليه بذنوب كثيرة محاها حسن ظنى بالله عز وجل:

يظن الناس بى خيرا وإنى أشر الناس إن لـم تعف عنـــى

وما لى حيلة إلا رجائـــى وجودك إن عفوت وحسن ظنى

(وسئل) بعـض الزهاد كيـف حالك فقـال كيف حال مـن يريد سفـراً بلا زاد، ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس ويقدم على مالك قادر بغير حجة:

تعطف بفضلك منك يا مالك الورى فـأنت مـلاذى سـيدى ومـعـينـى

لئـن أبعدتنـى عن حمـاك خطيئـتى فأنـت رجائـى شافـعى ويـقيـنى

ولسـت أرى لى حـجة أبتـغى بـها رضاك وإن الـعفـو منـك يقـينـى

(ويروى) عن عثمان بن عـفان رضى الله عنه إنه وقف على قبر فبـكى فقيل له إنك تذكر الجنة والنـار فلا تبكى وتبكى من هذا فقال سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن ينج منـه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعد أشد منه» ووجد على قبر مكتوباً:

سلامـى على أهـل القبـور الدوارس كأنهمـوا لم يجلسوا فـى المجالس

ولـم يشـربوا مـن بـارد الماء نـهلـة ولم يطعموا مـن كل رطب ويابس

ولم يـك منـهم فـى الحيـاة منـافس طويل المـنى فيهـا كثير الـوساوس

ألا ليـت شعـرى أين قـبر ذلـيلـكم وقبـر العزيـز الشـامخ المتـشاوس

لقد سكنوا فى موحش الترب والثرى فـهاهـم بهـا مـا بين راج وآيـس

ولـو عقـل المرء المـنافـس فى الـذى تركـتم مـن الدنيـا له لـم ينـافس

وكان يزيد الـرقاشى يقول لنـفسه ويحك يا يزيـد من ذا يصلى عنـك بعد الموت

ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يتوضأ عنك بعد الموت ثم يقول أيها الناس لم لا تبكون على أنفسكم فى حياتكم، فمن يكن الموت موعده والقبر بيته والتراب فراشه والدود أنيسه وهو مع ذلك ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله وكيف يكون ماله ثم يبكى حتى يسقط مغشيا عليه:

ماذا يكون مآل المرء بعد هنا — عيش وآخره موت سيعقبه
والدهر يفجعه فيمن يسر به — والموت عن كل ما يهواه يحجبه
وحادثات لياليه تروعه — جهرا فيمزج بالتنغيص مشربه
يلهو ويحسب أياما يغر بها — وللمنية قرب ليس يحسبه

(ويروى) أن امرأة شكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة فى قلبها فقالت لها: أكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت ذلك فرق قلبها فشكرت عائشة رضى الله عنها، ومرض أبو الدرداء رضى الله عنه فقالوا له: أى شيء تشتهيه. قال: الجنة، قال: أندعو لك طبيبا قال: الطبيب أمرضنى فقال له رجل من أصحابه: يا أبا الدرداء أتشتهى أن أسامرك الليلة فقال له أبو الدرداء: أنت معافى وأنا مبتلى والعافية لا تدعك أن تسهر والبلاء لا يدعنى أن أنام ثم قال: أسأل الله الذى لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية الشكر ولأهل البلاء الصبر :

وإذا ابتليت بشدة فاصبر لها — صبر الكرام فما يدوم مقامها
فالله يبلى كى يثبت فلا تضق — ذرعا بنازلة جرت أحكامها
ولرب يوم نازلتك خطوبها — ثم انجلى بل الظلام ظلامها
ولئن جزعت فليس ذاك بنافع — إن الأمور قضى بها أعلامها

(وفى بعض الخطب المروية) أيها الناس إن الآمال تطوى والأعمال تفنى والأبدان تحت التراب تبلى وإن الليل والنهار يتراكضان كركض البريد يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد وفى كل ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات وسلى عن اللذات ورغب فى الأعمال الباقيات الصالحات :

خليلى إن العمر وافى بلجة — له دائما نحو المنية إعجال
وأرواحنا الأرزاق والموت ساحل — ومن دونه من عاصف الخطب أهوال
حقيقة ذى الدنيا محال وباطل — ويتبعنا فيها حقوق وآجال
وفى الباقيات الصالحات كفاية — لمن قصرت منه على الدهر آمال

(وروى) فى الخبر أن العبد الصالح ليعالج سكرات الموت وكرباته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليك. وقيل لحسان بن أبى سنان كيف تجدك قال بخير إن نجوت من النار قيل له ما تشتهى قال ليلة طويلة أصليها كلها. وقال عبدالله بن عتبة عدت رجلا مريضا فلما قعدت عنده قلت له كيف تجدك فأنشدنى :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى	غداة أقل[1] الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا	خروجى وتعجيلى إليه كرامتى
كأنهمو لم يعرفوا قط صحبتى	غداة أتى يومى على وساعتى

وقيل دخل المزنى على الشافعى رضى الله عنه فى مرضه الذى مات فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت عن الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى ربى سبحانه وتعالى واردا ولا أدرى روحى صائرة إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها ثم أنشد :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى	جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته	بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل	تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك لم يغو بإبليس عابد	فكيف وقد أغوى صفيك آدما
فياليت شعرى هل أصير لجنة	فأهنأ وإما للسعير فأندما

(ويروى) أن رجلا جاء إلى مقبرة فصلى ركعتين ثم اضطجع فرأى فى منامه صاحب القبر فقال له يا هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل والله لأن تكون ركعتان فى صحيفتى أحب إلى من الدنيا وما فيها.

(ويروى) أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه فأنشد يقول:

مالى مررت على القبور مسلما	قبر الحبيب فلم يرد جوابى
أحبيب مالك لا تجيب مناديا	أملك بعدى خلة الأصحاب
لو كان ينطق بالجواب لقال لى	أكل التراب محاسنى وشبابى

قال فهتف بى هاتف من جانب القبر يقول:

---
(١) بمعنى: حمل.

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم   وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسنى فنسيتكم   وحجبت عن أهلى وعن أصحابى
فعليكم منى السلام تقطعت   عنى وعنكم خلة الأصحاب
وتمزقت تلك الجلود صفائحا   يا طالما لبست رفيع ثياب
وتفصلت تلك الأنامل من يدى   ما كان أحسنها لخط كتابى
وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤا   ما كان أحسنها لرد جواب
وتساقطت فوق الخدود نواظرى   يا طالما نظرت بها أحبابى

(وقال ثابت البنانى رضى الله عنه) دخلت المقابر لأزور القبور وأعتبر بالموتى وأتفكر فى البعث والنشور وأعظ نفسى لعلها ترجع عن الغى والفجور فوجدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون وفرادى لا يتزاورون فأيست من مقالهم واعتبرت بأحوالهم فلما أردت الخروج إذا بصوت يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها.

(وقيل) مر داود الطائى بامرأة تبكى على قبر وهى تنشد هذه الأبيات :

عدمت الحياة فلا نلتها   إذا أنت فى القبر قد أوسدوكا
وكيف ألذ بطعم الكرى   وها أنت فى القبر قد أفردوكا

ثم قال يا أبتاه بأى خديك بدأ الدود قال فخر داود مغشيا عليه وقيل لما حضرت حسن بن هانئ الوفاة وأيقن بالموت وتحقق للقائه وأنشد:

دب فى السقام سفلا وعلوا   وأرانى أموت عضوا فعضوا
ليس من ساعة مضت بى إلا   نقصتنى بمرها بى جزوا
لهف قلبى على ليال تقضت   وسنين مضين لعبا ولهوا
قد أسأنا كل الإساءة جهرا   ومن الله نطلب الآن عفوا

(إخوانى) انتبهوا من رقدة الهجوع، وافزعوا إلى الله تعالى بالتضرع والخشوع فكأنكم بالموت وقد فرق الجموع وأخلى القصور والربوع وأمطر عليهم سحائب الدموع وناداهم المشوق بطرف باك وقلب موجوع:

معارف فى الثرى هجوع   فالقلب من بعدهم صدوع
تكدرت بعدهم حياتى   فأوحشت منهم الربوع

كانوا سروري ونور عيني	فما لها بعدهم هجوع
ماتوا فأودى لذيذ عيشي	وبالأسى ذابت الضلوع
يا نفس كم من جموع وصل	فرقها البين والولوع
يا نفس للموت فاستعدى	فالموت إتيانه سريع
فلا مليك ولا شريف	في الدهر يبقى ولا وضيع
ولا سعيد ولا شقي	ولا عصى ولا مطيع
يا نفس إن الأصول ماتت	فما عسى تنبت الفروع

(قال مالك بن دينار رحمة الله عليه) أتيت القبور على سبيل الزيارة والتذكار والتفكر في الموت والاعتبار فتمنيت من يخبرني عنهم بخبر أو يقص لي من آثارهم بعض أثر فقلت بلسان أحزاني ما قدحت زناد أشجاني من الفكر:

أتيت للقبور فناديتها	فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه	وأين العزيز إذا ما افتخر

قال فنوديت من بين القبور وأنا بالوحيد مغمور.

تفانوا جميعا فلا مخبر	وماتوا جميعا وصاروا غبر
وعادوا إلى ملك عادل	عزيز مطاع إذا أمر
تروح وتغدو بنات الثرى	فتحمى محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا	أما لك فيمن مضى معتبر

قال مالك بن دينار فرجعت أبكى الدموع الغزار واعتبرت بذلك أي اعتبار.

(قال بعض الصالحين) زرت مرة القبور حين هج بقلبي لهيب النار فأقمت عندها برهة من الزمان أنظر لها بعين الاعتبار وأناجى صرعاها بالعشى والإبكار وأجلس إليها في الأصايل والأسحار، فجال فكرى في مجال التفكر والاعتبار بخطاب نظمته من محاسن الأشعار:

أحبابنا فارقتمونا فأوحشت فكم	قلوب لنا من بعدكم وديار
تذاكرنا محاسن من مضى	فجاءت دموع للفراق غزار
قضوا وقضيتم ثم نقضى فلا	بقا لحى وكاسات المنون تدار
وكنا وإياكم نزور مقابراً	ومتم فزرناكم وسوف نزار
سقت ديمة الرضوان ريا ثراكمو	وسحت لها في ساحتيه بحار

فأجاب لسان الحال فى الحال عما أبديت من المقال:

يقول لسان الحال إذ خرس الردى ... لسانا لهم من الفصيح يغار
شربنا بكاس أسكرتنا مريرة ... ألا رب سكر ما حواه عقار
فلا يغترر بالله من عاش بعدنا ... بعيش فأيام الحياة قصار
وإنا وجدنا خيرا زادنا التقى ... هو الربح حقا ما عداه خسار
وما العيش إلا زورة الطيف فى الكرى ... وما هذه الدنية الدنية دار

يا من ركن إلى الدنيا بإقامة وثبات احذر أسد الموت فإن له وثبات كيف تركن إلى اللذات وقد جاء فى طلبك الممات، واعتبر يا هذا بمصارع الهالكين ففيهم لدى التفكر عظات:

لقد زرت أقواماً كراما أحبهم ... وهم تحت أطباق الثرى فيه أموات
وواصلتهم من بعد بين وفرقة ... فكان لنا فيها عظات وإنصات
وأعجب شىء فى الوجود اجتماعنا ... ونحن على ذاك التواصل أشتات

(وروى) أنه وجد على قبر مكتوبا:

اصبر لدهر نال منك ... فهكذا مضت الدهور
فرحا وحزنا مرة ... لا الحزن دام ولا السرور

(وقال الأصمعى رحمة الله عليه) كنت كثير التفكر فى عجائب الأمور وأجيل الفكر فى البعث والنشور وأتسلى بقراءة الكتابة على القبور فمن ذلك رأيت ثلاثة قبور على صف وعليها لوح مكتوب عليه.

ألا قل لماش على قبرنا ... غفول لأشياء حلت بنا
سيندم يوما لتفريطه ... كما قد ندمنا لتفريطنا

وقال أيضا وجدت على حجر مكتوبا فى المقبرة:

وقفت على الأحبة حين صفت ... قبورهمو كأفراس الرهانِ
فلما أن بكيت وفاض دمعى ... رأت عيناى بينهمو مكانى

قال ومشيت قليلا ودمعى مسكوب وقلبى من فراق الأحباب مسلوب فوجدت على قبر لوحا وعليه مكتوب هذه الأبيات:

يـا أيهـا النـاس كـان لى أمـل قصـر بى عـن بلـوغه الأجـل
فـلـيـتـق الله ربـه رجـل أمـكنـه فـى حيـاتـه الـعمـل
ما أنا وحدى جعلت حيث ترى كـل إلى مـا نقـلـت ينـتقـل

وقال وجدت على قبر مكتوبا:

قف واعتبر فقريبا تحل هذا المحلا
هذا مكان يساوى فيه الأعزُّ الأذلا

وقال وجدت امرأة تبكى على قبر ولدها وتنشد:

بالله يـا قبـر هل زالت مـحاسـنه وهـل تغـير ذاك المنـظر الـنضـر
يا قبر مـا أنت لا روض ولا فلك فكيف يجمع فيك الشمس والقمر

وقال أيضـا مررت يوما بـقبور كنـت أعرف أهلهـا أهل سرور ولذات ورفـاهية وشهوات فى لوح منها مكتوبا هذه الأبيات:

أيـها المـاشى بـين هذى الـقبـور غـافـلا عـن معـقـبـات الأمـور
أدن مـنـى أنـبـئـك عـنـى ولا ينـبيك عـنى يا صاح مـثل خبـير
أنـا مـيت كـمـا تـرانى طـريـح بـين أطـبـاق جـنـدل وصـخـور
أنـا فـى بـيـت غـربـة وانـفـراد مع قـربى من جيـرتى وعشـيرى
ليـس لى فيـه مؤنـس غير سـعى مـن صلاح سـعـيـته أو فـجـور
فـكـذا أنـت فـاعـتـبـر وإلا صرت مـثلـى رهين يـوم النـشور

وروى عن الفضيل بن عياض وقيل ابن الموفـق رحمة الله عليه قال كنت آتى قبر أبى المرة والمرتـين وأكثر زيارته فشيـعت يوما جنازة إلـى المقبرة التى أبى فـيها، وكان ورائى شغل فتعجلت الرواح فلم أزره فلما كـان الليل رأيته فى المنام فقال يا بنى إنك أتيت بالأمس ولم تأتنى فقلت يا أبت وإنك لتعلم بى إذا أتيتك، فقال أى والله يا بنى إنك لتأتينى فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز الـقنطرة إلى أن تصل إلى وتقعد عندى ثم تقوم فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة.

(ويروى) أن فارسا مر بغلام فـسأله يا غلام أين العمران فقـال له اصعد الشرف فصعد فأشرف على مـقبرة فقال هذا الغلام إما جاهل أو حكيم، فـرجع إليه فقال له

سألتك عن العمران فدللتنى على المقابر فقال الغلام إنى رأيت أهل تلك ينقلبون إلى هذه ولم أر أحداً ينقلب من هذه إلى تلك وإنما يتقلب من الخراب إلى العمران ولو سألتنى عما يواريك ودابتك لدللتك ثم أنشد :

نفس زورى القبور واعتبريها	حيث فيها لمن يزور عظات
وانظرى كيف حال من حل فيها	بعد عزوهم بها أموات
حرصوا أملوا كحرصك يا نفس	والافاهم الحمام فماتوا
فالسراة العظام منهم عظام	فى بطون الثرى حطام رفات
فكان قد حللت فى مصرع القوم	وحلت بجسمك المثلات

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال :«**ما من يوم إلا وملك الموت يهتف فى المقابر فينادى يا أهل القبور من تحسدون اليوم فيجيبونه، فيقولون نحسد أهل المساجد فى مساجدهم يصلون ولا نقدر أن نصلى ويصومون ولا نقدر أن نصوم، ويتصدقون ولا نقدر أن نتصدق ويذكرون ولا نقدر أن نذكر فيندمون على ما مضى من زمانهم**».

رب يا رباه هذا جسدى	تحت أطباق الثرى مرتهنا
ما أرى لى عملا لكن أرى	يا إلهى فيك ظنى حسنا
وعلى عفوك ياذا الفضل قد	كنت فى دنياى أحسنت الثنا
فأقل عثرة عبد مذنب	وتجاوز واعف عنه محسنا

(وعن الأوزاعى رحمة الله عليه) قال مر ميسرة بن الحسين بالمقابر يوما وكان يسكن المصيصة وقائده يقوده وكان مكفوف النظر حتى إذا صار إلى المقبرة قال له قائده هذه المقبرة يا ميسرة فقال السلام عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم خلف فرحمنا الله وإياكم وغفر لنا ولكم، وبارك لنا ولكم فى القدوم عليه إذا صرنا إلى ما صرتم إليه، قال فرد الله تعالى الروح إلى رجل منهم فأجابه بلسان فصيح فقال: طوبى لكم يا أهل الدنيا تحجون فى الشهر أربع مرات قال ميسرة وكيف نحج فى الشهر أربع مرات يرحمك الله قال المشى إلى الجمعة أما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة، قال فأخبرنى بما قدمتم عليه ونفعكم يرحمك الله قال الاستغفار لأهل الدنيا أنفع الأشياء في الآخرة قال فما منعكم أن تردوا السلام علينا قال السلام حسنة والحسنات قد رفعت عنا فلا حسنة تزيد ولا سيئة تنقص قد رضينا منكم بقولكم:

رحم الله فلان المتوفى فاغتنموا رحمكم الله الأعمال الصالحة واجتنبوا الأعمال الخبيثة واصرفوا هممكم عن عمارة ما يفنى إلى عمارة الأجداث فكأنكم بساقي المنية وقد أدار كأسه على الذكور والإناث:

يا آمن الأقدار بادر صرفها	واعلم بأن الطالبين حثاث
خذ من تراثك ما استطعت فإنما	شركاؤك الأيام والوراث
المال مال المرء بلغت به	الشهوات واندفعت به الأجداث
ما كان منه فاضلا عن قوته	فليوقن بأنه ميراث
مالى إلى الدنيا الغرورة حاجة	مات الذكور بها ومات أناث

(وقالت عائشة الأندلسية رحمة الله عليها) وكانت من الصالحات مات ولد لى فكنت أزوره فى كل أسبوع مرة فكنت إذا قربت من قبره سمعت جيرانه من الموتى يقولون يا فلان هذه أمك قد جاءت إليك فكنت أنظر إلى قبره كأنه يضحك لى فأسر بذلك:

لو كلم الميت من يشيعه	لقال لا تغتر فأنت أنا
قد كنت ألهو وغرني أملى	عاجلنى الموت ما بلغت منَى

(وقال الحارث بن نبهان رحمه الله) كنت أخرج إلى الجبانات فأترحم على أهل القبور وأتفكر فيهم وأعتبر بأحوالهم، فأنظر إليهم سكوتا لا يتكلمون، وجيرانا لا يتزاورون قد صارلهم من بطن الأرض وطاء، ومن ظهرها غطاء وأنادى يا أهل القبور محيت من الدنيا آثاركم وما محيت عنكم أوزاركم وسكنتم فى دار البلى فتورمت أقدامكم قال ثم أبكى بكاء شديدا ثم أميل إلى قبة فيها قبر فأنام فى ظلها، قال: فبينما أنا نائم إلى جانب القبر وإذا بصاحب القبر وفى عنقه سلسلة وقد ازرقت عيناه واسود وجهه وهو يقول: يا ويلتى ماذا حل بى لورآنى أهل الدنيا لما ركبوا معاصى الله عز وجل أبدا طولبت للذات فأوثقتنى وبالخطايا أغرقتنى فهل من سامع أو مخبر أهلى بأمرى قال الحارث فاستيقظت وأنا مرعوب وكاد أن يخرج قلبى من هول ما رأيت فمضيت إلى دارى وبت ليلتى وأنا متفكر فيما رأيت فلما أصبحت قلت دعونى أعود إلى الموضع الذى كنت به الأمس، لعلى أجد به أحدا من زوار القبور فأعلمه بالذى رأيت فلما مضيت إلى المكان الذى كنت فيه بالأمس لم أجد به أحدا فنمت وإذا بصاحب القبر يسحب على وجهه وهو يقول: يا ويلتاه ماذا حل بى، ساء فى

الدنيا عملى وطال فيها أجلى قد غضب على رب الأرباب فالويل لى إن لم يرحمنى وينقذنى من العذاب، قال الحارث فاستيقظت وقد توله عقلى مما رأيت وسمعت ورجعت إلى دارى وبت ليلتى فلما أصبحت أتيت القبر لعلى أجد أحدا من زوار القبور فأعلمه بالذى رأيت فلم أجد أحدا من زوار القبور فأخذنى النوم فنمت فرأيت صاحب القبر وقد قرن بين قدميه وهو يقول: ما أغفل أهل الدنيا عنى، ضوعف على العذاب وتقطعت عنى الحيل والأسباب وغضب على رب الأرباب وغلق فى وجهى كل باب فالويل لى إن لم يرحمنى العزيز الغفار الوهاب قال الحارث فاستيقظت من منامى مرعوبا وهممت بالانصراف، وإذا بثلاث جوار قد أقبلن كأنهن الأقمار فتباعدت عنهن وتواريت عن التربة لكى أسمع كلامهن فتقدمت الصغرى حتى وقفت، وقالت: السلام عليك يا أبتاه كيف أصبحت وكيف هدوك فى مضجعك؟ كيف قرارك فى موضعك؟ ذهبت عنا بودك وانقطع عنا خير سؤلك فما أشد حزننا عليك وشوقنا إليك ثم بكيت بكاء شديدا، ثم تقدمت الابنتان فسلمتا على القبر ثم قالتا هذا قبر أبينا الذى كان شفيقاً علينا والرحيم بنا آنسك الله برحمته وصرف عنك شر عذابه ونقمته يا أبتاه جرت بعدك أمور وهموم لو عاينتها لأهمتك ولو اطلعت عليها لأحزنتك كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت تسترها قال الحارث فبكيت لما سمعت كلامهن، ثم قمت مسرعا إليهما فسلمت عليهن وقلت لهن: أيتها الجوارى إن الأعمال ربما قبلت ربما ردت على صاحبها فما كان عمل أبيكما المخلد فى هذا القبر الذى عاينت من أمره ما أحزننى واطلعت من حاله على ما أبكانى وأهمنى قال الحارث فلما سمعن كلامى كشفن عن وجوههن وقلن: يا أيها العبد الصالح وما الذى رأيت قلت لى ثلاثة أيام أتردد إلى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه فلما سمعن ذلك قلن لى هذه بشارة ما أضرها ومصيبة ما أحرها نحن نقضى الأوطار ونعمر الديار، وأبونا يحرق بالنار، فوالله لا قرلنا قرار ولا أخذنا نوم ولا اصطبار حتى نتضرع إلى الكريم الغفار لعله يعتق أبانا من النار ثم مضين يتعثرن فى أذيالهن قال الحارث فمضيت إلى دارى وبت ليلتى فلما أتيت القبر فجلست عنده وأنا متفكر فى حاله فغلبنى النوم فنمت وإذا بصاحب القبر له حسن وجمال وفى رجليه نعل من ذهب ومعه خدم وغلمان قال الحارث فسلمت عليه وقلت يرحمك الله من أنت قال: أنا الرجل الذى عاينت من أمرى ما أحرقك واطلعت من حالى على ما رجفك فجزاك الله عنى خيرا فما أبرك طلعتك على، فقلت له وكيف كان حالك فقال لما

اطلعت على وأخبرت بناتى بالأمس بحالى ورجعن إلى منازلهن أهملن عيونهن وأرسلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن فى التراب واستوهبننى من العزيز الوهاب فغفر لى الذنوب والأوزار وأنقذنى من النار وأسكننى دار القرار بجوار النبى المختار فإذا رأيت بناتى فأعلمهن بأمرى وما كان من قصتى ليزول عنهن روعهن ويفارقن حزنهن أعلمهن أنى صرت إلى جنان وقصور وولدان وحور ومسك وكافور وفرحة وسرور، وقد عفا عنى العزيز الغفور، وقال الحارث: فاستيقظت فرحا مسرورا لما رأيت وسمعت فمضيت إلى دارى وبت ليلتى فلما أصبحت أتيت القبور فوجدتهن حافيات الأقدام عليهن آثار الحزن والاغتمام فسلمت عليهن وقلت لهن: أبشرن فقد رأيت أباكن فى خير عظيم وملك مقيم وقد أخبرنى أن الله تعالى أجاب دعاءكن ولم يخيب مسعاكن وقد وهب لكن أباكن فاشكرنه على ما أولاكن.

فقالت الصغرى: اللهم يا مؤنس القلوب وياساتر العيوب ويا كاشفا عنا الكروب ويا غفار الذنوب ويا علام الغيوب قد علمت ما كان من مسألتى ومسكنتى واعتذارى فى خلوتى وإقالتى من زلتى وتنصلى من خطيئتى وأنت اللهم تعلم همتى والمطلع على نيتى والعالم بطويتى ومالك رقبتى والآخذ بناصيتى وغايتى فى مطلبى ورجائى عند شدتى ومؤانسى فى وحدتى وراحمى فى غربتى ومقيل عثرتى ومجيب دعوتى فإن كنت قصرت فى طاعتى وارتكبت ما عنه نهيتنى فبجاهك حميتنى وبسترك سترتنى فيا أكرم الأكرمين ويا منتهى غاية الظالمين ومالك يوم الدين، أنت تعلم ما أخفى فى الضمير وتدبر أمر الصغير والكبير فإن كنت قضيت حاجتى بفضلك وشفعتنى فى عبدك أبى الفقير الذليل الحقير فاقبض إليك روحى وأنت على كل شىء قدير، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها.

ثم تقدمت الثانية فنادت بأعلى صوتها: اللهم يا رب الأرباب ومعتق الرقاب من النار والعذاب، فرج كربتى وخلص من الشك قلبى، يا من أقامنى من صرعتى وأقالنى من عثرتى ودلنى من حيرتى وأغاثنى فى شدتى إن كنت قبلت دعوتى وقضيت حاجتى وعمرت بذكرك قلبى فألحقنى بأختى ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها.

قال: ثم تقدمت الثالثة فنادت بأعلى صوتها: يا أيها الجبار الأعظم والملك الأكرم والعالم بمن سكت وتكلم لك الفضل العظيم والملك القديم والوجه الكريم، العزيز من أعزرته، والذليل من أذللته، والشريف من شرفته، والسعيد من أسعدته، والشقى

من أشقيته، والقريب من أدنيته، والبعيد من أبعدته، والمحروم من أحرمته، والرابح من وهبته، والخاسر من عذبته، أسألك باسمك العظيم ووجهك الكريم وعلمك المكنون الذى بعد عن إدراكه الأفهام وخفى عن مناولته الأوهام وأسألك باسمك الذى جعلته على الليل محوا وعلى النهار فأضاء وعلى الجبال فتدكدكت، وعلى الرياح فعصفت وعلى السموات فارتفعت، وعلى الأرض فسطحت، وعلى الملائكة فسجدت، اللهم إن كنت قضيت حاجتى وأنجحت طلبتى وأجبت دعوتى فألحقنى بأخواتى ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليهن.

قال الحارث: فتعجبت من أحوالهن وتقارب آجالهن فلله در أقوام أمروا فامتثلوا وعملوا فقبلوا وعلى مرادهم حصلوا، طلبوا وصاله فبحبل حبه وصلهم ودعوا مولاهم فاستجاب لهم أخلصوا فى خدمته قولا وفعلا وقضوا فى طاعته فرضاً ونفلا وطلبوا لقاءه فأحب لقاءهم ومنحهم قربا ووصلا وماتوا على دين حبه لما كانوا لذلك أهلا:

تجلى لهم سرا فأفنى وجودهم ... ولم يبق من أجسامهم مفصلا أصلا
وأضحوا نشاوى من مدامة حبه ... وأرواحهم تسمو إلى الملإ الأعلى
تفانوا على دين الغرام فأصبحوا ... بسيف الهوى فى حب محبوبهم قتلى
سقاهم كؤوس الحب صرفا وحبذا ... كؤوس بصافى الود من حبه تملا
ونـاداهم والليل قد مد ستره ... وأوردهم من فضله المورد الأحلى
وأشهدهم أنوار حسن جماله ... وبوأهم من قربه الفضل والوصلا
فهاموا به لما رأوه صبابة ... وقد عدموا فى حبه الذهن والعقلا
وقال ابشروا ثم انظروا وتمتعوا ... فهذا جمالى قد بدا لكم يجلى
فيا معشر الأحباب يهنيكم اللقا ... فسعدكمو وافى وحزنكمو ولّى
فيارب بالهادى البشير محمد ... نبى زكا فرعا كما قد زكا أصلا
ومن قد رقى نحو السماء مشرفا ... وفضلته حقا وألهمته عدلا
أجرنا من النيران واغفر ذنوبنا ... فنحن أتينا منك نستمطر الفضلا
عليه سلام الله ما سرت الصبا ... وما لاح نوره من محاسنه يجلى

(المجلس الرابع فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين)

الحمد لله الذى اختار من عباده من صلح للعبادة وانتقى وجعلهمْ خدما وقسمهم أقساما وفرقا خصهم بعنايته ونظر إليهم ورعاهم برعايته وأخذ عليهم عهدا وموثقا، صافاهم فاصطفاهم وناداهم فأدناهم، وحياهم بالوصل واللقا رفعهم من حضيض نفوسهم إلى حضرة أنيسهم وسقاهم بكاس تسبيحهم وتقديسهم شرابا قديما مروقا فطاب كل منهم لنشوة شرابه وسكر عند سماع خطابه، وسما إلى حضرة أحبابه وارتقى وتجلى لهم على طور السحر فتملى المحب وفاز بالنظر وخر كليم الوجد منهم صعقا أفناهم عن الوجود، فجادوا بالموجود ولم يتركوا رمقا أودعهم سرائر محبته فخافوا من غيرته فجعلوا عليهم بابا مغلقا ففاح أرجها إلى مشام القلوب فاستنشقت من جناب المحبوب نشرا عبقا وسرى شرها الخفى وأرجها الزكى إلى سر سرى السقطى فسار على الآثار مستبقا وإلى الشبلى فبات لعرائس المحبة يستجلى وإلى أبى يزيد فطلب المزيد وازداد حرقا وإلى الجنيد فأضحى فى قيد المحبة موثقا، وإلى الفضيل فشمر فى خدمته الذيل وسار مذ وافى الليل على خيل التوفيق بعد قطع الطريق موفقا وإلى الخواص فغاص فى بحار الإخلاص وأضحى من جواهر الخواص منتقى وإلى سمنون فظهر عليه من المحبة والوجد فنون فهام فى الجبال كالمجنون ونادى بلسان أشواقه ودموع آماقه تدفق تدفقا:

أطمعتمونى فى الوصال وفى اللقا	وهجرتمونى فالتهبت تحرقا
يا مالكا رقى غاية مطلبى	رفقا فقد ذاب الفؤاد تشوقا
حاشاكمو أن تطردونى سادتى	وبحبكم قلبى غدا متعلقا
يا سادتى لم يهن لى من بعدكم	عيش ولا عانيت شيئا موثقا
إن مت من وجدى وفرط صبابتى	شوقا إلى رؤياكم لكم البقا
يا نفس قد زال العنا فتمتعى	بوصال من تهوى فقد زال الشقا
وجلا الحبيب جماله فلأجل ذا	أصبحت من وجدى به متمزقا
هاكم فؤادى فتشوه فإن تروْا	فيه لغيركمو هوى وتشوقا
فتحكموا فيه بما يرضيكمو	يا منيتى إن خان يوما موثقا
وإذا فنيت بحبكم فيحق لى	إن الفناء بحبكم عين البقا

(وقال عبد الرحمن بن المهذب رحمة الله عليه) مررت يوما بسوق الرقيق

فوجدت دلالا ينادى على عبد ويقول أبيعه على عيبه فقلت للدلال ما العيب الذى فيه فقال سله يا مولاى فدنوت من الغلام وقلت له ما العيب الذى فيك فقال يا سيدى عيوبى كثيرة فلا أدرى بأيها أشهرونى، فقلت للدلال أخبرنى ما العيب الذى فى هذا الغلام، فقال به داء الجنون فقلت للغلام كيف يأتيك هذا الصرع أفى كل سنة أم فى كل شهر، فقال يا مولاى إذا استولى داء المحبة على القلب سرى فى الأعضاء، وإذا استولى على الجوارح انتشر خمار المحبة فى سائر الجسد فطاش العقل بذكر الحبيب، وأحدث على القلب استغراقا وعلى البدن سكونا فيعتقده الجاهل جنونا، قال عبد الله: فعلمت أن الغلام من أولياء الله الملك العلام فقلت للدلال كم ثمن هذا الغلام فقال مائتا درهم، قلت ولك عشرون فوزنت له الثمن وأخذت الغلام وأتيت به إلى الدار وأمرته بالدخول فأبى وقال يا سيدى ألك أهل قلت نعم قال من يستطيع أن ينظر إلى غير محرمه فقلت له قد أبحت لك ذلك فقال معاذ الله لكن مهما كان لك من حاجة قضيتها وأنا دون الباب فسكت عنه وتركته، ثم أخرجت له طعاما فقال إنى صائم فلما كان الليل أخرجت له عشاء فقال إنى طاو، فأقام عندى فى دهليز الدار فخرجت إليه نصف الليل فوجدته يصلى ولم يشعر بى فلما فرغ من صلاته سجد وبكى بكاء شديداً فسمعت من مناجاته: إلهى أغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح للسائلين. إلهى غارت النجوم ونامت العيون وأنت الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم. إلهى فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه وأنت حبيب المجتهدين وأنيس المستوحشين. إلهى إن طردتنى عن بابك فإلى باب من التجئ وإن قطعتنى عن خدمتك فخدمة من أرتجى. إلهى إن عذبتنى فإنى مستحق العذاب والنقم وإن عفوت عنى فأنت أهل الجود والكرم، ثم جلس ورفع يديه وبكى وقال يا سيدى لك أخلص العارفون وبفضلك نجا الصالحون، وبرحمتك أناب المقصرون يا جميل العفو أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك، وإن لم أكن أهلا لذلك فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة فدخلت الدار ولم أشوش عليه فلما أصبح الصباح خرجت إليه فقلت له كيف نمت البارحة فقال ياسيدى أو ينام من يخاف النار والعرض على الملك الجبار والتوبيخ غدا على الذنوب والأوزار، ثم بكى طويلا فقلت اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى فبكى وقال يا سيدى كان لى أجران أجر العبودية وأجر الخدمة وقد ذهب عنى أحدهما أعتقك الله من نار جهنم قال ثم دفعت إليه نفقة فأبى قبولها، ثم قال إن المتكفل بالأرزاق حى لا يموت ثم خرج هائما على وجهه لا أدرى أين ذهب فواشوقاه إلى

أرباب القلوب وواحزناه على فوات المطلوب يا محبوسا فى سجن الغفلة لو أشرقت على وادى الرجاء لرأيت خيم القوم مضروبة على شاطئ بحر كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وسمعت أطيار أشجانهم على أغصان أحزانهم تترنم بأصوات وبالأسحار هم يستغفرون لذ لهم السهر وصفا وقتهم من الكدر وراق لهم وقت السحر وخلوا بالمحبوب ففازوا بالمشاهدة والنظر :

هذا المحب مع المحبوب قد حضرا ... وسامح الكل عما قد مضى وجرى
وقد أدار على العشاق خمرته ... صرف يكاد سناها يخطف البصرا
يا سعد كرر لنا تذكاره فلقد ... بلبلت أسماعنا يا مطلب الفقرا
وما لركب الحمى مالت معاطفه ... لا شك أن حبيب القوم قد حظرا
غداة غد تنظر الأعلام قد رفعت ... أمامهم علم للوصل قد نشرا
ومجلس الأنس بالمحبوب يجمعهم ... والكاس دائرة ما بينهم سحرا
ومن سقاهم تجلى لا شبيه له ... حاشاه يشبه شمسا لا ولا قمرا
منزه عن شريك فى جلالته ... موحد فى علاه ليس فيه مرا
فمن أتاه فقيرا لا مرًا له ... سواه يكتبه من جملة الأمرا
هذا السماع الذى تشفى الصدور به ... هذا الحبيب الذى قد هيم الفكرا
صوفية عندما ضاقت صدورهم ... أزال عنهم جميع الشك والكدرا

(وقال محمد بن الفضيل) رأيت شابا راقدا على الأرض وقد افترش التراب وهو يئن أنينا شديدا فقلت لصاحبى أعدل بنا إليه فإنه عليل، فقال ما هذا عليل هذا فى الباطن من المحبين وفى الظاهر من المجانين فقلبه بحب مولاه مفتون وهو يدعى بعبيد المجنون فتقربت إليه فإذا هو شاب نحيف الجسم وعليه جبة صوف بالية، وهو يقول عجبا لمن ذاق حلاوة محبتك كيف ينقطع عن خدمتك ثم لم يزل يردد ذلك القول حتى غشى عليه فقلت لصاحبى والله ما المجنون إلا الذى لم يصل إلى هذا المقام فلما أفاق من غشيته قال ما بالكم تنظرون إلى، قلنا لعل دواء يشفي من الداء الذى نجده قال إن الذى ابتلى بالداء عنده الدواء ولكن الذى يريد أن يتداوى يحتمى قلت بماذا؟ قال يترك الحرام وتجنب الآثام ومراقبة الملك العلام والتهجد بالليل والناس نيام ثم بكى وبكينا معه وقلنا له نحن أضيافك فادع لنا فقال ما أنا من خيل هذا الميدان فأقسمنا عليه فقال تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال وجعل قراكم المغفرة وجعل مثواكم الجنة وجعل ذكر الموت منى ومنكم على بال ثم انصرفنا عنه وقد عجبنا من حسن

لفظه وعاشت قلوبنا بكلامه ووعظه يا هذا هذه حالة المجانين من حب الحبيب، فكيف حالك أيها العاقل اللبيب يدعوك مولاك فلا تجيب ويأمرك بالإنابة فلا تنيب وسيحضرك إلى حضرات قربه وأنت فى المغيب إلى متى تضيع عمرك وما نلت من نصيب إلى متى أنت بعلة زلتك ولا ترفع قصة غصتك إلى طبيب، ويحك بادر بالتوبة إلى بابه وعفر الخد على أعتابه فهو منك قريب واسأله الهداية والتوفيق واقصده فى تفريج الهم والضيق فقاصده لا يخيب وتقرب إليه بما يرضيه واحذر من معاصيه فإنه حاضر لا يغيب وادعه حين تناجيه فإنه لداعيه مجيب وتب فى هذه الساعة إليه وتضرع بين يديه بالبكاء والنحيب فعسى أن يجتبيك لطاعته ويهديك بهدايته فإن الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب (شعر كان وكان).

تعصى وتغلق بابك	كيلا يرونك تتضح
نسيت أنى حاضر	ولى عليك رقيب
تزعم بأنك عاقل	وأنت من أهل الذكا
وبعت حضره بنظرة	ماهذا فعل لبيب
عمرك مضى وتقضى	بقى القليل وترحل
فجد إن كان رأيك	فى الحزم رأى مصيب
فانهض وهيئ زادك	تنل مرادك والمنى
وراع غصن شبابك	ما دام غصن رطيب
وقف بباب المولى	وادعو فى وقت السحر
فالوقت رائق لائق	والرب منك قريب
مولى تجافيه يحنو	وإن نسيته يذكرك
وإن دعاك تولى	وإن دعوت يجيب
فاضرع إليه ونادى	بذلة يا سيدى
يا من عليه اتكالى	ومن إليه أنيب
أنا المقر بذنبى	وأنا المسيء لشقوتى
حاشا رجائى وظنى	يارب فيك يخيب
وليس لى من شفيع	إلا النبى المصطفى
ومن لدنك اصطفيته	دون الأنام حبيب
صلى عليه وسلم	رب السموات العلا
ما سار سائرٌ إليه	بناقة ونجيب

(قال الجنيد رحمة الله عليه) جلست يوما بين أصحابى نتذاكر عباد الله الصالحين فقال السرى كنت يوما جالسا فى بيت المقدس عند الصخرة وكانت أيام العشر وأنا متحسر على التخلف عن الحج فى تلك السنة فقلت فى نفسى إن الناس قد توجهوا إلى مكة ولم يبق إلا أيام قلائل وأنا ههنا مقيم فبكيت على فوات نصيبى وتخلفى فسمعت هاتفا يقول يا سرى لا تبك فإن الله تعالى يقيض لك من يوصلك إلى الحج فقلت وكيف يكون ذلك وقد بقى أيام يسيرة وأنا ببيت المقدس، فقال: لا تحزن إن الملك القدير يهون عليك العسير فسجدت شكرا لله تعالى وجلست أنتظر صدق الهاتف وإذا بأربعة شبان قد دخلوا من باب المسجد كأن الشمس تطلع من وجوههم والنور يلمع من جباههم يتقدمهم شاب عليه هيبة وجلالة وهم خلفه وعليهم لباس الشعر وفى أرجلهم نعال الخوص، فدنو من الصخرة ودعوا الله تعالى فامتلأ المسجد من أنوارهم فقمت معهم وقلت يارب لعل هؤلاء الذين رحمتنى بهم ورزقتنى صحبتهم فدخلوا القبة والشاب أمامهم وهم خلفه فصلى كل واحد منهم ركعتين والشاب قائم يناجى ربه فدنوت منه لأسمع مناجاته، فبكى ثم كبر وصلى صلاة سلبت فؤادى ولبى فلما فرغ جلس وجلس الثلاثة بين يده فدنوت منهم وقلت: السلام عليكم فقال الشاب: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، يا سرى يا صاحب الهاتف الذى هتف بك اليوم وبشرك بألا يفوتك الحج فى هذه السنة فكدت أن أصعق وامتلأ قلبى فرحا وسرورا فقلت نعم يا سيدى هتف بى هاتف قبل ورودكم بساعة فقال نعم يا سرى كنا قبل أن تهتف بك الهاتف بساعة فى بلاد خراسان قاصدين بغداد فقضينا حوائجنا، وعزمنا على القصد إلى بيت الله الحرام، فأحببنا زيارة قبور الأنبياء بالشام ثم نقصد مكة التى شرفها الله تعالى وقد قضينا حقوقهم وزرناهم وأتينا إلى ههنا نزور البيت المقدس، فقلت له يا سيدى وما كنتم تصنعون بخراسان قال لأجل الاجتماع بإبراهيم بن أدهم ومعروف الكرخى إخواننا فى الله عز وجل فجئنا إلى بغداد نقصد البيت الحرام فجئت أنا إلى بيت المقدس لأجل الزيارة وذهبا هما من طريق البادية فقلت يرحمك الله من خراسان إلى البيت المقدس مسيرة سنة فقال لو كانت الطريق ألف سنة العبيد عبيده، والأرض أرضه، والسماء سماؤه، والزيارة لبيته والقصد إليه والإبلاغ عليه، والقوة والقدرة له، أما ترى الشمس كيف تسير من المشرق إلى المغرب فى يوم واحد أهى تسير بقوتها أم بقوة القادر وإرادته فإذا كانت الشمس وهى جماد لا حساب عليها ولا عقاب تقطع من المشرق إلى المغرب فى يوم

واحد، فليس بعجيب أن يبلغ عبد من عبيده من خراسان إلى بيت المقدس فى ساعة واحدة فإن الله تعالى له القوة والقدرة وخرق العوائد لمن يحب ويختار، يا سرى عليك بعز الدنيا والآخرة وإياك أن تصل إلى ذل الدنيا والآخرة، فقلت يرحمك الله أرشدنى إلى عز الدنيا والآخرة فقال من أراد غنى بلا مال وعلما بلا تعلم وعزا بلا عشيرة، فليخرج حب الدنيا من قلبه ولا يركن ولا يطمئن إليها فإن صفوها ممزوج بكدرها وحلوها منغص بمرها فقلت يا سيدى بالذى خصك بأنواره وأطلعك على أسراره أين تقصد قال الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، فقلت: والله لاأفارقك فإن فراقك أشد من فراق الروح للجسد فقال باسم الله فخرجت معهم من البيت المقدس إلى البادية ولم نزل نسير حتى قال يا سرى هذا وقت الظهر أما نصلى فقلت بلى فعزمت على التيمم بالتراب، فقال إن ههنا عين ماء فعدل عن الطريق وإذا بعين ماء أحلى من الشهد فتوضأت وشربت فقلت والله لقد سلكت هذا الطريق مراراً ولم يكن ههنا عين ماء فقال الحمد لله على لطفه بعباده فصلينا الظهر ثم سرنا إلى وقت العصر فبانت لنا أعلام الحجاز ولاحت لنا حيطانها فقلت هذه أرض الحجاز، فقال قد وصلت إلى مكة فأخذنى البكاء ثم قال يا سرى تدخل معنا قلت نعم فدخلنا من باب الندوة فرأيت رجلين أحدهما كهل والآخر شاب، فلما نظراه تبسما وقاما فعانقاه وقالا الحمد لله على السلامة فقلت يرحمك الله من هؤلاء قال أما الكهل فإبراهيم بن أدهم وأما الشاب فمعروف الكرخى فصلينا صلاة المغرب والعشاء ثم قام كل واحد منهم، فقمت أنا ورافقتهم بحسب طاقتى فغلبنى النوم فى السجود فلما انتبهت لم أر أحدا منهم فبقيت كالمجنون الهائم وطفت عليهم فى المسجد وفى مكة وفى منى فلم أجدهم فرجعت باكيا حزينا لتخلفى عنهم وفوات نصيبى منهم:

سريتم لم لا تصحبونى فى الركب ... فيا جفن لا تبخل عن الصب بالصب
واعلم حقا أن بعدى عنكم ... لذنب جرى لكننى تبت من ذنبى
وحرمة ركب أحرموا وتوجهوا ... لمحبوبهم أكرم بذلك من ركب
يحنون نحو الشعب شوقا وما لهم ... مراد ولا قصد سوى ساكن الشعب
وما زال حادى الشوق يحدو قلوبهم ... ويسرى بهم إذا أوصلوا الحب بالحب
وقد زللوا تلك الوجوه لعزه ... وقد عفروا تلك الوجوه على الترب
ورب الصفا والطائفين ببيته ... يلوذون بالأستار منه وبالحجب
لقد أوحشوا الصب المشوق ببعدهم ... ولكنهم بالذكر قد آنسوا قلبى

(إخوانى) اسمعوا صفات هؤلاء الأقوام كتموا الغرام ولزموا الهيام وأفشوا السلام وبذلوا الطعـام وأدموا الصيام وصلوا بالليل والناس نيام وجانبوا الآثام وانفردوا عن الأنام وخلوا لمناجاة الملك العلام أطاعوه فى الخلوات فمحا عنهم السيئات ورفع لهم الدرجات ركبوا بحر الندامة وأقلعوا بريح السلامة فوصلوا بر السلامة، طهر قلوبهم وستر عيوبهم وغفر ذنوبهم وبلغهم مطلوبهم، عرفوه فألفوه ورأوه أهلا للعبادة فعبدوه ووجدوا الربح فى معاملته فعاملوه، وعلى الصدق والوفاء بايعوه فى حكم قبضة التدبير حيارى ما بين قتيل وأسير قد أسبلوا العبرات على الوجنات وواصلوا الزفرات بالحسرات ونادوا يا من لا تحيط به الجهات، ولا تختلف عليه الأصوات أنقذنا من ظلم الآفات إلى نور إدراك الصفات يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات:

قوم بمحبوبهم فى دهرهم شغلوا ... وفى محبته أرواحهم بذلوا
وخربوا كل ما يفنى وقد عمروا ... ما كان يبقى فياحسن الذى عملوا
لا زينة الأرض تلهيهم وتعجبهم ... ولا جناها ولا حلى ولا حلل
تاهوا على الكون من وجد ومن طرب ... وما استقل بهم ربع ولا طلل
داعى التشوق ناداهم فأقلقهم ... فكيف يهدوا ونار الشوق تشتعل
وشقة البيد تطوى فى الثرى لهموا ... وكل قاص دنى حتى به اتصلوا
وافت لهم خلع التشريف يحملها ... عرف النسيم الذى من نشره شملوا
هم الأحبة أدناهم لأنهم ... عن خدمة الصمد القيوم ما غفلوا

(جاء فى الحديث عن النبى ﷺ) أنه قال: **«الشاب التائب حبيب الله»**[1] فهذه المحبة من الله تعالى للعبد إذا كان شابا تائبا فإن الشاب مثل الغصن الرطب فإذا تاب وقت شبوبيته وتنعمه بالشهوات واللذات والرغبة فيه من كل الجهات وهو وقت إقبال الدنيا عليه وترك جميع ذلك طلبا لرضا الله تعالى استحق المحبة، وكان من الأولياء المقبولين عنده وقيل إن الشاب إذا تاب ورجع إلى الله تعالى أوقد الله ما بين السماء والأرض سبعون قنديلا واصطفت الملائكة يضجون بالتسبيح والتقديس فإذا سمع إبليس اللعين بذلك قال ما الخبر فينادى مناد من السماء إن العبد اصطلح مع مولاه فيذوب اللعين كما يذوب الملح فى الماء:

---

(١) لا يوجد حديث بهذا اللفظ وإن كان حديث: **«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»** وفيه: **«وشاب نشأ فى طاعة الله...»** ولا يظل الله فى ظله إلا من أحبه الله ـ جعلنا الله منهم فالمعنى إذاً صحيح.

هذا أوان الصلـح ما أقعدك ... عن باب من بالخير قد عودك

فإن محوت اليوم ما سطرت ... أيدى خطاياك فما أسعـــدك

(وقيل) إذا طلعت صحيفة العبد مملوءة بالسيئات يقول الله عز وجل للملائكة ما فى صحيفة عبدى وهو أعلم بها فيقولون إلهنا إنها لا تصلح للعرض عليك فيقول الله تبارك وتعالى إذا كانت لا تصلح للعرض على فرحمتى تصلح له أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت له وتبت عليه وأنا التواب الرحيم:

مـا زلت أعـرف بالإسـاءة دائمـا ... ويـكون مـنك الـعـفو والـغفـران

لم تـنتـقصنـى إن أسأت وزدتـنى ... حـتـى كـان إساءتـى إحـسـانـى

تولى الجـميل على الـقبيح تـكرما ... أنـت الإلـه المـنـعـم المـنـان

مـالى إلـيك وسـيـلة يـا سيـدى ... إلا الـذى شـرفـت بــه عـدنـان

المـصطـفـى المختـار أكـرم شافـع ... فـى الخلـق حين تـسـعر الـنيـران

لـم لا وآدم عـمـه لمـا اسـتـجـار ... بـجـاهـه مـن ربـه الإحـســان

وكـذاك إدريس الـنـبـى بجـاهـه ... هـيـئ له فـوق الـسـماء مـكـان

وكذاك نـوح فى الـسفـين دعا بـه ... فـنجـا وعـمم قـومـه الـطوفـان

وغـدت لابراهـيم روضـا مزهـرا ... لمـا حـللـت بـصـلـبـه النـيـران

والى الذبـيح فقلت يا خـير الورى ... ففـداه من كـاس الردى الـرحمـن

وأبـوك عـبـد الله مـن ذبـح نجـا ... وأزيـل عـنـه بجـاهـك الأحـزان

يا سـيد الكـونين يـا علم الـهدى ... يـا مـن بـه تـتـشـرف الأكـوان

صـلى عـلـيـك الله جلا جـلالـه ... ما اهتز فى روض الحمى الأغصان

*****

(المجلس الخامس فى فضل شهر رمضان وصيامه)

الحمد لله المتـوحد بجلاء البهـاء المتفرد بدوام البقـاء المتعالى عن الـزوال والفناء المقدس عن الآباء والأبناء المرتدى برداء العظمة والكـبرياء العليم بجميع الأشياء الذى جل عن الابتداء والانـتهاء السميع الذى لا تشـتبه عليه الأصوات المختلـفة فى الدعاء البصير الذى يـبصر دبيب النمل على الرمـل فى الليلة الظلماء العـليم الذى لا يعزب عن علمـه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى الـسماء الحليم الـذى يسبل على مـن عصاه

جميل الستر والغطاء المنعم على من أبقاه بـجزيل النعم الحكيم الذى رفع السماء بغير عمد فـى جو الهواء وبسـط بساط الأرض بحكـمته على تـيار الماء الذى تعـالى عن الأضداد والأنداد والقرناء وجل عن الصاحبة والأولاد والـشركاء المطلع الذى لا يستتر عنه سر الضمير فى جميـع الأوقات والآناء ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء:

جــل رب أحـــاط بـالأشـــيـــاء واجـد مـاجـــد بـغـيـر خــفـاء
جـل عــن مـشـبـه لـه ونـظـيـر وتـعـالى حـقـا عـلـى القـرنـاء
عالـم السر كـاشف الـضر يعـفو عـن قبـيـح الأفـعال يـوم الجـزاء
مـا عـلى بـابـه حـجاب ولـكـن هـو من خـلقـه سـميـع الدعـاء
لـذ بـه أيـهـا الــعـقـول وبـادر تحـظ من فـضـله بـنيـل الـعطـاء

فسبحان من قدر الأزمان وفصل الفصول وأغرق فى بحر معرفته الأفكار والعقول وحير فى كنـه ذاته الأفهام فما لها إلى مـعرفة صمديته وصول وخـص شهر رمضان بالعفو والـغفران والبشر والرضوان والسـرور والقبول ووعد من صامه ببـلوغ المقصود والمأمول فطوبى لمن تلقاه بالعمل الصالـح وطهر فيه الجوارح من الشك والغلول فانتبه أيها الغافل من سنة الغفلة وبادر ما دام فى الوقت مهلة قبل مسير القفول:

قد مـضى العـمر فـبادر يا غـفول واذكـر الـرب الذى لـيـس يـزول
وضـع الخـد عـلى بـاب الـرجـا وابك فـى الليـل بدمـع كالسـيول
واجتهـد فى صوم ذا الشهـر عسى تـلـتقـى فـيـه مـن الله القـبـول
واتـبـع خـيـر سبـيـل واقـتـدى بالنـبى المصطـفى الهادى الـرسول
فـعـلـــيـه الله صـلـى كـــلـمـا سـارت الـنـوق إليـه بـالحـمـول

فسبحان من خص أقواما بـخدمته وشغلهم بمحبته فما لهم بـغيره اشتغال صاموا عن الشهـوات فمحا عنهم السـيئات وبلغهم المـقاصد والآمال. أعانهم علـى الصيام فصاموا وأقامهم فى الـظلام فقاموا إلى خدمته فى الليالى الطـوال سمعوا فى صحيح السنة إن الصوم جنة فحـموا نفوسهم من قبيح الفعل والمقال فيـا سعادة من قبلت منه فى شهره الأعمال ويا شـقاوة من فرط فى صيامه بالإهمال لم يحـظ فى شهره بفطره على شىء مـن الحلال ولم يزل منكبـا على الطريق عـلى مالا يليق من قـبيح الخلال اسمع يا من هذه صفاته وقد قربت وفاته وهو لاعب بطال (شعر كان وكان):

يا من عمره طال — إلى كم أنت بطال
جميع الدهر نقال — على ظهرك أثقال
تبارز بالمعاصى — وعنا أنت قاصى
وتدعو بالخلاص — وما عندك إقبال
إلى الغيبة ترتاح — وما عندك إصلاح
وما يرضيك ياصاح — سوى قد قيل أو قال
تمد الطرف فى الصوم — ولا تخشى من اللوم
ليكتب منك فى اليوم — وفى الليلة أفعاله
فتب ذا الشهر كى تحظى — وكمل صومه فرضا
لعل الله أن يرضى — ويصلح منك أحوال

فسبحان من افترض صوم شهر رمضان على أمة الإسلام وحياهم بالفضل والإحسان وخصهم فيه بالعتق من النيران فقال تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾** فجعله صحة للأبدان ومطهرة للقلب واللسان من الذنوب والعصيان وأنزل فيه على سيد البشر ترخيصا فى الصوم لمن أصابه مرض وضرر **﴿فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾** فسبحان اللطيف المنان الذى مَنَّ على هذه الأمة بتمام إحسانه وجاد عليها بفضله الوافر وامتنانه وجعل شهرها مخصوصا بعفوه وغفرانه **﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾**.

قد جاء شهر الصوم فيه الأمان — والعتق والفوز بسكنى الجنان
شهر شريف فيه نيل المنى — وهو طراز فوق كم الزمان
طوبى لمن قد صامه واتقى — هؤلاء فى الفعل ونطق اللسان
ويا هنا من قام فى ليله — ودمعه فى الخد يحكى الجمان
ذاك الذى قد خصه ربه — بجنة الخلد وحور الحسان

أحمده على صنوف الإنعام والإحسان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأكوان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته والتابعين لهم بإحسان، قال الله تعالى **﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من**

الهدى والفرقان﴾ سمى الشـهر شهرا لشهرته يـقال شهر فلان سيفـه إذا أخرجه من غمده وأظهـره وسمى رمضان لأنه يرمـض الذنوب أى يمحوها وقولـه تعالى: **﴿الذى أنزل فيه القرآن﴾** يعنـى أنزل فى فرض صومـه القرآن وقيل أنـزل فيه القرآن جـملة واحدة من اللـوح المحفوظ إلى سماء الـدنيا إلى بيت العـزة فى ليلة القـدر من شهر رمضان ثم نـزل جبريل على الـنبى ﷺ نجوما بحسـب الوقائع قاله ابـن عباس وابن شهاب رضـى الله عنهم وقـال رسول الله ﷺ: «**إذا جاء رمضان فتـحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**» رواه البخارى ومسلم.

(وروى) الترمـذى عن النبـى ﷺ أنه قال: «**إذا كان أول ليـلة من شهـر رمضان فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ونادى مناد يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصـر ولله تعالى عتقاء من النار فى كل ليلة من رمضان**» وعن أبـى هريرة رضـى الله عنـه أنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» عنه أيضا قال قال رسول الله ﷺ «**من قام ليلة الـقدر إيمانا واحتسابا غفر له مـا تقدم من ذنبه**» وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم جل جلاله يقول كل حسنة يـعملها ابن آدم تضعف له من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنـه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وأكله وشربه من أجلى والصوم جنة من النار ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فإن كان يوم صوم أحدكم فلا يـرفث ولا يفسق ولا يجهل فإن امرؤ قاتلـه أو شاتمه فليقل إنى صائم**» رواه الترمذى وعنـه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «**من لم يدع قول الزور والعمل بـه فليس لله حاجة أن يدع طعـامه وشرابه**» وقد جاء فى الصحـيح أن الغيبة تفطر الصائم وعـنه أيضا قال قال رسول الله ﷺ: «**للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه**» رواه البخارى ومسلم .

وقد صمت عن لذات دهرى كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

(إخوانى) هذا شهر رمضان شهر الصفاء والمعـاملة والوفاء فطوبى لأقوام صاموا عن الشهوات وقاموا فـى الخلوات يتلون من آيات ذكره صحفا ضاعف لـهم بصيامهم أجوراً ووعدهم فـى الجنة قصوراً وغرفـا وقبل اليسير مـن أعمالهم وتجاوز عـن قبيح أفعالهم وعفا وياخيبة الغافلين قد حرموا الوصال وخصوا بالقطيعة والجفا.

يا ناقـضين العهد كم هـذا الجفا توبوا فقد وافاكمـوا شهر الصفا
شهر الرضا والعـفو عن زلاتكم والله فيـه عن الجرائـم قد عـفا

شهـر على الأيـام فضـل قدره	وعلا علـى كل الشهور مـشرفا
فـأحيـوا ليـاليـه المنـيرة كـلهـا	وأجروا لفـرقته الدموع تـأسفا
فعسـى الإله يجود فـيه بفضـله	فهو الذى يهب الـذنوب تلطفا

(وعن ابن عباس رضى الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى رمـضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كـل ليلة من شهر رمضان حتى ينسلـخ يعرض عليه النبى ﷺ القرآن فإذا لقيه جـبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة أخرجه البخارى وعن أبى هريرة قال: كان النبى ﷺ يبشر الصحابة ويقول قد جاءكم شهـر مبارك فرض الله عليكم صيامه وسن لكـم قيامه إذا جاء شعر رمضان تفتحت فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران وتغل فيه الشياطين وفيه ليلة خير من ألف شهر.

(إخوانى) هذه بشارة لـلمؤمنين فى الجـنات على الصبـر عن الشهوات بالـصيام والصبـر على الطاعـات فمن صبر نال أجـرا ومن شكر وجد بـعد العسر يـسرا ومن تصدق نال فـضلا وبراً ومن أحسن إلى العـباد أعد للمعاد ذخراً ومـن أخلص لله فى صيامه وقيامه كفر عنه ذنبا ووزراً ومن ذكـره فى نفسه جدد له بين ملائكة قدسه ذكرا ومن لزم التقوى نال الفوز والبشرى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا:

أيا معشـر الصوام وافتكم الـبشرى	وقد نشـر البارى بمدحكـمو ذكرا
خصصتـم بشهر فيه عـتق ورحمة	وقد أجزل الـرحمن للصـائم ذكرا
مـسـاجــده مـأنـوسـة بـسـتـلاوة	وذكر وكانت قـبله تشتكـى الهجرا
ولله فـى العـشـر الأواخـر ليـلـة	لقد عظمت قدرا كـما ملئت خيرا
فطـوبى لقـوم أدركوها وشـاهدوا	تـنزل أمـلاك الـسمـا آيـة كبـرى
وفـازوا بغـفران الإلـه فأصـبحـوا	يشم علـيها من شذا عرفـها عطرا

يا هذا اغتنم زمان الأرباح فأيام المواسم معـدومة استدرك ما بقى من ليال الصوم فساعاته مشهودة جد فى طلب الغنائم فأعمال الصائم منقودة وقد قيل إن الصائم نومه عبادة ونفسه تسـبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف، وكـيف لا يكون ذلك كذلك وقد مـنع نفسـه الشهوات وتـرك اللذات فأثـر نصيـب مولاه على نـصيبه مـن الملاذ والشبهات وأطاع أمر مـعبوده وتلذذ بركوعه وسجوده، كما قـيل إن العبد إذا نام فى سجوده يبـاهى الله عز وجل به الملائكـة فيقول سبحانـه يا ملائكتى انظـروا إلى عبد

روحه عندى وجسده بين يدى، أشهدكم أنى قد غفرت له ما أحسن سجود الساجدين وما أعز أنفاس الصائمين وما أنفع مناجاة القائمين وما أربح بضائع العابدين وما أطيب منادمة المحبين وما أنفع جوع أكباد الصائمين كما قيل إن العبد إذا كان نائما وهو جيعان هرب منه الشيطان فكيف إذا كان مستيقظا فإذا كان مستيقظا وهو شبعان جرى منه الشياطين مجرى الدم فكيف إذا كان نائما فانظر يا هذا بركة الجوع ونفعه على الإنسان كيف يفر منه الشيطان.

(حكى) أن بعض الصالحين كان يمشى إلى المسجد فرأى رجلا يصلى فى المسجد ورجلا نائما على باب المسجد والشيطان قائم متحير ويلتهب فقال له الرجل الصالح مالى أراك حائرًا فقال: فى هذا المسجد رجل قائم يصلى كلما هممت أن أدخل إليه أغويه وأشغله عن صلاته تمنعنى أنفاس هذا النائم الذى على باب المسجد فلله در أنفاس الصائمين كيف تحرس القلوب الأجساد من كيد الشيطان فلا يصل إليها ولا يقدم عليها فسبحان من وفق الأحباب للهداية والصواب أنت وفقت من إليك أنابا أنت أصلحت من أصاب الصوابا أنت حببت ما تحب إليهم ثم أعطيتهم عليه ثوابا أنت عرفتهم كنوز المعالى فغدوا يبحثون عنها طلابا.

(وقيل) إن الله عز وجل خص شهر رمضان بخصائص كثيرة منها أن جعله شهراً عظيما مباركا فيه ليلة خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليلة تطوعا من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن من فطر فيه صائماً كان كمن أعتق رقبة، ومن أشبع فيه صائماً أو سقاه شربة ماء سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم شربة لا يظمأ بعدها أبدا، ويعطى الله عز وجل هذا الثواب لمن فطر صائمًا على مذقة لبن أو شربة ماء أو تمرة وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى لكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه فى جميع الأحيان، وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتتعوذون به من النار.

(إخوانى) آه على من كانت النار مثواه، آه على من عصى مولاه، آه على من

باع آخرته بدنياه آه على من كان التعذيب عقباه، آه على من استهواه غيه فاستعبد هواه آه على المطرود فى هذا الشهر ثم أواه.

آه على المذنبين أواه — آه على من جفاه مولاه
آه على من عصى بغفلته — جهرا وما تاب من خطاياه
آه على المذنب الحزين إذا — لم يخف الله ثم يخشاه
آه على من يفوته أسفا — فى مثل ذا الشهر عفو مولاه
آه على من يبيع معتبنا — بدار دنياه دار أخراه

كان وكان:

سبحان من قد تصدق — عليكموا بصيامكم
وخصكم بالعطايا — يا أمة المختار
تأتون يوم القيامة — وصومكم من فوقكم
حيث اتجهتم توجه — وحيث سرتم سار
محمول فوق الغمائم — على يد الملائكة
شعاعه يتلألأ — من كثرة الأنوار
وتقدمون الموقف — تحلوا كل الأمم
مثل الشمس وفيكم — من يشبه الأقمار
وقد صفا الوقت لما — ناداكموا مولاكموا
قوموا تعالوا تملوا — بالوصل يا زوار
هذا جمالى تبدى — والحجب عنكم
رفعت ونورنا قد تجلى — وزالت الأكدار

(إخوانى) أين من صام عن الحرام وأفطر على الحلال؟ أين من منع لسانه من الغيبة والنميمة وكفه عن القيل والقال؟ أين من غض بصره عن الشهوات واتبع حسن الحلال؟ أين من أخلص صيامه لمولاه ذى الجلال؟ وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يقول إذا دخل أول ليلة من شهر رمضان مرحبا بشهر خير كله صيام نهاره وقيام ليله النفقة فيه كالنفقة فى سبيل الله تعالى. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال يخرج الصائمون من قبورهم يوم القيامة يعرفون بريح صيامهم يخرج من أفواههم أطيب من ريح المسك تنقل إليهم الموائد والأباريق مختومة أفواهها بالمسك فيقال لهم كلوا فقد جعتم حين شبع الناس واشربوا ويستريحون والناس مشغولون فى الحساب

فى عناء وظمأ.

(إخوانى) هذه بشارة الصوام فى شهر رمضان فقد عطشتم حين روى الناس واستريحوا فقد تعبتم حين استراح الناس فيأكلون ويشربون إذا حموا نفوسهم من الزلل والعصيان وأخلصوا صيامهم للواحد المنان فكيف حال المفرط الذى يصوم ويأكل لحوم الإخوان؟ ويصلى وجسمه فى مكان وقلبه فى مكان؟ ويذكر الله بلسانه وقلبه مشغول بذكر فلان؟ فيامن أصبح إلى ما يضره متقدما وأمسى بناء أمله بكف أجله متهدما ما ستعلم من يأتى غدا حزينا متندما ويبكى على تفريطه فى شهره بدل الدموع دما أتراك أيها الصائم أعددت عدة حازم لقبرك؟ أم حصلت عملا ينجيك فى حشرك؟ أم حفظت حدود صومك فى شهرك؟ أم هتكت حرمة الحمى؟ كم من صوم فسد فلم يسقط به الفرش وكم من صائم يفضحه الحساب يوم العرض وكم من عاص فى هذا الشهر تستغيث منه الأرض وتشكو من أعماله السماء؟ فياليت شعرى من المقبول ومن المطرود ومن المقرب ومن المبعد المردود ومن الشقى ومن المسعود لقد عاد الأمر مبهما تالله لقد سعد فى هذا الشهر بحراسة أيامه من كف جوارحه عن كسب آثامه ولقد خاب من لم ينله من صيامه إلا الجوع والظمأ.

شهر الصيام لقد علوت مكرما	وغدوت من بين الشهور معظّما
يا صائمى رمضان هذا شهركم	فيه أباحكم المهيمن مغنما
يا فوز من فيه أطاع إلهه	متقربا متجنبا ما حرما
فالويل كل الويل للعاصى الذى	فى شهره أكل الحرام وأجرما

فلله در أقوام وفقهم مولاهم فصاموا وأعانهم على القيام فقاموا ليلا طويلا أظمؤوا لأجله الأكباد فأراحهم من جميع الأنكاد وكان لهم ببلوغ المراد كفيلا شغلهم به عمن سواه والسعيد من بات بخدمته مشغولا ولذذهم بطيب المناجاة فقالوا فضلا جزيلا يا من يحزنون لمفارقة شهر الصيام ويتأسفون على انقضاء ليالى التهجد والقيام لأنه موسم يلقون فيه رحمة وقبولا.

شهر الصيام لقد كرمت نزيلا	وشفيت من كل القلوب عليلا
شهر الأمانة والصيانة والتقى	والفوز فيه لمن أراد قبولا
فيه الجنان تفتحت لقدومه	والحور فيه تزينت تحفيلا
طوبى لعبد صح فيه صيامه	ودعا المهيمن بكرة وأصيلا

وبليله قد قام يختم ورده
متبتلا لإلهه تبتيلا

شهر يفوق على الشهور بليلة
من ألف شهر فضلت تفضيلا

فاجهد عساك تنالها فيما بقى
بالجد واحذر أن تكون غفولا

(إخوانى) كيف لا يرغب فى صيام شهر رمضان وقيامه؟ كيف لا يتأسف على شهر تكفر فيه جميع ذنوب العبد وآثامه؟ كيف تبكى على شهر يفوق ربح العامل وفرص اغتنامه فقد قيل إن لله تعالى موضعا حول العرش يسمى حظيرة القدس وهو من النور وفيه ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل عبادة لا يفترون ساعة فإذا كان ليالى رمضان استأذنوا ربهم عز وجل أن ينزلوا إلى الأرض ويحضروا مع أمة محمد ﷺ صلاة التراويح فكل من مسهم أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال: نحن أحق بهذا الفضل والأجر فجمع الناس على صلاة التراويح فى رمضان.

فطوبى لمن أرضى الإله مسارعا
إلى سبل تهديه للرحلة الأخرى

وقام وصلى فى الدياجى ودمعه
على خده يجرى بمقلته العبرى

وأخلص لله العظيم قيامه
وعاهده سراً وراقبة جهرا

وصافحه ملائكه السما
فنال بهذا فى الورى العز والفخرا

وأحيا ليالى شهره بقيامه
إلى ربه فى الليل وامتثل الأمرا

فذاك يحمد الله فى طيب عيشة
يفوز بها صوما ويحظى بها فطرا

(وقال محمد أبو الفرج) احتجت فى شهر رمضان إلى جارية تصنع لنا الطعام فوجدت فى السوق جارية ينادى عليها بثمن يسير وهى مصفرة اللون نحيفة الجسم يابسة الجلد فاشتريتها رحمة لها وأتيت بها إلى المنزل فقلت خذى أوعية وامضى معى إلى السوق لنشترى حوائج رمضان فقالت يا سيدى أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، فعلمت أنها من الصالحات فكانت تقوم الليل كله فى شهر رمضان فلما كانت آخر ليلة قلت لها امضى بنا إلى السوق لنشترى حوائج العيد فقالت يا مولاى أى حوائج العيد حوائج العوام أم حوائج الخواص، فقلت صفى لى حوائج العوام وحوائج الخواص فقالت يا سيدى حوائج العوام الطعام المعهود فى العيد وحوائج الخواص الاعتزال عن الخلق والتفريد والتفرغ للخدمة والتجريد والتقرب بالطاعات للملك المجيد والتزام ذل العبيد، فقلت لها إنما أريد حوائج الطعام فقالت يا سيدى

أي الطعام تعنى طعام الأجساد أم طعام القلوب، فـقلت صفيهما لى فقالت أما طعام الأجساد فهو القوت المعتاد وأما طعام القـلوب فترك الذنوب وإصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب وبحصول المقصود والمطلـوب وحوائجه الخشوع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع إلى المولى والتوكل عليه فـى السر والنجوى ثم إنها قامت تصلى، فقرأت فى الركعـة الأولى سورة البقرة إلى آخرها ثم شرعـت فى سورة آل عمران ثم لم تزل تـختم سورة بـعد سورة حتـى وصلت إلى سـورة إبراهيم إلـى قوله تعـالى **﴿يتجرعه ولا يكاد يـسيغه ويأتيه الموت من كل مكان ومـا هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾** لم تزل تردد هذه الآيـة وهى تبكى إلى أن أغمى عليـها ووقعت إلى الأرض فحركتها فإذا هى مـيتة رحمة الله عليها فالله درهم من أقوام غسـلوا وجوههم بدموع الأحزان وأسهروا عيونهـم فى الليل بالذكر وتلاوة القرآن ونصبـوا أقدامهم فى خدمة الملك الديان واجتهدوا فى العمل وبادروا الزمان فكل زمانهم رمضان:

طوبى لهـم فازوا بذكر حبيـبهم	وتمـتـعـوا بـــدنـوه ووصـالـه
فهواهـمو لا ينقضى وغـرامهم	وكـذا محـبـة كـل صب والـه
ذلوا لـعز حبـيبهـم واستهـونوا	ما كابدوا فى الحـب من أهواله
وبـه اشتـغلـوا ويا بـشرى لمـن	قد أصبـح المحبوب من أشـغاله

(إخوانى) ما أحسن من خلع عليه مولاه خلع القبول وما أنعم بال من بلغه غاية المقصـود والمسؤول وما أشقـى من رد عليه صـيامه وأحصى عـليه آثامه ومـضت فى البطالة شهوره وأعوامه وآثر شهوة نفسه على خدمة ربه إلى أن ذهبت ساعاته وأيامه.

(قيل) مكث بشر الحافى خمسين سنة يشتهـى هريسة ففتح عليه فى بعض الأيام بدرهم فمضى إلى السوق ليشتريها فسمع الهراس ينادى ماذا خبئ للصوام فرجع باكيا ولم يشتر شيئا فبقى مدة تطالبه نفسه بها فخرج إلى السوق ثانيا ليشتريها وإذا بالهراس ينادى بقى القليل فبكى ورجع عاهد الله تعالى ألا يذوقها.

لله در الســــــادة الــزهـــــاد	فـى كـل بـر مقـفـر أو نـادى
هجروا المراقد فى الـظلام لربهم	واستـبدلـوا سهراً بـطيـب رقاد
كتموا الضنى حفظا لهم وتحملوا	فأتـت علـيهـم حرقـة الأكبـاد
ألوانـهم تنـبيـك عن أحوالـهم	ودمـوعـهم مـنـهـلة كـغـواد

لا يفترون إذا الدجى وافاهموا
من كثرة الأذكار والأوراد

نظروا إلى الدنيا تقرب أهلها
لوصالها وتكر بالإبعاد

فترحلوا عنها وجدوا فى التقى
وتزودوا من صالح الأزواد

ومشوا على سنن النبى المصطفى
خير الأنام الهاشمى الهادى

بالله كرر ذكره وحديثه
وأجده بالتلحين لى يا حادى

ردد بعيشك لى حديث محمد
فلذاذة الأسماع فى الترداد

لولاه ما هجر الأنام ديارهم
كلا ولا صبروا عن الأولاد

فمتى أزور جنابه وضريحه
وأبث ما عندى له وأنادى

يا سيد الكونين يا من حبه
حقا أقام بمهجتى وفؤادى

يا ربنا فبحقه وبجاهه
وبآله الأنجاد والأمجاد

اغفر لنا كل الذنوب تفضلا
يا خير مدعو وخير جواد

يارب صلى على النبى محمد
ما ساق مشتاق بليل هاد

إلهى وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراء بجنابك ووقفت سفينة المساكين على ساحل بحر كرمك يرجون الجواز إلى ساحة رحمتك ونعمتك. إلهى إن كنت لا تكرم فى هذا الشهر الشريف إلا من أخلص لك فى صيامه فمن للمذنب المقصر إذا غرق فى بحر ذنوبه وآثامه، إلهى إن كنت لا ترحم إلا الطائعين فمن للعاصين وإن كنت لا تقبل إلا العاملين فمن للمقصرين. إلهى ربح الصائمون وفاز القائمون ونجا المخلصون ونحن عبيدك المذنبون فارحمنا برحمتك وجد عليها بفضلك ومنتك واغفر لنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى له وصحبه وسلم.

*****

(المجلس السادس فى وداع شهر رمضان)

جعلنا الله وإياكم ممن تقبل فيه عمله وغفر له خطاياه وزلله

الحمد لله عزت معرفته فلا يدرك بالمعقول خافيها، وجلت صفته فلا يتكدر بالمنقول صفو صافيها وتمت كلمته فلا يرد حكم قاضيها، وعلت سلطنته فجعل تعاليها ودامت أزليته فمن ذا يضاهيها توحده الكائنات ونواحيها والسموات ودراريها قدر الأعوام والشهور والأيام ولياليها وجعل واسطة عقد الأيام أيام اختارها باريها فضل شهر رمضان وجعله معظما فيها وأنزل فيه السورة ومثانيها وفتح فيه باب العزة وأنزل

منه آيات حلت عن كلام يحاكيها فقال تعالى فى محكم الآيات ومبانيها ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام**﴾ تفضيلا لهذه الأمة إذا لا أمة تباهيها هل كن لغيرها فخر«**الصوم لى وأنا أجزى به**» والجزاء تمتع الأبصار بنور باريها هل قيل لغيرها بالإعلان «**للصائم فرحتان**» واسمع ذلك قاصيها ودانيها هل بشر سواها بليلة القدر التى تنزل الملائكة والروح فيها هل أعطى غيرها فضل هذه الأيام من شهر رمضان ففى أول ليلة منه تفتح أبواب الجنان وتقبل الحور والولدان من سائر نواحيها ويقولون لرضوان يا أمين الرحمن ما بال الجنان قد أشرقت معانيها فيقول لهم هذه أول ليلة من شهر رمضان، الذى تبلغ النفس فيه أمانيها ثم تغلق أبواب النيران وتصفد الجان وتمنع من تصرفها وتدانيها وتكتب أسماء العتقاء، وتأتى الملائكة بالبشارة لهذه الأمة وتهنيها، وفى كل ليلة منه يسلم رب العزة على نفوس الصوم ويحيها فإذا كانت ليلة القدر ينزل جبريل عليه السلام ويقول للملائكة بشروا الصائمين فقد أنالهم مولاهم خيرات لا تستطيع الأنفس تحصيها وتفتح تلك الليلة أبواب السموات وتنزل الملائكة من أول الليل وتقوم تلك الليلة فى الأرض وتحييها وتصافح الصوام الذين عكفوا على القيام تحت دياجيها وتعلن تسبيحا وتنزيها لباريها:

هذى ليال تجلى سره فيها ... على نفوس رأت أنوار ساقيها
شهر الصيام صفت للقوم حضرته ... دارت كؤوس التدانى والرضا فيها
يا حبذا شهر فضل عرفت خلوته ... يفوح مسكا فلا طيب يضاهيها
وفيه أوقات قرب نور جلوتها ... قد نور العرش والدنيا وما فيها
يا غافلا وليالى الصوم قد ذهبت ... زادت خطاياك قف بالباب وابكيها
واغنم بقية هذا الشهر تحظ فما ... غرسته من ثمار الخير تجنيها
وتب لعلك تحظى بالقبول عسى ... أن تبلغ النفس بالتقوى أمانيها
وقل إلهى أنا العبد الذليل وقد ... أتيت أرجو أجورا فاز راجيها
فلا تكلنى إلى علمى ولا عملى ... واغفر ذنوبى فإنى غارق فيها

(وروى أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال:« **من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله**».

وقد صمت عن لذات دهرى كلها ... ويوم لقاكم كان فطر صيامى

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه) قال: قال ﷺ:«**يقول الله عز وجل كل عمل ابن**

آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به» فيامن يبارز بالعصيان ولم يستحى من رقيبه وقد دنا فراق شهر رمضان وما فاز بمصالحة حبيبه وقد هب نسيم القبول وما نشق عرف طيبه أما سمعت قول الملك المنان فى فضل شهر رمضان وترغيبه**«الصوم لى وأنا أجزى به»** (شعر مخمس):

من كان يشكو عظم داء ذنوبه | فليأت فى رمضان باب طبيبه
ويفوز من عرف الصيام بطيبه | أو ليس قال الله فى ترغيبه

الصوم لى وأنا الذى أجزى به

يا صائمى رمضان فوزوا بالمنى | وتحققوا نيل السعادة والغنى
وثقوا بوعد الله إذ فيه الهنا | أو ليس هذا قول إلهنا

الصوم لى وأنا الذى أجزى به

من صام نال الفوز من رب العلا | وبوجهه أصحى عليه مقبلا
يا من يروم توسلا وتوصلا | صم رغبة فى قول رب قد علا

الصوم لى وأنا الذى أجزى به

وأتى بحسن القول فيه وصدقه | يا فوز من للصوم قام بحقه
فالله قال عن الصيام لخلقه | ومن الجحيم نجا وفاز بعتقه

الصوم لى وأنا الذى أجزى به

(وقيل) إن العبد إذا مات ونزل به عذاب القبر جاءه وضوؤه فاستنقذه وإذا احتوشته الشياطين جاءه ذكر الله تعالى فخلصه منهم وإذا احتوشته ملائكة الغضب جاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم وإذا تلهب عطشا فى القيامة جاءه صوم شهر رمضان فسقاه.

(إخوانى) انظروا إلى بركات شهر رمضان ونفعه لكم فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فيحميكم من الشهوات الموجبة للنار والعذاب وفى الآخرة فتفوزوا بالعفو والرضا من الملك الوهاب :

ما أحسن العفو من القادر | والصفح عن مندمة الغادر
بالله يا من تاب ثم انثنى | لا تفسد الأول بالآخر

(وروى عن أبى سليمان الدارانى رحمة الله عليه) أنه صام يوما فى الحر ثم نام فرأى قائلا يقول له أتبيع ثواب صومك فى هذا اليوم بمائة ألف دينار فقال لا وربى قيل فبأى شىء تبيعه فقال لا أبيع الثواب بالدنيا ولكن أبيعه بالنظر إلى المولى فقيل له صم فسوف تراه إن شاء الله تعالى.

إذا اجتمع الأحباب فى خلوة الرضا بمقعد صدق والنسائم عاطره
ترى أعين العشاق نحو حبيبهم إلى ذلك الوجه المقدس ناظره
فيا نفس هذا مشرب القوم فاشربى عسى أن تكون عند ذلك حاضره

يقول الله تعالى فى كتبه المنزلة: يا عبدى تأهب للقائى فعن قريب ألقاك واقبل على خدمتى فإنى أنا مولاك بأى عين ترانى من بارزنى وعصانى بأى وجه يلقانى من نسى عظمة شانى لقد خاب من حجبته عنى إذا قربت الصادقين منى وشقى من طردته عن جنابى إذا كشفت حجابى فتحليت للمتقين من أحبابى يا عبدى قف على بابى فأنا الكريم ولذ بجنابى فصراطى مستقيم.

بادر إلى الأعمال ما دمت بذى الدنيا مقيم
يا من يحدث نفسه بدخول جنات النعيم
إن كنت متقياً فأنـ ـت على صراط مستقيم
لا ترجون سلامة من غير ما قلب سليم
فاسلك طريق المتقيـ ـن وظن خيراً بالكريم
واذكر وقوفك خائفا والناس فى أمر عظيم
إما إلى دار الشقا وة أو إلى العز المقيم
فاغنم حياتك واجتهد وأنب إلى الرب الرحيم

(إخوانى) هذا شهر رمضان قد عزم على الانصرام ونوى النقلة عنكم والرحيل بعد القيام وهو شاهد لكم أو عليكم بما أودعتموه من الأعمال عند الملك العلام طالما عزت به القلوب ودرست به معالم الذنوب والآثام وقد كان لكم نعم الضيف، فهل أضعتم حقه؟ أو قمتم بما يجب له من الإكرام فلعل المسوف به بالتوبة لا يدركه بعد هذا العام والمغتر بالإهمال لا تهمله المنون إلى استكمال التمام فيندم حين لا ينفعه الندم ويتأسف على التفريط إذا زلت به فى القيامة القدم:

فاستدركوا فائت ما قد مضى فإنما الدنيا كمثل المنام
وحصلوا التوبة فى شهركم فقد دنا ترحال شهر الصيام

فالسعيد من بادر هذه البقية بالاغتنام والشقى من جعل هذه البقية بغفلته كالإعدام وكيف لا يدرك الخير من قام فى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر

بالصلاة وجعل التقوى إمام أما هذه ليالى القبول فلم يغتر المفرط فيها بالأحلام أما هذه ليالى القدر وليالى القبول فإلى متى أنت شغول فيها بطيب المنام (كان وكان):

انهض وداوى سقامك هذى ليالى المغفرة — وامح قبيح آثامك فى سالف الأعوام
لو كنت تعرف قدرك وأنت من أهل الوفا — ما تمت ليلة قدرك وفاتك الإنعام
ثم الصلاة جهاراً على النبى المصطفى ○ — الهاشمى التهامى الصائم القوام

(قال بعض الصالحين رحمة الله عليهم) حضرت مجلس منصور بن عمار الواعظ رحمة الله عليه فى آخر جمعة من شهر رمضان فذكر فضل صيامه وأجر قيامه وما أعد الله فيه لمن أخلص الأعمال وتجنب الإهمال فكأنه يقدح زند وعظه على صم الأحجار لا والله وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار فما تحرك فى مجلسه باك ولا شاك عظم ذنبه شاك فلما رأى جمود مجلسه قال يا قوم ألا باك على ما ظهر من عيوبه إلا راغب إلى الله تعالى فى غفران ذنوبه أما هذا شهر التوبة والغفران، أما هذا معدن العفو والغفران أما فيه تفتح أبواب الجنان، أما فيه تغلق أبواب النيران أما فيه يصفد كل مارد وشيطان أما فيه تفرق خلع الإحسان أما فيه يتجلى الملك الديان يعتق كل ليلة عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار فما لكم عن ثوابه ضالون وفى ثياب المخالفة آفلون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون:

إذا وجد الإنسان للخير فرصة — ولم يغتنمها فهو لاشك عاجز
وهل مثل هذا الشهر للعفو موسم — ولكن فأين العامل المتناهز

قال: فهاج المجلس بالبكا والنحيب وقام إليه شاب وهو باك على ذنوبه حزين كئيب وقال يا سيدى أتراه يقبل صيامى أو يكتب مع القائمين قيامى بعد أن جرى منى ما كان من الذنوب والعصيان فقد انقضى عمرى فى كسب المعاصى وغفلت بشقوتى عن يوم الأخذ بالنواصى فقال له الشيخ يا ولدى تب إليه فقد قال فى محكم الكتاب: **﴿وإنى لغفار لمن تاب﴾**، ثم أمر الشيخ القارىء فقرأ: **﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾** فصرخ الشاب وقال واطرباه واشوقاه إلى من لم يزل إحسانه واصلا إلى ذيل حلمه مسبلا على وأنا مع ذلك أزيد فى العصيان ولا أرجع عن طريق الغى والخذلان وهل يكون مثل هذا الوقت وقد صفا والحبيب قد تجاوز وعفا ثم صرخ ووقع ميتا رحمة الله عليه:

روج دعاها للوصال حبيبها   فسعت إليه تطيعه وتجيبه
يا مدعى صدق المحبة هكذا   فعل الحبيب إذا دعا حبيبه

(شعر كان وكان)

يا من تقضى عمره دع عنك نومك والكسل   واعلم بأن أعمالك تعرض على الديان
كم ذا تبهرج بفعلك وليس يخفى يهرجك   غدا تبان الفضائح وينصب الميزان
إن كنت تطلب توبة انهض فهذا وقتها   فبعد خمس ليال يقال فرغ رمضان
يرحل وما أودعته إلا زخاريف العمل   واحسرتك حين يشهد عليك بالخسران
تصم نهارك ولا تفطر تحصل فايتك   تشبع وتنس الجائع هذا هو الخذلان
تحضر صلاة التراويح بالجسم حاضراً إنما   القلب غائب يسعى فى كان فلان وفلان
تقطع صيامك غيبة والصوم قبوله عجب   نأكل لحوم العالم وترتجى الإحسان
من ليس يحفظ لسانه ولا الجوارح عن زلل   ماله من الصوم إلا يقضى النهار جيعان
نصحت جهدى ولكن النصح يصعب على الشـ   ـقى أنا بحالك والله عمرى مضى مجان
بالله عليك قم ودع شهر الصيام قبل السفر   ولا تخله يرحل وهو عليك غضبان
بيض سواد الصحيفة فالموت أدنى من نفس   وخف إلهك تحظى منه غداً بأمان

(إخوانى) كيف لا يبكى على فراش رمضان؟ كيف لا يتأسف على شهر العفو والغفران كيف لا يحزن على شهر العتق من النيران.

(وقد قيل) إن الجنة لتتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان حتى إذا كان أول ليلة منه هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فيصفق ورق الجنة وحلق المصارع فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه وتتزين الحور العين ويقمن بين شرافات الجنة فينادين هل من خاطب إلى الله عز وجل فيزوجه الله عز وجل ثم يقلن يا رضوان ما هذه الليلة فيجيبهن بالتلبية ثم يقول يا خيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان ويقول الله عز وجل يا رضوان افتح أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ يا جبريل اهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وغلهم بالأغلال ثم اقذف بهم فى لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة محمد ﷺ صومهم ويقول الله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه سؤله هل من داع فأستجب له ولله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب فإذا كان فى اليوم الأخير من شهر رمضان أعتق الله فى ذلك اليوم بعدد ما

أعتق من أول الشهر إلى آخره.

(إخوانى) ارغبوا فيما عند الله عز وجل من الأجر والثواب وودعوا شهر رمضان فقد عزم على الذهاب وبادروا بالأعمال الصالحة قبل غلق الباب فهذا شهر رمضان قد أزف رحيله وحان تحويله ولم يبق إلا كضيف طارق أو حبيب عما قليل مفارق فأكثروا فيه من العمل الصالح وزودوه وشيعوه بالبكاء والأسف وودعوا فلله در أقوام صاموا عن الشهوات وقاموا فى الخلوات يرتلون القرآن ترتيلا فلو رأيتهم وقت السحر هذا يبكى ويعدد وهذا يقرأ ويردد وهذا يترنم بالقرآن فيطرب أسماعا ويسبى عقولا وهذا قد تردى بأكفانه وهذا قد التحف بأحزانه وهذا يبكى فيمطر من أجفانه سيولا:

شهر الصيام فقد كرمت نزيلا ... ونويت من بعد المقام رحيلا
وأقمت فينا ناصحا ومؤدبا ... وشفيت منا بالفؤاد عليلا
نبكيك يا شهر الصيام بأدمع ... تجرى تحكى فى الخدود ميولا
أسفا على الإنس الذى عو ... دتنا وصنيع فعل لا يزال جميلا
شهر الأمانة والصيانة والتقى ... والفوز فيه لمن أراد قبولا
تبكى المساجد حسرة وتأسفا ... إذا عطلت من أنسه تعطيلا
فيه الجنان تفتحت لقدومه ... وتزينت ولدانها تحفيلا
وتفيأت أشجارها بظلالها ... وقطوفها قد ذللت تذليلا
والحور للصوام يشتقن اللقا ... والوصل والتقريب والتعجيلا
والنار يغلق بابها من أجله ... إذا زاد رب العلا تبجيلا
والمارد الشيطار فيه قد غدا ... عن صائميه مصفدا مغلولا
طوبى لمن قد صح فيه صيامه ... ودعا المهيمن بكرة وأصيلا
وبليله قد قام يختم ورده ... متبتلا لإلهه تبتيلا
يرتاح فيه إلى الخطاب وقد غدا ... يتلو الكتاب مرتلا ترتيلا
يبكى لفرقة شهره أسفا على ... تقصيره إذ لم ينل تحصيلا
شهر يفوق على الشهور بليلة ... عن ألف شهر فضلت تفضيلا
هى ليلة مستغنم أوقاتها ... وتنزلت أملاكها تنزيلا
يا فوز عبد قد رآها مرة ... فى عمره إذ أدرك المأمولا
من قامها يغفر له ما قد مضى ... من ذنبه وينال فيها السولا

فاجـهد عسـاك تنالـها فـيما بـقى | بـالجد واحـذر أن تـكـون غفـولا
واسـأل إلـــهـك بـــره ونـوالـــه | يعـطيك فـضلا مـن لدنه جـزيلا
ثم اقـتدى بالـهاشمـى المصطـفى | أزكى الـورى فى الـعالمـين أصولا
المجتـبى المخـتار أفـضل مـن غدا | فـى المذنـبـين مـشفـعـا مـقبـولا
صـلـى عـليـه الله جـل جـلالـه | مـا دام نجـم فـى الـسـمـاء أفـولا

(إخوانى) مضى شهر رمضـان وما كأنه كان وشهد على المسـىء بالإساءة وعلى المحسن بالإحسان وحصل كل ما قسم له من ربح وخسران فياحسرة المفرط لقد أضاع الزمان ويـاخيبة المسوف كـأنه أخذ من الموت الأمان. اعـلم أن القضاء لا يمهـله إلى رمضان ثان. هذا شهركـم قد انتصب لك مودعا وسار مسرعا، فأين الـبكاء لرحيله؟ وأين الاستدراك لقليله؟ وأين الاقتداء بفاعـل الخير ودليله؟ فوالله ما كان أطيب زمانه فى صوم وسـهر وما كان أصفى أوقـاته من آفات الكـدر،وما كان ألذ الاشتغـال فيه الآيات والسور، فياليت من قام بواجباته وسنته ومن اجتهد فى عمارة زمنه ومن الذى أخلص فى سره وعلنه ومن الذى تخلص من آفات الصوم وفتنه.

(إخوانى) راحة لغريب عن الـديار فى البكاء والضراعة إخوانـى كيف من نسى أهله وإخوانه وأتباعـه إخوانى سودت وجوهنا الزلات فمتى تبيـض بالطاعات إخوانى أكثروا من التضرع إلى الله عز وجل فى هذه الساعة وقولوا برفيع الأصوات: إلهنا لا تحرمنا من نبيك الشفاعة واجعل التقوى لنا أربح بضاعة ولا تجعلنا فى شهرنا هذا من أهل التفريط والإضاعة وآمن من خوفنا يوم تـقوم الساعة برحمتك يا أرحم الأرحمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

المجلس السابع فى فضائل ليلة القدر أعاد الله علينا وعليكم من بركاتها

الحمد لله الـذى أحكم الأمور وقـدرها وقدر الأشيـاء ودبرها، ودبر المـوجودات وصورها وصور الخليقة وأظهرها وأظهر الأسـرار وطهرها وطهر القلوب ونورها ونور الكواكـب وسيرها وسـير الأفلاك وسخـرها وسخر الـرياح ونشرهـا ونشر الـسحب وأمطرهـا وأمطر الرياض وأزهـرها وأزهر الأشجار وأثمـرها وطيب أنفـاس الأسحار بطـيب الأذكار وعطـرها وفضل مـواسم الطاعـات على سائـر الأوقات وللخـيرات

والبركات يسرها وشرف شهر رمضان على جميع الشهور، وخص لياليه بالفضل المشهور وبتوفير الأجور شهرها وميزها بليلة القدر التى هى خير من ألف شهر وجعلها واسطة عقد الدهر فطوبى لمن عظمها ووقرها يا لها من ليلة ما أبركها وأنورها وما أكثر خيراتها وأغزرها تفتح فيها أبواب السموات وتنزل الملائكة بالبشارات لمن أحياها من الأنام، ومنع جفونه من المنام، وأسهم فيا فوز من تلذذ فيها بالمناجاة، وتملى وتهنى فيها بطاعات مولاه، وتحلى وشاهد أنواره لما تجلى وسجدت له جميع المخلوقات وقد أذهلها فى أنواره وحيرها، فيا لها من ليلة ما رفعت إليه فيها قصة محتاج إلا نظرها، ولا وصلت إليه دعوة مظلوم إلا أنجزها ونصرها، ولا صعدت إليه أنفاس كربة إلا أزال كربها وضرها ولا انتهت إليه شكاية ملهوف إلا أزال عنها الجرح وأتاها بالفرج، وبشرها ولا تضرعت بين يديه معتذرة إلا قبلها وعذرها، ولا توجهت من أجله قلوب منكسرة إلا أغاثها بلطفه وجبرها، فسبحان من اطلع فى هذه الليلة الشريفة على الذنوب فغفرها، وعلى العيوب فسترها، وعلى القلوب فسكنها وعمرها وعلى حوائج السائلين فقضاها بفضله ويسرها.

شهدت بالقهر له الأفلاك	مع الأملاك فسخرها
وأتت بالباب ذو والحاجات	تروم الفضل فيسرها
كم قد رفعت قصصا وشكت	غصصا للشوق فبشرها
هامت فى الليل به الأحباب	فحط الحجب وسامرها
ولقد نظرت لما حضرت	فى حضرته إذا أحضرها
كاسا يملى وسنا يجلى	لقلوب القوم فأسكرها
تاهت وبه باهت ولقد	سهرت فى الحب فساهرها
وجلا أقداح كؤوس الذكر	لها فلهذا استأثرها
فله نظرت لما اشتهرت	بمحبته إذ أسهرها
ما أسعدها ما أزهدها	ما أرشدها ما أذكرها
ما أجملها ما أكملها	ما أحملها ما أصبرها
فليالى القدر لها كشفت	ولها البارى قد أظهرها
فتعالى ربا مقتدراً	خلق الأشياء ودبرها
وقضى الآجال مع الأعمال	لكل الخلق وقدرها

أحمده على نعمه التى نشرها وأغزرها ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

له شهـادة نافعة لمن عنـده أدخرها وأشهد أن محـمداً عبده ورسوله الـذى أيد الله به الشـريعة ونصـرها، وهدى الأمة إلـى الصواب وبصـرها صلى الله عـليه وعلـى آله وأصحابه وأزواجه وذريته التى برأها الله تعـالى من الرجس وطهرها قال تعالى: ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر**﴾ إلى آخرها قال ابـن عباس رضى الله عنهما: أنـزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى ليلة القدر من شهر رمضان وفى تسميتها بليلة القدر خمس وجوه.

(**أحدها**) أن القدر هو العظمة وهى ليلة عظيمة.

(**الثانى**) أنه الضيق فهى ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون من السماء.

(**الثالث**) أن القدر هو الحكم فإن الأشياء تقدر فيها.

(**الرابع**) أن من لم يكن له قدر يصير بمراعاتها ذا قدر.

(**الخامس**) أنه نزل فيها كتاب ذو قدر وملائكة ذو قدر.

واختلفوا هل ليلة القدر باقية إلى زماننا هذا أم كانت فى زمن النبى ﷺ خاصة؟ على قولين أصـحهما أنها باقية إلى زمـاننا هذا وأنها فى شهر رمضـان، واختلفوا أى الليالى أخص بها؟ على ستة أقوال:

(**أحدها**): إن الأخص بها أول ليلة من شهر رضان.

(**الثانى**) هى ليلة الحادى والعشرين.

(**الثالث**) هى ليلة الثالث العشرين.

(**الرابع**) هى ليلة الخامس والعشرين.

(**الخامس**): هى ليلة السابع والعشرين.

(**السادس**): هى ليلة التاسع والعشرين وقيـل إنها تنتقل فى إفراد العشرة الأواخر من شهر رمضان[1] قوله تعالى: ﴿**وما أدراك ما ليلـة القدر * ليلة القدر خـير من ألف شهر**﴾ قال ابـن عباس رضـى الله عنـهما ذكرَ عـند رسول الله ﷺ رجـلٌ من بـنى إسرائيل حمل السلاح على عاتقه ألف شهر فى سبيل الله فتعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك عجبـا شديداً وتمنوا أن يكون لهم مثـل ذلك فدعا ربه: «**أى رب أنت**

(١) راجع فى ذلك: نيل الأوطار للشوكانى وفتح البارى لابن حجرمن تحقيقنا.

جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارًا وأقلها أعمالا» فأعطاه الله ليلة القدر فقال يا محمد ليلة القدر خير من ألف شهر، وأعطيتك وأمتك هذه الليلة فى كل سنة خيراً لك ولهم من بعدك إلى يوم القيامة فى كل شهر رمضان ليلة خير من ألف شهر وألف شهر: ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر قال تعالى: **﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾** قال المفسرون: ينزلون بكل أمر قضاه الله تعالى فى تلك السنة وقدره إلى قابل **﴿سلام﴾** هى أى سلامة لا يحدث فيها داء ولا يرسل فيها شيطان **﴿حتى مطلع الفجر﴾** أى طلوع الفجر.

هى ليلة القدر التى شرفت على	كل الشهور وسائر الأعوام
من قامها يمحو الإله بفضله	عنه الذنوب وسائر الآثام
فيها تجلى الحق جل جلاله	وقضى القضاء وسائر الأحكام
فادعوه واطلب فضله تعط المنى	وتجاب بالإنعام والإكرام
فالله يرزقنا القبول بفضله	ويجود بالغفران للصوام
ويذيقنا فيها حلاوة عفوه	ويميتنا حقا على الإسلام

(روى أبو هريرة رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»رواه البخارى ومسلم رحمهما الله، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا الليل كله وأيقظ أهله. رواه البخارى ومسلم رحمهما الله، وروى جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنى كنت رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها فالتمسوها فى العشر الأواخر من رمضان فى الوتر من لياليها وهى ليلة طلقة بلجة لا حارة ولا باردة كأن فيها قمراً لا يخرج شيطانها حتى يضىء فجرها**» وقالت عائشة رضى الله عنها: يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فبم أدعو قال: «**قولى اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى**».

(وعن محمد بن كعب رضى الله عنه) قال بينما عمر رضى الله عنه جالس فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين إذ ذكروا ليلة القدر ومعهم ابن عباس رضى الله عنهما فتكلم كل رجل منهم بما سمع عنها وعبد الله ساكت فقال له عمر رضى الله عنه: مالك لا تتكلم يا ابن عباس تكلم ولا تمنعك الحداثة فقال إن الله تعالى وتر يحب الوتر وإنه جعل أيامه تدور على سبع وخلق الإنسان من سبع وخلق

أرزاقنا من سبع وجعل فوقنا سبع سموات وجعل تحتنا سبع أرضين وجعل البحار سبعا وجعل ما يقع فى السجود من أعضائنا سبعاً وحرم من نكاح الأقربين سبعاً وقسم المواريث بينهم على سبع وأعطى نبيه ﷺ المثانى سبعاً ورمى الجمار بسبع فأظنها والله أعلم فى ليلة السابع والعشرين من رمضان فتعجب عمر رضى الله عنه وقال يا قوم من كان يروى هذا كراوية ابن عباس رضى الله عنهما.

(ويقال) إن عددت كلمات هذه السورة ثلاثون كلمة وقوله **﴿حتى مطلع الفجر﴾** آخرها وهى الكلمة السابعة والعشرون فدل أنها ليلة السابع والعشرين.

(ويقال) خصصت تلك الليلة وفضلت بنور ينزل من السماء مثل العلم من نور الله عز وجل ويقال ذلك النور مثل خيمة عظيمة فقال بعضهم هو من نور شجرة طوبى وقال بعضهم من نور الرحمة وقال بعضهم من نور لواء الحمد وقال بعضهم من نور أجنحة الملائكة وقال بعضهم من نور الطاعات وقال بعضهم من نور أسرار العارفين وقال بعضهم من نور الهيبة ثم إن ليلة القدر ليلة مرغوبة وهى أفضل الليالى:

لليلة القدر عند الله تفضيل	وفى فضلها قد جاء تنزيل
فجد فيها على خير تنال به أجراً	فللخير عند الله تفضيل
واحرص على فعل أعمال تسر بها	يوم المعاد ولا يغررك تأميل
فتب إلى الله واحذر من عقوبته	عن كل ما فيه توبيخ وتنكيل
ولا تغرنك الدنيا وزخرفها	فكل شىء سوى التقوى أباطيل

وقال بعضهم فى قوله تعالى: **﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾** يعنى الرحمة فى هذه الليلة وحدها خير وأكثر من الرحمة فى ألف شهر معناه إن رحمتى على العصاة والمذنبين فى هذه الليلة وحدها مثل رحمتى عليهم فى ألف شهر وإنما سميت ليلة القدر لوجهين.

(أحدهما) أنها ليلة قدر وجاه ومنزلة وشرف عند الله تعالى فسميت ليلة القدر وقال أبو الفضل: يعنى ليلة القدر يقدر فيها الأرزاق والآجال والأمراض والمصائب والبلايا والعافية والفرح والسرور والربح والخسران، وعن أبى هريرة وابن عباس رضى عنهم عن النبى ﷺ[1] إنه قال: « **إذا كانت ليلة القدر ونزلت الملائكة وهم سكان**

---

(١) لم أجده فى كتب الحديث المشهورة التى اطلعت عليها.

سدرة المنتهى وجبريل عليه السلام معهم ومعهم أربعه ألوية فينصب لواء منها على قبرى ولواء منها على طور سينا ولواء منها على ظهر المسجد الحرام ولواء منها على ظهر بيت المقدس، ولا يدع بيتا فيه مؤمن ولا مؤمنة إلا دخله وسلم عليه يقول يا مؤمن ويا مؤمنة السلام يقرئك السلام، فإذا طلع الفجر فأول من صعد جبريل عليه السلام حتى يكون على الوجه الأعلى بين السماء والأرض فيبسط جناحه فتصبح الشمس لا شعاع لها حتى يدعو ملكا ملكا فيصعدون فيجتمع نور الملائكة ونور جناح جبريل عليه السلام فتصبح الشمس بيضاء لا شعاع لها فيقوم جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة بين السماء والأرض يومهم ذلك فى دعاء واستغفار للمؤمنين والمؤمنات فإذا أمسوا دخلوا سماء الدنيا فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا مرحبا بأشرافنا وسادتنا من أين أقبلتم فيقولون أقبلنا من عند أمة محمد ﷺ فيقول ما صنع الرب سبحانه وتعالى فى حوائجهم فيقولون غفر لصالح أمة محمد ﷺ وشفع صالحهم فى طالحهم فيصيحون إلى الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتقديس شكراً لما أعطاه الله سبحانه وتعالى لأمة محمد ﷺ ثم يسألونهم عن رجل رجل وامرأة امرأة فيقولون ما فعل فلان ما فعلت فلانة فيقولون وجدنا فلانا عام الأول متعبداً ووجدناه هذا العام مبتدعاً فيكفون عن الاستغفار له ووجدنا فلاناً عام الأول مبتدعا ووجدناه العام متعبدا، فيستغفرون له ويدعون له ووجدنا فلانا يذكر الله تعالى ووجدنا فلانا راكعا ووجدنا فلانا ساجدا ووجدنا فلانا تاليا لكتاب الله تعالى ووجدنا فلانا باكيا فيدعون لهم ويستغفرون لهم ثم يصعدون إلى السماء الثانية فهم فى كل سماء يوما وليلة فى دعاء واستغفار لأمة محمد ﷺ حتى ينتهوا إلى أمكانهم من سدرة المنتهى فتقول لهم سدرة المنتهى أين غبتم هذه الأيام فيقولون كنا عند نزل رحمة الله تعالى على أهل الأرض فى ليلة القدر فتقول لهم ما صنع الرب بهم فيقولون غفر لمحسنهم وشفعه فى مسيئهم قال فتهتز سدرة المنتهى وتثنى على الله تعالى بالتسبيح والتقديس والشكر لما أعطى الله تعالى لأمة محمد ﷺ فتسمعها جنة المأوى، وهى مطلة عليها فتقول يا سدرة المنتهى لم اهتززت فتقول أخبرنى سكانى عن جبريل عليه السلام أن الله تعالى غفر لأمة محمد ﷺ، وشفع محسنهم فى مسيئهم فتصيح جنة المأوى بالتسبيح والتقديس والثناء والشكر لما أعطى الله تعالى لأمة محمد ﷺ فتسمعها جنة النعيم، وهى مطلة عليها فتقول يا جنة المأوى لم صحت فتقول أخبرتنى سدرة المنتهى عن سكانها عن جبريل إن الله تعالى غفر لأمة محمد ﷺ وشفع محسنهم فى مسيئهم

فتصيح جنة النعيم كذلك ثم جنة عدن ويسمع منها الكرسى فيقول كذلك، ثم يسمع العرش فيقول له يا كرسى لم صحت فيقول أخبرتنى جنة عدن عن جنة النعيم عن جنة المأوى عن السدرة عن سكانها عن جبريل إن الله تبارك وتعالى غفر لأمة محمد ﷺ وشفع محسنهم فى مسيئهم،قال فيهتز العرش طربا ويصيح فيقول الجليل جل جلاله لم صحت وهو أعلم فيقول يا رب أخبرنى الكرسى عن جنة عدن عن جنة النعيم عن جنة المأوى عن سدرة المنتهى عن سكانها عن جبريل عليه السلام أنك يا أرحم الراحمين قد غفرت لأمة محمد ﷺ وشفعت صالحهم فى طالحهم، فيقول الله عز وجل صدق جبريل وصدقت سدرة المنتهى وصدقت جنة المأوى وصدقت جنة النعيم وصدقت جنة عدن وصدق الكرسى وصدقت يا عرش أعددت لأمة محمد ﷺ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

(إخوانى) انظروا ما خصكم الله به من الإنعام والإكرام وحياكم به من العطايا الجسام وشرفكم بنبى الرحمة ورسول الهدى وأنقذكم ببركته من الردى فاستدركوا رحمكم الله مواسم العمر فحادى الموت بالرحيل قد حدا واغتنموا ليلة القدر لعلكم أن تكتبوا فى ديوان السعداء فإنها ليال تفوق ليالى الدهر وهى خير من ألف شهر ما دعا الله فيها داع إلا أجابه وبلغه أملاً ومقصدا ولا سأله سائل إلا أعطاه سؤله وجاد عليه بالفضل والندى فيا فوز من أحياها ويا سعادة عبد رآها لقد نال فخراً وسؤددا وقد جاء فى صحيح الإسناد أنها تلتمس فى ليالى الإفراد فاطلبوها تظفروا بحسن القبول ونيل المراد غدا فيا أيها الضال عن طريق الهدى أما تخاف عاقبة الردى أما سمعت الحادى وقد حدا أما أن تسلك طريقا رشدا أما تغنم ليالى القدر التى تجلو عن قلبك الصدا:

يا أيها العبد قم لله مجتهدا ... وانهض كمانهضت من قبلك السعدا
هذى ليالى الرضا وافت وأنت على ... فعل القبيح مصرا ما جلوت صدا
قم فاغتنم ليلة تحيا النفوس بها ... ومثلها لم يكن فى فضلها أبدا
طوبى مرة فى العمر أدركها ... ونال منها الذى يبغيه مجتهدا
فليلة القدر خير قال خالقنا ... من ألف شهر هنيئاً من لها شهدا
فيها القرآن بأمر الله أنزله ... إلى السماء وقد خاب الذى جحدا
فى ليلة القدر جل الله أنزله ... بعلمه وبهذا النص قد وردا
فيها تفتح أبواب السماء لمن ... يرى من الكشف من يعطى بها مددا
وينزل الروح فيها والملائك من ... عند المهيمن لمن تحصى لهم عددا

يـا فــوز عـبـد رآهـا إنـــه رجـل ... قد عاش فى الدهر عيشاً دائماً رغدا
وفـاز بالأمـن والغـفران مـغتـبطـا ... ونـال مـا يـرتجـى مـن ربـه أبـدا
فاطـلب من الله إن وافيـتها سـحرا ... جنات عدن تكن من جـملة السعدا
وابك ونح وتـضرع فى الدجـا أسفا ... ولـذ بجـاه شـفيـع المـذنـبين غـدا
خيـر البـرية من عـجم ومـن عرب ... محـمد خيـر مبـعوث بديـن هدى
الهـاشمـى الذى شـاعت رسـالتـه ... جهرا وأسخى الورى بـالمكرمات يدا
هو الـبشـير الـنذيـر المسـتضـاء به ... ومـن بإحـســانـه عم الأنـام نـدى
وأنـه خيـر مـن يمشـى عـلى قـدم ... وخيـر من فاق مـولودا ومـن ولدا
صلى عـليه إله الـعرش ما طلـعت ... شمـس وما سـار فى الـفلا وحـدا

إلهى وقف الـسائلون ببابك ولاذ الـفقراء بجنابك ووقـفت سفينة المسـاكين على ساحل بـحر كرمك يرجون الجـواز إلى ساحل رحمـتك ونعمك. إلهـى إن كنت لا ترحم فى هـذا الشهر الشريف إلا مـن أخلص لك فى صيـامه وقيامه فمن لـلمذنب المقصـر إذا غرق فى بحـر ذنوبه وآثامه. إلـهى إن كنت لا ترحـم إلا المطيعـين فمن للعاصين، وإن كنت لا تقبل إلا العاملين فمـن للمقصرين. إلهى ربح الصائمون وفاز القائمون ونجا المخلصـون ونحن عبيدك المذنبون فارحمنا برحـمتك وجد علينا بعفوك ومنتك واغفر لنا أجـمعين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله عـلى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

المجلس الثامن: فى ذكر حجاج بيت الله الحرام وما أعد لهم من الإفضال والإنعام

جعلنا الله وإياكم فى هذا العام ممن فاز بحج بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام

الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم سبـحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يخشى فناء ولا زوالا لـه ما فى السموات وما فى الأرض شهود عـلى عظمته لا يجد العقل له شبيها ولا مثالا، من ذا الـذى يشفع عنده إلا بإذنه، ولا ينطق أحد بين يديه جواباً ولا سؤالا يعـلم ما بين أيديهم وما خلفهم وفوقا وتحـتا ويميناً وشمالا ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء،ولا يدرك أحد لكنهه منالا وسع كرسيه السموات

والأرض وكل يبدى من هيبته خوفا وإجلالا ولا يؤوده حفظهما وإن كانا ثقالا وهو العلى العظيم:

جل رب فى عزه قد تعالى	وسما قدره عز منالا
أحد ماجد كريم عظيم	ليس يخشى على الدوام زوالا
جل عن مشبه له ونظير	ليس تحصى له العقول مثالا

فسبحانه من إله افترض حج بيته الحرام على عباده فشدوا إليه رحالا دعاهم لقربه به فما استبعدوا فى حبه بعيدا ولا استهولوا أهوالا سار بهم الدليل فكيف يضلون السبيل ووجوههم فى ظلام الليل تتلألأ فلو رأيت النياق يا هذا كيف تمد بوادى العقيق الأعناق فتنشر أشواقا وتطوى رمالا فإذا وصلت إلى شريف حرمه وحطت بباب كرمه رحالا نادى منادى القبول عند الوصول ارتجالا:

قد دعا الشوق للحبيب رجالا	قطعوا فى السرى إليه رمالا
حبذا قد أتوه شعثا وغبرا	يرتجون النوال والأفضالا
قد أتوا يهرعون من كل فج	فارقوا فى رضاه أهلا ومالا
ثم نادوا بجمعهم فى حماه	يا كريما إذا استقبل أقالا

فسبحان من شرف البيت العتيق بركن من ركن إليه نجا من الهم والضيق وبباب من دخل إليه وكان آمناً وكتب له توقيع التوفيق وبميزان تنصب منه الرحمة على من سلك إلى الخير أقوم طريق وبحجر يشهد له بالوفاء والتصديق وبحرم تأتى إليه الوفود مشاة وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق:

عن أيمن الشعب بوادى العقيق	لاح السنا من نحو ذاك الفريق
وقد بدت أعلام وادى النقا	والقلب مأسور ودمعى طليق
طوبى لقوم أدركوا قصدهم	وكابدوا كل عسير وضيق
ويمموا البيت فبشراهمو	لما أتوه من كل فج عميق

فسبحان من شرف بيته على سائر الأماكن والأقطار وجعل ترابه جلاء للأبصار ووعد من طافه بتضعيف الأجر والثواب وأن يسقيه من شراب الاقتراب رحيقا سلسبيلا هذه صفة كعبة الله التي من عظمها كان معظما مبجلا ومن أقبل إليها كان مولاه عليه مقبلا فكم من محب مات شوقا إليها ولم يبلغ منها أملا فلسان حاله

يقول:

يا كعبة الحسن كم من عاشق قتلا	شوقا إليك ورام الوصل ما وصلا
قد يتمت بعده الأولاد حين سرى	وظل يبكى بدمع فاض منهملا
فكم غريق بحار فى هواك غدا	وآخر ظل فى البيداء مجندلا
وأنتمو معشر الزوار قربكم	إلى مقام بها أمن لمن دخلا
فلا تخافوا فأنتم فى ضيافته	فهو الكريم الذى بالجود ما بخلا

فلله در أقوام دعاهم مولاهم إلى جنابه فساروا إلى بابه شعثا وغبرا وعرفهم بعرفات أنه قد تجاوز عن الذنوب والزلات فسجدوا لله حمدا وشكرا فإذا زمزم لهم الحادى بذكر زمزم والعقيق وقصدوا ذلك الفريق ألقى قلوبهم من الشوق لهباً وجمراً ونادى الصب الكثيب وقلبه بذكر الحبيب مغرم ومغرى:

بشير بأيام الوصال لك البشرى	عساك رأيت الحى والخيم الحمرا
وشاهدت سكان العقيق وحاجر	وبانت لك الأعلام والقبة الخضرا
ولاح لك الحسن البديع صفاته	وأصبحت مثلى هائما مغرما مغرى
بعيشك حدثنى وقل لى عن الحمى	وعن أهله إن شئت أن تغنم الأجرا
رعى الله أياما تقضت بقربكم	وطيب ليال ما عرفت لها قدرا

فيا أيها الغافل ونسيم القبول قد هب من الأراضى الحجازية وأتى بطيب أخبارها وروى أن عروس الكعبة المعظمة قد جليب فى حلل أستارها وتجلت للطائفين ففازوا بمشاهدتها وقرب مزارها، وأدركوا السعود بالصعود إلى عرفات وفازوا فى منى برمى جمارها، فواشوقاه إلى ليالى منى، فقد طالت على مدة انتظارها. واحسرتى ضاع الزمان باطلا، ولم تصل روحى إلى أوطارها، وقد تذكرت زمان وصالها فهاجت الأشجان من تذكارها، متى أرى الكعبة تجلى جهرة ويقرب البعيد من مزارها وأجتليها بعد طول حسرة فى حلل البهاء من أستارها وبعدها أسعى إلى خير الورى مستنقذ الأمة من أوزارها المجتبى الهادى الرسول المرتضى محمد المختار من نزارها:

صلى عليه الله ما هبت صبا وضوعت شذاه فى أقطارها

قال الله عز وجل: **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾**قال ابن عباس رضى الله عنهما: معنى السبيل أن يصح بدن

العبد ويكون له زاد وراحلة من غير أن يجحف به وقوله تعالى ﴿**ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين**﴾ يعنى من كفر بالحج فلم ير حجه برًا ولا تركه إثما.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»، وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء فيقولون يا ربنا يريدون العفو والمغفرة فيقول الله تعالى يا ملائكتى أشهدكم إنى قد غفرت لهم وعفوت عنهم**» فلله در أقوام رأوا خدمة مولاهم فى دنياهم ربحا ومغنما ورأوا تضييع الأوقات فى غير الطاعات خسرانا ومغرما أوقفهم على عرفات قربه فأضحى كل منهم بحبل حبه معتصما غفر ذنوبهم وبلغهم مطلوبهم، ونشر لهم السعادة علما:

يا فوز قوم قد أتوا لجنابه	فأباحهم منهم الرضا والمغنما
قوم على عرفات قد وقفوا وقد	باهى به ذو العرش أملاك السما
إذ قال يا أهل السموات انظروا	وفدى وكل قد أضر به الظما
أشهدتكم أنى غفرت ذنوبهم	وعفوت عنهم أجمعين تكرما

(وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس إن الله تعالى قد فرض عليكم الحج فحجوا**» فقال رجل أفى كل عام يا رسول الله فسكت فقال يا رسول الله أفى كل عام قال: «**لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم**» رواه مسلم وأحمد والنسائى رضى الله عنهم، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد**» رواه النسائى رضى الله عنه وفى لفظ آخر: «**الحجاج والعمار وفد الله إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم، وإن دعوه استجاب لهم، وإن شَفَعوا شُفِّعوا**».

فهمو وفدى إذا ما حضروا	عند بيتى يطلبون الزلفا
أعطهم ما سألونى جهرة	وأنلهم من جنانى غرفا
وإذا ما اجتمعوا أسمعتهم	من جنابى أن مولاك عفا
فأبشروا بالفوز منى والرضا	قد دنا الوصل وقد زال الجفا

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»** رواه البخارى ومسلم قال العلماء: الحج المبرور الذى ليس له بعده معصية كما قال الفضيل بن عياض لبعض من حج: يا هذا إن الله تعالى يختم على عمل الحاج بطابع من نور فإياك أن تفك ذلك الختم بمعصية الله عز وجل:

أبشر فحجك مقبول ومبرور	وكل سعيك محمول ومشكور
وما تصدقت فى أرض الحجاز به	فأجره لك عند الله مدخور
وكل سعى وما قدمت من عمل	فإنه لك بعد الربح موفور
فإن حججت ولم تأتِ بمعصية	نلت المراد وأنت اليوم مسرور

(وعن أبى رزين العقيلى رضى الله تعالى عنه) إنه أتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله إن أبى شيخ كبير لايستطيع الحج والعمرة فقال: **«حج عن أبيك واعتمر»** رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى رضى الله عنهم. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قلت يا رسول الله هل على النساء من جهاد قال: **«نعم عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة»**.

(إخوانى) كيف تتخلفون عن الحج وقد فرضه الله على العباد، وقد قيل ليدخلن الجنة ثلاثة نفر بالحجة الواحدة الموصى بها والمنفذ لها والحاج عنه. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال جاء رجل من الأنصار إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله كلمات أسأل عنهن قال: **«اجلس»**.

وجاء رجل من ثقيف فقال: يا رسول الله كلمات أسأل عنهن، فقال رسول الله ﷺ: **«سبقك الأنصارى»** فقال الأنصارى إنه رجل غريب وإن للغريب حقا فابدأ به فأقبل على الثقفى فقال: **«إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل وإن شئت سألتنى وأخبرتك»** فقال يا رسول الله بل أخبرنى عما جئت أسألك فإنه أعجب قال: **«جئت تسألنى عن الركوع والسجود والصلاة والصوم»** فقال: والذى بعثك بالحق نبيا ما أخطأت مما كان فى نفسى شيئا قال: **«فإذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك ثم فرج بين أصابعك ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه وإذا سجدت فمكن جبهتك ولا تنقر نقراً وصل أول النهار وآخره»** فقال يا نبى الله فإن أنا واصلت بينهما قال **«فأنت إذا مصل، وصم من كل شهر ثالث عشرة ورابع عشرة وخامس عشرة[1] ونم أول**

(١) وهى الأيام البيض ذلك أن القمر فيها يكون بدرا.

الليل وقم أوسطه ونم آخره فإن قمت من أوسطه إلى آخره فأنت إذا مصل» فقام الثقفى ثم أقبل الأنصارى فقال: **«إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل وإن شئت سألتنى فأخبرك»** فقال يا نبى الله أخبرنى عما جئت أسألك قال: **«جئت تسألنى عن الحاج ماله حين يخرج من بيته وماله حين يقوم بعرفات وماله حين يرمى الجمار وماله حين يحلق رأسه وماله حين يقضى آخر طواف بالبيت»** فقال يا نبى الله والذى بعثك بالحق ما أخطأت مما كان فى نفسى شيئاً قال: **« فإن له حين يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة إلا كتب له بها حسنة أو حطت عنه بها خطيئة، فإذا وقف بعرفة فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيقول انظروا إلى عبادى شعثاً غبراً اشهدوا أنى قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء، وإذا قضى آخر طواف خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»** رواه ابن ماجه فى صحيحه، وفى لفظ آخر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: جاء رجل من الأنصار يسأل النبى ﷺ وجاء رجل من ثقيف يسأله أيضاً فقال رسول الله ﷺ: **«يا أخا ثقيف إن أخاك الأنصارى قد سبقك بالمسألة فاجلس كيما نبدأ بحاجة الأنصارى قبل حاجتك»**، فتغير وجه الثقفى فقام الأنصارى فقال يا رسول الله ابدأ بحاجة الثقفى قبل حاجتى فإنى رأيته آنفا تغير وجهه وأخاف أن يكون قد وجد عليك وما يسرنى فى ذلك فأخرنى فدعا النبى ﷺ للأنصارى بخير ثم قال: **«يا أخا ثقيف سل عما بدا لك وإن شئت أنبأتك بالذى جئت تسألنى عنه»** فقال يا رسول الله أخبرنى فهو أعجب لى فقال: **«جئت تسألنى أى الشهر تصوم وأى الليل تقوم وجئت تسألنى كيف تصنع فى ركوعك وكيف تصنع فى سجودك»** فقال والذى بعثك بالحق إنه الذى أردت أن أسألك عنه، فقال: **«صم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، ونم أول الليل وقم وسط الليل ونم آخر الليل فإن قمت فى وسطه إلى آخره فأنت إذا مصل وإذا ركعت فضع يديك على ركبتيك وفرج بين أصابعك، فإذا سجدت فمكن جبهتك من الأرض ولا تنقر نقراً»** ثم قال: **«يا أخا الأنصارى سلنى عما بدا لك وإن شئت أنبأتك بالذى جئت تسألنى عنه»** فقال يا رسول الله حدثنى كما حدثت صاحبى فهو أعجب لى قال: **«جئت تسألنى عن خروجك من بيتك تؤم المسجد الحرام مالك فيه من الأجر وجئت تسألنى عن وقوفك بعرفات مالك فيه من الأجر، وجئت تسألنى عن رميك الجمار مالك فيه من الأجر وجئت تسألنى عن حلقك رأسك ألك فيه من الأجر، وجئت تسألنى عن طوافك مالك فيه من الأجر، وجئت تسألنى عن شىء غيره»** فقال والذى بعثك بالحق إنه الذى

أردت أن أسألك عنه: «**فإن خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام يكتب الله لك بكل خطوة تخطوها حسنة ويحط عنك بها خطيئة ويرفع لك بها درجة وأما ركعتاك للطواف فكعتق رقبة وأما سعيك بين الصفا والمروة فكعتق سبعين رقبة وأما وقوفك بعرفات فإن الله تبارك وتعالى يطلع على أهل عرفات فيقول عبادى أتونى شعثاً غبراً أتونى من كل فج عميق فيباهى بهم الملائكة، فلو كان عليك من الذنوب مثل رمل عالج وعدد نجوم السماء وقطر البحر، والمطر غفرها لك وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك عند ربك أحوج ما تكون إليه وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تقع منك نوراً يوم القيامة، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك وهو طواف الصدر فتطوفه ولا ذنب عليك ويأتى ملك فيضع يده بين كتفيك ثم يقول لك قد غفر الله لك ما مضى فأحسن فيما بقى أفيضوا مغفورا لكم ولمن شفعتم فيه**» فلله دُرّ الفائزين بالحج فازوا بحج البيت الحرام وقد كفر عنهم مولاهم الذنوب والآثام يافوزهم قد سرت بهم المطايا وحط عنهم ثقل الخطايا والعصيان وفازوا بنيل المطلوب وحصول القبول والرضوان (وينشد من كان وكان):

فازوا بنيل الأمانى وأدركوا مطلوبهم ... من الإله وطافوا بالبيت والأركان
وبالمقام تملوا وبالحطيم تمتعوا ... وشاهدوا النور يجلى فيه بكل مكان
طوبى لهم إذا نالوا مرادهم لما سعوا ... بين الصفا والمروة فى طاعة الرحمن
يا بالغين مناهم وفائزين بحجهم ... بشراكمو قد أدركتم كل الرضا بأمان
فزتم بما أملتم والله عنكم قد عفا ... عن كل ما قد فعلتم فى سالف الأزمان

وقال الشبلى رحمه الله: الحج حرفان حاء وجيم فالحاء من الحلم والجيم من الجرم والإشارة فيه كأنه يقول يا رب أتيتك بجرمى وجفائى إلى حلك ورحمتك فإن لم تغفر لى جرمى فمن يغفر لى: إخوانى ما كل مسافر حاج ولا كل جبل عرفات ولا كل بيت مكة ولا كل زاد يوصل. إخوانى سار الأحباب فى ليل العزم وتمتم وربحوا فى معاملتهم وما غنمتم وتفكرتم ندمتم:

إذا ما دعا داع إلى البيت والحجر ... أجابته أجفان مدامعها تجرى
ولى كلما سار الحجيج إلى منى ... حنين وأشواق تجل عن الحصر
فجسمى مقيم فى الديار ومهجتى ... بخفيف منى مع كل ركب له يسرى
اعلل بالصبر الفؤاد وإن دنا ... أو أن مسير الركب لم يغننى صبرى

واذكـر أهوال الـطـريـق وأجرهـا	فيسهـل عندى ما أخاف من الـعسر
وإن خفت مـن فقر تقول عـزيمتى	تقـدم فكم بـالفجـر فاز أخو فـقر

وقيل ثلاثة لا ترد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمريض حتى يعافى والحاج حتى يقدم.

(وقيل) من توضأ فـأحسن الوضوء ثم أتـى الركن اليمانـى ليستلمـه خاض فى الرحمة فإذا استلمه وقال بسم الله والله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله غمرته الرحمة فإذا طاف بالبيت كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة.

(إخوانى) اغتنموا هذه الفوائد والربح فمن اجتهد وجد.

(إخوانى) من أوقد مصباح الذكر لاحت له الأعلام، ومن تغرب فى بادية الشوق ظهرت له الخيام:

إذا ما الخـيام الـبيض لاحـت لشـيق	فـعـرج فـإنـا بـعـدهـا بـقـلـيـل
ترانا على الأطناب صرعى من الهوى	نـكفـكـف دمعـا لافـتقـاد خـليـل
وكـم إنـة أردفـتـهـا بـتـحـسـر	وكـم عـبـرة أتـبـعـتـهـا بـعـويـل
قـفوا وانـظـروا ذلى وعـز مـعذبـى	تـروا عـجـبـا من قـاتـل وقـتـيـل

وسئل ابن عباس رضـى الله عنهما عن الحكمة فى أفعال الحـج وما فى المناسك الشريفة مـن المعانى اللطيفة فقـال ليس من أفعال الحج ولوازمه شىء إلا وفـيه حكمة بالغة ونعمة سابغة ونبأ وشأن وسر يقصر عن وصفه كل لسان فأما الحكمة فى التجرد عند الإحرام فإن مـن عادة الناس إذا قصدوا أبواب المخلـوقين لبسوا أفخر ثـيابهم من اللباس فكأن الحق سبـحانه وتعالى يقول القصد إلى بابى خـلاف القصد إلى أبوابهم لأضاعف لهم أجرهم وثوابهم وفيه أيضا أن يتـذكر العبد بالتجرد عند الإحرام التجرد عن الدنيا عـند نزول الحمام كما كان أولا لـما خرج من بطن أمه مجردا عـن الثياب، وفيه شبه أيضـاً بحضور الموقف يوم الحساب كمـا قال الله تعالى: **﴿إن الله لا يظـلم مثقال ذرة... ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾**.

تجرد عن الدنيـا فإنك إنمـــــا	خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد
وتب من ذنوب وموبقات جنيتها	فما أنت فى دنياك هذى مخلد

وأما الاغتسال عند الإحرام فلحكمة ظاهرة وهو أن الله تعالى يريد أن يعرض الحجاج على الملائكة ليباهى بهم الأنام فلا يعرضون على الملائكة الكرام إلا وهم مطهرون من الأدناس والآثام، وفيه أيضاً حكمة أخرى وهى أن الحجاج يضعون أقدامهم على مواضع أقدام الأنبياء الأبرار فيكونون قبل ذلك قد اغتسلوا لينالوا بركتهم كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾.

تطهر من الذنب يا مذنب	إذا شئت من بابه تقرب
وكن راضيا بالذى يرتضى	فإن رضا الحب يستعذب

وأما الحكمة فى التلبية فإن الإنسان إذا ناداه إنسان جليل القدر أجابه بالتلبية فكيف بمن ناداه مولاه الملك العلام ودعاه إلى جنابه ليكفر عنه الذنوب والآثام وإن العبد إذا قال: لبيك يقول الله تعالى: ها أنا دان إليك ومتجلى عليك فسل ما تريد فأنا أقرب إليك من حبل الوريد.

عبد دعاه لقربه مولاه	فأجابه باللطف حين دعاه
وأتى يلبيه بفرط تذلل	يا فوزه بالربح إذا لباه

وأما الحكمة فى الوقوف بعرفة وأخذ الجمار من المزدلفة فإن فيه أسرار لذوى العلم والمعرفة فمعناه كأن العبد يقول سيدى حلت جمرات الذنوب والأوزار وقد رميتها فى طاعتك بالإقرار إنك أنت الكريم الغفار:

إليك من هجرك أبغى الفرار	وأنت ما زلت مقيل العثار
فاغفر لعبد راح فى قلبه	من ألم الأوزار وقد الجمار

وأما الحكمة فى الذكر عند المشعر الحرام وما فيه من الأجورالعظام فكان الحق تعالى يقول: «**اذكرونى أذكركم من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملإ خير من ملئه فإذا ذكرتمونى عند المشعر الحرام ذكرتكم بين ملائكتى الكرام وكتبت لكم توقيع الأمان من حلول الانتقام**».

ذكرتك يا سؤلى وغاية مقصدى	وأنت لنا يا سيدى خير ذاكر
فجد بقبول منك أرجو به المنى	فذكرك فى قلبى وسرى وخاطرى

وأما الحكمة فى حلق الرأس بمنى ففيه حكمة وذلك أن فيه يقظة وتذكير لا يفهمه

إلا من كان عالما نحريرا لأن الحاج إذا وقف بعرفة وذكر الله عند المشعر الحرام وضحى بمنى وحلق رأسه وطهر بدنه من الأدناس والآثام كتب الله عز وجل له ثوابا وضاعف له أجورا ووقاه جحيما وسعيرا وجعل له بكل شعرة يوم القيامة نورا كما قال تعالى فى كتابه المكنون **﴿محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾** .

إلى بابكم أسعى وإنى مقصر فقيراً إليكم فارحموا ذلة العبد
فإن تطردونى ليس لى غير بابكم وإن أنتمو عنى رضيتم فياسعدى

وأما الحكمة فى الطواف فإن الطائف بالبيت يقول بلسان حاله عند دعائه وابتهاله: سيدى أنت المقصود وأنت الرب المعبود أتيت إليك مع جملة الوفود، وطفت بيتك المشهود وقمت ببابك أرجو الكرم والجود وقد سبق خطابك لخليلك الأمين فى محكم كتابك المبين: **﴿وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾** .

بسجود الجباه فى الأرض ذلا بطواف الحجاج عند القدوم
جد علينا بتوبة يا إلهى ثم فرج عنا جميع الهموم

وأما الحكمة فى الوقوف بعرفات فإن فيه تنبيها وتذكيرا بالوقوف بين يدى الحق سبحانه وتعالى يوم القيامة حفاة عراة مكشوفى الرؤوس واقفين على أقدام الحسرة والندامة يضجون بالبكاء والعويل ويدعوهم مولاهم دعاء عبد ذليل كما قيل:

وقفت بالذل فى أبواب عزكمو مستشفعا من ذنوبى عندكم بكمو
أعفر الخد ذلا فى التراب عسى أن ترحمونى وترضونى عبيدكمو
فإن رضيتم فيا عزى ويا شرفى وإن أبيتم فمن أرجوه غيركمو
لا بلغ الله عينى طيب رؤيتكم إن طاب للسمع يوما غير ذكركمو
إن مت فى حبكم شوقا فيا شرفى ويا سرورى بموتى فيكوا بكمو
وإن نويت اصطباراً عن محبتكم عدمت طيب مسراتى بأنسكمو
نسيت كل طريق كنت أعرفها إلا طريقا يؤدينى لربعكمو
أنا المقر بذنبى فاصفحوا كرما فبانكسارى وذلى قد أتيتكمو
لا تطردونى فإنى قد عرفت بكم وصرت بين الورى أُدعى بعبدكمو

فلله در أقوام دعاهم مولاهم إلى البيت العتيق فأجابوا داعى الوجد والتشويق، وساروا إليه مشاة على قدم التصديق وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق:

ما أشوقنى إلى نسيم الرند يشفى سقمى إذا أتى من نجد
والشيح فإنه مثير الوجد شوقى لهم ووجدى وجدى

قال على بن الموفق رحمة الله تعالى عليه: حججت إلى بيت الله الحرام فطفت به أسبوعا[1] وقبلت الحجر الأسود وصليت ركعتين واستندت إلى جدار الكعبة وأنا أبكى وأقول: كم أتردد إلى هذا البيت وأحضر ولا أدرى هل قبلت أم لا ثم غلبتنى عيناى فنمت نوماً خفيفا فبينما أنا بين النائم واليقظان إذا سمعت هاتفا يقول: يا على بن الموفق قد سمعنا مقالتك أفتدعو أنت إلى بيتك إلا من تحب :

الناس بطيب وصلهم قد سعدوا | وأنا المضنى بهجرهم منفرد
هم ما وجدوا بحبسى ما أجد | ما جن بحبهم جنونى أحد

وقيل وقف بكر ومطرف بعرفات فلما عج الحجيج بالبكاء والضجيج بكى بكر وقال: ما أحسنه من مقام لولا أنى فيهم وقال مطرف وقد تغير وجهه اللهم لا تردهم من أجلى.

ما ضر ريح الصبا لو نسمت حرقى | واستنفدت مهجتى من أسر أشواقى
داء تقادم عندى من يعالجه | ومن يكون لهم من هجرهم راقى
تمضى الليالى وآمالى مقسمة | ممن أحب على مطل وإملاق
واضيعة العمر لا الماضى انتفعت به | ولا حصلت على شىء من الباقى

ويروى عن محمد بن المنكدر أنه حج ثلاثة وثلاثين حجة فلما كان آخر حجة حجها قال وهو بعرفات: اللهم إنك تعلم أننى قد وقفت فى موقفى هذا ثلاثة وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضى والثانية عن أبى والثالثة عن أمى وأشهدك يا رب أنى قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفى هذا ولم تتقبل منه فلما نزل بالمزدلفة نودى فى المنام: ابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم والجود إن الله تعالى يقول لك وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألفى عام.

مذ تجلى لنا أنار الوجودا | مانح يمنح المحبين جودا
ودعا أمة الغرام إليه | فأتاه أهل الوفاء وفودا
وأتى المذنبون ما بين باك | خدد الدمع من جواه خدودا
ثم نادوا يا دائم الجود يا من | لم يزل محسنا كريما ودودا
أنت قدما وعدت من تاب بالعفو | وها قد جئناك نرجو الوعودا
سمعوا القول قد محونا الخطايا | ورحمنا المهجور والمطرودا
وجبرنا بالعفو كل كسير | كان قدما يشكو الجفا والصدودا

(١) أى سبعة أشواط.

وعن على بن الموقد رحمة الله عليه قال: حججت فى بعض السنين فنمت بين مسجد الخيف ومنى فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فقال إحداهما لصاحبه: يا عبد الله أتعلم كم حج بيت ربنا هذه السنة قال لا قال ستمائة ألف وقبل منهم ستة أنفس ثم ارتفعا فى الهواء فقمت وقلت واخيبتاه أين أكون أنا فى هذه الستة أنفس، فلما وقفت بعرفة وبت بالمزدلفة رأيت الملكين قد نزلا من السماء على عادتهما فسلم أحدهما على الآخر وقال يا عبد الله أتدرى ما حكم ربك فى هذه الليلة قال لا قال فإنه وهب لكل واحد من الستة المقبولين مائة ألف وقد قبلوا جميعا، قال فانتبهت وبى من السرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى إذ قبل الحجاج جميعهم ومنحهم برا وجودا ولم يجعل منهم شقيا ولا محروما ولا مطرودا :

قل للذى ألف الذنوب وأجرما	وغدا على زلاته متندما
تيأسن من الجميل فعندنا	فضل ينيل التائبين تكرما
يا معشر العاصين جودى	وتوبوا ودونكم المنى والمغنما
لا تخشوا من قبح ذنب سالف	إنى أحب بأن أجود وأرحما

وقيل إن رابعة العدوية رحمة الله عليها حجت إلى بيت الله الحرام حافية تمشى على الأقدام وتؤثر بما يفتح الله عليها من الطعام فلما وصلت إلى الكعبة خرت مغشيا عليها فلما أفاقت وضعت خدها على البيت وأنشدت تقول:

هذه دارهم وأنت محب	ما بقاء الدموع فى الآماق

ثم إنها طافت وسعت، فلما أرادت الوقوف بعرفة، حاضت فبكت وقالت: يا سيدى ومولاى لو وقع لى هذا من غيرك لشكوته إليك فكيف قد وقع لى منك؟! فسمعت هاتفا يقول: يا رابعة قد قبلنا الحجيج كلهم من أجلك وجبرناهم لأجل كسرك:

أقام الهوى العذرى فيكمو عذرا	فمن أجل ذا لم أستطع عنكمو صبرا
وأصبحت مشغوفا أتيه على الورى	وأوسع من قد لامنى فى الهوى عذرى
فإن كنت أصغى للعذول فعاذر	على أنه بالحال من غيره أدرى
ولى قمر فى أرض نجد محله	على أنه قد أخجل الشمس والبدرا
ولما تبدى حسنه وجماله	ولاح لعينى نور طلعته الغرا
وهبت له روحى وقلت لك الحشا	محلك يا من حسنه حير الفكرا

إذا قال يـا عبـدى أقول ذكـرتنـى / وسمـيتـنى عبـدا وشرفـتنـى قدرا
ومن أنـا يا مولاى حـتى ذكرتـنى / لقـد تم إسعادى وذا أول البـشرى
فيارب بـالهادى البشيـر الذى رقى / على ذروة الأفلاك فى لـيلة الإسرا
وأرسـلتـه فـينـا بشـيـرا ومنـذرا / وما زال فـى يوم المعـاد لنـا ذخرا
أذقنـا جميـعاً بـرد عفوك واهـدنا / إلى خيـر أسباب بها نغـنم الأجرا
وشفـعه فينـا من ذنوب تراكـمت / وقد أثقلـت منا الكواهل والـظهرا
نـبى لـه فى المـعـجزات خـوارق / تحيـر فى إدراكها الـعقل والفـكرا
فضـائل لـو أن الورى كلـفوا بـها / بيانا وحصرا ما أطـاقوا لها حصرا
علـيه سـلام الله ما همـت الصـبا / وما حملت من طيـبة للورى نشرا

*****

المجلس التاسع فى فضائل الكعبة التى شرفها الله تعالى جعلنا الله وإياكم من القادمين عليها فى هذا العام ومن الفائزين بزيارة قبر نبيه محمد عليه الصلاة والسلام

الحمد لله الذى أرشد العقول إلى توحيده وهداها وجعل توحيدها سبباً للنجاة فى سفينة السلام وقال الموحد **﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾** فاتصلت بمحبوبها وظفرت بمطلوبها ومناها فطابت لما دعاها أشهدها عجائب حكمته وأراها آثار قدرته فى أرضها وسماها فالأفـلاك بمشيئته سخرها والأملاك بـإرادته دبرها عندما براها، فسـبحانه من ملك عظيم أزليته كأبديته لا تنفد ولا تـتناهى، وأحديته كأزليته لا تماثل ولا تضاهى، إله رفع السـماء بغير عمد وبـحسن الإتقان بناهـا، وبسط الأرض على الماء بحـكمته ودحاها، وجـعل الكعبـة البيت الحرام أشـرفها بقـعة وأعظمهـا رفعة وأكثرهـا بركة ووجاهة وجاها، ودعا إليهـا نفوس أهل مجالسته ففازت بمؤانسته وصـفا عيشها عند الصفا لما صفاها، وهـيمها فى أودية وجدها عندما رفع عنها حـجاب بعدها إلى مقام قربه رقاها، وزمزم لها مزمزم الشوق عند زمـزم ومن رائق زلاله سقاها وألبسها خلع التكريم عند الحطيم فحط عنها كل ذنب عظـيم وعفا عن زللها وخطاياها، فلا انتهى الزوار من جميع الأقطـار نادتهم بلسان حالها وقد رفعت الأستـار عن جمالها وأبدت نورها وسناها إلىَّ يا عشاق حسنى:

فـهـذا الـوقت وقـت لا يـضـاهـا فـكأس وصـالـهـا قد دار صـرفـا
وشمس جمالها أبـدت سناها وقالت تمـلوا تـروا بجـنابـنا عـزا وَجاهـا
فأيـن يصـاب مثل عـروس حسـنى ومـا فى الـكون مـعشـوق سواهـا
وقـد سـعـدت عـيـون قـد رأتـهـا وقـد شـقـيـت عـيـون لا تـراهـا

فسبحان مـن شرف الكعبة البيـت الحرام وخصها بالإجلال والإعظـام واصطفاها وجعلها حمى مباحا وجنابا رحبا لمـن قام حول حماها وحرما آمنا لمن دخل إليه ووفى ما عليه وهى التى هاجر منها الحبيب وما هـجرها ولاقلاها، وما انقلب قلبه إلى قبلة سواها حتى أنزل عليه فـى آيات سمعها وتلاها **﴿قد نرى تقلب وجـهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾**.

فَوَلِّ وجهك الحسن المـفدى إليها حيثـمـــا كنــت تجـــاها
فـإنَّ أبــاك إبـراهـيـم قــدمـا لأجـل رضاك حـقا قـد بـناهـا
وإسـماعـيـل طاف بـهـا ولبـى وطـهـرهــا لمـشـتـاق أتــاهـا
هـو البـلـد الأمـين وأنت حـل فـطـأهـا يـا أمـين فـأنـت طـه
ووجه حـيث كـنت أذن إلـيهـا ولا تـعـدل إلـى شـئ سـواهـا
فـوجـه الله قـبــلـة كـل حـى لمن شـهد الحـقيـقة واجـتلاهـا
وهـذا الـبـيت بـيـت الله فـيـه تسـر النـفس إذ بـلغـت منـاها
وهـذا الحجـر والحجـر المفـدى وزمـزم والحطـيـم ومـا زهاهـا
فـهـل عنـد مـشـهـده كفـاحـا وزمـزم عـنـد زمزمـه شـفـاهـا
فـيا حـجاج بـيـت الله طوفـوا بـكـعـبـتـه ولـبـوا فـى ذراهـا
فـطوبـى ثم طـوبى ثـم طوبـى لنـفس فـى منى بـلغـت منـاها
فـقـل للـنـاسـكـين بكـل فـج لـكـم ثـج وعـج فـى ربـاهـا
فـلا يـجدى سـوى الإخـلاص حقـا ونيـته الـتى فـيهـا نواهـا
وإقـلاع عن الـعـصـيان جـهـر وتجـريد لـنـفسـك عـن هواهـا
وإرفـــاق وإنــــفـــاق وبـــذل لـذى الحاجـات مما قـد عراهـا
وتـقـوى الله أفـضـل كـل زاد لنـفس بـالتـقى عـرفت هـداها
فقـل بلـسان عزمـك فى ربـاها إذا شـاهدت بـالمـعنـى سـناهـا
إلـيـك شددت يـا مولاى رحـلى وجئت ومـهجتى تشكـو جواها
وها أنـا جار بـيتـك يا رجـائى وبـالأسـتـار ممتـسـك عـراهـا

وللجيران والضيفان حق	على الجار الكريم إذا دعاها
إليك شفيعا الهادى المفدى	ومن قد حل جهرا فى حماها
شفيع الخلق يوم الحشر حقا	رسول الله أقوى الناس جاها
عليه من المهيمن كل وقت	صلاة غير منحصر مداها

قوله عز وجل: **﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين* فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾** .

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله **﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾** هى الكعبة وضعها الله تعالى فى الأرض قبلة البيت المعمور، كما روى أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة وحج البيت لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا البيت قبلك بألفى عام قال فما كنتم تقولون قالوا: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فكان آدم عليه السلام يقولها فى طوافه ثم يقول: اللهم اجعل لهذا البيت عمارا من ذريتى فأوحى الله تعالى إليه إنى معمر بيتى من ذريتك بنبى اسمه إبراهيم اتخذته خليلا وإنى لأقضى على يديه عمارته فلما جاء الطوفان فى عهد نوح عليه السلام رفع الله عز وجل البيت إلى السماء الرابعة، وكان من زمردة خضراء وفيه قناديل من قناديل الجنة وأخذ جبريل الحجر الأسود فأودعه فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان مكان البيت خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام فلما ولد إسماعيل وإسحاق أمره الله تعالى ببناء بيت يذكر فيه فقال يا رب بين لى صفته فأرسل الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فسارت معه حتى قدم مكة فوقفت فى موضع البيت ونودى يا إبراهيم ابن على ظلها لاتزد ولا تنقص، فكان جبريل عليه السلام يعلمه وإبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة ذكره ابن عباس وابن شهاب وقتادة وقوله تعالى: **﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾** أى آيات واضحات دالات على توفير الأجور والثواب وقوله تعالى: **﴿ومن دخله كان آمنا﴾** يعنى: آمناً من النار والشرك وقوله عز وجل: **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾** الاستطاعة أن يكون قادراً على الزاد والراحلة وأن يصح بدن العبد وأن يكون الطريق آمنا ثم قال تعالى: **﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾** وقال

رسول الله ﷺ: « **من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات بأحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمنين**» وفى الحديث: «**استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أقل شيء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه**» وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» رواه ابن حبان فى صحيحه.

(وقيل) إن الله تعالى وعد البيت بأن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا كملهم الملائكة وإن الكعبة تحشر يوم القيامة كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفى الحديث: «**إن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وأنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به فيشهد لمن استلمه بحق وصدق**» وكان رسول الله ﷺ يقبله كثيراً وقبله عمر رضى الله عنه وقال: إنى لا أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا إنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لما قبلتك فقال على كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع بإذن الله تعالى قال وكيف قال لأن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء ويشهد على الكافرين بالجحود وهو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ.

(وروى) عن الحسن البصرى رحمة الله عليه إنه قال الصلاة بمكة بمائة ألف صلاة وصوم يوم بها بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف.

يا كعبة الله لى غـــرام	إليك لم يثنه مـــلام
أنت لنا تشفعـــــين	عند حبيب له زمـان
تضاعف الحسنات دوما	فيك وزوارك الكـرام

وجاء فى الحديث: «**أن الله تعالى ينظر فى كل ليلة إلى أهل الأرض وأول من ينظر إليهم أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفاً غفر له ومن رآه مصلياً غفر له ومن رآه مستقبل الكعبة غفر له**».

(**وروى ابن عباس رضى الله عنهما**) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ينزل على هذا البيت كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين**».

(**وروى عن النبى ﷺ**) أنه قال: «**الحجر والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة**» وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: وقف النبى ﷺ على ثنية المقبرة، وليس بها يومئذ مقبرة فقال: «**يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب**» وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام**» وعن جابر عن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذا البيت دعامة الإسلام من يخرج من بيته يطلب هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله تعالى أن يدخله الجنة**» وقوله تبارك وتعالى ﴿**وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾ لأنه خلق قبل الأرض بألفى عام وسمى البيت عتيقاً، لأن الله تعالى أعتقه من أيد الجبابرة فلم يسلط عليه جباراً قط بل كل من قصده بسوء هلك وقال أبو بكر الواسطى: إنما سمى عتيقا؛ لأن من طاف به صار عتيقاً من النار :

طوبى لمن طاف بالبيت العتيق	وقد لجأ إلى الله فى سر وإجهار
ونال بالسعى كل القصد حين سعى	وطاف جهرا بأركان وأستار
ذاك السعيد الذى قد نال منزلة	علياء فى دهره من كل أوطار
وكل من طاف بالبيت العتيق غدا	بين الورى معتقا حقا من النار

وسمى أبو بكر الصديق عتيقا فمن لم يتوجه إلى الكعبة لم تقبل صلاته، ومن لم يشهد بولاية أبى بكر الصديق لم تقبل زكاته.

وعن عبد الله بن أبى سليمان قال: طاف آدم عليه السلام بالبيت سبعا حين نزل على الأرض ثم صلى ركعتين ثم أتى الملتزم فقال: اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى، وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى، اللهم إنى أسألك إيماناً يباشر قلبى، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبنى إلا ما كتبت لى والرضا بما قضيت، فأوحى الله تعالى: يا آدم قد دعوتنى بدعوات

فأستجيب لك ولن يدعو بها أحد من ولـدك إلا كشفت همومه وغمومه وكشفت عنه ضيقه وجعلت الغنى بين عينيه ورزقته من حيث لا يحتسب. وعن أبى صالح عن ابن عباس رضـى الله عنهم قال: لما كان بعد الطـوفان الذى أغرق الله به قـوم نوح رفع البيـت المعمور الذى كـان بناه آدم عليه السـلام إلى السمـاء السادسة أمر الله تـعالى إبراهيم عليه السلام فلم ير له أثر وخفى مكانه فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر البيت الحـرام فى الطول والعرض فيها رأس له لـسان يتكلم وعينان فـقامت على ظهر البيت بحيـاله، ثم قالت: يا إبراهيم ابن على قدرى وحيـالى قال فأخذ إبراهيم عليه السلام على قدرهـا وحيالها فأسس عليها البيت الحرام فذهـبت السحابة ثم بناه حتى فرغ منه فـطاف به أسبوعا[1] فأوحى الله تعـالى إليه أن أذن فى النـاس بالحج، قال: يا رب وما يبلغ صوتى قال: يا إبراهيم عليك النداء وعلينا البلاغ فلما أمر بذلك صعد إبراهيم على جبل أبى قبيس ونادى: يا عباد الله ألا إن ربكم قد بنى بيتا وأمركم بحجـه فحجوه فأسـمع الله عز وجل مـن فى الأرض وأجابه الإنس والجـن والحجر والمدر والشجـر والجبال والرمال وكل رطب ويـابس وأسمع من فى المـشرق والمغرب وأجابوه من بطون الأمهـات ومن أصلاب الرجال كل يقول: لبيك اللهـم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحـمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، فـإنما يحج اليوم من أجاب يومئذ فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج مرتين ومن لبى ثلاثاً حج ثلاثاً ومن لبى أكثر حج بـقدر ذلك وقوله تعالى **﴿يأتوك رجالا وعلى كل ضامر﴾** أى ركباناً على ضمر من طول السفر **﴿من كل فج عميق﴾** أى بعيد غامض:

لما رأيـت منـاديــهـم ألـم بـنـا	شـددت مئـزر إحرامـى ولـبيـت
وقلت للنفـس جدى الآن واجتهدى	وسـاعـدينـى فـهـذا مـا تمنـيـت
لو جئتكم قاصدا أسعى على بصرى	لـم أوف حقـا وأى الحـق أوفيـت

وعن محمد بن كـعب رضى الله عنه عن على بن أبى طـالب رضى الله عنه قال كنت طائفا مع النبى ﷺ بالبيت الحـرام فقلت فداك أبى وأمى ما هذا البيت قال لى: **«يا على أسس الله تعالى هذا البيت فى دار الدنيا كفارة لذنوب أمتى»** فقلت فداك أبى

(١) أى سبعة أشواط.

وأمى ما هذا الحجر الأسود قال: «**تلك جوهرة كانت فى الجنة أهبطها الله تعالى إلى الدنيا لها شعاع كشعاع الشمس فاشتد سوادها وتغير لونها منذ مستها أيدى المشركين**».

(إخوانى) ما كل بيت كعبة ولا كل جبل عرفات ولا كل زاد يوصل. فيامن فاته الحج ولم يجد إليه سبيلا مضى عمره فى اللهو وقد حمل من الذنوب حملا ثقيلا وطلب النجاة فلم يجد وصولا بادر بالحج إلى بيت الله الحرام واجعل نور الإسلام دليلا فقد قال من لا تدركه الأبصار ولا تجد له العقول ولا الأفكار عديلا ولا مثيلا ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**﴾، فطوبى لمن حجه فأدرك ريحاً ومغنما ودخل حرمه الذى هو أمن لمن دخله وحمى أما شاقه الركب إذا سار إلى ذلك الجناب مُيمماً أما أطربه الحادى إذا حدا اسم الحبيب مترنما وغنى بذكره مزمزما:

يا سائقا غنى النياق وزمزم ... أبشر فقد جئت المقام وزمزما
كم كنت تذكرنا منازل مكة ... وتقول إن بها المنا والمغنما
برد بماء سقاية العباس ... ما كابدته طول الطريق من الظما
وهرول بين مروة والصفا ... وادخل إلى الحجر الكريم مسلما
ومقام إبراهيم زره مبادرا ... وبحجر إسماعيل صل معظما
وانظر عروس البيت يجلى حسنها ... للناظرين ولذ بها مستعصما
فهى التى ظهرت فضائلها فلا ... تخفى وهل تخفى سنا قمر السما
لم يلقها الإنسان إلا باكيا ... فرحا بها أو ضاحكا متبسما
والنور من أرجائها لا يختفى ... أبدا وإن جن الظلام وأعتما
ومن العجائب أنها محروسة ... والصيد فيها لا يزال محرما
والطير لا يعلو على أركانها ... إلا ليشفى إذ غدا متألما
يختال فى حلل السواد وبابها ... بالنور دام مبرقعا ملثما
هى كعبة المولى الكريم ... وكلٌ من وافى إليها حقا أن يكرما
يارب قد وقفت ببابك عصبة ... يرجون منك تفضلا وتكرما
ما منهمو إلا ذليل خاضع ... باك عن زلاته متندما
ذا طالب فضلا وذا متنصل ... مما جناه من الذنوب وقدما

قال وهب بن منبه رضى الله عنه مكتوب فى التوراة: إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة سبعمائة ألف ملك من الملائكة المقربين بيد كل وحد منهم سلسلة من ذهب إلى البيت الحرام فيقول لهم اذهبوا فزموه بهذه السلاسل ثم قودوه إلى المحشر فيأتونه فيزمونه بتلك السلاسل ويمدونه وينادى ملك يا كعبة الله سيرى فتقول لست بسائرة حتى أعطى سؤلى فينادى ملك من جو السماء سلى فتقول الكعبة يارب شفعنى فى جيرانى الذين دفنوا حولى من المؤمنين فتسمع النداء قد أعطيتك سؤلك قال فتحشر موتى مكة بيض الوجوه كلهم محرمين مجتمعين حول الكعبة يلبون ثم تقول الملائكة: سيرى ياكعبة الله فتقول: لست بسائرة حتى أُعْطَى سُؤلى فينادى ملك من جو السماء سلى تعطى فتقول الكعبة يارب عبادك المذنبون الذين وفدوا إلىَّ من كل فج عميق شعثا غبرا تركوا الأهل والأولاد والأحباب وخرجوا شوقا إلىَّ زائرين مسلمين طائعين حتى قضوا مناسكهم كما أمرتهم فأسألك أن تشفعنى فيهم وتؤمنهم من الفزع الأكبر وتجمعهم حولى يارب أسألك الشفاعة فى المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والأوزار حتى وجبت لهم النار فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم وأعطيتك سؤلك فينادى ملك من جو السماء ألا من زار كعبة الله فليعتزل عن الناس فيعتزلون فيجعلهم الله تعالى حول البيت الحرام بيض الوجوه آمنين من النار يطوفون ويلبون، ثم ينادى ملك من جو السماء ألا يا كعبة الله سيرى فتقول الكعبة: لبيك اللهم لبيك: والخير كله بيديك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ثم يمدونها إلى المحشر، فسبحان من جعل الكعبة البيت الحرام أمنا على من كان لها من الأنام أهلا وخص بزمزم والمقام من قام بواجبه فرضا ونفلا، اصطفى للمروة والصفا من سعى على أقدام الوفا واستبدل من الجفا وصلا فيالها من عروس حنت إليها النفوس فراح المحبون من حبها أسرى وقتلى ونادى منادى الحبيب بالترحيب أهلا وسهلا:-

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا ... بعروس على المحبين تجلى
لبست خلع الجمال وزفت ... سلبت للمشوق قلبا وعقلا
قد هجرنا الديار والأهل شوقا ... وقطعنا القفار وعرا وسهلا
وأتينا شعثا وغبرا نلبى ... ودموع الأشواق تزداد هطلا

ـم بعنا النفوس بيع سماح ... وعلمنا بأن وصلك أغلى
كم مشوق قد رام منك وصالا ... قبل موت فلم ينل منك وصلا
تحت ظل الأراك أضحى طريحا ... باكى العين عن حماك مخلى
عاقه حظه فعاد حزينا ... وزمان السرور عنه تولى
أى شيء يكون فى الأرض جمعا ... من طواف القدوم والسعى أحلى
والتزام الستور والدمع يجرى ... من سرور وكعبة الله تجلى
رفعت برقع الجمال ونادت ... ألف سهلا بالقادمين وأهلا
قد عفا الله عنكمو وحباكم ... برضاه وزادكم منه فضلا
فاشكروا الله مذ دعاكم إليها ... وأعاد العسير يا قوم سهلا
بادروا الآن للطواف وقدموا ... قد صفا الوقت والحبيب تجلى
ما ترى الصيد عندها كيف يحمى ... وكذا الطير فوقها ما تعلى
عن قريب نسير فى عرفات ... ثم نرمى من المآثم حملا
وينادى بالبشر فينا مناد ... عندما ننظر النهار تولى
قد عفا الله عنكمو ... وحماكم من جحيم بها العصاة أذلا
فانفروا بارك المهيمن فيكم ... واركبوا النجب يا كراما أجلا
فانثنينا عند الصباح جميعا ... نحو وادى منى وأرض المصلى
ورمينا الجمار لما قدمنا ... وأتانا السرور والحزن ولى
وحلقنا الرؤس من بعد نحر ... واتبعنا فعال من كان قبلا
وقضينا مناسك الحج حتى ... عاد ما حرم المهيمن حلا
وشددنا المطى نحو نبى ... أطيب العالمين فرعا وأصلا
أحمد المصطفى شفيع البرايا ... فاز من زار قبره وتملى
فعليه من الإله صلاة ... وسلام على المدى ليس يبلى

*****

المجلس العاشر فى ذكر ما جاء فى البكاء والبكائين من خشية الله تعالى

الحمد لله الذى أبكى عيون الخائفين خوف الوعيد فجرت عيونهم كالعيون وأجرى سحب المدامع من عيون أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فهم من خوف القطيعة يبكون، أخذوا فى النوح والتعديد خوف الوعيد فهم من مكره خائفون جعلوا التقى لهم أفخر لباس فأطار الخوف نومهم والنعاس فهم عندما يفرح الناس يحزنون وقد جعلوا البكاء لهم دأبا والدمع شرابا يقطعون النهار حزنا والليل انتحابا فهم عن البكاء لا يفترون، فسبحان من أضحك وأبكى وأمات وأحيا، وعلم ما كان وما يكون، عاهدوا مولاهم فوجدوه وفيا وعاملوه فوجدوه مليا فهم الذين إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا، قد عفر كل منهم فى التراب وجهه المصون فكلهم فى حضرة الملك الديان يمطرون الدمع من سحائب الأجفان ويخرون للأذقان يبكون، سمعوا ما قيل لأهل الصدق والوفاء إن لم تبكوا فتباكوا فهم من البكاء لا يملون، أقلقهم الخوف فهم سائحون وأحرقهم الوجد فهم هائمون لزموا الحذرفهم فى النهار صائمون وألفوا السهر فهم فى الليل قائمون، دموعهم شرابهم، وصمتهم جوابهم فهم من الفتنة سالمون يبكى كل منهم على زلته وكلهم يخافون سطوته وهم من خشيته مشفقون فسبحان من ابتلى عباده بأنواع الابتلاء من جميع الفنون ولم يعف من ذلك الأنبياء وهم المقربون فآدم عليه السلام بكى أربعين عاما لما أخرج من الجنة وهو أبو البشر وصاحب العرض المصون، ويعقوب عليه السلام بكى على يوسف عليه السلام حتى بيضت عيناه من الحزن وقال لباقى أولاده لما حجبوه عنه ﴿**إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون**﴾ ولما علم إخوة يوسف من أبيهم محض الود له وفرط الحب ألقوه فى غيابة الجب ﴿**وجاؤوا أباهم عشاء يبكون**﴾ وداود عليه السلام بكى أربعين يوما على خطيئته ولم يرفع فيها رأسه إلى السماء من خجلته فنودى يا داود أما الذنب فقد غفرته وأما الود فلا يعود فى الدنيا ولا يكون ولسان الحال يقول من فرط الحزن والشجون:

بكيت من حزنى حتى جرى
لما ألاقى من عيونى عيون

يا سادة أغضبتهم ساهيا
عسى إلى حال الرضا يرجعون

بكيت بالدمع على ما مضى
من زمن ولّى وعيشى مضون

فيا رعى الله ليال مشت بكم
وقرت بلقاكم عيون

رضيت ما يرضاه سيدى
وما أراد الله منى يكون

والله ما استصعبت ما نالنى
فى حبه والصعب عندى يهون

يا هل ترى يرجع عيش مضى
بمن لقلبى فى لقاه سكون

من قبل أن أعصيك يا سيدى
ياليتنى لقيت ريب المنون

لكننى قد تبت
مالى سوى بابك إذ يقصد التائبون

وقد تشفعت بخير الورى
ومن لديه لا تخيب الظنون

صلى عليه الله ما غردت
ورقاء عند الصبح فوق الغصون

قال رسول الله ﷺ: «**ليس شىء أحب إلى الله تعالى من قطرتين قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم تهراق فى سبيل الله**» وقال ﷺ: «**كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله تعالى وعين سهرت فى سبيل الله تعالى وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى**» وكان من دعائه ﷺ: «**اللهم ارزقنى عينين هطالتين يبكيان الدمع من خشيتك قبل أن يكون الدمع دما والأضراس جمرا**»[1].

(إخوانى) يقول الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة: وعزتى وجلال لا يبكى عبد من خشيتى إلا أبدلته ضحكا فى نور قدسى، قل للبكائين من خشيتى: أبشروا فإنكم أول من تنزل عليه الرحمة إذا نزلت. قل للمذنبين من عبادى أن يجالسوا البكائين من خشيتى لعلى أن أصيبهم برحمتى إذا رحمت البكائين. وقال النضر بن سعد رحمه الله: ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله تعالى إلا حرم الله تعالى وجه صاحبها على النار، فإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة يوم القيامة ولو أن محزونا بكى من خشية الله تعالى فى أمة من الأمم لرحم الله تعالى ببكائه تلك

(١) الحديث بهذا اللفظ لا أصل له وإن كان هناك حديث بمعناه ذكره الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء راجع طبعة دار الغد من مراجعتنا.

الأمة. وقال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عـنهما: لأن أدمع دمعة من خشية الله تعالى أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار.

(**إخوانى**) إذا تمكـن الخوف من أرض القـلوب والضلـوع جرت سواقى الـدموع فسقت بسـتان الخشية فأزهر بالـندم وأثمر بالتوبة كـان داود عليه السلام يبكـى الليل والنهار على خطيئته فخلع الفرح ولبـس جلباب الحزن فأسكت الحمام بنوحه وشغلها عن صدحها بصوتـه وأفاق الأفئدة بشجنه وروى العشب من دمـوعه، وكان يقول فى مناجاته: خرجت أسأل أطباء عبادك أن يداووا قلبـى من داء علتى فكلهم عليك دلنى إلهى أمدد عينى بالدموع وضعفى بالقوة حتى أبلغ رضاك عنى:

يـا من تجنبت صبرى من تجنبه	هب لى من الدمع ما أبكى عليك به
حتى متى زفراتى فى تصعدها	إلـى الممـات ودمعى فـى تصـببه
وبى فؤاد إذا طـال الغرام بـه	هـام اشتياقـا إلـى لقيـا مـعذبـه

قال: فما زال يغـسل العين من عين العين ويـستغيث وينادى حتـى أقلق الحاضر والبادى إن شفيـعى إليك منى دموع عينـى وحسن ظنى فبالذى قادنـى ذليلا إليك إلا عفوت عنى. وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله: البكاء من الخوف والاضطراب من الرجاء والشوق. وكان محـمد بن المنكدر رضى الله عنه إذا بكى مسـح وجهه ولحيته بدموعه فقيل له فى ذلك فقال بلغنى أن الـنار لا تأكل موضعا مسته الدموع فابك فى خلواتك على جفواتك. ابك فى لياليك على غيك وتماديك.

بكى وحق له إرسال دمعتـه	عبد تباعد عن مولاه وانتزحـا
سقته لوعته أنواع عبرتـــه	إذ انقضى قدح أهدت له قدحـا
كذا المحب إذ صحت مودته	أيام فرقته لا يعرف الفرحـــا

وقال أبو بكر الكنانى رحمه الله: رأيت فى المنام شابا لم أر أحسن منه فقلت له: من أنت فقال أنا التقوى فقلت له فأين تسكن فقال فى كل قلب حزين بكاء.

وقيل رأى يزيد الرقاشـى فى نومه النبى ﷺ فقرأ عليه فقـال له هذه القراءة فأين البكاء. وقال أحمد بن أبى الحوارى رحمه الله: رأيت فى المنام جارية ما رأيت أحسن منها يتلألأ وجهها بهاء وجمالا فقلت لهـا: ما أنور وجهك فقالت: أتذكر الليلة التى

بكيت فيها من خـشية الله عز وجل قلت نعم قالت حملت إلى دمعـتك فمسحت بها وجهى فصار كما ترى. وحكى عن عطاء السلمى أنه كان كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال: لم لا أبـكى ووثاق الموت فى عنـقى والقبر منزلـى والقيامة موقـفى والخصوم حولى يقولون لى يامراء بيننا وبينك الموقف لفصل القضاء. ولما احتضر عامر بن قيس رحمه الله بكـى فقيل له: ما يـبكيك فقال والله إنما أبـكى على صيام وأجـر الصيف وقيام ليالى الـشتاء. وبكى أبو الشعثاء رحمـه الله عند موته فقيل له ما يـبكيك فقال اشتقت إلى قـيام الليل. وقال إبراهيم بـن أدهم رحمة الله عليه: مرض بـعض العباد فدخلنا عليه نعوده فـجعل يتنفس ويتأسف فقلت له على ماذا تتـأسف فقال على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى: وبكى بعض العباد عند موته فسئل عن ذلك فقال: أبكى بأن يصوم الصائمون ولست فيهم ويذكر الذاكرون ولست فيهم ويصلى المصلون ولست فيهم.

(إخوانى) انظروا إلى هؤلاء السـادات كيف يتأسفون على الفـوت ويندمون على ترك العمل الصالح بعد الموت فاستدرك مـا بقى من عمرك واعلم أنك كما تدين تدان أما تمدون على قبورهـم الدوارس وتعتبروا. أما ترونهم فى قبورهـم قد أسروا يتمنون العود إلـيكم وهيهات ويـسألون التدارك وقد فـات وعظ الزمان من البـاب وكم أنذر المشيب من شبـاب أباد الموت من أتراب وكم فرق بين أحباب أما لك سـمع للمواعظ يسمع أما لك عين عـلى فراق الحبائب تدمع أما لك قلب مـن الخوف يخشع أما لك فى التوبة: إلى الله مطـمـع.

كم رأينا مـن أناس هلكوا ... فبكى أحبابهم ثم بكـــوا
تركـوا الدنيا لمن بعدهـم ... ليتهم لو قدموا ما تركـوا
كم رأينا مـن ملوك سوقـة ... ورأينا سوقة قد ملكـــوا
قلب الدهر عليهم فلكـــا ... فاستداروا حيث دار الفلك

(وقيل) أوحى الله تعـالى إلى شعيـب النبى ﷺ يا شعـيب هل لى من رقـبتك الخضوع ومن قلبك الخشوع ومن عينك الدموع وادعنى فإنى قريب.

(وقيل) بكى شعيب عليه السلام مائة عام حتى ذهب بصره فرده الله تعالى عليه فبكى مائة أخرى حـتى ذهب بصره فأوحى الله تعالى إليه يا شعـيب ما هذا البكاء إن

كان خوفا من نارى فقد أمنتك منها وإن كان شوقا إلى جنتى فقد أبحتك إياها فقال: وعزتك وجلالك يارب ما بكائى شوقا إلى جنتك ولا خوفا من نارك ولكن عقد حبك فى قلبى عقدة لا يحلها إلا النظر إلى وجهك الكريم فقال الله تبارك وتعالى: إذا كان ذلك إلى وجهى لأبعثن إليك عاجلا عبدا من عبادى يخدمك عشر سنين ثم أجعله كليما ببركة مناجاتك.

هل سبيل للتلاقى ... فقد طال اشتياقى
بعد وصل واجتماع ... وحديث واتفاق
قد سقانى البين كأسا ... طعمه مر المذاق
فدموع فوق خدى ... فى انسكاب واندفاق
ليتنى مت ولم ... ألق مرارات الفراق

آه على قلوب أذابها حر الغليل. آه على نفس أفناها البكاء والعويل. آه على جوارح قابلت بفعلها القبيح الفعل الجميل. آه على أكباد لم تتقطع خيفة من الملك الجليل. آه على قلوب لم تتفكر فى يوم الموت والرحيل. آه على جنة عدن وظل ظليلها. آه على شراب من سلسبيل. آه على نعيم نعم مقيل. آه على قلب بالذنوب كسير. آه على سابق إلى الرشد دليل أما آن لك يا مسكين أن تقلع عن هواك. أما آن لك أن ترجع إلى باب مولاك. أنسيت ما خولك وأعطاك، أما خلقك فسواك؟ أما عطف عليك القلوب وبرزقه غذاك؟ أما ألهمك إلى الإسلام وهداك؟ أما قربك بفضله وأدناك؟ أما بره فى طرفة عين يغشاك؟ فقابلت ذلك بالغفلة وركوب الشهوات والمبادرة بالخطايا والزلات فنقضت عهده وعصيت أمره ودمت على إصرار وأطعت هواك وخالفت الجبار. أما آن لك أن تستحى ممن شاهدك على المعصية ورآك. ومع هذا الحرمان والبعد عن مولاك. إن عدت إليه قبلك وارتضاك ،وإن لزمت خدمته قربك وأدناك:

تغسل من الطبع ثوبك ... تخشى من الناس تنظره
وقلبك أضحى أسود ... ما تغسله بمتاب
الناس تنظر ثيابك ... والحق ينظر باطنك
فاغسل ثياب الباطن ... تكتب من الأحباب
يا ناقض العهد ... تعلم بأن ربك مطلع

على فعالك وتخشى … تعلم بك الأصحاب
للهو تخل سرك … وتستلذ مسامعك
وبين قلبك وسمعك … عن الصلاح حجاب
أفنيت في اللهو عمرك … وما ربحت سنا العلى
إلى متى ذى المعاصى … وشعر رأسك شاب
فقم وبادر بتوبة … فنجم عمرك قد أفل
واخلص لمولاك ساعة … من قبل غلق الباب
يا عبدنا كم تعرض … عنا وفى جنح الدجا
ندعوك فى كل ليلة … ولا ترد جواب
وعزتى يا عبدى … لقد أرى من فعلك
ما لو رآه غيرى … ما راسلك بكتاب
لكن أجود بحلمى … عليك علك تنصلح
استرك حين تعصى … وتغلق الأبواب
وبعد هذا تأتى … إلى تائب أقبلك
وأتحفك بالعطايا … فى سائر الأسباب
وإن خشيت الفضيحة … يوم القيامة فالذى
بينى وبينك مختفى … أنسيه للكتاب
فانهض بعزم صادق … وأخلى الخوف باطنك
وقف على باب جودى … تسمع لذيذ الخطاب
وابك ونح وتضرع … وتب وبادر واعتذر
وادع وعفر خدودك … على ثرى الأعتاب

وقال أحمد بن أبى الحوارى رحمه الله: دخلت يوما على أبى سليمان الدارانى فوجدته يبكى فقلت: ما يبكيك فقال يا أحمد لم لا أبكى وقد بلغنى أنه جن الليل وهدأت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه استنارت قلوب العارفين وتلذذت بذكر ربها، وارتفعت هممها إلى ذى العرش، وجرت دموعهم على خدودهم فتقطرت فى محاريبهم خوفا واشتياقا إليه فأشرف عليهم سبحانه ونظر إليهم وناداهم أحبابى العارفين بى اشتغلتم بى ونفيتم عن قلوبكم ذكر غيرى أبشروا فإن لكم السرور والقرب يوم تلقونى، ونادى الخليل جل جلاله يا جبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى وأناخ بفنائى فإنى مطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وبكاءهم وأرى

تقلبهم واجتهادهم فناد فيهم ما هذا البكاء الذى أسمع وما هذا التضرع الذى أرى منكم، هل سمعتم وأخبركم أحد أن حبيبا يعذب أحبابه بالنار؟ أم بلغكم أنى أطرد من لاذ بى واستجار؟ فوعزتى لأبيحنكم دار القرار ولأرفعن لكم حجبى والأستار ولأعوضنكم بدموعكم الفرح والاستبشار ما ناح فى أعلى الغصون الهزار إلا تشوقت لتلك الديار ولا سرى من نحوكم بارق إلا وأجريت الدموع الغزار وأسفى أين زمان الحمى وأين هاتيك الليالى القصار واحر قلباه متى نلتقى وتنطفى من داخل القلب نار وانظر الأحباب قد واصلوا ويأخذ الوصل من الهجر ثار أقول للنفس أبشرى باللقا قد واصل الحب وقر القرار.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يخرج من عينيه دموع من خشية الله تعالى فتصيب شيئا من حر وجهه إلا حرمه الله تعالى على النار**» وقال وهب بن منبه رضى الله عنه سجد آدم عليه السلام على جبل الهند مائة عام يبكى حتى جرت دموعه فى وادى سرنديب وأنبت الله فى ذلك الوادى من دموعه الدارصينى والقرنفل وغير ذلك من الطيب وجعل طير ذلك الوادى الطواويس ثم جاء جبريل عليه السلام فقال له: ارفع رأسك فقد غفر لك فرفع رأسه وأتى الكعبة فطاف بها أسبوعا[1] فما أتمه حتى خاض فى دموعه فيا أيها العاصى تفكر فى حال أبيك وتذكر ما جرى له ويكفيك:

وقال مجاهد: بكى داود عليه السلام أربعين يومًا وهو ساجد لايرفع رأسه حياءً

بكت عينى وحق لها بكاها	على نفسى التى عصت الإلها
ومن أولى بطول الحزن منها	وبالآثام قد قطعت مداها
فلا تقوى تصد عن المعاصى	ولا تخشى الإله ولا تناهى
تتوب من الإساءة فى صباح	وتنقض قبل أن يأتى مساها
وتنكث عهدها حينا فحينا	كأن الله فيه لا يراها
وتبعد عن حقوق الله عمدا	وتبغى دائما ما وجاها

من الله عز وجل حتى نبت من دموعه المرعى وحتى غطى رأسه فنودى يا داود أجائع أنت فتطعم؟ أم ظمآن فتسقى؟ أم عار فتكسى؟ أم ملوم فتنتصر لك؟ فنحب نحبة فهاج ما تم من الزرع فأنزل الله إليه التوبة والمغفرة فقال: يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لغيره حتى يفيض

(١) أى سبعة أشواط.

من دموعه فقال: يارب أما ترحم؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود نسيت خطيئتك وذكرت بكاءك فقال: إلهى كيف أنسى خطيئتى وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء عن جريانه وسكن هبوب الريح وأظلتنى الطير على رأسى وأتت الوحوش إلى محرابى: إلهى وسيدى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ذاك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية، يا داود آدم خلق من خلقى خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى، وتوجته بتاج وقارى وشكا إلىَّ الوحدة فزوجته حواء أمتى وأسكنته جنتى فعصانى فأخرجته من جوارى عريانا ذليلا حائراً لا يدرى أين يذهب فظل يبكى أربعين عاما ولو وزنت دموعه لعدلت دموع الخلائق:

بكت عينى على ذنبى	وما لاقيت من كربى
فيا ذلى ويا خجلى	إذا ما قال لى ربى
أما استحييت تعصينى	ولا تخشى من العتب
وتخفى الذنب من خلقى	وتأبى فى الهوى قربى
فتب مما جنيت عسى	تعود إلى رضا الرب

كان فتح الموصلى رضى الله عنه يبكى الدموع فلما مات رؤى فى المنام فقيل له: ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وقال لى يا فتح هذا البكاء لماذا قلت يارب على تخلفى عن واجب حقك، قال فلم بكيت الدم قلت يارب خوفا على دموعى ألا تصح لى قال يا فتح ما أردت بذلك كله قلت يا سيدى أردت بذلك وجهك الكريم فأرنيه واصنع بى ما شئت فقال وعزتى وجلالى لقد صعد إلى حافظاك منذ أربعين سنة بصحيفتك وليس فيها خطيئة واحدة فلألبسنك لباس التكريم ولأمتعنك بالنظر إلى وجهى الكريم :

فإذا جلا ذاك الجمال عليهم	جهرا أفاق الصب من غمراته
مولى إذا العشاق حار ذليلهم	وجدوا الهدى والرشد فى آياته
ما فى جميع الكون إلا عاشق	ومولـه فى حسنه وصفاته

هؤلاء والله هم الخواص من العبيد وصفوة الملك المجيد السابقون إلى المقصود والمتنزهون فى حضرة شاهد ومشهود فكيف حالك أيها الشقى المطرود نح على نفسك وابك بكاء من أصبح عن الجناب وهو مبعد مطرود:

دع المفرط يبكى عسى المدامع تنفعه ... فالدمع لا شك أشفى لقلبى المكمود
أنا الشقى المفرط قد ضاع عمرى فى الهوى ... وقد شقيت بفعلى ورأيى المفسود
من للمفرط إذا ما رأى الحبايب واصلوا ... أحبابهم وهو عنهم دون الورى معبود
يا غارقا فى المعاصى قد ضل عن طريق الهدى ... إلى متى يا معنى تبارز المعبود
انظر عبيد الطاعة كيف استنار قلبهم ... قوم يبيتون ركعا لربهم وسجود
قاموا وصاموا وداموا واستوهبوا مليكهم ... جميع ما قد أرادوا وحصلوا المقصود
قوم أطاعوا المولى وشمروا واستيقنوا ... بأن ما ذى الدنيا للمرء دار خلود
ما تستحى من ربك تأتى غدا يوم الجزا ... الخلق بيض الصحايف وأنت صحفك سود
تقدر بأنك تجحد وأن حالك يختفى ... استيقظ إن كنت نايم ماذاك يوم جحود
أملاك ربك تكتب جميع ما تفعله ... وكل أعضاك تنطق وهم عليك شهود
واخجلتى من وقوفى وقت عرضى للقضا ... وقد تسود كتابى فى المنظر المشهود
هناك تبدو الفضايح ينتظروا ما قد جنوا ... وعند ذلك يبين الشقى من المسعود
فكم ترى ذا شيبة تسحبه الزبانية ... وكم فتى بالزلة والمعصية مطرود
وكم وجوه تقلب فى النار مع خزانها ... وكم جلود تبدل من حرها بجلود
وليس ينجى الخلائق من هول ما قد شا ... هدوا إلا الذى بالشفاعة من ربه موعود
رسول رب البرايا المصطفى الهادى الذى ... يسقى عطاش الأمة من حوضه المورود
صلى عليه البارى ما سارت النوق فى الفلا ... وما سرت كل عام إلى حماه وفود

*****

المجلس الحادى عشر فى فضائل الفقراء رضي الله عنهم

الحمد لله الذى جعل الأولياء صفوة خلقه فهم إلى لقائه يتأهبون تسلوا بالصلوات عن الشهوات وبحلاوة التلاوة عن اللذات فحبه فى قلوبهم مصون صفحات وجوههم تنبيك عن أنوار قلوبهم فبنور جمال جلاله يعرفون مسك أنفاسهم قد غطوا الكون فهم فى خيمة العزلة يتكتمون ونسيم السحر يحمل ذلك العطر فله الخلائق يستنشقون فلو ذاق الملوك قطرة من شرابهم لكانوا للدنيا يطلقون وإذا ترنموا بكلام الحبيب رأيتهم صحاة سكارى يغيبون ويحضرون، وإذا هاج شوقهم هاموا فى الجبال فلو رأيت أحدهم لقلت إنه مجنون وإنما هو بحب مولاه مفتون فالجبال أوتاد الأرض وهم أوتاد الجبال يسلم عليهم الجبل، وتستأنس بهم الوحوش وبهم البهائم يتبركون، تتوسل بهم الأشجار وتصافحهم نسمات الأشجار وتحرق أنفاسهم الشياطين فلا يصلون إلى

سجادة أحدهم ولا يتقربون تعرض الدنيا كنوزها عليهم فلا يميلون إليها ولا يلتفتون يفتخر الجبل على الجبل بوطء أقدامهم ويصير ترابه كحلا للعيون، وصحائف أعمالهم الظاهرة إذا صعدت بها الملائكة المقربون تتعطر بطيبها السموات وأما سرائرهم فلا يطلع عليها الكروبيون ولا الروحانيون وإنما الحق جل جلاله يقول ما عندكم سواى فأنا الحبيب وأنتم المحبون تحزن الدنيا على فراقهم والجنة من شوقها إليهم تسأل الله تعالى متى عليها يقدمون وفى غرفها ينزلون وبكاساتها يشربون وبحورها يتمتعون ولوجه الكريم ينظرون فهذه مقاماتهم فما ادخرتم أيها المقصرون لمثل هذا فليعمل العاملون:

أنتم بقلبى أيها الراحلون	جودوا بعود أيها الغائبون
متى أرى أشخاصكم فى الحمى	وأجتلى ذاك الجمال المصون
متى أنادى عندنا تقدموا	أهلا وسهلا أيها القادمون
يا جيرتى الحى وحق الذى	صير صبرى عنكمو لا يهون
إن غرامى واشتياقى بكم	زاد إلى أن قيل عنه جنون
وما تعوضت بديلا بكم	وذاك شىء فى الهوى لا يكون
نحن المسيئون ومن ذنبنا	إليك يارب الورى تائبون
فلا تؤاخذنا بأفعالنا	إنا على أنفسنا مسرفون
قد مسنا الضر ولا راحم	سواك يا من لا تراه العيون
لا نشتكى إلا إلى راحم	يطمع فى رحمته المذنبون

قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الحرف ثلاث الفقر والعلم والزهد**»[1]. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله ما الفقر قال «**خزانة من خزائن الله**» ثم قال الثانية ما الفقر يا رسول الله قال: «**كرامة من كرامات الله**» ثم قال الثالثة ما الفقر يا رسول الله قال: «**شىء لا يعطيه الله تعالى إلا الأنبياء أو كريما على الله عز وجل**» وقال رسول الله ﷺ: «**الفقير هو الذى لا يعلم الناس بجوعه ومرضه وخلق الله تعالى الخلق من طين الأرض وخلق الأنبياء والفقراء من طين الجنة فمن أراد أن يكون فى عهد الله فليكرم الفقراء**».

وقال رسول الله ﷺ: «**للجنة ثمانية أبواب سبعة منها للفقراء وباب منها للأغنياء وللنار سبعة أبواب ستة منها محرمة على الفقراء حل للأغنياء وباب منها**

(١) لا حقيقة له وقد استعاذ ﷺ من فتنة الفقر وحرارة الجوع فإنه بئس الضجيع.

للفقراء»[1].

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال: أيها الناس لا تحملنكم العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حله فإنى سمعت النبى ﷺ يقول: **«اللهم توفنى فقيراً ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين»** وقال النبى ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى ينظر من هذه الأمة إلى العلماء والفقراء فالعلماء ورثتى والفقراء أحبابى»**[2] وعن شقيق الزاهد رضى الله عنه أنه اختار الفقراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب:

طيبوا فلذات الهوى فى الشجون	ولم يزل سر هواكم مصون
يا فقراء الحب قوموا اشهدوا	حسن حبيب عنه لا تحجبون
فى حضرة فيها لكم كل ما	تهوون من فوز وما تشتهون
قد خصكم فيها برضوانه	وروضة أنتم بها تحبرون
وقد صفا الوقت لكم فاشربوا	كأسا وساق حسنه تشهدون
فى جنة دانية المجتنى	قطوفها قد ذللت والغصون
أنهارها تجرى بنيل المنى	وكم بها قد فجرت من عيون
هذا هو الملك وهذا العطاء	وغير هذا مثله لا يكون

قال بعض السلف والدليل على فضل الفقراء قول الله تبارك وتعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعنى أقيموا الصلاة وأدوا الزكاة إلى الفقراء فقرن حق الفقراء بحق نفسه ويقال الفقير طبيب الغنى وقصاره ورسوله وحارسه وقيل هو طبيبه لأن الغنى إذا مرض يتصدق على الفقير فيدعو له فيبرأ من مرضه ويطهر ماله وإنما قيل هو رسوله لأن الغنى إذا تصدق على الفقير بصدقة عن والديه أو عن أحد أقاربه فيصل ذلك إلى الموتى فصار الفقير رسوله وإنما قيل هو حارسه لأن الغنى إذا تصدق على الفقير فدعا له تحصن مال الغنى بدعائه:

قوم همو فى الدجا للناس أقمار	وهم لمن هجر الأوطان أنصار
وأين حلوا يحل الخصب ساحتهم	كأنهم مثل ما قد قيل أمطار
صفوا فلا غرو أن تصفو مشاربهم	وفى المصافاة للعشاق أسرار

(١) لا حقيقة له فى الكتب التى اطلعنا عليها.

(٢) لا أصل له وإن كان معناه صحيحا.

ويروى عليـل الصبا عنهم صـحيح مر ... ى من الـشذا فهو نـقال ومعـطار
هم الـعيون فـإن تبـصر هدى فـهم ... وفى الـهدى ليس بـعد العـين آثار
سلهم وسل عنهمو إن كنت ذا وطر ... فـعنـدهم لـذى الحـاجات أوطـار
وانعـم إذا كنت تـهواهم بـعيشـهم ... واصحبـهمو إن نأت يومـا بك الدار
واحلل بسـاحتهم تسعـد فهم عرب ... يحمـو النزيل ولا يؤذى لـهم جار

(وحكى) أنه لما مات ثابت الـبنانى رحمه الله ودفن وسوى عليـه اللبن انكسرت لبنة قال جعفـر بن الحسين رحمه الله: فمددت يدى لآخذها عن الـلحد فلم أجده فى لحده فتحيرت ولم أخـبر بذلك أحداً وبقيت أفكر فى ذلك حتى أتـيت منزله وعزيت ابنته وسألتها عـما كان يكثر من القول والدعاء فقالت: كنت أراه يـبكى كثيراً ويقول: **﴿رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين﴾** فقلت قد استجاب الله تعالى دعاء الشيخ وقيل لما مات ودفن قيل له من ربك وما دينك فسمعوا هاتفا من قبره يقول:

ولـو ناديـتـنى مـيـتا لـبيـتـك مـن قبـرى ... ولو فتشت فى سرى وجدت اسمك فى صدرى
رجائى فيـك مدخور لـيوم البـعث والنـشر ... ومـا أبـدى وما أخـفـى مـن الإعلان والـسـر
فانـتم سـادتى أدرى بـه والغـير لا يـدرى ... وها أنـا رهن عـفوكـمو ليـوم الحشـر والنـشر

وقال بعض السلف رضـى الله عنهم: رأيت شابا فى سفح جبل عـليه آثار القلق يبكى فقلت له: من أنت يرحمك الله قال عـبد آبق من مولاه فقلت يعود ويعتذر قال العذر يحتاج إلـى إقامة حجة فكيف يعتذر المـقصر قلت يتعلق بمن يـشفع له قال كل الشفعاء يخافون منه قلت فمن هو قال مولى ربانى صغيرا فعصيته كبيرا فواحيائى منه حين ألقاه من حسن صنعه وقبح فعلـى ثم صاح وخر ميتا، فخرجت عجوز وقالت: من أعان على قتل البـائس الحزين فقلت أقيم عندك حتى أعينك عـلى تجهيزه فقالت خله ذليلا بين يدى قاتله عسى يراه ذليلا فيرحمه:

حاشـاك تكسر قـلبا أنت جـابره ... أو يشتكى خـذلا من أنت ناصره
أنت العزيز وذلى فيك يشفع لى ... من عظم ذنب وجـرم أنت غافره
يا سيدى عبدك المسكين ليس لى ... سواك من شـؤم قبح أنت سـاتره
يلقاك فى الحشر بالسر المصون ولم ... ينس الـوداد ولا خانت ضمـائره
ولا يشتكى وحشـة من أنت مؤنسه ... ولا يـخيـب عـبـد أنت ذاكـره
فأول العـمر قد ضيعـت وأسفا ... عطفا على مـا بقى قد حان آخره

قال يوسف بن الحسين رحمه الله: كنت قاعدا عند ذى النون المصرى رحمه الله وحوله الناس وهو يتكلم عليهم والناس يبكون وشاب يضحك فقال له ذو النون: مالك أيها الشاب الناس يبكون وأنت تضحك فأنشد يقول:

كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة حظا جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيضحو ... فى رياض ويشربوا سلسبيلا
ليس فى النار والجنان مرامى ... أنا لا أبتغى بحبى بديلا

فقال له ذو النون فإن طردك فما تصنع فأنشأ يقول:

فإذا لم أجد من الحب وصلا ... رمت فى النار منزلا ومقيلا
ثم أزعجت أهلها ببكائى ... حيث عذبت بكرة وأصيلا
قائلا والغرام حشو ضلوعى ... حيث لم ألتقى لفوز سبيلا
معشر المذنبين نوحوا على من ... لم يجد للوصال منهم وصولا
عذبونى أو اعتقوا كل ما فيه ... به رضاكم وجدته مقبولا
إن أكن بالذى ادعيت محقا ... فعسى نظرة تعيد الجميلا
أو أكن كاذبا ودعواى زور ... فأجازى به عذابا طويلا

فهتف هاتف يقول: ياذا النون هكذا يكون المخلصون فى حبهم لربهم يحبونه فى السراء والضراء ويشكرونه على النعماء والبلاء.

أهل الصلاح وأهل البر قد سعدوا ... لما لمولاهمو دون الورى قصدوا
ما صدهم عن بلوغ القصد إذ رغبوا ... فيه من الفوز لا أهل ولا ولد
فأصبح القوم فى كد وفى تعب ... أحلى من الشهد بل ما مثله الشهد
فطالما كابدوا فى حب سيدهم ... وما انثنوا عن ورود القرب إذ وردوا
فليس يرتحلون الدهر من بلد ... إلا ويبكى عليهم ذلك البلد

وقال ذو النون المصرى رحمه الله: بينما أنا سائح فى بعض الجبال سمعت صوتا يئن ويستغيث ويبكى فتبعت الصوت فإذا هو شاب خشن الثياب عليه مدرعة من الشعر وقد افترش الرماد وهو يتمرغ عليه ويقول فى مناجاته: إلهى وسيدى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل، ولا بعقوبتك مستخف ولكن سولت لى نفسى وغلبت على شقوتى، فالآن من

عذابك من ينقذنى، وبحبل من أعتصم إذا قطعتنى وأبعدتنى، واسوأتاه من الوقوف بين يديك واخجلتاه من العرض عليكم، فكم أتوب وأعود وأعاهد وأنقض العهود:

خنت العهود وقد عصيتك تعمدا ... واخجلتى وفضيحتى منه غدا
واخجلتى ممن يرانى دائما ... أعصى ويسترنى على طول المدى
فليندمن المذنب العاصى إذا ... لم ينته من قبل أن يأتى الردى
ما الأمر سهل فاستعد إلى اللقا ... واعلم بأنك لا تكون مخلدا
واذكر وقوفك فى المعاد وأنت فى ... كرب الحساب وجئت عبدا مفردا
سوفت حتى ضاع عمرك باطلا ... وأطعت شيطان الغواية والعدا
فانهض وتب مما جنيت وقم إلى ... باب الكريم ولذ به متفردا
وادعوه فى الأسحار دعوة مذنب ... واعزم ولا تك فى المتاب مفندا
وإذا طردت عن الجناب فقم على ... أعتابه بالنوح منك معددا
فلعل رحمته تعم فإنها ... تسع العباد ومن بغى ومن اعتدى
وإذا أردت بأن تفوز وتتقى ... نار الجحيم وحرها المتوقدا
لذ بالنبى الهاشمى محمد ... خير الورى نسباً وأكرم محتدا
صلاة الله عليه ما سرت الصبا ... وشذا الهزار على الغصون وغردا

*****

المجلس الثانى عشر من كلام الشيخ عز الدين المقدسى

الحمد لله مظهر الحق ومبديه ومنجز الوعد وموفيه ومسعد العبد ومشقيه مذهب الذنب ومخفيه ومظمئ القلب ومرويه ومعل الصب ومشفيه ومزيل الكرب ومجليه ومرسل السحاب ومنشيه ومبسم البرق ومو‌ديه ومنطق الرعد ومدويه ومورق الشجر ومربيه ومصور الجنين ومغذيه ومحق الحق ومبقيه ومبطل الباطل ومفنيه الذى تعرف إلى خلقه، فحارت الخليقة فيه وتوعرت سبل معرفته فوقع السالكون فى التيه فمالوا إلى العقول فقالت لا ندرى من أى جهة نأتيه فبعثوا بريد الأفكار واستدلوا بنور الإيمان كلما أضاء لهم مشوا فيه فلما انتهوا إلى قضاء العرفان تنكر لهم عزه فى رفعة تعاليه وتحجب عنهم غيره على عزه تجليه، فانقلبوا إلى القلوب فقالت القلوب إنما نحن بيوت التنزيه وصاحب البيت أدرى بالذى فيه فاستمسكوا بأسمائه فقالت الأسماء لا نطيق نسميه فعلقوا بالصفات، فقالت الصفات لا نطيق نبديه فعدلوا إلى الكلمات فقالت الكلمات ﴿إن هو إلا وحى﴾ يوحيه فأشاروا إلى عرشه هل أنت بقربك تليه أم

بدنوك تدانيه فناداهم العرش من سكرة تغاشيه وحيلة تلاشيه لست بالمحيط فأدريه ولا بالحامل له فأحكيه ولا بالمتصل به فأحاذيه ولا بالمنفصل عنه فاقصيه ولقد سألتم عن أمر لا أدريه وكشفتم عن سر ما برحت أستمليه وأستجليه، فما وقعت منه إلا على الحيرة والتيه قالوا فما أفادك قربك من تعاليه وسموك فى معانيه، فقال إن قربى منه كقرب النفس من تراقيه وبعدى عنه كبعد السهم عن راميه وذلى له كذل العبد لمواليه وحنينى له كحنين العاشق إلى أيام وصاله ولياليه قالوا فما نقول قال فما يقول المتحير فيه والمنقطع عن أمانيه قل هو الأول الذى لا أول يثانيه والآخر الذى لا آخر يدانيه، الظاهر الذى لا ظاهر يضاهيه الباطن الذى لا باطن يواطيه، البعيد الذى لا بالمسافة توافيه، القريب الذى متى شئت تلاقيه الأحد الذى لا أحد يحاذيه الفرد الذى لا أمد له فينقطع تماديه إن صافيته سقاك من كأس صفوته صافيه وإن شربت بكأس محبته فالكأس هو ساقيه:

وحياة قلبى وقلبى فى القسم تمويه ... الذكر للقلب والمعنى لمن هو فيه
هذا حبيب عظيم جل عن تشبيه ... وقد كتمت هواه ما أطق أبديه
ناديته وفؤادى فى لظى يصليه ... إن مات قلبى غراما فاللقاء يحييه
العبد قانع بنظرة منكمو تكفيه ... والقلب طامع بزورة منكمو تشفيه
أنتم علمتم بما أبدى وما أخفيه ... وحياتكم فى فؤادى منكمو ما فيه

إلهى أنت سؤالى ومنائى وأنت فى الظلمات نورى وضيائى. عصيتك بجهلى ودعوتك على قبيح فعلى فأجبت بفضلك دعائى ولم تخيب فى قصدك رجائى وشكوت إليك مقام قلبى فأزلت كربى وعجلت شفائى وكم وقعت فى الشدائد والأخطار فأعنتنى بالأنصار ونصرتنى على أعدائى فلك الحمد يا عدتى فى شدتى ورخائى :

يا مالكا ليس لى سواه ... كم لك فى الخلق من سوائى
أنت غنى وبى افتقار ... إليك يا سامع الدعاء
إن كنت أذنبت فيك ذنبا ... واخجلتى منك واحيائى
عبدك بالباب مستجير ... قد قرع الكف بالبكاء
ليس له عندك من براح ... فى العسر واليسر والرخاء
عسى الذى قد قضى ببعدى ... يسمح بالقرب واللقاء
أراك بالهجر تعتمدنى ... حاشاك ما هكذا رجائى

يـا بـغـيـة القـلـب يـا مـرادى	يا مـنتـهى القـصد يـا منـائى
يـا راحـة الـروح يـا حـيـاتـى	يـا نـور عيـنـى ويـا ضيـائـى
أنـت الـذى حـزت كـل أيـن	بـلا ابـتـداء ولا انـتـهـاء
قـد كنـت من قـبـل كل كـون	بـغـيـر أرض ولا سـمـاء
ولا سـحـاب وحـجـاب	ولا فـضـاء ولا هـواء
بـغـيـر عـرش بـغـيـر فـرش	بـغـيـر نـار بـغـيـر مـاء
جـل عن الـكـيـف فى وجـود	وفـى شـهـود وفـى بـهـاء
وفـى اغتـراب وفى احـتجـاب	وفـى نـزول وفـى اسـتـواء
وعـن قـيـام وعـن قـعـود	وعـن هـبـوط أو ارتـقـاء
ظهـرت فى الكل لـست تخـفى	وأنـت أخـفـى مـن الخـفـاء
فـى كـل شـىء أراك حـقـا	بـلا جـدال ولا مـراء
وحـيـثـمـا كنـت أنـت مـنـى	كـقـاب قـوسـين غـيـر نـاء
مـن عن يمـيـنـى وعن شـمـالـى	ومـن أمـامـى ومـن ورائـى
يـا طـيـب ما عـنـك حدثـتنـى	نـسـائـم الـصـبـح والمـسـاء

قال الجنيد رحـمة الله عليه: عزمت على الحـج فى بعض السنين فركـبت ناقتى ووجهتها نحو الكعبة التى شرفها الله تعالى فـلوت عنقها وردت إلى نحو القسطنطينية فرددتها مراراً وهى تعود فقلت: إلهى وسيـدى ليس لى حيلة إن كنت تريد أن تردنى عن بيـتك فالأمر كـله إليك قـال: وجعلت الـناقة تسـير سيراً سـريعا حتـى دخلت القسطنطينية فلما دخلت البلـد رأيت الناس فى هرج ومرج فسألت بعض أصحابى ما السبب الذى هم فيه، فقـالوا: إن ابنة الملك قد ذهب عقلها وهم يلتمـسون لها طبيبا يداويها فقلت فـى نفسى وعزة ربى لهذا الأمر صرفنى عن الحج فـى هذا العام فقلت أنا طبيب فـقالوا أنت تداويها فقلـت نعم إن شاء الله تعالى فأخذوا بـيدى وأدخلونى على الملك فاستعنت بالله تعالى، فأدخلنى مخدعا فسمعت فيه خشخشة الحديد وقائلا يقول يا جنيد كم تحدو بك الناقة إلينا وأنـت تردها نحو الكعبة فطاش عقلى من ذلك الكلام ثم دخلت فرأيت جارية لم ير الراؤون أحسن مـنها وهى مقيدة مسلسلة فقلت ما هذه الحالة فقال يا طبيب القلوب صف لـى صفة أنجو بها من الكروب، فقلت لها قولى لا إله إلا الله محمد رسول الله فرفعت صوتها بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فتساقطـت الأغلال والقيود عنها وتـفكك الحديد فلما رأى أبـوها ذلك قال ما أحسنـك من طبيب وما أحـسن دواؤك بالله عليـك داونى بالدواء الذى داويتـها به،

فقلت قل لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم أتت أمها وفرحت وأسلمت وأسلم كل من كان فى البلد معهم، فحمدت الله عز وجل وعزمت على الخروج فقالت الجارية يا جنيد لا تعجل على بالخروج فإنى سألت الله عز وجل أن يتوفانى وأنت حاضر حتى تصلى على وتقف على دفنى ثم تشهدت وخرت ميتة رحمها الله :

يا منقذ الجهال من ظلماتها	يا خير من حطت به النزال
من ذاق حبك لم يزل متلهجا	أنت الإله القادر المتعالى
أنشأتنى وهديتنى ورحمتنى	فاغفر فأنت المنعم المفضال
ومننت بالإيمان منك تفضلا	أنت الإله وما عداك محال

وقال عبد الرحمن بن جعفر كنت بالبصرة أصلى الصلوات الخمس من مسجد بجوارى يعرف بمسجد الخشابين وكان له إمام مغربى يدعى أبا سعيد مشهور بالخير وكان يتكلم فى المسجد بعد صلاة الصبح فخرجت فى بعض السنين حاجا إلى بيت الله الحرام وكانت تلك السنة شديدة الحرارة فكنت فى الليل أسبق الركب وأنام حتى تلحقنى رفقائى فنمت فسار الركب، ولم تشعر بى رفقتى حتى طلعت الشمس، ثم انتبهت وأنا لا أدرى كيف الطريق فقلت يا سيدى ومولاى إلى هنا حملتنى وعن بيتك قطعتنى ثم سرت حتى أعييت، وانطرحت على كثيب رمل أنتظر الموت إذا إنسان ينادى باسمى فقمت فإذا هو الشيخ أبو سعيد فقال أنت جائع فقلت نعم فناولنى رغيفا سخنا فأكلته فاشتد رمقى فعطشت فناولنى ركوة فيها ماء ألذ من الشهد وأبرد من الثلج فشربت وغسلت وجهى فعادت إلى روحى ثم قال اتبعنى فتبعته قليلا وإذا أنا بجدران مكة التى شرفها الله تعالى فقال البث هنا الركب يأتيك بعد ثلاثة أيام ثم ناولنى رغيفا ومضى فكنت آكل من ذلك الرغيف ثلاثة أيام إلى أن جاء الركب فلما وقفت بعرفة رأيت الشيخ أبا سعيد واقفا عند الصخرات، وهو مشغول بالدعاء فسلمت عليه فلما فرغ رد على السلام وقال ألك حاجة قلت ادع الله لى فدعا لى ثم نزلنا من الجبل ولم أره بعد ذلك فلما قضيت الحج سرت إلى البصرة ودخلت منزلى وبت، فلما أصبحت صليت الصبح فى المسجد خلف الشيخ أبى سعيد فلما فرغ من صلاته سلمت عليه وصافحته فصافحنى وعصر يدى ففهمت عنه أن أكتم السر وكان فى المسجد مؤذن يخدمه فسألته عن غيبة الشيخ عن المسجد فى أيام الحج فحلف أن الشيخ أبا سعيد لم يقطع الصلوات الخمس فى المسجد فعلمت أنه من الأبدال السادة الرجال وينشد:

أنت فى الموضع البعيد قريب هل منيت إلى رضاك يؤوب
كل وصل خلاف وصلك هجر كل حب خلاف حبك حوب
يا إلهى وعدتى ورجائى بك يا سيدى تزول الكروب
بغيتى من جمال وجهك مرأى ليس إلا به النفوس تطيب
أنت روح القلوب أنت شفاها بك تحيا وتستريح القلوب
بك يدنو البعيد من كل أمر بك تنأى عن المسيء الذنوب
نسمع الصوت حين لايسمع الصوت ومن حيثما دعيت تجيب
أنت رب العباد مالك الملك لا شريك لك ولا عليك رقيب
يا دواء القلوب أنت المداوى يا شفاء السقام أنت الطبيب
جد بعفو ورحمة لكئيب ليس يشكو إلا إليك الكئيب

قال عبد الصمد البغدادى: كنت أتجر من بغداد إلى بلاد اليمن وأحج كل سنة فبينما أنا فى بعض السنين فى الطريق بين منى وعرفة إذ رأيت شابا حسن الشبه نقى الأثواب كأن وجهه قنديل وهو راقد على الرمل تحت رأسه حجر وهو يعالج سكرات الموت فتقدمت إليه وسلمت عليه وقلت ألك حاجة قال نعم تقيم عندى ساعة حتى أقضى نحبى وألحق بربى، فقلت له ما الذى تريد؟ فقال إذا أنا مت فوارنى التراب وخذ هذه المعضدة من كفى فإذا وصلت إلى صنعاء اليمن فسل عن دار الوزارة فإذا خرجت إليك عجوز وبنات فادفع إليهن هذه المعضدة وقل لهن عثمان الغريب يقرئكن السلام، ثم قرأ ﴿**هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾ ثم شهق شهقة فارق فيها الدنيا فغسلته وكفنته ثم صليت عليه فى جماعة ودفنته ثم أخذت المعضدة فلما وصلت إلى صنعاء اليمن سألت عن الدار فخرجت إلى عجوز وبنات فدفعت إليهن المعضدة فلما رأينها أخذنا فى البكاء والنحيب وخرت العجوز مغشيا عليها، فلما أفاقت قالت وأين ذهب صاحب هذه المعضدة فأخبرتها بخبره وما كان منه فقالت هو والله ولدى عثمان هؤلاء أخواته ترك أهله وزهد فى الدنيا وخرج سائحا على وجهه لا ندرى أين ذهب فجزاك الله عنى وعن ولدى خيراً ثم بكت وجعلت تقول:

يا فقد أضحى وحيدا غريبا يا عزيز أمسى ذليلا كئيبا
قد هجرت الديار من بعد أنس وسكنت القفار فردا سليبا
وتغربت فى البلاد حزينا بانفراد ولست تدعو مجيبا
منذ فارقنى تنغص عيشى ولقد كنت لى خليلا حبيبا

ليـتنى مت قـبل يومك جـهرا	ليتنى كنت مـن حماك قريبا
فـعلـيك الـسـلام منـى حقـا	كلـما حرك الـنسيـم مجيـبا

إلهى إن كنـت لا ترحم إلا المجتهدين فمـن للمقصرين؟ وإن كنـت لا تقبل إلا المخلصين فمن للمـخطئين؟ وإن كنت لا تكرم إلا المحسنين فمن للـمسيئين؟ إلهى ما أشد مصيبتى أنبه غيرى وأنا النائم سيدى ما أغرب قصتى أدل غيرى وأنا الحائر. إلهى جد بالعـفو على مذكر مـتكلف وسامع مـتخلف. إلهى إذا دلـلت السالكين عـليك فوصلوا بـحسن موعظتى إلـيك أتراك تقبل المـدلول وترد الدليل. إلهـى إن لم يكن كلامى خالصا لوجهك فـفى مجلسى من حضر خالصا لوجهك فشـفعه فى تقصيرى بنور وجـهك الكريم وارحمنـا أجمعين برحمـتك يا أرحم الراحمـين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المجلس الثالث عشر فى ذكر جهنم

أعاذنا الله وإياكم منها والمسلمين

الحمد لله الذى وعد من أطاعه بنعم جناته وتـوعد من جحده بجحيم نيرانه وقهر من كفر بقوة سلطانه وستر من فجر بجميل إحسانه وعذر من اعتذر من قبيح عصيانه وغفر لمن عبر إلى حرم عنوانه وجبر من انكسر لأجل رضوانه ونصر من انتصر بعظيم شانه وشكـر من ذكر بجزيل امتنـانه يسبحه الـمُلك بأعوانه والفلك بـدورانه والبرق بلمعانه والسحاب بـسريانه والشجر بأغصانه والزهر بألوانه والـطير بأشجانه والروض بغدرانه والبر بكثبانه والبحر بحيتانه كل يسبح بغريب لغته ولسانه:

هو الواحد الفرد الذى قد تفردت	صنائعه فى خلقه وزمانه

فسبـحانه من إله عظـيم حى قيوم قدر الـرزق المقسوم والأجل المحتـوم والوقت المعلـوم وحير فى إدراك معـرفته العقول والـفهوم خلق الجـنة من نور رحمـته لأقوام سقاهم من الـرحيق المختوم وخلق النار من سـطوة غضبه لأقوام كتب لهـم بالشقاوة المرسوم لهم فـيها دمار وعذاب **﴿لها سبعة أبواب لكل بـاب منهم جزء مـقسوم﴾**، فسبحانه من إله لم يزل عظيما قويا جليلا سرمديا جعل الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً والنار لمن عـصاه ولو كان شريفاً قرشيا وجعل مسكـن المشركين والكفار مأوى

الأشقياء الفجار كما قال تعالى ﴿**النار يعرضون عليها غدوا وغشيا**﴾ فكيف الخلاص منها، وقد قال حين تحققها منكرها وجاحدها ﴿**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا**﴾ فهى بيت الأحزان والخزى والهوان ليس لجاحدها منها أمان وحق عليهم الخلود فيه والنسيان ينادون فيها وهم يسمعون ﴿**هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن**﴾ لأهلها الحميم وعذاب أهلها أبدا مقيم لهم فيها بالويل ضجيج وبالثبور دعاء وعجيج أمانهم فيها إهلاك وما لهم من أسرها فكاك ينادون من فجاجها وشعابها من ترادف عذابها يا مالك حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود قد أثقلتهم القيود وأيقنوا فيها بالخلود وباؤوا بغضب الملك المعبود وقد جاوروا الفجار وخالطوا الكفار فأوردهم النار وبئس الورد المورود مسكن أهل الجحود والارتياب، طعامهم فيها الزقوم وشرابهم فيها الصديد والرصاص المذاب ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب**﴾

النار نزل أهل الكفر كلهم	طباقها سبعة سودة الحفر
جهنم ولظى من بعدها حطمة	ثم السعير وكل الهول فى سقر
وتحت ذاك جحيم ثم هاوية	تهوى بهم أبدا فى حر مستعر
فيها العقارب والحيات قد تركت	جلودهم كالبغال الدهم والحمر
فيها السلاسل والأغلال تجمعهم	مع الشياطين جهرا جمع منقهر
لهم طعام من الزقوم يعلق فى	حلوقهم شوكة كالصاب والصبر
سوداء مظلمة شنعاء موحشة	دهماء محرقة لواحة البشر
أعاذنا الله منها ثم عوضنا	بجنة الخالدين الروض والزهر

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى دعا جبريل فأرسله إلى الجنة قال له انظر إليها وما أعدت لأهلها فنظر إليها ورجع فقال وعزتك وجلالك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفت بالمكارة ثم قال ارجع إليها فرجع فقال وعزتك وجلالك خشيت إلا يدخلها أحد ثم أرسله إلى النار وقال له انظر إليها وما أعدت لأهلها فنظر إليها وقال وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد فحفت بالشهوات ثم قال له عد إليها فانظر فعاد ورجع فقال وعزتك وجلالك خشيت ألا يبقى أحد إلا دخلها ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى احمرت وألف عام حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم**».

(وروى) ابن سعود عن النبى ﷺ أنه قال: «**ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من تلك النار ولو أنها ضربت فى البحر مرتين ما انتفعتم منها بشىء**» وفى حديث مسلم عن أبى هريرة قال: كنا مع النبى ﷺ إذ سمع وجبة فقال: «**أتدرون ما هذا**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هذا حجر رمى فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار إلى الآن حتى وصل إلى قعرها**».

(إخوانى) أما تعتبرون بهذه الأحوال؟ أما تشفقون من نار جهنم والأنكال؟ أما تحذرون سلاسلها والأغلال؟ واعجباه لمن كان فى الجنة فى ظهر أبيه آدم كيف يدخل نارا وقودها الناس والحجارة :

إذا برزت ليوم العرض نار ... لها الناس الوقود مع الحجاره
يفر المرء حقا من أخيه ... وينكر فى المعاد من استزاره
فلا الخل الحميم يغيث خلا ... ولا الجار المجير يجير جاره
وقد برز الجليل لفصل حكم ... ونشرت الصحائف مستطاره
فيفتضح المسىء بقبح فعل ... ومن يك محسنا فله البشاره

ويروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطير أو كما يطير، فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة، وبينهم حجاب فينادى أهل الجنة أصحاب النار ﴿**أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين**﴾ وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يرون الأنهار تطرد بينهم ﴿**أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين**﴾ فتردهم ملائكة العذاب إلى قعر النار لقوله تعالى ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون**﴾.

وذكر الترمذى من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ وذكر الترمذى من حديث ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**غلظ جلد الكافر اثنان وسبعون ذراعا وضرسه مثل جبل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة**»، أعاذنا الله وإياكم من النار ومن مقام الكفار فيها والفجار فلو رأيت أهل جهنم شرابهم الحميم وكلما اشتد جوعهم ليس لهم طعام إلا من ضريع. يا أهل الذنوب والخطايا ألكم صبر على النار كلا إنها لظى يساقون إليها من كل مكان، ﴿**إذا رأتهم من مكان بعيد**

سمعوا لها تغيظاً وزفيرا* وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا* لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا﴾، فلو رأيتهم **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾** حلت بهم المحن وظهر عليهم الغبار، وجرت دموعهم كالأمطار، والقلق قد أحاط بهم من جميع الأقطار :

أما سمعت بأكباد لهم صعدت ... خوفا من النار فانحطت إلى النار
أما سمعت بضيق فى مجالسهم ... ولا قرار لهم يا صاح فى النار
أما سمعت بحيات تدب بها ... إليهم خلقت من مارج من نار
فيا إلهى بأحكام وما سبقت ... به قديما من الجنات والنار
أدعوك أن تحمى العبد الضعيف فما ... للعبد من جسد يقوى على النار
والشمس مالى عليها قط من جلد ... فكيف يصبر ذو ضعف على النار

ويروى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا سيق أهل النار إلى النار فتلقطهم بعنف فتنفخهم نفخة لم تترك لحما على عظم إلا أبانته عن العروق**»[1] وهم فى توبيخ وعتاب وفى سجن وعذاب وفى حزن وعقاب كما قال الله تعالى فى محكم الكتاب: **﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾** فإنهم كانوا يفرحون بدار الغرور وينسون النفخ فى الصور ويغترون بالأمانى والزور فقال فى حقهم من يعدل فى حكمه ولا يجور **﴿الذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور﴾** لهم فيها بكاء وزفير وعذاب وسعير وهم يصطرخون فيها **﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾** ما هذا الأمل والرحيل قد تدانى يا مقبلا على لذاته ولم يأخذ من هول الموقف أمانا :

اذكر وقوفك يوم الحشر عريانا ... مستضعفا فارغ الأحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حنق ... على العصاة وتلقى الرب غضبانا
فى موقف قد تجلى فيه حاكمه ... وقال فيه لمن قد لج طغيانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل ... وانظر إليه ترى فيه الذى كانا
لما قرأت كتابا لا يغادر لى ... ما كان فى السر أو ما كان إعلانا

(١) لا حقيقة لهذا الأثر فى الكتب المعتبرة.

قال الجليل خذوه يا ملائكتي مروا به لأليم النار ظآنا
يا رب لا تخزنا يوم المعاد ولا تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

وقال رسول الله ﷺ: «**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً وإنها تتعوذ من نار جهنم فى كل يوم سبعين مرة**» وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: إن أهل النار ليدعون مالكا فلا يرد عليهم جواباً أربعين عاما ثم يرد عليهم: ﴿**إنكم ماكثون**﴾ يعنى دائمون أبدا ثم يدعون ربهم فيقولون ﴿**ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون**﴾ فلا يجيبهم مقدار ما كانت الدنيا ثم يجيبهم: ﴿**اخسؤا فيها ولا تكلمون**﴾، قال: فوالله ما ينطقون بعدها بكلمة واحدة ولم يكن لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق فى النار شبه أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق. وعن ميمون بن مهران أنه قال لما نزلت هذه الآية: ﴿**وأن جهنم لموعدهم أجمعين**﴾ وضع سليمان يده على رأسه ثم خرج هائماً ثلاثة أيام لا يقدر عليه أحد حتى جيء به. ويرى أن أهل النار يجزعون ألف سنة ثم يقولون: كنا فى الدنيا إذا صبرنا أتانا الفرج فيصبرون ألف سنة فلا يخفف عنهم شيء فيقولون: ﴿**سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص**﴾ فيدعون ألف سنة فلا يأتيهم الغيث لما بهم من العطش وشدة العذاب لكى يزول عنهم بعض الحرارة من العطش فيتضرعون ألف سنة فإذا تضرعوا يقول الله تعالى لجبريل يا جبريل أى شيء يطلبون وهو أعلم بهم فيقول يا رب يطلبون الغيث فتظهر له سحابة حمراء فيظنون أنهم يمطرون بها فيرسل الله عليهم فيها العقارب كأمثال البغال فتلدغ الواحد منهم لدغة فلا يذهب الوجع ألف سنة ثم يسألون الله الغيث فتظهر لهم سحابة سوداء فيقولون هذه سحابة المطر فيرسل الله عليهم فيها حيات كأمثال الإبل كلما لسعت لسعة لا يذهب وجعها ألف سنة وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون**﴾ يعنى بما كانوا يكفرون ويعصون الله فمن أراد أن ينجو من عذاب الله ويناله ثوابه فعليه بالصبر على شدائد الدنيا فإن الجنة قد حفت بالمكاره، والنار قد حفت بالشهوات.

(**إخوانى**) مثلوا أنفسكم وقد وقفتم على النار وقلتم يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا كلما صحتم يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وقد صرفتم همتكم فى طلب الدنيا وأعرضتم عن أخراكم بالكلية فكيف بكم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم :

يا نفس توبى فإن الموت قد حانا واعصى الهوى فالهوى مازال فتانا

(حكى) أنه لما دخل هارون الرشيد حرم مكة ابتدأ بالطواف، ومنع الناس من الطواف ، فسبقه أعرابى وجعل يطوف معه، فشق ذلك على أمير المؤمنين والتفت إلى حاجبه كالمنكر عليه، فقال الحاجب: يا أعرابى خل الطواف ليطوف أمير المؤمنين، فقال الأعرابى : إن الله ساوى بين الأنام فى هذا المقام والبيت الحرام، فقال تعالى: **﴿سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾** فلما سمع الرشيد ذلك من الأعرابى أمر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد إلى الحجر الأسود ليستلمه فسبقه الأعرابى فاستلمه، ثم أتى إلى المقام ليصلى فيه، فسبقه فصلى فيه، فلما فرغ من صلاته وطوافه قال للحاجب: ائتنى بالأعرابى فأتى الحاجب الأعرابى وقال له: أجب أمير المؤمنين فقال مالى إليه حاجة إن كانت له حاجة فهو أحق بالقيام إليها، فانصرف الحاجب مغضبا ثم قص على أمير المؤمنين حديثه، فقال: صدق نحن نسعى إليه ثم نهض أمير المؤمنين والحاجب بين يديه حتى وقف بإزاء الأعرابى وسلم عليه فرد عليه السلام، فقال له الرشيد: يا أخا العرب أأجلس هنا بأمرك فقال له الأعرابى ليس البيت بيتى ولا الحرم حرمى البيت بيت الله والحرم حرم الله وكلنا فيه سواء، إن شئت تجلس وإن شئت تنصرف، قال فعظم ذلك على الرشيد حيث سمع مالم يكن يخطر فى ذهنه، فجلس إلى جانبه وقال له يا أعرابى أريد أن أسألك عن فرضك فإن قمت به فأنت بغيره أقوم، وإن عجزت عنه فأنت عن غيره أعجز، فقال له الأعرابى سؤالك سؤال متعلم أو سؤال متعنت قال بل سؤال متعلم، فقال الأعرابى: قم واجلس مقام السائل من المسؤول، قال فقام الرشيد وجثا على ركبتيه بين يدى الأعرابى، فقال له قد جلست سل عما بدا لك فقال أخبرنى عما فرضه الله عليك؟ فقال له تسألنى عن أى فرض أعن فرض واحد أم عن خمسة فروض أم عن سبعة عشر فرضاً أم عن أربعة وثلاثين فرضاً أو عن أربعة وتسعين فرضاً أم عن واحدة من أربعين أم عن واحدة فى طول العمر أم عن خمسة من مائتين؟ قال فضحك الرشيد مستهزئاً به ثم قال: سألتك عن فرض فأتيتنى بحساب الدهر، قال: يا هارون لولا أن الدين حساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة قال تعالى: **﴿فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾** قال فظهر الغضب فى وجه أمير المؤمنين حين قال له يا هارون ولم يقل له يا أمير المؤمنين، وبلغ ذلك مبلغاً شديداً غير أن عصمه من ذلك الغضب ورجع إلى

عقله لما علم أن الله هو الذى أنطقه بذلك ثم قال له الرشيد وتربة آبائى وأجدادى أن تفسر لى ما قلت وإلا أمرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة، فقال له الحاجب: يا أمير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى لأجل هذا المقام الشريف، قال: فضحك الأعرابى من قولهما فقال له الرشيد: مم تضحك قال: عجبا منكما فإن أحدكما يستوهب أجلا قد حضر، والآخر يستعجل أجلا لم يحضر، فلما سمع الرشيد ما سمع منه هانت عليه الدنيا ثم قال سألتك بالله إلا ما فسرت لى ما قلت، فقد تشوقت نفسى إلى شرحه فقال الأعرابى: أما سؤالك عما فرض الله علىَّ فقد فرض الله علىَّ فروضاً كثيرة فقولى لك عن فرض واحد فهو دين الإسلام، وأما قولى لك عن خمسة فروض فهى الصلوات الخمس، وأما قولى لك عن سبعة عشر فهى سبعة عشر ركعة فى اليوم والليلة، وأما قولى لك عن أربع وثلاثين فهى السجدات، وأما قولى لك عن أربع وتسعين فهى التكبيرات، وأما قولى لك عن واحدة من أربعين فهى الزكاة دينار من أربعين دينار، وأما قولى لك عن واحدة فى طول العمر فهى حجة واحدة فى طول العمر، وأما قولى لك عن خمسة من مائتين فهى زكاة الورق، قال فامتلأ الرشيد فرحا وسرورا من حسن كلام الأعرابى وعظم فطنته، واستعظمه فى عينه ثم إن الأعرابى قال للرشيد سألتنى فأجبتك فإذا سألتك أن تجيبنى فقال الرشيد سل فقال له الأعرابى ما يقول أمير المؤمنين فى رجل نظر إلى امرأة وقت الصبح فكانت عليه حراما فلما كان الظهر حلت له فلما كان العصر حرمت عليه فإذا كان المغرب حلت له فإذا كان العشاء حرمت عليه فإذا كان الفجر حلت له فإذا كان الظهر حرمت عليه فلما كان العصر حلت له فلما كان المغرب حرمت عليه فلما كان العشاء حلت له، فقال له الرشيد لقد أوقعتنى فى بحر لا يخلصنى منه غيرك! فقال الأعرابى: أنت أمير المؤمنين وليس أحد فوقك، ولا ينبغى أن تعجز عن شىء، فكيف تعجز عن مسألتى فقال له الرشيد لقد عظم قدرك العلم، ورفع ذكرك فأريد أن تفسر لى ما ذكرت إكراما لى ولهذا البيت الشريف؛ فقال الأعرابى: حبًّا وكرامة أما قولى لك فى رجل نظر إلى امرأة وقت الصبح فكانت عليه حراماً فهذا رجل نظر إلى أمة غيره فهى عليه حرام ، فلما كان الظهر اشتراها فحلت له، فلما كان العصر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان المغرب تزوجها فحلت له، فلما كان العشاء طلقها فحرمت عليه، فلما كان الفجر راجعها فحلت له ، فلما كان الظهر ارتد عن الإسلام فحرمت عليه، فلما كان العصر استتيب فرجع فحلت له، فلما كان المغرب ارتدت

هى فحرمت عليه، فلما كان العشاء استتيبت فرجعت فحلت له، قال فتعجب الرشيد وفرح به ثم أمر له بعشرة آلاف درهم فلما حضرت قال لاحاجة لى بها ردها إلى أصحابها، فقال فهل تريد أن أجرى لك جراية تكفيك مدة حياتك قال الذى أجرى عليك عليك يجرى على، قال فإن كان عليك دين قضيناه فلم يقبل منه شيئا ثم أنشأ يقول:

هب الدنيا تواتينا سنينا	فتكدر تارة وتلذ حينا
فما أرضى بشىء ليس يبقى	وأتركه غداً للوارثينا
كأنى بالتراب على يحثى	وبالإخوان حولى نائحين
ويوم تزفر النيران فيه	وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقى وجلال ربى	لأنتقمن منكم أجمعينا

فلما فرغ من إنشاده، تأوه الرشيد وسأل عنه وعن أهله وبلاده، فأخبروه أنه موسى الرضا بن جعفر الصادق بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين، وكان تزيًا بزى الأعراب زهدا فى الدنيا وتورعا عنها فقام وقبله بين عينيه ثم قرأ ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾.

(إخوانى) هؤلاء قوم كانوا يخفون ما لهم بين الأنام وهم شعث غبر لا يؤبه لهم وهم عند الله فى أرفع مقام، هذه صفاتهم، إذ قربوا فكيف صفاتك يا مطرود هذه صفاتهم فنح على نفسك يا منكود ويحك يا مسكين أنت فى النهار فى بطالة وفى الليل من جملة الرقود وينشد:

يا عليما بمن يكن الضمير	أنت نعم المولى ونعم النصير
من لعبد قد أوبقته الخطايا	من عذاب يا سيدى يستجير
هل لأهل الذنوب عنك محيص	ونفوس الورى إليك تصير
حسبنا فى غد من الذنوب مولى	علمنا أنه الرحيم الغفور

"باب صفة الفقير"

من صفة الفقير فى الدنيا أن يكون صائما قائما راكعا ساجدًا طالبًا راغبًا صبورًا شكورا شفوقا وحيدا قليل الكلام كثير الذكر مليح الفكر بعيد الأوطان قليل الإخوان كثير الأحزان معرضا عن متاع الدنيا وشبهتها مخلصا من مكرها وشهواتها غزير

الدمعة لا يملك شيئا ولا يملكه شيء محاسبا لنفسه مراقبا لربه أنفاسه محروسة وربوع قلبه مأنوسة لا يطيل في الدنيا فكره وينظر فيها بعين العبرة قليل الشهوات تارك الشبهات ملازم الطاعة كثير القناعة تارك الحيلة قليل الوسيلة ليس له حاجة بالناس أبد الأبد ولا يؤخر يومه إلى غد متوجها لمولاه لا يعبد إلا إياه خرج من الدنيا خروج صحيح وأقبل على الله بوجه مليح ليس له بلغة ولا يملك ذرة مشتغلا بالله معرضا عما سواه لا يعرف النفاق ولا يمشي في الأسواق يسلك الطريق بلا تعويق، بدنه نحيف وجسمه لطيف ،نظره عفيف علم العلم والعمل وترك الدنيا وانعزل جاهد فشاهد مسارعا إلى الملكوت مراقب الحي الذي لا يموت لا يمشي مرحا ولا يرى فرحا بعيدا عن الناس ولا متكبرا ولا متجبرا صادق المقال حسن الفعال وفارق العالم وراح يطوف السهل والجبل قصير الأمل لا يملك من الدنيا حبة ولا ينظر إليها بعين المحبة هجر الأحباب والأصهار وأنس بوحوش القفار أقام على نفسه الحد ولزم طريق الجد علم أن القلب بيت الرب فطهره وأخلاه فتجلى فيه إذا لم يجد فيه سواه ولو أعطى الدنيا بما فيها لم ينظر إليها فهذا هو الفقير.

وقيل أربع من كنوز الجنة: كتمان المصيبة. وكتمان الفاقة وكتمان الصدقة وكتمان الألم.

وقيل من كمال المرء خصلتان: لا يدخله الرضا في الباطل ولا يخرجه الغضب عن الحق،وقيل العجلة من الشيطان إلا في ستة أشياء: تعجيل الصلاة إذا دخل وقتها، وقرى الضعيف إذا دخل وتجهيز الميت إذا مات،وتزويج البنت إذا أدركت ، وقضاء الدين إذا وجب ،والتوبة من الذنب إذا وقع.

*****

المجلس الرابع عشر في ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والفقراء والأولياء رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم

الحمد لله ذرأ وبرأ وصور للعالم صورا وخلق من الماء بشرا وخرق له سمعا وبصرا وأمضى بقدرته قضاء وقدرا وأعظم بحكمته من آياتها عبرا، وألبس العمال من ملابس الأعمال ثوبا مفتخرًا وجبر من خضع لديه، ووقف بالذلة بين يديه منكسرًا، وأغنى بفضله من تمسك بحبله، وأمسى إليه مفتقرا، فسبحانه هو السميع البصير، الذي يسمع ويرى نظر إلى الماء فعاد إلى الهيبة حجرا، وإلى الجماد فسار برحمته

كالسيل جرى ورفع قبة السماء بغير عمد كما ترى، وجعل فيها سراجًا وقمرًا، ورصَّعها بدرارى الكواكب وأرسل الرياح بين يدى رحمته نشرا، وأذن للنجم أن يسرى فسرى، وإلى السحاب أن يحمل مطرا، وحرس قلعة السماء بحراسة الشهب، فلم يسمع مسترق السمع منها خبرًا، وتحير الفكر فى إدراكه فرجع متقهقرا، وبقى فى بيداء التيه محيرا، وعذب من كفر واجترأ، وقرب من أناب ووحد وتذلل ولم يبد تكبرا، وأرسل الصواعق على مقدمة نقمته عبرا، وألمع البرق يترادف تألف نعمته مبشرا وأنطق الرعد بعواصف قواصف قدرته مزدجرا هبت من خزائن كرمه نفحات نسمات نعمه، فاستنشق العارفون منها عنبرا عطرا، فجاء بالسر المألوف معروفا منكرا، وجعل لأبى يزيد التأييد فأصبح على دنياه بتقواه منتصرا، وبات الشبلى لعرائس المحبة يستجلى فظل متمزقا متحيرا وجند الجنيد من أجناده إلى لقاء أنداده وعسكرا، وظل باكيا طول الليل متحسرا، وخص ذا النون بالسر المصون فهام ولم يجد مصطبرا وشرب الحلاج فجرى منها ما جرى، فلما حصل لهم من المحبة الذوق، هبت عليهم نسمات الشوق، ورَوت لهم عن الحبيب خبرا، وأخبرتهم أن حبيبهم نظر إليهم، وتجلى عليهم سحرا، فالراجى فى الليل الداجى قد بسط كفا منكسرا، والجانى بالقلب العانى قد نكس رأسا معتذرا والعاصى قد خاب من يوم الأخذ بالنواصى فأطرق حياء وحذرا، والمذنب ينوح على ذنوبه ويقطع الليل بالبكاء على غيوبه بكاء سهرا :

لا ذقت يا صاح لذيذ الكرى	أو يصفح الرحمن عما جرى
ويبعد الهجر ويدنو اللقا	ويفرح القلب بطيب القرى
ويرجع الود الذى بيننا	والعيش صاف بعدما كدرا
متى بشير الصلح يأتى لنا	ويرجع العود وقد أثمرا
وألصق الخد بأبوابهم	معفرا فى ترب ذاك الثرى
ها قد بسطت راحتى سائلا	وقد مددت الكف مستمطرا
يا سادتى قد تبت من ذلتى	وقد أتيت الآن مستغفرا
فسامحونى كرما منكم	فعهدكم عندى وثيق العرى
ما لى سوى أبوابكم سادتى	وقد تشفعت بخير الورى

قيل لما نزل البلاء على سيدنا أيوب المبتلى، أتى طاوس الملائكة جبريل بأمر الملك الجليل فقال له يا أيوب سينزل بك مولاك من البلاء والأهوال ما يعجز عن حمله

الجبال فقال أيوب عليه السلام إن دمت على مواصلة الحبيب سأصبر حتى يقال عجب عجيب فنودى يا أيوب استعد لبلائى واصبر لنزول حكمى وقضائى وكان السبب فى ابتلائه أن إبليس لعنه الله حسده، وتحيل عليه بأنواع المكر والحيل، فلم يقدر فقال: إلهى إنما شكر أيوب وسبب طاعته لك أن وسعت عليه فى الأموال والأرزاق والأولاد والعافية فلو سلبته ذلك ما أطاعك طرفة عين، فقال له الحق جل جلاله اذهب فقد سلطك عليه وإنه لن يغيره ذلك فأول يوم ابتلاء أخذ الأولاد فزاد فى الخدمة واجتهد، وفى اليوم الثانى أخذ الأموال فأحرقها ومزقها فقال أيوب العطايا عطاياه إن شاء سلبها وإن شاء أطلقها، وفى اليوم الثالث نفخ إبليس فى جسده وهو فى صلاة الفجر فلعب الدود فى جميع بدنه فلم يترك يذكر الله فى سره وعلنه، فلما تمكن البلاء من جسده بعد ذهاب ماله وولده قال: الحمد لله الذى اصطفانى لخدمته ومنَّ علىَّ بفضله وخبرته، فلم يشغلنى بغيره، ولم يزل أيوب ذاكرًا، ولربه حامدًا، وشاكرًا إلى أن تمزق جلده، وذاب لحمه ودق عظمه وصار الدود يغدو فى جسده ويروح وهو بالشكوى لا يبدى ولا يبوح وكان كلما سقط من جسده دودة إلى الأرض ردها إلى مكانها ويقول لها كلى أيتها الدودة فهذه مائدة جسدى ممدودة فنزل عليه الأمين جبريل عليه السلام فسلم عليه فلم يرد عليه السلام لاشتغال لسانه عن الكلام ثم سلم عليه ثانيًا فرد عليه السلام فقال له جبريل عليه السلام يا نبى الله ما منعك من رد السلام فى المرة الأولى فقال يا أخى يا جبريل إن الملك الودود أرسل إلىَّ أضيافا من الدود لكى أطعمهم من لحمى على مائدة جلدى وعظمى فكان بعض الأضياف من الدود على طرف لسانى فخشيت أن أرد عليك السلام فتسقط من مكانها فأمنعها حقها وآكلها فأطالب برزقها فأكون عاصيًا لربى .

عذبونا ثم قالوا بالملا	أنت راض بالبلا قلت بلى
أنا راض بالبلى لكن على	أن تذيبوا القلب بالهجر فلا
عذبوا إن شئتموا أو فارحموا	عذب التعذيب عندى وحلا

(إخوانى) البلاء يظهر أحوال الرجال، وما أسرع ما يفتضح المدعى هذا أيوب نبى الله أرسل عليه سبعين ألف نوع من العذاب والبلاء فصبر وما شكا له ضيرًا اسمع يا من تضرر به شوكة فلا يطيق لها صبرًا فأيوب المبتلى أخذ منه المال فما زاغ عن المحبة ولا مال وأخذ منه الولد فزاد فى الخدمة واجتهد، ورضى بجميع المحن وما باح فى شكواه بسر ولا علن، نودى يا أيوب أين أنين المكروب قد صبرت على بلائنا

وسلمت لقضائنا سنرد عليك مالـك وولدك ونعافى من البلاء جسدك ونكتب رسمك فى محكم الكتاب وننشر ذكرك فى ديوان الأحباب **﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾**.

أكل أهـل البلاء موكـل بهم الـبلا	فـى هذه الـدنيـا يـحل المـعجـلا
ما ضـرهم مـا كابدوه مـن العـنا	حـتى بـدار الخلـد عنـهم حـولا
يـتـمتـعـون بـدارهم فـلأجـل ذا	قد راق عنـدهم العذاب وقـد حلا
وإذا ابـتـلاهـم بـالـبـلاء يـرونـه	نـعـما وجـودا دائـمـا وتفـضـلا
والأنبـياء صـبروا عـلى بـلواهـم	سـرا وإعـلانـا فهـم أهـل الـولا

(حكى) أن إبراهيم عليه السلام لما قال **﴿ربى أرنى كيف تحيى الموتى﴾** قيل له يا إبراهيم أنت شاك فى قـدرتنا حتى تقول أرنى فقال يارب أنت أريتنـى بصيرتى فأرنى بعين بصرى لأجـمع بين النظرين فأمر الله تعـالى أن يأخذ أربعة من الطيـر ويذبحها ويمزقها ويفـرق أجزاءها ويجعل على كـل جبل منهم جزءًا وأمره أن يـأخذ رؤوسهن فيجعلها بين أصـابعه ويدعوهن ففعل ذلك فهب نسيم من جـانب القدرة وجمع تلك الأجزاء المتفـرقة واللحوم المتمـزقة فأتوا نحوه وعـطف كل منهم علـى رأسه من بين أصابعه ولما صاروا أحياء بقدرة الله تعالى عكفوا على رأس إبراهيم عليه السلام ونادوه بلسان فصـيح وقلب جريح أى شىء أردت منـا حتى سفكت دماءنا يـا إبراهيم تأدب فربما باسطك مثل مـا باسطته ففى تلك الليلة رأى ذبح ولده فـكأن الله تعالى يقول يا إبراهيم نحن رأيـناك أحياء الموتى فأرنا أنت إماتـة الأحياء فقال **﴿يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فـانظر ماذا ترى﴾** فاستسلم للـقضاء وصبر وقال **﴿يا أبت افـعل ما تؤمر ستـجدنى إن شاء الله من الصـابرين﴾** يا أبت إن كـان مولاى راضيا عـنى وقد اختار ذلك مـنى فامض لما أمرت معولا فـقد طاب الموت وحلا ثم أنشـد لسان الحال هذه الأبيات:

أمـــا والــذى لـــدمـــى حـلـــلا	لـقد خـص أهـل الـولاء بالـبـلا
لئـن ذقت فـيك كـؤوس الحمـام	لـما قـلـــت يـوم لـســاقـيـه لا
وإنـى لمن أشـتـكـى فى الـهـوى	ولـو قـدنـى مـفصـلا مـفـصـلا
رضـيـت وحـقـك كـل الـرضـا	إذا كـان يــرضـيـك أن أقــبـلا

(حكى) أن موسى عليه السلام لما شرب كأس المدام من الكلام، وكان قد خرج ليقتبس النار وقد سبقت له الأقدار بالعناية من الجبار، فلما أتى الشجرة ونفسه للأنوار مرتقبة منتشرة فسمع النداء من جميع الجهات يا موسى لا بأس عليك **﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾** موضع لا يطرقه من بالمعاصى تدنس ولا جاءه متوحش إلا يأنس ثم سمع النداء يا موسى إننى أنا الله فاعرفنى أننى لا إله إلا أنا فاعبدنى وإنى إلهك العظيم فعظمنى وأنا الملك الرزاق فلا تسأل غيرى واسألنى وأنا شديد العقاب فاحذرنى وأنا الجليس لمن ذكرنى فاذكرنى قال موسى يارب دللتنى عليك وقربتنى إليك فأرنى أنظر إليك قال **﴿لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾** وينشد:

طلعت شموس شواهدى	لما شهدت خيامهم
وبدت لواعج لوعتى	لما سمعت كلامهم
وفنيت عن بشريتى	لما بدت أعلامهم
ما ضرهم لو أرسلوا	مع النسيم سلامهم

(إخوانى) الطريق عسرة المسالك ضيقة على السالك فبكى فيها آدم وناح لأجلها نوح ورمى فى النار إبراهيم الخليل وأضجع للذبح إسماعيل وبيع يوسف ونشر زكريا وذبح يحيى وابتلى أيوب وهام مع الوحش عيسى وعالج الفقر محمد عليهم والصلاة والسلام.

يا أخى أول قدم فى الطريق بذل الروح الجادة فأين السالك هذا القميص فأين يعقوب هذا جبل طور سينا فأين موسى يا جنيد احضر يا شبلى اسمع يا ابن أدهم أقبل.

قف بالديار فهذه أطلالكم	تبكى الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرا	عن أهلها أو صادقا أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها	فارقت من تهوى به الملتقى

قال الشبلى رحمة الله عليه: بينما أنا أسيح فى بعض الجبال إذا رأيت ريحانة العابدة وهى تنشد هذا البيت :

أحضرتنى فيك لكن   غيبتنى فى التجلى

قال: فنظرت يمينا وشمالا وفتشت عليها فرأيتها فسلمت عليها فردت على السلام

فقلت ريحانة فقالت لبيك يا شبلى فقلت على من تفتشين فقالت: ريحانة فقلت لها ألست ريحانة قالت: بلى ولكن يا شبلى منذ قرب ودنا وقعت فى العنا وصرت لا أعرف أين أنا فغبت عن وجودى وضعت منى وصرت أسائل الحواس فإذا هم سكارى من غير كأس وسألت فهمى فدلنى على وهمى وسألت سرى فقال لا أدرى وسألت فؤادى فما بلغنى مرادى وسألت قلبى فاستغرق وقال حسبى لا أتكلم ولا أبدى ثم قالت يا شبلى من هيبة ربى لم يبق حى إلا وسألته أن يوصلنى إلى ويدلنى على فعجز الكل عن لفظى وتركن حظى فإن كنت يا شبلى تعرف مكانى فقد دعانى ترجمانى فقلت لها يا ريحانة قرارة مكانك عند رحيمك ورحمانك قالت فصرخت صرخة واتبعها زفرة فحركتها فإذا هى ميتة فأسندتها إلى صخرة وصعدت فى فلاة من الأرض لعلى أرى من يعتنى على تجهيزها فلم أر أحدًا فعدت إلى الأثر فلم أجد لها خبرا، ولكن رأيت نورا تشعشع وبروقا تلمع يا ليت شعرى ما فعل بهذه الأمة فنوديت يا شبلى من أخذناه منه فى حال حياته غيبناه عن الأعين فى مماته قال الشبلى فلما كانت تلك الليلة رأيتها فى المنام فقلت ريحانة ما فعل الله بك فقالت زال العنا ونلنا المنى وتحققنا مالنا وبلغنا قصدنا وآمالنا وإن كنت تريد الكلى فمت مثلى:

شهدت بعين الفكر فى حال حضرتى ... ومذ تجلى للقلوب فحنت
شقانى بكأس من مدامة حبه ... فكان من الساقى خمارى وخمرتى
وخاطبنى سرا فناديت جهرة ... ألا يا عباد الله فزت ببغيتى
فغبت عن الأكوان شغلا بنشوتى ... وتهت على العشاق جهرا بكرتى
شغلت بمن أقضى فؤادى محله ... ولم يك شغلى بالرباب وعلوة
ولم ترض روحى بالديار وإنما ... إلى عالم الأسرار رمت مطيتى
فشاهدت معنى لو بدى كشف سره ... لضم الجبال الراسيات لدكت
وها أنا قد ألهمت قصة شكوتى ... فوضع فضلا منه غفران زلتى

قال بعض السادة: حججت إلى بيت الله الحرام فى بعض الأعوام فلما قضيت الحج وأردت الرجوع رأيت شابا قد نحل جسمه واصفر لونه وقد وقف على الراحلة وتنفس تنفس الحزين وقال هل فيكم من يحمل كتاب الغريب الذى طالت غربته اشتدت زفرته وقويت حسرته من أجل عجوز أفنت عمرها فى تربيتى وطال اشتياقها إلى رؤيتى فهل فيكم من يحمل كتابى ويوصله إلى أحبائى ويغنم أجرى وثوابى :

هذا كـتابـى إليكـم مخـبرا لـكم بأنـنى لـم أطق تسـطيـرها بـيدى
لأن إحـداهـمـا مشـغـولـة أبـدا بمسح دمعى والأخـرى على كبدى
فإن تـعوضت واستـبدلت بعـدكم يوما فلا قالنى الـرحمن من كمدى

ثم قال: بالله عليكم إذا وصلتم سالمين فأوصـلوا إليها كتابى وأخبروها بما بى ثم أنشد يقول:

وقـولوا تـركنـا العـامرى مـولهـا بنار الأسى والمشوق قد بلغ الجهدا
فإن سـألوكـم كيف حـال بعـدكم فقولـوا لهم والله ما نقض الـعهد

قال: فرقّ قلبى له وأخذت كتابه من يده وقلت ما الذى يمنعك عن الوصول إلى الدتك فقال لى يا سيدى إذا كانت الأقدار تعوق فما يصنع المخلوق ثم أنشد يقول:

خرجـت وفى أمـلى عـودة ولكـن لسـت أدرى متـى
وإن قد تـلذذت فى غربـتى بـأنس حـبيـبـى لما أتـى
ولـكـــن أرتجـى فـــى غـد بهـا الاجتماع كـما شتـتا

فلما فرغ من شعره صـرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه فاجـتمع أهل القافلة إليه ثم أفـاق بعد ساعة وهو يقول هـيهات هيهات إن ما تـدعون لآت، قرب المزار، ودنت الديار، وكان اللقاء، وآن الرحيل إلى دار البقاء ثم صرخ صرخة عظيمة أخرى فارق الدنيـا رحمه الله تعالى عـليه قال فجهـزناه وكفناه وصلـينا عليه ودفـناه وسرنا طالبين البصرة فلما قربنا منها خرج أهل البلد لتلتقى غيابهم والتهنئة بسلامة أصحابهم وإذا فى آخر الناس عجـوز ضعيفة البصر وقد أضر بـها الكبر قلبها بذكـر الله منتعش وهى تمشى وترتعش وتقول: أما آن قدوم الغائب المـنتظر. أما له فى القافلة من خبر. ثم نادت يا مـعشر القادمين هـل فيكم حامل كـتاب فيه من ولدى خـبرا وجواب ثم أنشأت تقول:

يعـود إلى أوطـانه كـل غائـب ونجلى مع الغيـاب ليس يعود
لقد ذهبت عيناى من كثرة البكا ونيـران قلـبى بـالفـراق تزيـد
لقد كنت أرجو أن يعود ونلتقى ولـكنـنـى عمـا أريـد بـعيـد

قال: فتقدمت إليها وقلت لها: أيتها العجـوز الحزينة الضعيفة الكئيبة معى كتاب من شاب غريب يشكو البعاد ويذكر أن أهله فى هذه البلاد ويشتاق إلى أم كانت كثيرة

الوداد فعند ذلك صرخت العجوز صرخة عظيمة وقالت: هذه والله صفة ولدى الغريب فناولنى الكتاب ليبرد ما بقلبى من اللهيب والاكتئاب، قال: فناولتها الكتاب فجعلت تقلبه وتتأمله وتضعه على عينيها وقلبها وتقول يا رسول الله ولدى الغريب ما فعل بسيدى الحبيب فقلت لها: قد قضى نحبه ولحق بربه، قال: فلما سمعت أن ولدها أضحى غريبا وحيدا بكت بكاء شديدا ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت: سيدى ومولاى إنما كنت أحب البقاء فى الدنيا رجاء الاجتماع بولدى واللقاء والآن لا حاجة لى بعده فى البقاء ثم صرخت صرخة ووقعت على الأرض ميتة فعزمت على تجهيزها وإذا بقائل يقول:

أسمع صوته ولا أرى شخصه يا هذا هون عليك فليس أمرها إليك وأنشد يقول:

أبكى عليكم بالدموع تأسفا	وأندب أياما بوصل نقضت
ولهفى على ربع خلا من أنيسه	وصاح به داعى النوى والتشتت
ودار لنا بالرقمتين عهدتها	بها كان أحبابى وأهل مودتى
ولى زفرات بالغرام تأججت	لها فى فؤادى نار شوق أمضت
فإن لم تعودوا إلى وأنظر حسنكم	إذا أقضى نحبى من عذابى وحسرتى
فيا معشر الإخوان رقوا لمدنف	غريب بلى بالذل فى أرض غربة
فيارب بالهادى البشير محمد	نبى رقى حقا لأرفع رتبة
أجرنا من النيران واغفر ذنوبنا	وشفعه فينا فهو خير البرية
عليه سلام الله ما أظلم الدجا	وما لاح برق لامع فى الدجنة

قال الأستاذ أبو محمد الفراء: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشىء كفرحتهم بثلاثة أشياء رجل مؤمن قتل مؤمنا ورجل يموت على الكفر ورجل فى قلبه خوف الفقر. قال الأستاذ الجنيد: يا معشر الفقراء إنكم تكرمون لله وتعرفون بالله فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به. وقال: نعت الفقير ثلاثة أشياء: حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره. وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام تريد أن يكون لك فى القيامة مثل حسنات الخلق أجمع قال نعم يارب قال عد المرضى وكن لثياب الفقراء فاليا فجعل موسى عليه السلام على نفسه فى كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلى ثيابهم ويعود المرضى. وقيل أقل ما يلزم الفقير فى فقره أربعة أشياء: علم يسوسه وورع يحرزه ويقين يجمله وذكر يؤنسه. وقال ابن الخلال: فلولا

شرف التواضع كان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر. وقال بعضهم: رأيت القيامة قد قامت وكأن قائلا يقول: دخل ابن دينار ومحمد بن واسع الجنة قال: فنظرت إليهما أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لى إنه كان له قميص واحد ومالك بن دينار قميصان. وقال يحيى بن معاذ: لا يوزن الفقر والغنى إنما يوزن الشكر والصبر فتعالوا نصبر ونشكر:

يا معشر الفقراء رب حاكم ... لما احتميتم عن سواه حماكم
أبديتمو فقرا إليه وأنتمو ... أزكى الورى سبحان من أعطاكم
ما شأنكم فى شأن فقر ولا ... ضر إذا مولاكم والاكم
وإذا الملوك تذللت لجنابكم ... جاءت غدا تختال تحت لواكم
يا فوز من صافاكم فى يومه ... ليفوز فى غده بصدق ولاكم

يا أخى من يتصف بأوصافهم ولم يكن مقتديا يكون معتقدا. وقيل بعض المشايخ معه جماعة من الفقراء المسلمين: رأى فى المنام كأن السماء قد انشقت ونزل جبريل عليه السلام ومعه ملائكة إلى النبى ﷺ والملائكة بأيديهم الطشوت والأباريق كأنهم يصبون الماء على أيدى الفقراء وأرجلهم فلما بلغوا إلىَّ مددت يدى ليصبوا فصبوا علىَّ وعلى الفقراء الحاضرين. قال سهل رحمة الله عليه. لو دخل هذه الصفة بالصدق ولو يومًا واحدًا حتى أبلغ إلى السرقة أو غيرها لوجب على نصرته ولو قطع يدى :

ملوك الأرض أرباب الرعايا ... ونحن عبيد خلائق البرايا
إذا رفعوا قدودا كالغوالى ... ركعنا فى قدود كالحنايا
وأنا فى الثرى وهمو سواء ... إذا نزلت بنا رسل المنايا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا

المجلس الخامس عشر فى مناقب الأولياء رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى جعل الفقراء صفوة خلقه، ورفع لهم منزلة وقدرا وفوا له بالعهد فنشر لهم فى الوجد ثناء وذكرا، زين بهم الزمان وملأ بعرف عرفانهم الأكوان عطرا، جعل قربه غاية مطلوبهم، وصير حبهم لكسر قلوبهم جبرا، نكسوا بين يديه رؤوسهم، وكسروا بالذل نفوسهم، فأجرى لهم أجرا استعذبوا التعذيب فى رضا الحبيب وأضحوا فى قيود محبته أسرى، عرضت عليهم الكنوز فرفضوها وحدقت إليهم الدنيا فتركوها، واختاروا فاقة وفقرا، وابتلاهم بالمحن فشكروه على هذه المنن، ولزموا صبرا تحيل عليهم الشيطان فلم يكن عليهم من سلطان ولا أطاق لهم كيدا ولا مكرا فهم الفقراء إلى الله الأغنياء بالله الذين حجبهم عن الأغيار ورفع لهم الأسحار حجابا وسترا :

هم الفقراء عنهم فاروى ذكرا	وقم واسمع لهم خيرا وخبرا
بذكرهم القلوب تهيم وجدا	ومنهم تكتسى الأكوان عطرا
إذا ما الحب ناجاهم تراهم	يميلوا فى الدجا طربا وسكرا
وإن سكروا لهم حال عجيب	يحير حالهم عقلا وفكرا
عن الدنيا تجافوا فاستراحوا	وقد قطعوا الأعمار صبرا
على وجناتهم كتبوا إليه	بأدمعهم حروفا ليس تقرا
وقد شمخوا على الأكون تيها	وإعجابا بحالهم وفخرا
إذا سهروا تراهم فى الدياجى	يديمون الخضوع لديه جهرا
وإن ناموا تولاهم حبيب	بأسرار القلوب إليه أسرى
حبيب كلما راموا لقاه	تجلى للقلوب وشال سترا
فدعهم يا عزولا ولا تلمهم	فساقيهم بهم لا شك أدرى
هم الفقراء والحقراء حقا	هم الأمرا إذا حققت أمرا

قال أبو الأشهل السائح رحمة الله عليه: رأيت غلامًا بطريق مكة التى شرفها الله تعالى قائما يصلى وقد انقطع عن القافلة قال فوقفت أنتظره فأطال فلما سلم قلت له سلام عليك قال وعليك السلام فقلت له إنك قد انقطعت عن الركب ألك رفيق يؤانسك حتى تلحقه قال نعم هو أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فعرفت أنه عارف. قلت أمعك زاد؟ قال نعم قلت فأين هو؟ قال: فى قلبى إخلاصى لربى قلت

هل لك فى مرافقتى؟ قال الرفيق يشغل عن الله تعالى ولا أحب أحداً يشغلنى عنه فقلت أين تأكل؟ قال الذى غذانى فى ظلمة الأحشاء صغيراً قد تكفل برزقى كبيرا فمتى احتجت إلى الطعام والشراب حضر بين يدى قلت فهل من حاجة؟ قال نعم إذا رأيتنى بعد هذا اليوم فلا تكلمنى فقلت ادع لى فقال حجبك الله عن كل معصية وشغلك عما يقربك إليه قلت فأين اللقاء بعد هذا اليوم؟ قال ما بقى بعد اليوم لقاء فإن كنت من أهل القرب فاطلبنى غدا فى منازل المقربين ثم غاب عنى فلم أره بعدها فأنا متأسف عليه طول عمرى:

همو قدحوا الغرام بلا زناد	فطار الشوق من شغف الفؤاد
إذا لم يطفئوا نيران شوقى	بوصل صار قلبى كالرماد
عذولى لا تضع فى العذل وقتى	فلست بقاطع حبل الوداد
ويا حادى النياق لأهل نجد	إذا ما جزت فى تلك البوادى
فقل للحب بالجرعاء عنى	مقالة مغرم الأحشاء صادى
أيا راحى وريحانى وروحى	أتسهرنى وتسلبنى رقادى
ظلام الليل أحسن من ضياء	إذا نظر المحب بلا انتقاد
يقوم به المحب إلى حبيب	عظيم العفو منكسب الأيادى
وسار العارفون إلى رضاه	يحثهم البكا والشوق حادى
وقد جعلوا الحنين لهم حديثا	وتذكار الأحبة خير زاد

قال مالك بن دينار رحمة الله عليه: كان لى جار مسرف على نفسه فاجتمع الجيران إلىَّ يشكونه فأحضرته وقلت له إنه قد كثر عصيانك فإما أن تتوب وإما أن تخرج من هذه المحلة فقال أنا فى ملكى ما أخرج منه قلت نشكوك إلى السلطان فقال أنا من أصحابه قلت فندعوا الله عليك فقال ربى أرحم بى منكم ثم نهض من عندى فلما كان الليل رفعت يدى فى وقت السحر وقلت سيدى قد آذانا هذا الرجل فاصنع اللهم به وافعل فهتف بى هاتف لا تدع عليه فإنه من أوليائنا قال فقمت من ساعتى وطرقت عليه الباب فخرج وظن أنى جئت أخرجه من المحلة فخرج يبكى ويعتذر ويقول يا سيدى السمع والطاعة أنا أخرج من هذه المحلة قال فقلت ما جئتك لهذا وإنما الساعة تضرعت إلى الله تعالى فهتف بى هاتف لا تدع عليه فإنه من أوليائنا فبكى وتاب وحسنت توبته فأصبح الناس يزورونه ويتبركون به وكثروا عليه فخرج إلى مكة التى شرفها الله تعالى ماشيا فأقام بها فحججت فى العام المقبل فبينما أنا فى

وقت الظهيرة فى المسجد الحرام أستظل بحائط وإذا بجماعة قد اجتمعوا فى جانب المسجد فقمت إليهم فإذا هم قد أحدقوا برجل فتأملته فإذا هو صاحبى وهو ملقى على التراب وهو يجود بنفسه فجلست عند رأسه أبكى ففتح عينيه فرآنى فقال يا مالك ترى الله يعفو عن تلك السيئات ويرحم هذه العبرات إنما خرجت من تلك المحلة وفارقت وطنى وأهلى حياء منك وأنت مخلوق مثلى فكيف أقف غداً بين يدى الخالق ثم تنفس ومات رحمة الله عليه (كان وكان) :

ما كان وصل يواصل	ولا العنا يدنى المنا هذى سوابق
لواحق لمن يشاهد الوهاب	قل لى إذا لم تصبر
وتحتمل إيش لك عمل تقدر	بقوة عزمك تغالب الغلاب
سلم قيادتك تسلم واخضع	لمالك مهجتك إذا عنى بك
أتى بك من أقرب الأبواب	كم من موفق تائب
قد بان له سبل الهدى	وكم شقى عاصى إلى الساعة ما تاب
ويحك عروس المنايا	لبيت لحدك خبثت وذا مشيبك
كاس المنايا داير على البرايا كلهم	فقل لمن حاضر يقل لمن قد غاب
غدا تبين الفضائح ويشتهر من قد جنى	وفى القيامة ينادى هل من قصدنا خاب

وحكى عن الجنيد رحمة الله عليه قال: سافرت سنة من السنين إلى بيت الله الحرام فبينما أنا فى الطريق وإذا بصوت موزون من كبد محزون فلما درت إليه وسلمت عليه فقال لى وعليك السلام يا جنيد فقلت له حبيبى ومن أعلمك باسمى فقال التقت روحى وروحك فى الملكوت فأعلمنى باسم الحى الذى لا يموت ثم إنه قال يا جنيد إذا أنا مت فغسلنى وكفنى فى ثيابى هذه واطلع على هذه الرابية وناد الصلاة على الغريب يرحمكم الله وإذا قضيت حجك ورجعت فارجع إلى بغداد واسأل عن درب الزعفرانى وعن أمى وعن ولدى وقل لهم الغريب يقرئكم السلام لا إلى بيته أوصله ولا معكما تركه وإذا أنا بالشاب قد فارق الدنيا رحمة الله عليه قال الجنيد فغسلته وكفنته وطلعت على الرابية وناديت الصلاة على الغريب يرحمكم الله وإذا بجماعة قد أقبلوا من كل فج عميق فصلينا عليه وواريناه تحت التراب فلما قضيت حجى رجعت إلى بغداد وسألت عن درب الزعفران فأرشدت إليه وإذا أنا بصبيان يلعبون فنهض إلىّ من بينهم صبى وقال لى يا عماه لعلك أنت الذى أتيت تخبرنا بموت والدى قال الجنيد فتعجبت من كلام الصبى وأخذ بيدى وأتى إلى الدار

فطرقت فخرجت إلى عجوز وقالت يا جنيد أين مات ولدى لعله مات بعرفة قلت لها لا قالت لعله مات بالبادية تحت شجرة أم غيلان قلت لها نعم فقالت يا ولداه لا إلى بيته أوصله ولا معنا تركه ثم تأوهت وأنشدت تقول:

أرأيت كيف جنى على زمانى	وبأى سهم بالبعاد رمانى
فارقت أحبابا على أعزة	كانوا بقلبى فى أعز مكان
فرزيت بعد فراقهم برزية	فمحت أصول السر من كتمانى
فلئن بكيت ولم تفض عينى دما	لفراقهم يوما فما أقسانى
فتنفسوا الصعدا وقالوا يا فتى	أقرحت جفن العين بالهملان
ما أنت أول من مضت أحبابه	وجرت عليه نوائب الحدثان
الدهر ما يبقى بحال واحد	لابد من فرح ومن أحزان

ثم شهقت شهقة ففارقت الدنيا فنظر الصبى إليها وقال: اللهم لامع أبى أخذتنى ولا مع جدتى خلفتنى. إلهى ألحقنى بهما إنك على كل شيء قدير قال فشهق الصبى شهقة فمات رحمة الله عليهم أجمعين:

مدامعى تجرى كفيض الغمام	وقد جفا جفنى لذيذ المنام
من أجل جيران لنا قد نأوا	والوجد عندى بعدهم قد أقام
كم قلت للحادى وقد جد	فى سير المطايا لبدور التمام
بالله قف بى ساعة نشتفى	ونشتكى الشوق لأهل الخيام
ما كان أهنى عيشنا بالحمى	لله طيب العيش لو كان دام

قال أبو بكر بن الفضل رحمه الله: سألت بعض أصدقائى وكان أصله روميا عن سبب إسلامه فامتنع أن يحدثنى فمازلت به حتى حدثنى قال نزل بنا عسكر المسلمين فحاصرونا سنين فخرجنا إليهم وقاتلناهم فأسرت أنا وحدى عشرة من المسلمين وسلمتهم إلى غلمانى فقيدوهم وحملوهم على البغال فرأيت فى بعض الأيام أحد الموكلين بهم قد أخذ من أحدهم شيئاً وتركه يصلى فأخذت الموكل به وضربته وقلت أخبرنى ما الذى أخذته من هذا الأسير فقال إنه وقت كل صلاة يدفع إلىّ دينار وأطلقه يصلى فقلت وهل معه شيء قال لا ولكنه إذا صلى وفرغ من صلاته ضرب الأرض بيده ودفع إلىّ دينارا فأحببت أن أعرف حقيقة ذلك فلما كان من الغد لبست ثياب الموكل ووكلت نفسى بذلك الرجل وقلت للموكل به رح عنه فإنى اليوم أتوكل

به حتى أنظر حقيقة ما ذكرت لى فلما كان وقت صلاة الظهر أومأ إلىَّ أنه يريد الصلاة ويدفع إلى دينارا فقلت لا آخذ إلا دينارين فقال نعم فتركته فصلى فلما فرغ من صلاته رأيته وقد ضرب بيده الأرض ودفع إلى دينارين جديدين فلما جاء وقت صلاة العصر أشار إلىَّ كالمرة الأولى فأشرت إليه لا آخذ إلا خمسة دنانير فقال: نعم فتركته فصلى فلما فرغ من صلاته ضرب بيده الأرض فأعطانى خمسة دنانير جدد فلما كان وقت صلاة المغرب أشار إلىَّ كعادته فقلت لا آخذ إلا عشرة دنانير فقال نعم ثم صلى فلما فرغ من صلاته ضرب بيده الأرض فأعطانى عشرة دنانير جدد فلما كان وقت صلاة العشاء الآخر أشار على عادته فقلت لا آخذ إلا عشرين دينارا فقال نعم وقام فصلى فلما فرغ من صلاته ضرب الأرض بيده ودفع إلى عشرين دينارا جددا وقال: اطلب ما شئت فإن سيدى غنى كريم لا يبخل على بما أسأله فيه فبت تلك الليلة وقد داخلنى من أمره شىء عظيم وعلمت أنه من أولياء الله تعالى ففككت قيده من رجليه فلما أصبحت دعوته وبجلته وأكرمته وألبسته ثوبا كان علىَّ حسناً وخيرته فى الإقامة عندنا فى بلادنا فى أعز مكان وأكرم محل ويكرم غاية الإكرام أو الرجوع إلى بلاد الإسلام فاختار الرجوع إلى بلده فأحضرت له بغلا ودفعت له زادا وحملته بنفسى على البغل فقال توفاك الله على أحب الأديان إليه فوالله ما استتم هذه الكلمة حتى وقع دين الإسلام فى قلبى ثم أنفذت معه من وجوه أصحابى وغلمانى عشرة وأوصيتهم بإيصاله إلى بلده مبجلا معظما مكرما بحيث لا يسوؤه شىء ولا يعترضه عارض وأن يمتثلوا منه جميع ما يأمرهم به ويفعلوا له كل ما يختاره ودفعت إليه دواة وقرطاسا وجعلت بينى وبينه علامة يكتبها إذا وصل سالما إلى مأمنه وكانت مسيرة ما بيننا وبين بلاده خمسة أيام فلما كان اليوم السادس قدم أصحابى على ومعهم القرطاس مكتوبا بخطه والعلامة التى بينى وبينه فى القرطاس فسألتهم عن سرعة حضورهم فقالوا لما خرجنا من عندك وهو معنا وصلنا فى ساعة واحدة من غير تعب ولا نصب أصابنا، وأقمنا فى المجىء خمسة أيام بالجهد والتعب والنصب فقلت عند ذلك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن دين الإسلام حق ثم خرجت من بلاد الروم إلى بلاد الإسلام وصار أمرى إلى ما صار إليه والحمد لله على الهداية والتوفيق.

هكذا الأولياء عزلوا ودلوا   وأشاروا إلى الطريق فدلوا
فهموا للأنام مزن وغيث   وهموا للقلوب برد وظل

هجروا الخلق فى رضاء وساحوا ليس لـلقوم فى الخـلائق خل
وصلوا الـصوم والصلاة فمـهما مـل ذو الكـد كده لـم يملـوا
حـسبـوا أنـهـم كثـيـرا فـلمـا طلبوا فى مـهامه الأرض قلوا
فبـهم يـدفع البـلاء عن الخـلق وهم مـن أهلهـا حيث حـلوا

إلهى إن كنت لا ترحـم إلا المجتهدين، فمن للمقصريـن؟ وإن كنت لا تقبل إلا المحسنين فمن للمسيئين. إلهى توسلنا إلـيك بحسن الظنون فاغفر جميع زلاتنا يا من لا تراه العيون وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

*****

المجلس السادس عشر فى قوله تعالى:
﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾

الحمد لله العلى المجيد، الولى الحميد، المبدى المعيد، الفعال لما يريد، المتوحد فى جلال كبريائه من غيـر تكييف ولا تحديد، الذى لا ينفد ملكه ولا يـبيد خلق الخلائق وسلكهم أحسن الـطريق إلى الأمر الرشيد وصورهم فأحسـن صورهم، وبشرهم فى الجنة بـالتنعيم والـتخليد، وبصـرهم بعين الاعتبـار وحذرهم عذاب النار والـوعيد، وألزمهم بشـكره وضمن لهم من فضله المـزيد، وحكم عليهم بالموت فـما لأحد عنه محيص ولا مـحيد، فكم أثكل خلـيلا بفراق خليلـه، وكم أيتم ولدا وشغله بـبكائه وعويـله، فهو لا يـبدى بعد رحـيله، ولا يعـيد حكم المـوت على أهل هـذه الدار، وجعلـهم عرضا لـسهام الأقدار، الأحرار مـنهم والعـبيد، فالملـك والمملوك والـغنى والصعلوك كلهم سواء فى القفر والبيد، فسبحان من أذل بالموت من الجبابرة كل جبار عنيد، وكـسر به الأكاسرة كل بـطل صنديد، أخرجهـم من سعة القصـور إلى ضيق القـبور، وقطـع حبل أمـدهم المديـد أخذ بـه الآباء والجدود والأطـفال من المـهود، وأسكنـهم اللحـود، وعفر وجوههـم فى التراب والصـعيد، وساوى فـى الموت بين الصغير والـكبير، والغنى والفقيـر، والمأمور والأمير، والولد والوليـد، أخمد به ذكر الذكـور والإناث فهـم فى سـجن الأجداث إلـى يوم الوعـيد، أفلا يـعتـبر العـاقل بمصرعهم، أين أهل المدن والحصون؟ أين أرباب المعـانى والفنون؟ أين المتحصنون بكل حصن منيع وقصر مشيد؟ أما أصبح مـنهم ذو الشدة والبأس بعد القرب والإيناس فى ظلمة اللحد وهـو وحيد، أما وعظكم الموت بمن أخذ منهم من شـقى وسعيد وقريب

وبعيد، أما أنذرهم قول الملك المجيد ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ (كان وكان).

ويحك تنبه لنفسك واعمل لما تبقى غدا ... فالموت يأتى بغتة وليس عنه محيد

من لك إذا ما ملّك من كان يهوى صحبتك ... وحزت لحدك وحدك غريب وحيد

إن كنت يا صاح نائم يوم القيامة تنتبه ... إذا رأيت الخلائق فى موقف التهديد

وقيل لك اقرأ كتابك كفى بنفسك شاهده ... وقد أتيت الموقف بسائق وشهيد

فدع دموعك تجرى قبل أن يقال بين الملا ... ألم تكن قبل تدرى أن الحساب شديد

ترى الخلائق حيارى من هول ما شاهدوا ... وليس تدرى ما هو منهم شقى أو سعيد

فمن أطاع المولى فذاك منه قد قرب ... ومن عصاه وخالف فذاك منه بعيد

كل القلوب قد لانت لكن قلبك قد قسا ... كان قلبك أضحى بين القلوب حديد

ويحك فراقب ربك واسمع كلامى واتعظ ... عسى قساوة قلبك تلين بالتشديد

فيا غافلا عن الموت وقد هدم ركن عمره المشيد إلى متى أنت فى نوم غفلتك لا تبدى ولا تعيد أما سمعت قول العزيز الحميد ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ قوله تعالى: ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق**﴾ يريد بذلك وعد الله تعالى على لسان نبيه ﷺ من ظهور ملك الموت وأن يكشف له عن مقعده إما فى الجنة أو فى النار وذلك عند مجىء سكرة الموت وهو الحق الذى ذكره المصطفى ﷺ من الإيمان بالغيب ثم من بعده سؤال القبر بمنكر ونكير وهو أول ما يلقى الميت إذا ألحد وأما سكرة الموت فهو اسم مفرد للجنس لأن للموت سكرات ولما كان رسول الله ﷺ يعالج سكرات الموت كان يقول: «**إن للموت سكرات**».

وسكرات الموت بحسب كل شخص بما فعل فى دار الدنيا، وسميت سكرة؛ لأنها تدخل العقول عند ظهورها، فيبقى الإنسان كالسكران وذلك أن أعمال العبد تظهر له عند الموت صفاتها فى الحسن والقبح، يريد جزاء العمل، فالمغتاب تقرض شفاهه بمقاريض من نار، والسامع للغيبة يسلك فى أذنيه نار جهنم، والظالم تتفرق روحه بكل مظلوم، وآكل الحرام يقدم له الزقوم، وكذلك إلى آخر أفعال العبد فالميت يجوزها سكرة بعد سكرة فعند آخرها تقبض روحه وهو قوله تعالى: ﴿**ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ يعنى تحيد بطول الآمال والحرص على البقاء فى دار الدنيا.

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى أناساً يضحكون فقال: «**أما إنكم لو ذكرتم هازم اللذات لشغلكم عما أرى ثم قال أكثروا من ذكر هازم**

اللذات وإنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال: كان أبى رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول: إنى لأعجب من الرجل نزل به الموت ومعه عقله ولسانه كيف لا يحدِّث به ويصفه قال فلما نزل به الموت قلت يا أبت كنت تقول كذا وكذا قال: يا بنى الموت أعظم من أن يوصف ولكن سأصف لك منه شيئا والله لكأن على كتفى جبال رضوى وتهامة ولكأن روحى تخرج من ثقب إبرة ولكأن فى جوفى شوك القتاد ولكأن السماء أطبقت على الأرض وأنا بينهما.

وروى عن عيسى عليه السلام أن بنى إسرائيل أتوا إلى قبر سام بن نوح عليه السلام فقالوا له: يا روح الله ادع الله تعالى أن يحيى لنا صاحب هذا القبر حتى نسمع منه حديث الموت فجاء عيسى عليه السلام إلى قبر فصلى ركعتين ودعا الله تعالى أن يحيى سام بن نوح فأحياه الله تعالى فقام وإذا رأسه ولحيته قد ابيضتا فقال له ما هذا الشيب فإنه لم يكن فى زمانك قال سمعت النداء فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسى ولحيتى من الهيبة فقال له منذ كم أنت ميت قال منذ أربعة آلاف سنة وما ذهبت مرارة الموت عنى.

وقال وهب بن منبه رضى الله عنه: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يرى الملكين اللذين كانا يحفظان عمله فى الدنيا فإن صحبتهما بخير قالا جزاك الله عنا خيراً فكم من مجلس خير قد أجلستنا وعمل صالح قد أحضرتنا وإن كل رجل سوء قالا له لا جزاك الله عنا خيراً فكم من مجلس شر أجلستنا ومن كلام سوء أسمعتنا قال فذلك الذى يشخص بصر الميت ثم لا يرجع إلى الدنيا أبداً.

وروى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد بعد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله فرفع رأسه وقال: «**استعيذوا بالله من فتنة القبر ومن عذابه**» مرتين أو ثلاثا ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت فيجلس عند رأسه ويقول أيتها النفس المطمئنة الزاكية اخرجى إلى مغفرة الله ورضوانه فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذونه ولا يدعونها فى يده طرفة عين فيجعلونها فى ذلك**

الكفن والحنوط فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون لها فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى: اكتبوا كتابة فى علـيين وأعيدوه إلى الأرض منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيقولا له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دين الإسلام فيقولا له ماتقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم أهو رسول الله فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما علمك به فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته قال فيناد مناد من السماء صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فأتيه من ريحها وطيبها وروحها ورائحتها ويفسح له قبره مد البصر ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الرائحة فيقول له أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة شوقاً إلى ما يرى من النعيم».

نحن فى عيشة الوصال الهنيه	نجتلى الراح فى الكؤوس السنيه
هجرنا دار الفناء وسرنا	لدار حياتها أبديه
آنستنا هياكل النور	لما فارقتنا الهياكل البشريه
وسمعنا الخطاب طيبوا فلا حزن	عليكم ولا تخافوا منيه
قد حظيتم برؤيتى وخطابى	وسكنتم دار الجنان العليه

قال: **«وأما العبد الكافر إذا كان فى إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة نزلت إليه ملائكة سود الوجوه ومعهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط الله وغضبه فتتفرق الأعضاء كلها فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فتنقطع الأعضاء كلها وتخرج منها رائحة منتنة فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون هو فلان ابن فلان بأقبح أسمائه حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح له»**، ثم قرأ رسول الله ﷺ **﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط﴾** ويقول الله تعالى: **«اكتبوا كتابه فى سجين»** ثم تطرح روحه طرحا ثم قرأ سول الله ﷺ **﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر**

من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾ فتعاد روحه فى جسده ثم يأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء كذب عبدى فافرشوا له من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيدخل عليه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول له أبشر بالذى يسؤوك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فيقول أنا عملك الخبيث السيىء فى دار الدنيا فيقول رب لا تقم الساعة».

واطول حزن الأنفس الشقية	إذا أتاها طارق المنيه
ويا حياها ساعة العرض على	عليم أسرار الورى الخفيه
ما حالها إن دخلت دار البقا	وخلدت فى نارها مجزيه
وألبست من السعير حلة	لم تبق من أوصافها بقيه
أعمالها خبيثة من أجل ذا	خصت بدار الحزن والرزيه

وقال رسول الله ﷺ: **«سكرات الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وإن بعده سبعين هولا كل هول أشد من الموت بسبعين ضعفا»**.

وقال الحسن البصرى رحمة الله عليه: تفكرت ليلة فى الموت والقبر فرأيت تلك الليلة كأنى فى المقابر والأموات فى لحودهم ولهم فرش ورائحة طيبة فقلت من هؤلاء فقيل لى هم المطيعون وهم فى كرامة الله إلى يوم يبعثون قلت فأين المذنبون فقيل لى غارت بهم الأرض فى ظلمات الوحشة لا يَرُون ولا يُرَوْن شتان بين الطائفتين من كانت الدنيا سجنه كان القبر فرجه ومن كانت الدنيا فرجه كان القبر سجنه ومحنته ما نالوا حلاوة الوصل وراحة الوجد إلا بعد مرارة التعب ما طربوا على سماع الإيقاع إلا بسد السمع ولا شاهدوا وجه الجمال إلا بغض البصر.

عج بالمعالم والربوع	واسأل بهن عن الجموع
من سادة فى دهرهم	صبروا على الضيم الفظيع
أين الذين عهدتهم	يا دار فى العز المنيع
إن لم تجبك ديارهم	عن ذا ولا القصر الرفيع
فلسان حالهم يقول	أما نظرت إلى الربوع

قـد أصـبـحت مـهـجـورة	من بـعد منظـرها البـديع
هـيـهـات أن يـنـجـو غـدا	يوم الحساب سـوى المطيع

(إخوانى) ما هذه الغفلة وإلـى البلى المصير وما هذا التوانى والـعمر قصير وإلى متى هذا التمـادى فى البطالة والتقصيـر وما هذا الكسل وقد أنذرك النذيـر فإلى متى تتبهرج والناقد بـصير يا هذا جولانك فى البطالة حيرك وركـونك إلى اغترارك غيرك وهروبك عمن صورك إلى النار وصيرك أما تذكـر ساعة يعرق لهولها الجبين وتخرس من فجـأتها الألسن وتقـطر قطرات الأسف من الأعـين فتذكروا رحمكـم الله فالأمر شديد وبادروا بقية أعماركم فـالندم بعد الموت لا يفيد ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ .

(إخوانى) أين أحبـابكم الذين سـلفوا؟ أين أترابـكم الذين رحلـوا؟ أين أرباب الأموال وما خلفوا، ندموا عـلى التفريط يا ليتهم عرفوا هول مقام يـشيب منه الوليد ﴿**وجاءت سكرة الموت ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ يا من جسده حى وقلبه ميت ستعاين عند الحسـرات مالا تريد ﴿**وجاءت سكـرة الموت بالحق ذلك مـا كنت منـه تحيد**﴾ يا أخى كم أزعج المنـون نفوسا من ديارها وكم أباد الـبلى من أجساد منعـمة لم يدارها وكم نقل إلى الحفائر أرواحا بأوزارها وكم أذل فـى التراب خدودا بعد مزارها فابك يا أخى على نفسك قـبل بكاء لا يفيد ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلـك ما كنت منه تحيد**﴾ انتبه يا هذا فالدنيا أضغاث أحلام ودار الفناء لا تصلح للمقام ستفهم قولى بعد قليل من الأيام وما غاب عنك بعضه ستراه على التمام إذا جاء الكشف وذهب التقليد ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ ويحك أما علمت أنك ترحل فى كل مرحلة أما عـلمت أنه يحصى عليك من الأعمال كـل خردلة وكم من مؤمن خاله فى الحسـاب ما أمله غامضه مر القضـاء وعاجله ولم تبلغه الآمـال إلى ما يريد ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ يا معرضا عن المولى إلى متى هذا الإعراض وقد ولى شبـابك فى طلب الإعراض أما علمت ويـحك أن عمرك فى انقراض وقواك كل ساعة فى انتقاض ويحك تزود فالسفر والله بعيد ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ نح على نفسك فربما ينفع التعديد أما علمت أن الموت لك بالمرصاد أما صاد غـيرك ولك سيصطاد أما بلغك ما فعل بـسائر القصاد أما حذرك غفلتك عنه فى كل موطن وواد أما سمعت قول الملك المجيد ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾.

عباد الله تدبروا القرآن المجيد وأحضروا قلوبكم بفهم الوعد والوعيد ولازموا طاعة الله **فهذا شأن العبيد** واحذروا غضبه فكم قصم من جبار عنيد **﴿إن بطش ربك لشديد﴾** أين من بنى وشاد وطول وتأمر على العباد وسارق الأول وظن جهلا منه أنه لا يتحول فسقوا إذ فسقوا كاسا على هلاكهم عول أتراهم لم يسمعوا إلا نذار بالموت والتهديد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** فيا من أنذره يومه وأمسه وحادثه بالعبر قمره وشمسه وهو مصر على الخطايا وقد دنا رمسه، وهو غافل عما جاء بالزجر والوعيد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** أما علمت أيها الإنسان أنك مسؤول عن الزمان ومحاسب على خطوات القدم وهفوات اللسان وتشهد عليك الجوارح والأركان بما فعلت فى زمن الإمكان أما علمت أن الموت لك بالمرصاد وهو أقرب إليك من حبل الوريد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾**.

فيا من ينظر العبر بعينيه ويسمع المواعظ بأذنيه وكلماته معدودة عليه ونذير الموت قد دنا إليه بالإسراع والتأكيد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** كأنك بالموت قد اختطفك اختطاف البرق ولم تقدر على دفعه عنك بملك الغرب والشرق وتأسفت على ترك الأول والآخر والأسف الشديد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** (كان وكان) :

ويحك تهدم عمرك	وربع قلبك قد خرب
أما ترى الشيب أبيض	والقلب فى التسويد
من عن يمينك كاتب	لكل خير تفعله
كذلك للشر حاسب	على الشمال قعيد
تزوغ مثل الثعلب	إذا أسرت بتوبتك
وإن بدت لك شهوة	وثبت كالصنديد
ويحك فقرب قلبك	إلى سبيل الموعظه
عسى قساوة قلبك	تلين بالتشديد
فكل قلب قاسى	يلين عند الموعظه
يرجى له الخير فافهم	إشارة التجريد
إن كان مالك عده	ولا سلاح يحملك
فاحرص عسى تسلم	لك علامة التوحيد

إلهى إن كانت ذنوبنا قد أخافتنا من عقابك فإن حسن الظن قد أطمعنا فى ثوابك فإن عـفوت فمن أولـى منك بذلـك وإن عذبت فـمن أعدل منـك. إلهى ما أعـظم حسرتى أذكر غيرى وأنا الغافل مولاى ما أشد مصيبتى أنبه غيرى وأنا النائم سيدى ما أبلغ قـصتى أدل غيـرى وأنا الحائر. إلهـى جد بالعـفو على مذكـر متكلـف وسامع متخلف. إلهى إذا دللـت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظـتى إليك أتراك تقبل المدلول وترد الدليل. إلهى إن لم يكن كلامى خالصا لوجهك ففى مجلسى من حضر مخلصا لوجهك فشفعه فى تقصيرى بـنور وجهك وارحمنا أجمعين برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المجلس السابع عشر فى إثبات كرامات الأولياء رضي الله عنهم

الحمد لله الذى نصـب لأهل محبته على بـاب خدمته خياما وأعلامـا فإذا نامت الخلق جذبهم إلـيه فباتوا بين يديه سجدا وقـياما، فما أحسنهم أول اللـيل خداما وما ألطف شمائـلهم آخر الليل نداما، وقد فـتح لهم الباب وكشف لهـم الحجاب وأنعم عليهم بمشاهدته إنعاما.

حادى الركب إن وصلت الخياما ... أقرئ عينى تلك الوجوه السلاما
قبـل الأرض ثـم قـل أنا والله ... على العهـد ما نقضت الذماما
كيـف أختـار منذ رحلتم بديلا ... وهـواكم بمهجتـى قـد أقام

اعلم أن من أجل الكرامـات التى تكون للأولياء دوام التوفيق لـلطاعات والحفظ عن المعاصـى والمخالفات ومما يشـهد من القرآن على إظـهار الكرامات للأولـياء قوله تعالى فى قصة مريم عليها السلام ولم تكن نبيا ولا رسولا ﴿**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾ وقال تعالى لمريم عـليها السلام ﴿**وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا**﴾ وكان ذلك من غير أوان الرطب ومن ذلك ما ظهر للخضر عليه السلام من إقـامة الجدار وغيره من الأعاجيب وما كان تعرفـه مما خفى سره على موسى عليه السلام كل ذلك أمور خارقة للعـادة اختص الخضر بها ولم يكن نبيا وإنما كان وليا، وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت إليه وقالت: إنى لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث**»[1].

(١) هذا الحديث رواه البخارى باختلاف بسيط فى اللفظ وراجع الحديث فى فتح البارى من تحقيقنا وانظر فهارسه المسماة مفاتيح القارى لأبواب فتح البارى بشرح صحيح البخارى من تأليفنا.

وقال الحسن البصرى رحمة الله عليه: كان بعبادان رجل فقير أسود يأوى إلى الخرابات فحصل معى شيء فطلبته فلما وقعت عينه على تبسم وأشار بيده إلى الأرض فصارت الأرض كلها ذهبا تلمع ثم قال هات ما معك فناولته وهالنى أمره فهربت. وعن أبى يزيد قال دخل علىَّ أبو على السندى وكان أستاذه وبيده جراب فصبها فإذا هى جواهر فقلت له من أين لك هذا قال وافيت واديا ههنا فإذا هو يضيء كالسراج فحملت هذا منه فقلت كيف كان وقتك الذى وردت فيه الوادى قال وقت فترتى عن الحالة التى كنت فيها.

وقال ذا النون المصرى: رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه وقلت له إنك لتكثر الصلاة فقال أنتظر الإذن من ربى فى الانصراف قال فرأيت رقعة سقطت فيها مكتوب من العزيز الغفور إلى عبدى الصادق انصرف مغفوراً لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. وقال جابر الرحبى رحمه الله: كان أكثر أهل الرحبة على الإنكار فى باب الكرامات فركبت السبع يوما ودخلت الرحبة وقلت أين الذين يكذبون أولياء الله تعالى قال فكفوا بعد ذلك عنى. وقال بكر بن عبد الرحمن رحمه الله: كنا مع ذى النون المصرى فى البادية فنزلنا تحت شجرة أم غيلان فقلنا ما أطيب الموضع لو كان فيه رطب فتبسم ذو النون وقال تشتهون رطباً وحرك الشجرة وقال أقسمت عليك بالذى أنبتك وخلقك شجرة إلا ما نثرت علينا رطبا جنيا ثم حركها فنثرت رطبا فأكلنا وشبعنا ثم نمنا وانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكا.

أيا من كلما نودى أجابا	ومن يجلاله ينشى السحابا
وكلم فى الدجا موسى بلطف	كلاما ثم ألهمه الخطابا
ويا من رد يوسف بعد بُعْد	وكان أبوه ينتحب انتحابا
ويا من خص أحمد واصطفاهُ	وأعطاه الرسالة والكتابا
وقربه وسماه حبيباً	وأعتق من شفاعته الرقابا
لك الفضل المبين على عطاء	مننت به وضاعفت الثوابا

وقيل: كان جماعة مع أيوب السختيانى فى سفره فأعياهم طلب الماء فقال أيوب: أتسترون على ما عشت فقالوا نعم فدور دائرة فنبع الماء فشربنا فلما قدموا البصرة أخبر به حماد بن زيد قال عبد الواحد بن زيد شهدت معه ذلك فى اليوم. وقيل حج سفيان الثورى مع شيبان الراعى فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان أما ترى هذا

السبع فقال لاتخف.فأخذ شيبان أذنه فعركـها فبصبص وحرك ذنبه فقال سفيان ما هذه الشهرة فقال لولا مخافة الشهرة لوضعت زادى على ظهره حتى آتى مكة.

وقال أحمد بن منصور رحمه الله: قال لى أستاذى أبو يعقوب السوسى: غسلت مريدا فأمسك إبهامى وهو على المغتسل فقلت يا بنى خل يدى أنا أدرى أنك لست بميت وإنما هى نقلة من دار إلى دار خل يدى. وقال الشبلى رحمه الله: عقدت عقدا مع الله تعالى ألا آكل إلا من الحلال فكنت أدور فى البرارى فرأيت شجرة تين فمددت يدى إليها لآكل منها فنادتنى الشجرة احفظ عليك عقدك لا تأكل منى فإنى ليهودى. وقال عبد الله بن حنيف رحمه الله: دخلت بغداد قاصداً الحج ولم آكل الخبز أربعين يوماً ولم أدخل على الجنيد وكنت على طهارة فرأيت ظبياً على رأس البئر وهو يشرب وكنت عطشانا فلما دنوت إلى البئر ولى الظبى فإذا الماء فى أسفل البئر فمشيت وقلت يا سيدى مالى محل هذا الظبى فنوديت من خلفى جربناك فلم تصبر فارجع وخذ فرجعت فإذا البئر ملآنة ماء فملأت ركوتى فكنت أشرب منه وأتطهر إلى المدينة ولم ينفد ولما استقيت سمعت هاتفا يقول إن الظبى جاء لا ركوة ولا حبل وأنت جئت معك الركوة فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد على قال: لو صبرت ولو ساعة لنبع الماء من تحت رجليك..

غرست الحب غرساً فى فؤادى	فلا أسلو إلى يوم التنادى
جرحت القلب بالهجران منى	فشوقى زائد والحب بادى
سقانى شربة أحيا فؤادى	بكاس الحب من بحر الوداد
فلولا الله يحفظ عارفيه	لهام العارفون بكل وادى

وقال محمد بن سعيد البصرى رحمه الله: بينا أنا أمشى فى طريق البصرة إذ رأيت أعرابيا يسوق جملا فالتفت فإذا الجمل وقع ميتا ووقع الرحل والقتب فمشيت ثم التفت فإذا الأعرابى يقول يا مسبب كل سبب ويا مأمول كل ذى طلب رد على ما ذهب بحمل الرحل والقتب فإذا الجمل قائم والرحل والقتب فوقه. وقال أبو بكر الهمدانى رحمه الله بقيت فى برية الحجاز أياما لم آكل شيئا فاشتهيت باقلا حاراً وخبزاً من باب الطاق فقلت أنا فى البرية وبينى وبين العراق مسافة بعيدة فلم أتم كلامى إلا وإذا أنا بأعرابى من بعيد ينادى يا باقلا حار وخبز فتقدمت إليه وقلت له عندك باقلا حار وخبز قال نعم وبسط مئزرا كان عليه وأخرج خبزا وباقلا وقال لى كل فأكلت ثم قال لى كل فأكلت ثم قال لى كل فأكلت فلما قال لى الرابعة قلت

بحق الذى بعثك لى إلا ما قلت لى من أنت قال أنا الخضر ثم غاب عنى فلم أره:

كفـاك سبق علـمك بى كفـانى	وحسبك من سـؤالك أن ترانى
ولـى فى كـل وقت مـنك بـر	يـبـشـر بالأمـان وبـالأمـانـى
وما حـاولت رزقـا منـك يومـا	عـلى بـعـد المـدى إلا أتانـى

وقال إبراهيم الخواص رحمة الله عليه دخلـت خربة فى بعض الأسفار فى طريق مكة التى شرفها الله تعـالى بالليل فإذا فيها سبع عظيم فخفـت منه فهتف بى هاتف: اثبت فإن حولك سـبعين ألف ملك يحفظونك. وقال أيـوب الحمال رحمه الله: كان أبو عبد الله الديلمى رحمه الله إذا نزل منـزلا فى سفر عمد إلى حماره وقال فى أذنه كنت أريد أن أربـطك فالآن لا أربطك وأرسلك فـى هذه الصحراء لتأكـل الكلأ فإذا أردنا الرحيل فتـعال فقال إذا كان وقت الرحيل يأتيه الحـمار. وقال آدم بن أبى إياس رحمة الله علـيه: كنت بعسقـلان وكان يغشانا شاب ويجـالسنا ويتحدث معنا، فإذا فرغنا قام إلـى الصلاة يصلى فودعنا، وقال: أريـد الإسكندرية فخرجت معـه فناولته دراهم فأبى أن يأخذها فألححت عليه فألقـى كفا من الرمل فى ركوته واستقى من ماء البحر فقال لى كلمة، فنظرت فإذا هو سويـق وسكر كثير فقال من كان حاله مثل هذا يحتاج إلى دراهمك ثم أنشأ يقول:

ليس فى الـقلب والفؤاد جمـيعا	موضـع فارغ لـغيـر الحبـيب
هـو سؤلـى ومنـيـتى ومـرادى	وبه مـا حييت عـيشى يطـيب
فـإذا ما الـسقـام حـل بقـلبـى	لم يكن غـيره لسقمى طـبيب

(فصل) إذا هب على القوم نسيم عناية الحق فما حيى القلوب التى أماتتها الجهالة والغفلة سقاها بكأس التوفيق رحيـق التحقيق فسرت فى أرواحهم آثار المسرة والأفراح نظروا إلى الدنـيا بعين الاعتبار فرأوها ليـست لهم بدار، فاغتنمـوا البدار إلى الآخرة بالجد والاقتـدار، قطعوا النهار بـالصيام والليل بالـقيام والأذكار، فإذا التذ الـغافلون بالنوم، تلذذوا بمنـاجاة الكريم بالأسحار، قد بذل لهم الحبيب رضـاه فآثروا حبه على ما سواه، فسقاهم بكـأس المصافاة، وتجلى عليهم فى خلوة السحـر فتلذذوا بمشاهدته ورؤياه، وناداهـم يا عبادى وأحـبابى، هلـموا إلى بابـى، فقد رفعـت لكم حجـابى وأبحتكم جنابى وأعطيت كلا منكم قصده ومناه :

قـوم علـى مولاهـمو وأقـبلـوا ... وأعرضوا عن كل شىء سواه
وحـرمـوا نـوم الدجـى رغـبـة ... فيـما لديه كـى ينالـوا رضاه
دمـوعـهـم فوق خـدود لـهـم ... تجرى اشتياقا منـهمو فى لقاه
قـد طلـقوا الـدنـيا بـلا رجعـة ... وآثـروا فـوق هواهـم هـواه
يا مـن أضاع الـعمر فـى غفـلة ... ولم ينـل من فعل خيـر مناه
بـادر إلى الـتوبـة مـن قبـل أن ... تـعدم والله سـبيـل الـنجـاه
وازرع ليـوم البعـث زرع التـقى ... لعـل أن ينـمـو وتجنى جـناه
وإن تخف من قبـح ذنب مضى ... فلـذ بمن تأوى إلـيه العـصاه
مـحمـد المخـتـار خيـر الـورى ... من طبق الأرض جميعا شذاه
صلـى علـيه الله مـا أشرقـت ... شمس وما حنـت إليه الحداه

*****

المجلس الثامن عشر فى قوله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾

الحمد لله الذى تعرف إلى أوليائه بنعوت الجمال فعرفوه، ودلهم به عليه فرافقهم بالأنس فألفـوه، ألهم أسرارهم أسماءه، فبذكـره لهم ذكره يباهى بأحوالـهم الملائكة وكيف لا وقد أحبـهم وأحبوه حمى إقليم قـلوبهم طوارى الغفلة فـلا يتركوه أحرزوا حاصل العمر فى صـندوق الإخلاص وختموه ففقدوا دفتر أعمالهـم من غلط الخطايا وصححوه، خافوا الفضـيحة يوم الحساب فحفظوا الأمانة فيما ائتـمنوه، نالوا المقصود من محبوبهم وفوق ما طلبوه، والمحروم فى تـيه الحرمان حرموه وما رحموه وأخجلته فى المحشر وسرابيل الذل ألبسوه، ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ والحمد لله الذى اخترع الموجـودات بلا شريك ولا معين، تـعالى فى علو شـأنه عن صفات التـمكين والتكويـن، استوى على العـرش وينزل إلى السماء لاسـتغفار المستـغفرين، والأرض جميعا فى قبضته يوم القيامة والسموات مطويات باليمين. أحسن كل شىء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين أبدعه من نطفة حقيرة وسفره فى أقاليم الأطوار فإذا هو خصيم مبين، سلط عليه الشهوات، ليعلم أنه ذلـيل مهين، فأهل المعاصى جفت من عيونهم دموع العبرات فـلا معين ولا معين، والأحباب بالبـاب يناديهم حبيبـهم نداء المحبين، وسارعوا إلـى مغفرة مـن ربكم وجنة عـرضها السمـوات والأرض أعدت للمـتقين،

والحمد لله الـذى لا تغيره الحوادث ولا يبـليه تعاقب الأزمـان والدهور، يعلم خـائنة الأعين وما تخفى الصـدور، أنزل من المعصرات ماء أحيا به النبات، مـنظومه والمنثور نقله إلى الأغذية فتولد منه المنى لإيجاد الإناث من الحيوان والذكور ليظهر فيهم فضله وعدله فهذا مجبور وهذا مكسور، نقش فى ألواح أرواحهم يوم الإيجاد حروف الحبور والثبور، لكـل منهم يجرى لما لا يدرى غيـب عنهم عواقب الأمور ثم رمـاهم بسهم المنية الصائب فأصاب منهم النحور، ثم عزاهـم بقوله ليعلموا عدله فى قضائه وإنه لا يجور ﴿**كل نفس ذائقة المـوت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فـمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾ فسبحان من يقضى ولا يقضى عليه يكـسر الصحيح ويجبـر المكسور أحمده حمد مـن يرجو رحمته لعلـمه الرحيم الغفور وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شـهادة أعدها ليوم النشور وأشهد أن محمداً عبـده ورسوله شفيع الأمم يوم يبعـث فى القبور صلى الله علـيه وعلى آله وأصحابه مادامت الأزمان والعصور.

(**إخوانى**) لقد خسر من طلب الفانى وهو عـنه راحل أما يشاهد حادى الجديدين وهو يطوى من العمـر المراحل، أما الليل والنهار مرصدان لحـمل الأعمال بالرواحل، أما ترى من شيد الحصـون وعقل العقائل أبادهم بسيف الحمام فـكل عن ملكه زائل، أين نوح وعـاد وثمود وتبع والملـوك الأوائل؟ أين من ملـكها شرقا وغربـا رحل وما حظى منها بطائـل، نقل إلى بيت مظلم فاستوى فيه ذو السـلطان والخامل، اندرست معالمهم وعادت دروسا تدرس ليعتبر الظالم والجاهل أما تسمع نداءهم وهم صموت، أما تتعظ بهم يا عاقل أين شداد والنعمان أين كسرى والإيوان أين ملوك بابل؟ أبادهم الحدثان ليوم يقدمون فيه على ماقدموه﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾(كان وكان):

لا تـأمـن الدنـيـا وقـد أرتـك خداعـهـا	كم من رفيـع شامخ إلى البلـى جلبوه
فازرع إذا شئت تحصد وجد فى طلب العلا	وثق بـوعد المولى فـى كل ما تـرجوه
واعلـم بأن الناجـى يوم القـيامة من لـظى	قوم أطاعـوا المولى جهراً ولم يـعصوه
قد خـص أهل السـعادة بنور عـلم المعـرفة	وزاد أهل الـشقاوة جهـلا فما عـرفوه
فاعمـل ليوم تسود فـيه الوجوه من الـشقا	كذا لأهـل السعادة تـبيض فيـه وجوه

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله: سألت الله تبارك وتعالى ثلاث ليال أن يرينى رفيقى فـى الجنة فرأيت كأن قائـلا يقول لى يا عبد الواحـد رفيقك فى الجنة مـيمونة

السوداء فقلت وأين هي قال في آل بني فلان بالكوفة قال فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها فقيل هي مجنونة بين ظهرانينا ترعى غنيمات لنا فقلت أريد أن أراها فقالوا: اخرج إلى الجبال فخرجت فإذا هي قائمة تصلي وبين يديها عكاز لها وعليها جبة من صوف مكتوب عليها: لا تباع ولا تشترى وإذا الغنم مع الذئاب فلا تأكل الغنم ولا الغنم تخاف الذئاب، فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت: ارجع يابن زيد ليس الموعد ههنا إنما الموعد في الجنة فقلت يرحمك الله ومن أعلمك أني ابن زيد فقالت: أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقلت لها عظيني فقالت واعجبا واعظ يوعظ ثم قالت: يا بن زيد إنك لو وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتك بمكتوب مكنون ما فيها يابن زيد إنه بلغني أنه ما من عبد أعطى من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله عز وجل حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الأنس الوحشة ثم أنشأت تقول:

يا واعظا جاء بالعيوب	يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا	هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا	عيبك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي	موضع صدق من القلوب
تنهى عن الغي والتمادي	وأنت في النهي كالمريب

فقلت لها إني أرى هذه الذئاب مع الغنم فلا الغنم تفزع من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فأي شيء هذا فقالت إليك عني فإني أصلحت ما بيني وبين سيدي فأصلح ما بين الذئاب والغنم ثم أنشأت تقول:

لو كنت يوم اللقا معينا	لم يردوا ماء للسلوى معينا
لولا الهوى لم أدر ما طعم الردى	ولا أذعت سرى المصونا
تصد ليلى كل يوم جفوة	تبدى لنا من الأسى فنونا
باتوا ففى الأحشاء منهم لوعة	يمنعها الغرام أن تبينا
لهفى على بعد الحمى وقد أرى	تلهفى من بعدهم جنونا
حرمتمو طرفى على النوم فما	أظن نومى يعرف الجفونا
حاشا لسمعى أن يرى مستمعا	عذلا وحاشى أن يرى مفتونا

(إخوانى) هذه علامة الصادقين. إخوانى هذه مدائح المؤمنين. إخوانى هذه آثار المتقين. إخوانى هذه روضات السابقين. يا من توالى فى المعاصى ارجع فالذى دعاك مجيب. إخوانى كأنكم بقاطع الآمال قد هجم ونقلتم إلى بيت الديدان والظلم، وفرق من شمل الأحباب ما انتظم، وقد ندم المفرط حيث لا ينفعه الندم على ذهاب الأعمار فى الأيام الخالية ﴿**يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**﴾ ويحك أما تحذر من بوعيده حذرك! أما تستحى ممن أوجدك وصورك! كأنى بك والله وقد نسيك الحبيب وأفردك وإلى ضيق قبرك أوردك وعادت قلوب وحزنت عليك سالية ﴿**يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**﴾.

واحسرتى واشقوتى من يوم نشر كتابيه ... واطول حزنى إن أكن أوتيته بشماليه

وإذا سألت عن الخطا ماذا يكون جوابيه ... واحر قلبى أن يكون مع القلوب القاسيه

كلا ولا قدمت لى عملا ليوم حسابيه ... بل إننى لشقاوتى وقساوتى وعذابيه

بارزت بالزلات فى أيام دهر خاليه ... من ليس يخفى عنه من قبح المعاصى خافيه

أستغفر الله العظيم وتبت من أفعاليه ... فعسى الإله يجود لى بالعفو ثم العافيه

وحكى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شيع جنازة فلما اصطف الناس تأخر عنها فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها فقال: إنى ما تأخرت عنها إلا لأن القبر نادانى من خلفى: يا عمر يابن عبد العزيز ألا تسألنى ما صنعت بالأحبة فقلت له وما صنعت بهم فقال فرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصصت الدم وأكلت اللحم. ألا تسألنى ما صنعت بالأوصال فقلت له وما صنعت بها فقال فرقت الكفين من الذراعين والركبتين من الساقين والساقين من القدمين ثم بكى عمر، وقال: إن الدنيا بقاؤها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير وشبابها يهرم وحيها يموت فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها أين قراء القرآن؟ أين حجاج بيت الله الحرام؟ أين صوام شهر رمضان؟ ما صنع التراب بأبدانهم والديدان بأجسادهم والبلى بعظامهم وأوصالهم كانوا والله فى الدنيا على أسرة ممهدة وفرش منضدة فارقوا الأهل والوطن وصاروا بعد السعة فى المضايق وتزوجت نساؤهم وترددت فى الطرقات أبناؤهم وتوزعت القربات ديارهم وتراثهم فمنهم والله الموسع له فى قبره ومنهم والله المضيق عليه فى لحده هيهات هيهات يامغمض الوالد والأخ والولد وغاسله ويا مكفن الميت وحامله ويا محله فى القبر وراجع عنه ليت شعرى بأى خديه يبدأ البلى ثم بكى حتى غشى عليه وما بقى إلا جمعة ومات رحمة الله عليه :

ضعوا خدى علـى لحد ضعوه ومن عـفر التراب فـوسدوه
وشـقوا عـنـه أكفـانـا رقاقـا وفى الرمـس البعيد فغـيبوه
فلـو أبصـرتموه إذا تـقضـت صـبيـحة ثـالث أنـكرتمـوه
وقد سـالت نـواظر مقـلتـيه علـى وجنـاته ورفـضتـموه
وقد نـادى البـلى هـذا فلان هلمـوا فانظروا هل تـعرفوه
حبـيبـكمو وجـاركم المـفدى تقـادم عهـده فنـسيـتمـوه

أخى دنا والله من زرعك الحصاد فإلى متى هذا التمادى والرقاد وبين يديك أهوال يوم المعاد يوم يفر الوالد من الأولاد واحزناه عليك إذا تبدد شمل أعمالك من الأرباح فأصبح هشيما تذروه الرياح قال اقلع عن أفعالك القباح وألق نفسك إلى ساحل الندم تجد مولاك أهل الكرم والسماح (كان وكان) :

قم فـى الدياجـى وناجى مـولاك وقت السـحر إن كنت يا مـتخلف إلى السـحر ترتاح
إلى مـتى أنـت تايـه فى ظـلم لـيل المـعصـية ارجع إلـينا نقـد لنا مـن نورنا مصـباح
إلـى متـى كم تـبارز مـولاك بـالفـعل الـردى انهض وبـادر بتوبة ومـا مضى فـسـماح
وقـم وصـالح حـبـيـبـك فـذا أوان صلـحـه فهو الـكريم المسامـح والواهب الفـتاح
يدعـوك فى كـل ليـلة لـعل حـالك يـنصـلح وأنت نـائم غـافل ما تـقبـل الإصلاح
فانهض إذا شئت تربح وأسل دموعك فى الدجا هـذا طريـق السـلامة ومـعدن الأربـاح

بالله يا إخوانى ابسطوا الأيدى إلى المولى بالذل والضراعة والانكسار ونادوا يا من لا تضره المعـصية ولا تنفعه الـطاعة نسـألك أن تبـدل منا الفساد بالـصلاح والخسران بالأرباح وأن تعاملنا بالعفو والسماح يا من مثل نوره كمشكاة فيها مصباح برحمتك يا أرحم الراحمين وصـلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وسلم تسليـما دائما إلى يوم الدين.

المجلس التاسع عشر فى مناقب الصالحين رضي الله عنهم

الحمد لله الواجد الكريم الماجد القديم الواحد المنزه عن الولد والوالد المقدس عن المشارك والمساعد المتعالى عن الصاحب والمماثل المشكور على جميع النعم المحمود بجميع المحامد الذى يسبل ستره الجميل على المعاصى وهو ناظر إليه ومشاهد ويمن برفده الجزيل على عبده الذليل ويبلغه جميع المقاصد فسبحان مفجر الأنهار من صمم الأحجار والجلامد ومطلع الأشجار ومزهى الأنهار من العود اليابس الجامد ومخرج رطب الثمار من أفنان الأغصان مختلفة المطاعم والألوان صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد هذه بعض آثار قدرته وعجائب حكمته وصنعته ومن شك فليشاهد.

أيا من جل عن كيف وأين ... وعن ند وعن ولد ووالد
ملكت الكائنات بحسن صنع ... ولانت من مخافتك الجلامد
أذنت لها تكون فاستكانت ... وأنت على جميع الخلق شاهد
وكنت بحيث لا كون وعون ... وحاشى أن تحيط بك المعاهد
وأنت بحيث أنت وليس أين ... ولا كيف تمثله الشواهد
أحطت بجملة الأشياء علما ... وأنت لكل ما فيها مراصد
فيا من ماله فى الملك ثان ... ولا مثل وليس له مضادد
أجرنا من عذابك واعف عنا ... وبلغنا إلى نيل المقاصد
فقد عودتنا الإحسان لطفا ... وصعب عندنا قطع العوايد

قال يحيى بن الجلاد: سمعت أبى رحمة الله عليه يقول كنت عند معروف الكرخى رضى الله عنه فدخل عليه رجل فقال له يا محفوظ رأيت فى هذه الليلة عجبا قال وما هو قال أشتهى على أهلى سمكة فذهبت إلى السوق فاشتريتها لهم وحملتها مع حمال صبى ومشى معى فلما سمع أذان الظهر قال لى يا عم هل لك أن أصلى فقلت نعم فوضع الطبق الذى فيه السمكة على باب المسجد ودخل فقلت فى نفسى هذا الغلام قد جاد بالطبق أفلا أجود أنا بالسمكة فلم يزل يتركع حتى أقيمت الصلاة فصلينا جماعة وتركع بعد الصلاة ثم خرجنا فإذا الطبق فى مكانه فجئت إلى البيت وأخبرت أهلى فقالوا قل له يأكل معنا من هذه السمكة فقلت له فقال أنا صائم فقلت له تفطر عندنا قال نعم أرنى طريق المسجد فأريته فدخل المسجد وجلس إلى أن صلينا المغرب فجئت إليه وقلت له تقوم إلى المنزل فقال حتى نصلى العشاء فقلت فى نفسى هذه ثانية فلما صلينا جئت به إلى منزلى وفيه ثلاثة أبيات بيت فيه أنا وأهلى

وبيت فيه صبية مقعدة منذ عشرين سنة وبيت فيه ضيفنا فبينما أنا مع أهلى وإذا بالباب يطرق فى آخر الـليل قلت من قالت أنا فلانـه قلت إن فلانة مقعدة منذ عـشرين سنة وهى قطعة لحم مـطروحة فقالت أنا هى ففتحنـا لها فإذا هى قائمة مستوية فـقلنا لها أخبرينا بخبرك فقـالت سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخيـر فوقع فى نفسى أن أتوسل إلى الله تعالى به فى كشف ضرى فقلت اللهم بحرمة ضيفنا هذا عندك إلا ما كشفت ضرى وعافيتنى فاستويت قائمة كما تروننى قال فقمت إليه فلم أجده فى البيت فجئت إلى الباب فوجـدته مغلقا بحاله فقـال معروف رضى الله عنه نعم فيهـم صغار وكبار يعنى بذلك أولياء الله تعالى رضى الله عنهم أجمعين.

عبقت بنشر هـواهمو ريح الصبا ... وإلى شذاهـم كل قلب قـد صبا
وتضـوعت أنـفاسـهم ولـطالمـا ... صمت اللسان بهـا فأصبح معربا
قـوم إذا نـزلـوا بـواد مـجـدب ... قـفر تـأرج بـالبـعيـر وأعـشبـا
وإذا بدا الـبحر الأجاج لـشارب ... منـهم يـعود من المـدامة أعـذبا
علـم المحبة فـى هواهم مـذهب ... فلـذاك أصبح حبـهم لى مذهـبا
وجدوا فؤادى مـنزلا لهمـومهم ... فلـذاك خيم فى حـشاى وأطنـبا
قوم لـهم نـبأ وحـال يقـتضـى ... شرف الجلال إذا سألت عـن النبا
فيهـم يزول عن السـقيم سقـامه ... لمـا غدا بـجـنابـهـم متـحـسنـا
يجزون بالـعفو الجميل مسـيئهم ... والصفـح عن عبد لهم قـد أذنبا
هم أولـياء الله حـقا فـى الورى ... وغدا يـقال لـهم جهـارا مرحـبا

فلله درهم من أقوام عـبدوه لمحبته لا لجنته وخدموه لوصاله لا لمنـحته فهم بنور المعرفة إليه ناظرون وبمناجاته فى الأسحار يتلذذون **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**. قال أبو عامر الواعـظ رحمة الله عليه: بينما أنـا ذات ليلة أسيح فى بعـض الجبال إذ سمـعت صوتاً يـئن ويصيـح من قلب جـريح ويقول: يـا دليل الحائريـن فى الفلـوات. يا أنيس المـستوحشـين فى الخلوات أنـت أنسى إذا استـأنس الباطلون، وأنـت فخرى إذا افتخر الجاهلون قـال فأسرعت نحوه وسلمـت عليه فرد على السلام وقـال لى من أين أقبلت فى سـواد هذا الليل وإلى أين تريـد قلت رجل ضل عن الطـريق وقد سمعت مـنك كلاما أثار بقلـبى أحزانه وهيج وجـده وأشجانه فصاح صيحة وخر مغـشيا عليه فلما أفاق أخذ فى البكاء قلـت ما هذا البكاء قال إلى أكره الأمانى وضياع الزمان فى الفانى ثم ضـرب على يدى وتخطى فإذا نحن بجانب

الوادى قلت هذا الفجر قد طلع ونحن نحب الوضوء فضرب بيده الأرض فانفجرت عين ماء عذب فقال دونك فتوضأ وتوضأت وأذن وأقام الصلاة وصلينا فلما سلم قال يا عبد الله قد دنت مفارقتك فعليك السلام فقلت بالذى أباحك الوصول إليه والإقبال عليه إلا ما مننت على بدعوة ثم أومأت إلى مزودى فقال أجائع أنت قلت نعم قال شغلت قلبك عن التفكر فى الملكوت بطلب القوت لو ذقت طعم اليقين وما أعد الله للمتقين لدام خشوعك وسكن جوعك ثم ضرب بيده الأرض فإذا برغيف كأنما أخرج من نار فقال كل فأكلت وأنا متعجب وفى نفسى أريد أن أسأله عن ذلك فقال يا بطال إن لله رجالا صدقوا فى ترك الشهوات فأخدمهم الأكوان فى الحياة والممات ثم غاب عنى فلم أره.

اصطفاهم لقربه واجتباهم	وحماهم من فتنة الشيطان
ودعاهم لبابه وسقاهم	بكؤوس من خمرة العرفان
وجزاهم بجنة ونعيم	وقصور والحور والولدان
فهمو لا يرون هذا نعيما	لا ولا شوقهم لحور حسان
إنما قصدهم تجلى حبيب	ليروا ذا الجمال رأى العيان
وينـاديهمو عبادى هلموا	تظفروا بالأمان والإحسان
فبهذا النعيم تاهوا دلالا	وتباهوا به على الأكوان
فبهم يدفع البلاء عن الناس	ويحمون من سائر الحدثان
وبهم يستقى الإله تعالى	غيثه عند حاجة الظمآن
فأجرنا بحقهم يا إلهى	من أليم العذاب والنيران
وتجاوز عما جنيناه جهلا	من قبيح الذنوب والعصيان
واعف عنا فإننا قد أسأنا	ثم سامح بالعفو والغفران

قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه: بينما أنا أسيح فى بعض الجبال إذ مررت بواد كثير الأشجار والنبات والثمار فجعلت أفكر فى قدرة الله تعالى وحسن صنعته فسمعت صوتاً أهطل مدامعى وهيج نار أضالعى فاتبعت الصوت إلى باب مغارة فى سفح الجبل وإذا الكلام يخرج من داخل المغارة فدخلت فرأيت رجلا من أهل التعبد والاجتهاد قد براه النحول، عليه آثار القبول فسمعته يقول سبحان من أحيا قلوب المشتاقين بالمناجاة بين يديه وكفى نفوسهم مؤنة الطلب فهى لا تعتمد إلا عليه فلما أحس بى قلت السلام عليك يا حليف الأحزان وقرين الأشجان فقال وعليك السلام

ما الذى أوصلك إلى من أفرده الخوف عن الأنام واشتغل بمحاسبة نفسه عن التنطع فى الكلام فقلت أوصلنى إليك الرغبة فى التصفح والاعتبار فى التنزه فى رياض أسرار الأولياء الأخيار فقال يا فتى إن لله عبادا قدح فى قلوبهم زناد الشغف بمحبوبهم فأرواحهم لشدة الشوق إليه تسرح فى الملكوت وتنظر إلى ما ادخر لها فى خزائن الجبروت فأعينهم إلى جماله ناظرة وقلوبهم بمحبته عامرة وأرواحهم إلى لقائه طائرة فهم ملوك الدنيا والآخرة ثم بكى وقال يا سيدى لأعمالهم وفقنى وبهم فألحقنى ثم صاح ووقع إلى الأرض ميتا رحمة الله عليه هذه والله صفات الخائفين وهذه علامة العارفين.

لله قوم أطاعوه وما قصدوا ... سواه إن نظروا الأكوان بالعبر
والوجد والشوق والأفكار قوتهم ... ولازموا الجد والإدلاج فى البكر
وبادروا لرضا مولاهمو وسعوا ... قصد السبيل إليه سعى مؤتمر
وآمنوا واستقاموا مثل ما أصحوا ... واستغرقوا وقتهم فى الصوم والسهر
وجاهدوا وانتهوا عما يباعدهم ... عن بابه واستلانوا كل ذى وعر
جنات عدن لهم ما يشتهون بها ... فى مقعد الصدق بين الروض والزهر
لهم من الله ما لا شىء يعدله ... سماع تسليمه والفوز بالنظر

وعن عبد الرحمن الأزدى قال: كنت أطوف فى ساحل بيروت فمررت برجل جالس على البحر ورجلاه فى الماء وهو يقول سبحان من فى السماء عرشه، سبحان من فى الأرض حكمه، سبحان من فى الهواء قدرته، سبحان من فى البحر سلطانه، ثم سكت فقلت له: ما لك جالسا وحدك فقال اتق الله عز وجل ولا تقل إلا حقا ما كنت قط وحدى منذ خلقت وإن معى حيث كنت ومعى ملكان يحفظانى ويحفظان على فقلت له أين مقامك قال ليس لى مقام معروف ولا مكان مخصوص قلت فمن أين تأكل قال إذا عرضت لى حاجة إلى ربى سألته إياها بقلبى ولم أسأله بلسانى فيأتينى بها قلت فبم نلت هذه المرتبة قال بصدق التوكل عليه والالتجاء دون الناس إليه قلت قد وجب عليك أن تدعو لنا فقال أنت أحق بذلك فقلت لابد أن توصينى بشىء فقال قف ذليلا على بابه ولا تبرح عن جنابه يوصلك إلى حضرة أحبابه ثم مشى على البحر حتى غاب عن عيانى:

شاهدوه وقد تجلى فغابوا ... وحلا للمحب فيه العذاب
شربوا شربة فأضحوا سكارى ... ليت شعرى يا صاح ماذا الشراب

كـتـبـوا بـالدمـوع قـصة شـوق	فـأتاهـم من الحـبـيب الجـواب
ركـبوا بـحـر حـبه ثـم سـاروا	ودعـاهـم لـوصـلـه فـأجـابـوا
فهـموا بـالوصـال بين الـبرايـا	حضـروا عنـد حبهـم ثم غـابوا
وهموا في الثبات ولم يبق منهم	غـيـر رسـم يـضـمـه الأثـواب
فاقـتفى أثـرهم وحـز بحمـاهم	يأتـك الفـوز والمنـى والصـواب

(إخواني) عبارات الـنسيم لا يفـهمها إلا المـشتاق وحديث الـبروق لا يروق إلا للعشاق خلوا والله للـحبيب في دار المناجاة فكساهم ثياب المواصلـة وضمخهم بطيب المعاملة فازوا والله بالربح والغنائم وأنت يا مـسكين في بيداء الغفلة نائم ألك بما جرى للقوم يا أسير الـغفلة والنوم أن على بن بكار وأبا إسحاق الـفزارى وكانا من الأولياء الصالحين كـانا يحتطبان ويأكـلان من كسبهما فاتـفقا أن يصعدا إلى الجبـل من الغداة فيحطبا ويساعد بـعضهما بعضاً فسبق على بن بكار إلى الجبـل فاحتطب حزمة وأبطأ عليه رفيـقه فجعل يطوف عليـه الجبل فرآه جالسًا متربعًا وفـى حجره رأس أسد وهو ينش الذباب عـنه فقال له يا أبا إسحق ما هـذا فقال له التجأ إلى فرحمـته وأنا أنظره لينتبه والحقك فتركه على بن بكار ومضى فرأى صخرة عليها كيس فيه ألف دينار وقد علاه الغبار والتراب فـقال فى نفسه آخذه وأتصدق به فنزل من الجبـل فمر بعبد أسود وهو مكسور الرجل وعند رأسه حزمة حطب كان يروم بيعها فقال ما أجد لصرف هذا الذهب موضعاً أحق من هذا العبد فأخرج مـن الكيس عشرة دنانير وأتى إليه وقال له خذ هذه واستعن بها على حالك فرفع العبد رأسه إليه وقال له ضع هذا الذهب مكانه ولا تتصـدق بغير كسبـك فأنا والله لى سنـة أمر على هذا الـكيس وهو ملقـى على الصخرة ولم أعلم مـا فيه فكيف رغبت فى الدنيا وأخـذت ما لا يحل لك إخذه قال على فخجلت من كلامه وعلمت أنه من الأولياء ثم رددت الكيس إلى مكانه ورجعت إلى العبـد فلم أره فسألت عنـه فقيل لى إنه يأتـى فى كل أسبوع مرة بحـزمة حطب فيبيـعها بدرهم فيتـقوت به باقى الأسبـوع ولا يأخذ من أحد شيئـا فهذه والله أحوال الزاهدين وهذه صفات الصالحين.

قال بعض السادة: خرجت ليلة من المسجـد الحرام أريد جبل أبى قبيس فصحبنى عبد أسود عليه أطـمار رثة وهو يقول أنت أنت يا هو يا هو لا يزيـد على ذلك شيئاً فلما أكثـر من القول قلت يا هذا أمجـنون أنت فقال يا شيخ إنما المجـنون يمشى ألف خطوة ولـم يذكر مولاه فقلـت له أفضل الذكـر عند المحققـين ما كان بالقلـب فقال

صدقت ولكن القلب إذا امتلأ بالذكر فاض على اللسان ثم غاب عن عينى فلم أره فندمت على جفائى عليه فلما كان الليل ونمت هتف بى هاتف وقال يا شيخ إن لذلك العبد الأسود يوم القيامة نوراً يملأ ما بين السماء والأرض فلله در أقوام أعيادهم قبول الأعمال ومرادهم بلوغ الآمال وأحوالهم تجرى على تمام وكمال، وجمالهم بالتقوى ويا له من جمال إذا رجع الناس إلى لذاتهم رجعوا إلى عباداتهم، وإذا سكن الخلق إلى أوطانهم سكنوا إلى حرقات أشجانهم، وإذا أقبل التجار على أموالهم أقبلوا على تفقد أحوالهم، فاستعدوا وأقبلوا بالصدق إلى باب مولاهم فما ردوا، أقلقهم ذكر الذنوب فما ناموا، وحركهم رجاء المطلوب فذكروا العرض، ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ فاستقاموا وتفكروا فى قصر الأجل، فاجتهدوا فى الخدمة وداموا وتذكروا سالف الذنوب فوبخوا أنفسهم ولاموا وراموا السلامة فى دار المقامة فبلغوا ما أملوا وراموا، فانتبه يا هذا من رقدة إعراضك وتجافيك وأصلح ظاهرك بالتقى قبل أن يعسر تلاقيك وتزود للرحيل فالقليل لا يكفيك وامح ذنوبك بكف الإنابة لعل مولاك من خطاياك يعفيك وداو أمراض أملك بشراب ذكر أجلك وسل المولى لعله يشفيك.

لكم مهجتى والروح والجسم والقلب	وكلى لكم ملك وإنى بكم صب
وأنتم أحبائى على كل حالة	فيا فرحتى إن صح لى فيكم الحب
فإن عينى دمعها متواصل	عليكم وقلبى لا يفارقه الكرب
وكم أتمنى أن أسير إليكمو	فيمنعنى حظى وما تنفع الكتب
خليلى إن عاينتما أرض يثرب	وعند رسول الله قد أنزل الركب
فيقول له يا أحمد يا محمد	محب عن الزوار عوقه الذنب
عسى جاهك المقبول يكشف غمه	فجاهك يا مختار يرضى به الرب
فأنت الذى لولاك لم يخلق امرؤ	ولا فلك يجرى ولا غصن رطب
ووجهك بدر سماء الحسن مشرق	أضاءت به الآفاق والشرق والغرب
على وجهه ستر الغمامة مسبل	لكيلا تراه الشمس تكسف أو تخبو
على شط بحر النور جبريل قائل	مقامى هذا ما على صادق عتب
دنا فتدلى حين فى النور ذجه	بلا كيف لكن حيث شاء له الرب
جلاه عن الأملاك جبريل فى السما	وكانت له من قبل مبعثه تصبو
إلهى بما فى قاب قوسين ناله أجرنا	فإن النار تعذيبها صعب
وكن لى فإنى من عذابك مشفق	بأحمد أدركنى إذا عظم الخطب
وصل على خير الأنام محمداً	وأصحابه فى جمعهم وجب الحب

اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

*****

المجلس العشرون فى قوله تعالى

﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون﴾

الحمد لله الذى فتح بصائر أوليائه لمشاهدة مشاهد عجائب الاعتبار والعبر واستخلص هممهم بصفاء المناجاة ولذة المصافاة من شواغل الأسباب وشوائب الكدر، تقلبهم يد الألطاف فى مهد اللطف فترضعهم ثدى العطف وتعظهم عن الشهوات المانعة نور البصائر والبصر، فأصبحت قلوبهم راضية بتعاقب الأحكام وتقدير المشيئة وتقدير الإرادة وتصريف القدر، مهد لهم فرش الأعمال بلين الصفاء فاستعذبوا طيب الخلوة مع الحبيب، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يتلذذون بالسهر لا تغيرهم محدثات الحوادث وتحول الأحوال، نزهوا نفوسهم عن عبادة الهوى فأضحت أطيار أرواحهم تسرح فى رياض الملكوت بين جنات المعارف ونهر، لاحظوا إشارة التوحيد فى الأكوان فاستوى عندهم الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم والسهل والوعر، فسبحان من هداهم إلى نهج منهاج الخلاص بالخلاص، لا يحزنهم الفزع الأكبر وأحمده وأشكره وأومن به وأتوكل عليه وأبرأ من الحول والقوة إليه براءة من اعترف بالتقصير وأقر وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من شاهد جمال الحضرة المقدسة واستحضر بحسن الخاتمة فحضر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وصفوة المرسلين وإمام المتقين وسيد البشر ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى دين الله حتى ارتفعت أعلامه على الأديان وظهر.

(إخوانى) كم تحملون أحمال الأوزار وهى ثقال وكم تبارزون بالمعاصى ذا الجلال؟؟ وكم تعللون بالتسويف والآمال؟! وكم تتبعون الشهوات وهى خيال. وكم تطمعون فى البقاء وقد دنا الانتقال. وكم قيدتكم الأمانى من التوانى بالأغلال، وكم أنذركم من رحل من الأحباب بالارتحال، أين من حصن الحصون وشيدها؟ أين من جمع الأموال وعددها؟ أين من عمر الحدائق وغرسها؟ أين من قاد الجيوش وساسها؟ أزعجه والله هازم اللذات من غير اختياره وأخرجه كرها من أهله وداره ولم يمهله ساعة ولم يداره وقطعه عن آماله وأوطاره، وحال بينه وبين أعوانه وأنصاره فياله من

وقت لا ينفع فيه الحبائب ولا يغنى فيه النائح والنادب قضى الأمر فما ينفع العتاب للمعاتب يا مغتر بالآمال رب أمل خائب كم ينام المطلوب ولا ينام عنه الطالب ستدرى فى ظلمة اللحد عاقبة العواقب وما أمليت من أعمالك على الكاتب وبعده هول الموقف بين يدى المحاسب ويبدو لكل مسوف أمله الكاذب فاغتنموا رحمكم الله أيام أعماركم الفانية فسيندم والله أهل القلوب القاسية إذا فاز المتقون وخسر هنالك المبطلون **﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذا قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون﴾** الإنذار وهو التخويف ويوم الحسرة هو يوم القيامة أى يوم يتحسر المسىء إذ لم يحسن والمقصر فى الخيرات إذ لم يتزود ومعنى قضى الأمر: أى فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وهم فى غفلة هذا خطاب فى الدنيا وهم لا يؤمنون خطاب فى الآخرة أى لم يردوا فيؤمنوا.

روى عدى بن حاتم رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها نودوا أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا قال ذلك أردت بكم، كنتم إذا خليتم بارزتمونى بالمعاصى وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى فاليوم أذيقكم أليم عذابى مع ما حرمتكم من ثواب الآخرة» وقال أبو هريرة رضى الله عنه: كأنى بكم صادرين عن الحوض يلقى الرجل الرجل فيقول أشربت فيقول نعم ويلقى الرجل الرجل فيقول واعطشاه. وقال أنس بن مالك رضى الله عنه: إن ملك موكل بالميزان فإذا أثقل ميزان إنسان نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً وإن خفت موازينه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. وقال قتادة رضى الله عنه: لم يجرم أحد فيخفى جرمه على أحد يوم القيامة.

(إخوانى) أهل القبور قد أسروا وأكثر القوم فى تجارتهم خسروا فمروا أنتم عليهم واعتبروا وتفكروا فى أحوالهم وانتظروا يتمنون العود وهيهات ويسألون التدارك وقد فات يا مطلقا اذكر قيودهم يا متحركا قد عرفت همودهم خلص نفسك من أسر الذنوب وتأهب فإنك مطلوب وتذكر بقلبك يوما تتقلب فيه القلوب قبل أن يمسك اللسان ويتحير الإنسان ويزول العرفان وتنشر الأكفان وتزول الخضرة وتطول السفرة

ويأتى منكر ونكير ويقوى الشهيق والزفير ويلقى العبد ما أسلفه وينساه من خلفه ويبقى هناك أسيراً إلى أن يعود فيقوم عريانا حسيراً فحينئذ تسلب الكرائم وتنشر الجرائم وتعظم المصائب وتنسد المذاهب وتبين العجائب وتسود الوجوه ويفوت العاصى ما يرجوه وتثقل على الظهور الأوزار ويؤخذ الكتاب باليمين أو باليسار وليس لأحد هناك قرار إلا الجنة أو النار فبادروا رحمكم الله بالمتاب قبل ما تعاينوا هذه الأهوال وتشهدون وتنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلةوهم لا يؤمنون.

قال مسمع بن عاصم رحمه الله: بت أنا وعبد العزيز بن سليمان وكلاب بن حرب وسلمان بن الأعرج على بعض السواحل فبكى كلاب حتى خشيت أن يموت ثم بكى عبد العزيز لبكائه ثم بكى سلمان لبكائه وبكيت أنا والله لبكائهم لا أدرى ما أبكاهم فلما كان بعد ذلك سألت عبد العزيز ما أبكاك فقال إنى والله نظرت إلى أمواج البحر فذكرت أطباق جهنم وزفراتها فذاك الذى أبكانى ثم سألت كلابا فقال مثل ذلك ثم سألت سلمان فقال ما كان فى القوم شر منى ما كان بكائى إلا لبكائهم رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم.

قف بنا يا صاح نبكى الندما ... بعد من قد كان فيها سكنا
وتنادى من غرام مقلق ... بعدهم فى دارهم واحزنا
طالما كنا بها فى دعة ... نجتنى من وصلهم ما يجتنا
كم بلغنا بين أكناف الحمى ... من لبنات المنى ما سرنا
وافترقنا فكأنا لم نكن ... أبدا فى الدار نولى المنا
ليت روحى قبل أن فارقتهم فارقت ... من قبل ذاك البدنا
يا أصحابى انتهوا وانتهزوا ... فرصة الأوقات فالموت دنا

(إخوانى) كأنى بكم وقد بلغتم يومكم الموعود وغائصكم ما لم تفتدوا منه بوالد ولا مولود مقام تشهد عليكم فيه الألسنة والجوارح والجلود **﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾** قال الجنيد رحمة الله عليه: دخلت على سرى السقطى عند الموت وكان ممن أحرق قلبه الخوف فقلت له كيف تجدك فقال:

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى ... والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروح لأروح عليه فقال كيف يجد ريح المروحة من قلبه يحترق ثم أنشد:

القلب محترق والدمع مستبق — والقلب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له — مما جناه الأسى والشوق والقلق

ثم ذكر الله ومات رحمه الله.

(إخوانى) ما الذى أعددتم من حلاوة الطاعة لتجرع مرارة الموت وما الذى قدمتموه من زاد التقوى قبل حلول الفوت كم ينادى الغافلين مناد المواعظ فلا يستجيبون ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون**﴾. قال إبراهيم التيمى رحمه الله: مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها ثم قلت لنفسى: ما تريدين قالت أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت فى الأمنية فاعملى.

يا نفس قد طاب فى إمهالك العمل — فاستدركى قبل أن يدنو لك الأجل
إلى متى أنت فى لهو وفى لعب — يغرك الخادعان الحرص والأمل
وأنت فى سكر لهو ليس يدفعه — عن قلبك الناصحان العتب والعذل
تزودى لطريق أنت سالكه — فيها فعما قليل يأتك المثل
ولا تغرك أيام الشباب ففى — أعقابها الموبقات الشيب والأجل
يا نفس توبى من العصيان واجتهدى — ولا يغرنك الإبعاد والملل
ثم احذرى موقفا صعبا لشدته — يغشى الورى المتلفان الحزن والوجل
ويختم الفم والأعضاء ناطقة — ويظهر المفصحان الخط والخطل
ويحكم الله بين الناس معدلة — فتذكر الحالتان البر والزلل

(إخوانى) تداركوا ما فرطتم فى أيام البطالة فسيلقى كل عامل منكم أعماله يوم يستقيل فلا يجاب إلى الإقالة ويعض أنامله بالندم على الضلالة فيا لها حسرة ما أهولها ورقدة فى التراب ما أطولها بالله عليكم نوحوا على أيام الغافلات بالله عليكم تفكروا فى مصارع الأموات بالله عليكم بادروا باب الحبيب قبل الفوات فكأنى بكم وقد غائصكم المنون ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون**﴾.

(إخوانى) فكوا أنفسكم من أسر الشهوات وأيقظوا عقولكم من سكرة الغفلات واستعدوا لدار البقاء قبل الفوات، فكأنى بكم وقد وافاكم حادى المنون ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون**﴾، هيهات بعد فوات الأعمار

لا تنفع الحسرة، وعند انقطاع الآمال لا تفيد الفكرة، ليت شعرى ما جوابكم يوم الحيرة إذ نودى هذا يوم لا ينطقون **﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون﴾**. إلهى من العبيد أخجلتهم المعاصى والذنوب من لا آبق أبعده عن الباب قبيح الزلات والعيوب عفوك يا علام الغيوب فقد حسنا برحمتك الظنون، إلهى ما أعظم حسرتى أذكِّر غيرى وأنا الغافل، مولاى ما أشد مصيبتى أنبه غيرى وأنا النائم سيدى ما أبلغ قصتى أدل غيرى وأنا الحائر، إلهى جد بالعفو على مذكر متكلف وسامع متخلف إذا دللت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظتى إليك أتراك تقبل المدلول وترد الدليل إلهى لم يكن كلامى خالصا لوجهك ففى مجلسى من حضر خالصا لوجهك فشفعه فى تقصيرى بنور وجهك وارحمنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

*****

المجلس الحادى والعشرون فى قوله تعالى ﴿ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر﴾

الحمد لله الذى برهن باهر قدرته على إثبات ثبات وحدانيته ببرهان وجود الموجودات الباطنة والظاهرة، جعل دلائل الحكم وبراهين القدم وآيات الإبداع وشواهد الاختراع نطقاً لقارئ الأفكار على سطور الكائنات الواردة والصادرة، كتب رسوم القضاء بقلم القدرة فى دروج الموجودات لا تقرأ كتابة أسرارها إلا بألسنة الأرواح الصافية الطاهرة، بعث كواكب الفهم لعيون العقول فشاهدت عجائب الجبر وغرائب القهر فى إثبات الكسب فى ديوان **﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾** سكر العقل من خمرة العجز وظهر له خيالات الصور من وراء ستر الغيب على بساط الحركات والسكنات مقهورة فى باطنها وفى ظاهرها قاهرة، أطلق لمريد العقل طرف الطرف على أرض الفكر ليصل إلى مدينة الإدراك فانقض عليه فارس القدر فأوقعه على حد العقول حد يقف عنده، فعلم أن قواه عن الإدراك قاصرة، رفع العقل بصر الأبصار فشاهد مراتب الأملاك فى مناصب الأفلاك فساجد بالهيبة وراكع بالعظمة وقائم بالقدرة وذاهل بالمحبة وشاخص لامتثال الأمر فى البسائط والمركبات والأدوار الدائرة، وخفض مرآة الاعتبار فقابلت صور الكائنات عن العدم بإرادة القدم، فظهر له

سر الصنعة فى إقامة برهان الأشكال من مشكلات الطبائع المتعاندة المتنافرة، شاهدنا الحرارة وماء البرودة مجموعة فى خزائن الحيوان فلا الحرارة تقى البرودة ولا البرودة تقى الحرارة قدرة قادر قدرته فى المقدورات باهرة، حير الألباب فى قسمة أجزاء الغذاء الواحد، تنفصل منه الحرارة للحار والبرودة للبارد بأوزان من المقادير فالماء واحد والغذاء واحد، وسر القسمة مختلف بحكمة لا تشاهدها البصائر الباصرة، نادى حكيم حكمه أسماع العقول إنا كل شىء خلقناه بقدرة من الأرزاق والآجال والشقاوة والسعادة والقرب والبعد فياليت شعرى بم سبق الكتاب وكيف الخلاص من هذه الدائرة؟! قدرة قادر لا تتعلق يد النقائص بذيل حكمته ولا تتشبث أنامل الإبادة فى تغيير صمديته ولا يطمع طامع الغير فى تبديل كلمته ولا تقلل العقول أسرار مشيئته فإن عللت بقيت فى ليل الجهل حائرة قدم بين يدى تقديره زمام أم الكتاب وأمر كاتب القضاء بقلم القدر بكتابة أسرار المقربين والمبعدين فقرب بلا علة وأبعد بلا سبب وختمه بخاتم السابقة فهى غائبة حاضرة محا وكتب ونسخ وأثبت وأبعد وقرب وهدى وأعز وأذل وأمر أفهام العقول بفهم الرموز وكيف تدرك العقول القاصرة، فسبحان من أغمض بصائر الباصرين عن مشاهدة أسراره بستر التركيب وحجب الطبائع فى سرادقات التكاليف فافتقرت إلى مرشد الرسالة على توالى الدهور الداهرة أحمده وأومن به وأتوكل عليه وأبرأ من الحول والقوة إليه براءة عبد معترف بما كسبت يداه من الزلات مفتقر إلى رحمته الغامرة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن الكم والكيف والآن والزمان والمكان والكل والجزء والفوق والتحت واليمين والشمال والوراء والأمام فهذه صفات الأجسام الفانية الغائرة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين والمرسلين وسلطان الصديقين وإمام المقربين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم التى قال فى حقها ذو القدرة الباهرة **﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾** صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأنصاره صلاة تؤمن روعنا يوم ترى القلوب من الأهوال خائفة.

أيها الناس أين الذين جمعوا الأموال ولم يغنهم ما جمعوا أما كلهم فى القبور جمعوا؟ أين الذين قطعوا أيامهم فى الشهوات وما شبعوا أتراهم أعجبهم المقام أم حبسوا فما رجعوا؟ أين الذين غرتهم الدنيا خذلوا والله بالشهوات وخدعوا؟ أين الذين نصبت لهم الأسباب شباك الغفلة حتى وقعوا نزل بهم مفرق الأحباب فذلوا لسطوته وخضعوا أزعجهم من بين الأهل والأحباب وقد فجعوا يبكيه أهله وأحبابه ياليتهم

نجعوا أفردوه بأعماله ونسوه وانقطعوا يناديهم بلسان الحسرات يا ليتهم سمعوا ارحموا من صار رهينا فى التراب بلا عمل ينجيه ولا مفزع يؤويه هيهات يودون لو ردوا فصاموا بالنهار وبالليل ما هجعوا هيهات والله قد حصدوا من أعمالهم ما زرعوا فبادروا رحمكم الله.

فبين أيديكم الصراط والحساب وأهوال من سكرات الموت صعاب ويوم تنقطع فيه الأرحام والأنساب ولا ينفع فيه الأهل والأموال والأسباب أما نعيم فى الجنان أو تقلب فى العذاب وكل ينادى بلسان الحسرات **﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب﴾** فيا من قادتهم الشهوات إلى الحفائر يا من دنس الحرام منهم البواطن والظواهر ويا من أعماهم الهوى فعميت منهم البصائر **﴿ألهاكم التكاثر* حتى زرتم المقابر﴾** قوله تبارك وتعالى: **﴿ألهاكم التكاثر﴾** أى شغلكم يقال لها بمعنى لعب ولها عن الشىء غفل والتكاثر تكلف الكثرة والتكثر أيضاً التفاخر بالكثرة فى المال والأولاد والأنساب حتى أدرككم الموت وهذا خطاب ظاهر فى الدنيا إذا كان معنى زرتم مستقبلا أى حتى نزور المقابر وباطن هذا الخطاب هو قوله تعالى لجامعى الأموال وأهل التفاخر: **﴿ألهاكم التكاثر* حتى زرتم المقابر* كلا﴾** أى ليس الأمر الذى يكون التكاثر عليه، ويحتمل أن يكون توكيداً ينوب عن اليمين، ويحتمل أن يكون درعا وزجرا عن التكاثر والافتخار **﴿سوف تعلمون﴾** أى ستعلمون بعد هذا ما يحاسب عليه أهل التكاثر فى عرصات القيام **﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾** ذكر المفسرون من طريق العربية أنه تكرار وتأكيد للوعيد وتغليظ للنهى عنه **﴿كلا لو تعلمون﴾** أيها الناس ما لكم عند الله وعليكم إذا بدت سكرات الموت ونشر ديوان العمل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة **﴿عين اليقين﴾** وهى تلوح الصدور وما يرتفع به الشك جواب لو محذوف تقديره لشغلكم ذلك عن غير **﴿لترون الجحيم﴾** فى دار القبر؛ لأنه يعرض على كل آدمى مقعده فى النار فإن كان سعيدا عرض عليه وبشر بزواله وإن كان شقيا عرض عليه وقرر له **﴿ثم لترونها علم اليقين. ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾** قيل عن الصحة والفراغ وقال مجاهد وقتادة كل ما التذ به فهو نعيم.

يا من سبقه القوم وتخلف فى الشهوات يا من قطع زمانه فى التسويف والبطالات يا من قسا قلبه بالمعاصى من يعلم خفيات السرائر **﴿ألهاكم التكاثر* حتى زرتم المقابر﴾** عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من اكتسب مالا من حرام فتصدق به أو وصل به رحما أو أنفقه فى الله تعالى جُمع ذلك كله وقذف فى جهنم**» ومن حديث

ابن مسعود رضى الله عـنه قال قال رسول الله ﷺ: «**لا يكتسب العبد مالا من حرام فتصدق به فيؤجر عليه ولا ينفق منـه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار**».

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أيها الناس إن أحدكم لن يموت حـتى يستكمل رزقه فلا تـستبطئوا الرزق واتقـوا الله وأجملوا فى الطلب فـخذوا ما أحل الله تعالى وذروا ما حـرم الله تعالى**» واعجبا كلما بسط المولى بساط النعم قابلتـه بالعصيان كم ناداك يا عبدى تترك مجالسـتى وتجالس الشيطان كم أتعـطف علـيك بالآلاء وأنـا المنان يا عـبدى أحب أن أواصـلك وتحب الـبعاد عـنى والهـجران ما حيـلتك إذا حل عـليك غضـبى وفر منـك الأهل والعشـائر ﴿**ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر**﴾.

قال منصور بن عمـار رحمة الله عليه: حججت سنة من السنـين فنزلت سكة من سكك الكوفة فخرجـت فى ليلة مظلمة مدلهمة وإذا بصـارخ يصرخ فى جوف الليل وهو يقول: إلـهى وعزتك وجلالك مـا أردت بمعصيتى مخـالفتك ولقد عـصيتك إذ عصيتك وما أنا بمكـانك جاهل ولكن خطيئتى عرضت لى وسولـت لى نفسى أعاننى عليها شـقائى فغرنى سترك المرخـى على فعصيتك بـجهلى وخالفتك لشـقوتى فمن عذابك مـن يستنـقذنى وبحـبل من اعتـصم إن قطع حـبلك عنـى واحسرتا إذا قـيل للمخفـين جوزوا للمثقلين حطوا أتـرانى مع المخفين أجوز أم مع المثقـلين أحط ويلى كلما كبر سنى كثرت ذنوبى ويلى كم أتوب وكم أدعو أما آن لى أن أستحى من علام الغيوب؟!

ما اعـتذارى وأمر ربـى عصـيت حين تـبدى صحائـفى ما أتـيت
مـا اعتـذارى إذا وقـفـت ذليـلا قد نـهانـى وما رآنـى انتـهيـت
يـا غنـيًا عـن العـباد جـمـيعـا وعلـيمـا بكـل ما قـد سعـيت
لـيس لـى حـجـة ولا لى عـذر فاعف عـن زلتى وما قد جـنيت

ثم قال:

يـا رب أنت أمـرتنـى ونـهيـتنـى وأريتنـى طرق الضلالـة والهدى
وعـلمـت أنى لا أفـر من الـذى قدرت لى إن كـان خيرا أو ردى
وسلكت بى ما شئت للشيء الذى فى الخلق ما أخفيـته عنهم سدى
ودخلـت من غـير اختـيارى تحـته والعبـد محكوم علـيه وإن غدى

فاقبل بفضلك توبتى لك مخلصا	وارحم فإنى قد بسطت لك اليدا
واصفح عن العبد الذى يا سيدى	قد جـاء معتـرفا وعاش مـوحدا

قال منصور: فبكيت لما سمعت كلامه وقرأت قوله تبارك وتعالى: **﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾** قال فسمعت دكـدكة عظيمة واضطرابا ثم انـقطع الحس فلما أصبحت مـررت على الباب فرأيت جنازة رجل وامرأة تدخل وتخرج وهى تقول: يا بنى يا قتيل القرآن، يا بنى يا قتيل الأحزان فدنوت منها وقلت يا أمة الله من هذا الميت فقالت ولدى وقرة عينى كان يعمل الخوص فينفق علـىَّ ثلثا وثلثا يأكله وثلثا يتصدق به فمـر به رجل فقرأ عليه آية من كتاب الله تعالى فمات فما حيلتى!!

قـف بنـا نـبكـى ديـارا أقفـرت	فهـى تبكى بـعدهم إذ هـجرت
وتـنـاغت عـنـدهـا غـربانـهـا	وهى من قـبل النوى قـد زجرت
آه مـن أكـبـادنا لـو حـفـظـت	عهـد سكـان الحمـى لانفـطرت
لا تسـل عن حالهـم خلقا فـقد	خـبرت أطـلالـهـا ما خـبـرت
فـكـان الأهـل مـا سـروا بـهـا	وكـان الـدار ما قـد حـضـرت
لـهف قـلـبى لـليـال سـلفـت	تـزعج الـقـلـب إذا ما ذكـرت
خـربت دارهـمو مـن بـعدهـم	وبهـم كانـت قديمـا قد عـمرت
وبـرغـمـى أن أرى أطـلالـهـم	ووحوش الـبين فـيهـا حشـرت
لـو رأت أعـينـهـم مـا نالـهـم	لبـكت من حـزنهـا واستعـبرت

(إخوانى) أما آن لذى المعاصى أن يتوب قبل الميـعاد! ويحك ما ينفعك غداً أهل ولا مال ولا أولاد تولت أيام شبيبتك ولـيس لك من أعمالك ناصر **﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾**.

وكان خليل الـعصيرى رحمة الله عليه يـقول: كلنا قد أيقن بـالموت وما نرى له مستعداً، وكلنا قد أيـقن بالجنة وما نرى لها عاملا، وكلنا قد أيقـن بالنار وما نرى لها خائفًا، الموت أول وارد عليكم من الله تعالى بخيراً أو بشرٌ فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرا جميلا.

سيروا إلـى ربكم فالعمـر مندرس	والموت قـد حان والأيام تـختـلس
أيـن الملـوك وأبنـاء المـلوك ومـن	كانوا إذا الناس قاموا هـيبة جلسوا

ومن سـيوفهـمو فـى كل معـترك	تخشـى ودونهم الحجـاب والحرس
أضحوا بمـهلكة فـى وسط بلقـعة	صرعى وماشى الورى فوقهم بطس
كأنـهم قـطعا كـانوا ومـا خلـقوا	ومات ذكرهـمو بين الورى ونـسوا
والله لو أبصرت عينـاك ما صنعت	يد الـليالـى بهـم والدود يفـترس
لما انـتفـعت يعـيش بـعدهـم أبدا	أما همو من جنى الدنـيا فقد يئسوا

يا هذا إلى كم تضحـك ونوادب الحمام تبكى عليك أسفا غـيرك يا محروم على الجادة وأنت على شفـا ستبكى زمان الوصال وما صفا أمـا آن لك أن تصالح مولاك؟ أما كفى كيف عميت بـصيرتك عما أنت صائر ﴿**ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر**﴾ ويحك كم تحضر المجالس بجسمك وقلبـك عن الحضور غائب ويحك تملأ بطنك من الحرام وتطـلب من الوهاب المواهـب هذا باب التوبة مـفتوح والتواب ينـادى هل من تائب فبادر واقبل أن يغلق الباب وتبلى السرائر ﴿**ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر**﴾ إلهى وسـيدى ما أبلغ قـصتى أدل غيرى وأنا الحـائر. إلهى جد بـالعفو علـى مذكر متكلف وسامـع متخلف. إلهى إذا دللت السـالكين عليك فوصلوا بحـسن موعظتى إليك أتراك تقبل المـدلول وترد الدليل. إلهى إن لم يكن كلامى خالـصا لوجهك ففى مجلسى من حضر خالصا لوجهك فشفعـه فى تقصيرى بنور وجهك وارحمنا أجمعين برحمتك يـاأرحم الراحمين وصلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه وسلم تسليما كثيرا.

*****

المجلس الثانى والعشرون فى صدقة التطوع

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إن المصدقين والمصدقات**﴾ ﴿**وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم**﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿**الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ وقال رسـول الله ﷺ: «**أيما مسـلم كسا مسلـما ثوبا على عـرى كساه الله تعالى مـن حلل الجنة وإيما مسلـم أطعم مسلما عـلى جوع أطعمه الله تعالـى من ثمار الجنة وأيـما مسلم سـقى مسلمـا على ظمـأ سقاه الله تعالـى من الرحيـق المختوم**» رواه التـرمذى رحمه الله، وعـن أنس بن مالـك رضى الله عنـه عن النبـى ﷺ قال: «**إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بها فى العمر ويـدفع بها ميتة السوء ويدفع بهما المكروه**

والمحذور» وروى سعيد بن مسعود الكندى رضى الله عنه عن النبىﷺ أنه قال: «**ما من رجل يتصدق يوما أو ليلة إلا حفظ أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بغتة**» وعن أنس بن مالك رضى اللهعنه قال: قال رسول اللهﷺ: «**باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة**»، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يقول الله تعالى: عبدى استطعمتك فلم تطعمنى واستسقيتك فلم تسقنى واستكسيتك فلم تكسنى فيقول العبد وكيف ذلك يا رب فيقول مر بك فلان الجائع وفلان العارى فلم تعد عليه بشىء من فضلك فلأمنعنك اليوم من فضلى كما منعته من فضلك**»، وقال الحسن رحمة الله عليه: ولو شاء الله لجعلكم فقراء لا غنى فيكم ولو شاء لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**صدقة السر تطفئ غضب الرب وصنائع المعروق تقىْ مصارع السوء وصلة الرحم تزيد العمر وتوسع فى الرزق**» وقال سالم بن أبى الجعد رحمة الله عليه: إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعون ضعفا.

وقيل: إن الصدقة أربعة حروف صاد ودال وقاف وهاء فالصاد منها تصون صاحبها عن مكاره الدنيا والآخرة، والدال منها تكون دليله على طريق الجنة غدا عند تحير الخلق، والقاف منها للقربة تقرب صاحبها إلى الله تعالى، والهاء منها للهداية يهدى الله تعالى صاحبها للأعمال الصالحة ليستوجب بها رضوانه الأكبر. وعن أبى القاسم المذكور رحمة الله عليه قال: كان من خلق إبراهيم ﷺ أن يتصدق بخير ما يجد وأفضله وأحسنه فقيل له لو تصدقت بدون هذا لكفى فقال لا يرانى الله تعالى أطلب خير ما عنده بشر ما عندى. وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: اثنتان من الشيطان واثنتان من الله تعالى ثم قرأ هذه الآية ﴿**الشيطان يعدكم الفقر**﴾ يعنى ينهاكم عن الصدقة ﴿**ويأمركم بالفحشاء**﴾ يعنى بالمعاصى ﴿**والله يعدكم مغفرة منه وفضلا**﴾ يعنى يأمركم بالطاعات وبالصدقة لتنالوا منه مغفرته وفضله﴿**والله واسع عليم**﴾ بثواب من يتصدق.

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: ما على الأرض صدقة تخرج حتى ينهى عنه سبعين شيطانا كلهم ينهاه عنها. وعن عكرمة رضى الله عنه قال: كان فى بنى إسرائيل رجل ذو مال وكان ذا معروف فى ماله فمات وترك امرأة وابنا فقالت المرأة: ما أرى لما بقى من ماله وجها أفضل مما كان يصنع فتصدقت به إلا مائتى درهم ادخرتها لولدها فلما أدرك الغلام قال يا أماه أى رجل كان أبى قالت من خيار بنى

إسرائيل قال ماترك مالا فقالت بلى ولكنه كان يفعل المعروف وألحقته سبيله قال ماكان لك أن تتصدقى بمالى فما أبقيت منه قالت مائتى درهم قال هاتيها أبتغى بها فضل الله تعالى فأخذها منها ومضى فخرج فمر بميت عريان مطروح على وجه الأرض فقال ما وضع المال فى أفضل من هذا فاشترى له كفنا بمائة وثمانين وكفنه وواراه التراب ومضى بالعشرين فإذا هو برجل على الطريق فقال له أين تريد فقال خرجت أبتغى فضل الله تعالى فقال له إن دللتك على شىء تصيب فيه فضل الله تعالى تجعل لى فيه نصف ما تصيب قال نعم قال فانطلق إلى هذه المدينة فإنك ستجد امرأة معها سنور تبيعه فاشتريه منها بعشرين درهما ثم اذبحه وأحرقه بالنار ثم اجمع رماده واذهب بذلك إلى المدينة الأخرى فإن ملكها قد ذهب بصره فاكحله يرجع إليه بصره فذهب ففعل ذلك فقال الملك أوردوه الوادى الذى فيه الكحالون ثم أخبروه إن أبرأنى فله ما شاء وإلا قتلته فإن شاء أن يقدم وإن شاء أن يرجع فنظر إلى الكحالين وهم مقتولون فقال إنى أكحله فكحله فقال كأنى أرى شيئا ثم كحله ثانيا فقال رأيت شيئا ثم كحله ثالثا فرجع إليه بصره فقال ما أبرك بشىء أجل من أن أزوجك ابنتى وتسأل حاجتك فأعطاه كل ما أحب من المال فمكث عنده مدة ثم تذكر أمه فاستأذن فى الانصراف فقال نعم واحمل معك أهلك ومالك فمر بالرجل الذى على الطريق فقال له أما تعرفنى فقال لا فقال أنا الرجل الذى كنت وصفت لك كذا وكذا فنزل وقاسمه كل شىء معه فقال الرجل قد بقى لى شىء فقال وماهو قال امرأتك فأنشدك الله إلا ما وفيتنى قال وكيف نصنع قال ننشرها بمنشار قال افعل فلما وضع المنشار على رأسها قال قف فإنى رسول الله إليك حفظك الله حيث حفظت عهده ثم رد عليه ماله(كان وكان).

مـن عـامل الله يـربـح	وكل مـن يصـدق نجا
ومـن وفـى بالأمـانـة	يـكتـب مـن الأخيـار
ومن عـرف ما يطـلب	هان عـليه الذى يـبذل
ومن يـخاطـر ويخـسر	قـد أدرك الأوطـار
ومـن ذرع فـى الدنـيـا	يحصد غداً فى الآخرة
ويـجتـلـى فـى الجنـة	عـرائـس الأبـكـار
ومـن يـسـلـم أمـوره	لله يـعـطيـه الـرضـا
ويـتـحفـه بـالـعـنـايـة	وكـل مـا يـخـتـار

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ[1] أن امرأة من بنى إسرائيل كان لها زوج وكان غائبا وكان له أم فأولعت بامرأة ابنها فكرهتها فكتبت كتابا على لسان ابنها إلى امرأة ابنها بفراقها وكان لها ابنان من زوجها فلما انتهى ذلك إليها لحقت بأهلها مع ولديها وكان له ملك يكره طعام المساكين فمر بها مسكين ذات يوم وهى على خبزها فقال أطعمينى من خبزك فقالت أما علمت أن الملك حرم إطعام المساكين قال بلى ولكنى هالك إن لم تطعمينى أنت فرحمته وأطعمته قرصين وقالت له لا تعلم أحداً أنى أطعمتك فانصرف بها فمر بالحرس ففتشوه وإذا بالقرصين معه فقالوا له: من أين لك هذا فقال أطعمتنى فلانة فانصرفوا به إليها فقالوا لها أنت أطعمتيه هذين القرصين قالت نعم قالوا لها أو ما علمت أن الملك حرم إطعام المساكين قالت بلى قالوا فما حملك على ذلك قالت رحمته ورجوت أن يخفى ذلك فذهبوا بها إلى الملك وقالوا هذه أطعمت المسكين قرصين فقال لها أنت فعلت ذلك فقالت نعم فقال لها الملك أو ما كنت علمت أنى حرمت إطعام المساكين قالت نعم قال فما حملك على هذا قالت رحمته ورجوت أن يخفى ذلك وخفت الله فيه أن يهلك فأمر بقطع يديها فقطعتا وانصرفت إلى منزلها وحملت ابنيها حتى انتهت إلى نهر يجرى فقالت لأحد ابنيها اسقنى من هذا الماء فلما هبط الولد ليسقيها غرق فقالت للآخر أدرك أخاك يا بنى فنزل لينقذ أخاه فغرق الآخر فبقيت وحدها فأتاها آت فقال يا أمة الله ما شأنك هاهنا إنى أرى حالك منكرا فقالت يا عبد الله دعنى فإن ما بى شغلنى عنك فقال أخبرينى بحالك قال فقصت عليه القصة وأخبرته بهلاك ولديها فقال لها أيما أحب إليك أأرد عليك يديك أم أخرج لك ولديك حيين فقالت بل تخرج ولدى حيين فأخرجهما حيين ثم رد عليها يديها وقال إنما أنا رسول إليك بعثنى رحمة لك فيداك بقرصين وابناك ثوابا لك من الله تعالى برحمتك لذلك المسكين وصبرك على ما أصابك واعلمى أن زوجك لم يطلقك فانصرفى إليه فهو فى منزله وقد ماتت أمه فانصرفت إلى منزلها فوجدت الأمر كما قيل لها.

جعلت على لطفك المتكل	وأعرضت عن فكرتى والحيل
وما دام لطفك لى لم أخف	عدوا إذا كادنى أو خذل
ولطفك رد الذى اختشى	كما كشف الضر لما نزل
ويا سيدى كم مضيق فرجت	بلطف تيسره من عجل
ملاذى ببابك لاحلت عنه	ويا ويح من عنه يوما عدل
وقفت عليه بذل السؤال	وما خاب بالباب من قد سأل

(1) قصة لا حقيقة لها فى كتب الحديث المعتبرة.

قوله تبارك وتعالى: **﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾** قال أهل التفسير: إن بنى إسرائيل لما مات موسى عليه السلام أخذوا فى التخليط فاعتزلت عنهم فرقة وسألوا الله تعالى أن يباعدهم عن أهل التخليط نظر لهم سرب أسفل الأرض فساروا فيه حتى إذا هم فى فضاء من الأرض فنزلوا فيه وبنوا عليه وتناسلوا فى ذلك المكان وداموا فيه إلى أن سار إليهم ذو القرنين فلما وصل إليهم رآهم فى ذلك المكان وكانوا من أطول الناس أعمارا وليس بينهم فقير وقبورهم على أبواب دورهم ومساجدهم بعيدة وليس على دورهم أبواب ولاعليهم أمير ولاحاكم فقال لهم: ماشأنكم فيما تفعلونه فقالوا أيها الملك أما طول أعمارنا فإن الله تبارك وتعالى يبارك لنا فيها لأنا قوم منصفون فطول أعمارنا لإنصافنا وأما يسرنا جميعاً فنحن قوم نقوم بالمواساة فإذا أصيب واحد منا بفقر جمعنا له من بيننا أجمعين حتى نجبر ثلمته ولايبين علينا ذلك فنحن بأجمعنا أغنياء وأما قبورنا فجعلناها على أبواب دورنا لنتذكر دائما الموت وأما مساجدنا وبعدها لأنا أخبرنا عن علمائنا ان الخطا إذا كثرت إلى المساجد كثرت الحسنات وأما دورنا فليس عليها أبواب لأنا لا نتلصص ولا يسرق بعضنا بعضاً فلا تحتاج إلى الباب أما الحاكم والأمير فلا يظلم بعضنا بعضا ونحن نتناصف فلا نحتاج إلى أمير مانع ولا حاكم رادع فقال ذو القرنين: ما رأيت قوماً مثلكم ولو أردت استيطان بلد كنت أستوطن بلدكم هذا لحسن معاشرتكم وجميل أخلاقكم.

وروى أن عابداً من بنى إسرائيل عبد الله فى صومعته كذا وكذا سنة فأطلع من صومعته يوما فرأى خضرة وماء جاريا فى وسطها فاهتزت نفسه إلى النزول من صومعته فنزل وشرب ماء وقعد متشوقاً فمرت به امرأة متزينة خارجة من قرية إلى قرية فافتتن بها ثم مر به سائل وكان له كل يوم قرصتان فآثره بذلك وجوع نفسه فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نبى ذلك الزمان أن قل لهذا العابد أبطلت عملك كله بما زنيت ثم أحييته كله بصدقتك بالقرصتين وإيثارك المسكين على نفسك فهذا ثواب صدقتك إنى قبلت ذلك منك ورددتك إلى حالتك.

ردوا علينا لياليناالتى سلفت	وامحوا الذى قد جرى منا بفضلكم
فكم زللت وأنتم تصفحوا كرما	وكم أسأت وأرجو حسن عفوكم
مالى سواكم وأنتم مشتكى حزنى	وقد جهلت ومالى غير ستركم
ولم أمل عنكمو يوما إلى أحد	وليس لى فى البرايا غير قصدكم
علىّ لكم شرف فى الحب أظهره	وما أرجى وداد غير ودكم

لـو أن ألـف لـسان لـى أبـث بـهـا ... شكرى لـكم لم أقم يـوما بشكـركم
إحسـانكـم لمسىء فـى الهـوى دنف ... مثـلى ومالى سـوى عادات خيـركم
عودوا وجـودوا كمـا كنـتم فـليـس ... أرى يحلو لسمعى حـديثاً غير ذكركم
إن كنت أذنـبت فاعفوا سادتـى كرما ... فمـن يرجـى لعفـو الذنـب غيـركم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته.

*****

المجلس الثالث والعشرون فى صدقة الفطر وما أعد الله لمخرجها من الأجر

الحمد لله موفر الثواب لـلأحباب ومكمل الأجر وجاعل ظلام الليـل ينسخه نور الفجر المحيط علمـا بخائنة الأعين وخافية الصدور ومعلم الإنسـان ما لم يعلم به ولم يدر المتعالى عن إدراك خواطر النفس وهواجس الفكر المولى رزقه فلم ينس النمل فى الرمل والـفرخ فى الوكر جـل أن تناله أيدى الحـوادث على مرور الدهـر وتقدس أن يخفى عنه باطن السر وظاهر الجهر منه تيجان الرؤوس وقلائد النحر هو الذى يسيركم فى البر والبحر أحصى عدد الرمل فى الفيافى والنمل فى القفر وشاء فأجرى كما شاء تقدير الإيمان والكفر أغنى وأفقر بإرادته وقع الغنى والفقر وأصم وأسمع بمشيئته إدراك السمع ومنـع الوقر أبصر فلم يخف علـيه دبيب الذر فى البر وسمع فـلم يعزب عن سمعه دعاء المضطـر فى السر وقدر فلم يحتج إلى معين يده بـالإعانة والنصر وأجرى الأقدار كما شاء فـى ساعات العمر قسم بـين الخلائق كما أراد أسباب العـسر واليسر وسير الرزق فـى بحار الحكم ولو لم يـشأ لم يسر هدانا إليـه ودلنا عليه بقـويم البيان وسليـم القصر وخصـنا من بين سائر الأمم بـشهر الصيـام والصبر وغسـل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء القطر فله الحمد إذ رزقنا تمامه وأتاح لنا عيد الفطر أحمده حمداً لا منـتهى لعدده وأشكـره شكراً لا يحصى مـوصول مدده وأتوكل علـيه توكل عبده عـلى سيده (وأشهـد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريـك له شهادة مخـلص فى معتقـده (وأشهد) أن سيدنا مـحمداً عبده ورسولـه الذى نبع الماء من بـين أصابع يده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وتابعى مقصده صلاة تدوم إلى يوم يفر الوالد من ولده وسلم تسليما كثيرا لا ينقضى مدى الزمان بل يتجدد بتجديده.

عن أبى سعـيد الخدرى رضى الله عنه قال: كنـا نخرج زكاة الفطر إذا كـان فينا

رسول الله ﷺ صاعا من طعام أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر رواه الترمذى رحمه الله. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ: بعث مناديا فى فجاج مكة: «**ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ذكر أو أنثى حر أو عبد صغير أو كبير مدان من قمح أو سواه صاع من طعام**» رواه الترمذى رحمه الله. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر على الذكر والأنثى والحر والمملوك صاعا من تمر أو صاعا من شعير، رواه البخارى ومسلم والترمذى رحمهم الله. وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بإخراج الزكاة قبل صلاة العيد يوم الفطر. وهو الذى استحبه أهل العلم أن يخرج الرجل صدقة الفطر قبل صلاة العيد لقوله ﷺ: «**أغنوهم عن المسألة فى مثل هذا اليوم**» ويستحب يوم الفطر للإنسان أن يغتسل ويستاك ويلبس أحسن ثيابه ويخرج صدقة الفطر ويأكل شيئا ثم يتوجه إلى المصلى ماشيا وألا يركب إلا من عذر وأن يكون خروجه إلى المصلى من طريق ويرجع من طريق آخر؛ لأن الله تبارك وتعالى يبعث ملائكة يجلسون فى الطريق يكتبون اسم كل من مر عليهم فلذلك استحب الخروج من طريق والرجوع من أخرى.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذا خرج يوم العيد من طريق رجع من غيره، رواه الترمذى رحمه الله. وعن بريدة عن أبيه قال: كان النبى ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلى، رواه الترمذى رحمه الله.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى كان يفطر على تمرات يوم الفطر قبل أن يخرج إلى المصلى. وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت: لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل. وروى عن سفيان الثورى رحمه الله أنه قال: أكره الخروج اليوم للنساء فى العيدين فإن أتت المرأة إلى الخروج فليأذن لها زوجها أن تخرج فى أطمارها ولا تتزين فإن أبت أن تخرج كذلك فللزوج أن يمنعها عن الخروج. وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**»[1] وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «**أعظم الليالى ليلة الأضحى والفطر**»[2] وعن الحسن رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع ليال يفرغ لله تعالى فيهن**

(١) لا أصل له وإن كان معناه مطلوبا. (٢) لا حقيقة له.

الرحمة على عباده إفراغا أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة الأضحى»[1] وإنما سمى العيد عيداً للعود إلى الفرح والسرور.

قال بعضهم: سمى عيداً؛ لأنه يوم شريف كريم للعاقل أن يستقبله بالتعظيم والتبجيل لله تعالى؛ لأن يوم القيامة يسمع فيه النفخة والصعقة فضرب الطبول تذكرة لها والنفخ فى البوق تذكرة للنفخ فى الصور واجتماع الناس فى المصلى تذكرة لاجتماع الناس فى القيامة على اختلافهم واختلاف أحوالهم فمنهم لابس بياض ومنهم لابس سواد ومنهم راجل ومنهم راكب ومنهم فرح ومنهم محزون ومنهم من ينقلب إلى نعمة ومنهم من ينقلب إلى نقمة.

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يحشر الناس من قبورهم على ثلاث أثلاث ثلث على الدواب وثلث يمشون على أقدامهم وثلث يسحبون على وجوههم**» والناس فى المصلى ينتظرون الإمام[2] كذلك فى المحشر والوقوف فى العرصات انتظار ما وعد الله تعالى والإشارة فى الخطبة هو أن الإمام يخطب والناس سكوت كذلك البارى سبحانه وتعالى يحاسب الناس ويعاقب ونحن سكوت ومراتبهم فى المصلى تشبه مراتبهم يوم القيامة منهم القاعدون فى الظل ومنهم القاعدون فى الشمس كذلك القيامة منهم من يلجمه العرق ومنهم من يكون فى ظل العرش وكذلك انصرافهم من المصلى بعضهم مقبول وبعضهم مردود، وقد بالغ السلف فى غض البصر حذرا من فتنة النظر وخوفا من عقوبته.

وقال بعضهم: إياك والنظر فإنه ينقش فى القلب صورة المنظور وإنما الدنيا عيوبها بادية كم فتحت باب بلية ولا حيلة كحيلة عين كحيلة.

العين أصل عناها فتنة النظر	والقلب كل أذاه الشغل بالفكر
كم نظرة نقشت فى القلب صورة من	راح الفؤاد فى الأسر والحذر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها	فى أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته	لا مرحبا بسرور جاء بالضرر
فالقلب يحسد نور العين إذ نظرت	والعين تحسده حقا على الفكر
يقول قلبى لعينى كلما نظرت	كم تنظرون رماك الله بالسهر
فالعين تورثه هما فتشغله	والقلب بالدمع ينهاها عن النظر
هذان خصمان لا أرضى بحكمها	فاحكم فديتك بين القلب والبصر

(١) حديث ضعيف.

(٢) يوجد حديث بمعناه وراجع من تحقيقنا كتاب التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبى/ ط دار إحياء الكتب العربية.

كان الربيع بـن خيثم من شدة غضه لـبصره وإطراقه يظن النـاس أنه أعمى وكان يختـلف إلى ابن مسـعود رضى الله عنه عـشرين سنة فـإذا طرق الباب خرجـت إليه الجارية فتـراه مطرقاً غاضا بصـره فتقول لسيدهـا صديقك الأعمى قد جـاء فكان ابن مسعود رضى الله عنه يتبسم مـن قولها وكان إذا نظر إليه يقول **﴿وبشر المخبتين﴾** أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك وأحبك. وكان بعض الصالحين رحمه الله يقول: يا قوم غرقت السفينة ونحن نيام هذا آدم لم يسـامح بلقمة وداود لم يتساهل له فى نظرة فكيف بنا ونحن على ما نحن عليه مـن سوء الفعال وقبح المقال وأشد الوبال والنكال والنظر إلى غير الحلال ثم قال:

يا من رأى سقمى يزيد	وعلتى تعيـــى طبيبـى
لا تعجبن فهكـــذا	تجنى العيون على القلوب

(قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله) فأما عقوبة النظر فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ يتشلشل دما فقال له رسول الله ﷺ: **«مالك»** قال مرت بـى امرأة فنظـرت إليها فلـم أزل أتبعهـا نظرى فاستـقبلنى جـدار فضربنى وصـنع بى ما ترى فـقال رسول الله ﷺ: **«إن الله تبـارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً عجل له عقوبته فى الدنيا»**.

كم من أنـاس صلوا فى أول الـشهر صلاة الـتراويح وأوقدوا فـى المساجد طـلبا للأجر للمصـابيح وملؤوا بالعبادات المكان الفـسيح ونسخوا بإحسانهم كـل فعل قبيح اقتنصـهم عن آخرهم الصائـل فقهروا وأسرهم الصائـد فأسروا وغمسهم الـتلف فى بحاره فمقلوا ولم ينفعهم المال ولا الآمال لما نقلوا رحلوا والله عنا قدما ونقض ما بنوه من الدنـيا هدما أدارت علـيهم المنون رحاهـا وأحلت وجوهـهـم الثرى فمحـاها، يا مشغولا باللهو ومفتونا بالمنى يا متعلقـا بما يوقن أن عقباه الفنا أما تعد بتوبتك فقل لى متى إنما الشيب رسـول من المنون قد أتى أما أكثر العمر فى التـسويف مضى أما أنت عرض سهم القدر والقضايا من راح إلى المعاصـى كثيرا وغدا الأمر مجموع وسيفصل غداً يا قليل الزاد وحادى رحيله قد حدا تأهب للتلف وتهيأ للردى.

أمـا المـشـيـب فـقـد كـسـاك رداءه	وأزال عـن كـتفـيـك أرديـة الصـبـا
وقـد مضـى القـوم الذيـن عهـدتهـم	أسـبيـلهـم ولـتلـحـقن بمـن مضـى
ولـقلـما تـبقـى فـكـــن مـتفـطنـا	ولـقـد يـصـفـو سـرورك إن صـفـا

وهـو السـبـيل فـخـذ لـذلك عـدة … فـكأن يـومك عـن قـليـل قد أتـى
لا يشـغلـنك لـو وليـت عن الـذى … أصـبـحت فـيـه ولـعل ولا عـسـى
خـالـف هـواك إذا دعـاك لـريـبـة … فـلرب خـير فـى مخـالفـة الهـوى
عــلـم المحــجــة بــين لمـريـــده … وأرى القلـوب عن المحجة فـى عمى
ولـقـد عجـبـت لـهـالك ونجـاتـه … مـوجـودة ولقـد عـجـبت لمـن نجـا
وعجبت إذا خشى الحـمام وليس لى … دون الحـمـام وإن تـأخر مـنـتـهـى
مـع أن ساعـات النـهـار تدب لـى … رسـلا وإنـى لا أزال عـلـى الخـطـا
فلـئن نجـوت فإنمـا هى رحـمة الـ … ـرب الـرحيـم وإن هلكـت فبـالجزا
يـا ساكـن الـدنيـا أمـنـت زوالهـا … ولـقـد تـرى الأيـــام دائـرة الـرحـا
أين الـذين بـنوا الحـصون وجـندوا … فـيهـا الجنـود وأوثقـوا فـيهـا العـرا
وذوو المـفاخـر والمنـابـر والمحاضـر … والـعـسـاكـر والدسـاكـر والـقـرى
أفـناهـم مـلك المـلوك فـأصـبحـوا … مـا فـيـهم أحـد يـحـس ولا يـرى
حتـى متـى لا ترعوى يـا صحـابى … حـتى مـتى وإلـى مـتى وإلـى متـى

قال أبو يعـقوب النهرجورى رحـمه الله: رأيت فى الطواف رجـلا بعين واحدة وهو يقول فى طوافه: أعوذ بك منك فقلت له ما هذا الدعاء فقال إنى مجاور خمسين سنة فنظرت إلى شخص يـوما فاستحسنته فإذا بلطمة وقعت علـى عينى فسالت على خدى فقلت آه فوقعت أخرى فإذا قائل يقول لو زدت زدناك.

(وقال أبو بكر الكتانى رحمه الله) رأيت بعض أصحابنا فى المنام فقلت له ما فعل الله بك قال عرض عـلى سيئاتى وقـال فعلت كذا وكذا فـقلت نعم قال وفـعلت كذا وكذا فقلت نعم قـال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقر فقـلت ما كان ذلك الذنب فقال مر بك غلام حسن الوجه فنظرت إليـه فأقمت بين يدى الله عز وجل بها سبعين سنة أتصيب عرقا من خجلى منه ثم عفا عنى بفضله.

وروى عن أبى عبد الله الـزراد أنه رؤى فى المنام فقيل ما فعـل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت بـه إلا ذنبا واحدا استحييـت أن أقر به فأوقفنى فى الـعرق حتى سقط لحم وجهـى فقيل له ما كان ذلك الـذنب قال نظرت إلى شخص جـميل وقال بعضهم فى النظر وخطراته:

عاتبت قـلبى لما رأيت جسمـى نحيلا	فألزم القلب طرفى وقال كنت الرسولا
فقال طرفى لقلبى بل أنت كنت الدليلا	فقـلت كفا جـميعـا تركتـمانى قتـيلا
وقد أطلـت نواحى علـيكما والـعويلا	ومن رضى بالذى لا يحل كان جهولا
يسـتهون الأمـر فيـه يراه أمرا مـهولا	فيغتدى القلب منه جـهرا سقيما عليلا
فتب إلى الله مما جنيـت تعطى القبولا	وليـس ثم عـدو إليك يـبقـى سبـيلا

فيا ابن آدم عيونك مطلقة فى الحرام ولسانك منهمل فى الآثام وجسدك يتعب فى كسب الحطام كم من نظرة محتقرة زلت بها الأقدام واعلموا عباد الله أن يوم العيد يوم سعيد يسعد فيه ناس ويشقى فيه عبيد فطـوبى لعبد قبلت فيه أعماله والويل لمن عمله عليـه مردود فاجتنـبوا رحمكم الله فيـه قبيح الأعمـال واسعوا فى مرضـاة الملك ذى الجلال عسى ينجيكم من ردىء الأعمال.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا كان ليلة الفطر سميـت ليلة الجائزة فإذا كانت غداة الفـطر يبعث الله تعـالى الملائكة فى كـل بلد فيهبـطون إلى الأرض فيقفـون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه الخـلائق لا الجن والإنس فيقولون: يا أمة محمد اخرجوا إلـى رب كريم يغفر الذنـب العظيم فإذا بـرزوا إلى مصلاهم يقـول الله تبارك وتعالى يا ملائكتـى ما جزاء الأجير إذا عمل عمله فتقول الملائكـة إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره فيقول الله تبارك وتعالى يا ملائكـتى أشهدكم أنى قد جعلت ثوابهم من صيامـهم شهر رمضـان وقيامهـم رضاى ومغفرتـى فيقول الله تبـارك وتعالى سـلونى فوعزتى وجلالى لأسترن عـليكم عثرتكم ما راقبتمونى فوعـزتى وجلالى لا تسألونى اليوم فى جمعكم هذا شيئا لآخرتكم إلا أعطيتكم ولا لدنياكم إلا نظرت لكم وعزتى وجلالى لأسترن عليكم عيوبكم فلا أخزيكم ولا أفضحكم بين يدى أصحاب الحدود فانصرفوا مغـفورا لكم قد رضيتمونى ورضيـت عنكم فتفرح الملائكة ويـستبشرون بما يعطى الله تعالى هذه الأمة إذا أفطروا**».

قال وهب بن مـنبه رضى الله عنه: خرج ثلاثـة أحبار إلى العيد فـقال أحدهم: االلهم إنك أمرتنا فيـما أنزلت علينا أن نعتق العبيد فى هذا اليـوم ونحن عبيدك فاعتق رقابنا من النار وقال الآخر: اللهم إنك أمرتنا فيما أنزلت علينا ألا نرد المساكين ونحن مساكيـنك فلا تردنا وقال الآخر: اللـهم إنك أمرتنا فيمـا أنزلت علينا أن نعـفو عمن ظلمنا ونحن عبيدك قد ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وارحمنا إنك أنت أرحم الراحمين.

عيدى مقيم وعيد الناس منصرف | والقلب منى عن اللذات منحرف
ولى قرينان مالى عنهما خلف | طول الحنين وعين دمعها يكف
والعيدى عودى إلى مولاى أقصده | وإننى بالخطا والذنب أعترف
لعل يشفع لى ذل مسكنتى | فيه عسى ينجلى ضرى وينكشف
فهو الكريم الذى عمت مواهبه | فجاءنا من هدايا فضله تحف

*****

المجلس الرابع والعشرون
فى ذكر معراج النبى ﷺ وشرف وكرم

الحمد لله الذى قرب من اختاره من عباده إلى حضرة وداده واصطفى واجتبى من أحبابه من صلح لحضرة اقترابه وجعل منهم أنبياء وأصفياء وأولياء وخلفا واختار المختار محمدا ﷺ وميزه على سائر الخلق قبل أن يكونوا فى الأصلاب نطفا فاصطفاه منعما ومتحفا وأعطاه بكرمه فخراً وكان له معينا ومردفا توسل آدم إلى ربه فقبل توبته وعفا ودعا به نوح فنجاه فى يمه وكان لقومه مغرقا متلفا واستجار به الخليل إلى ربه من نار نمروذ ففك عنه القيود وخمد لهيبها وانطفا وتوسل به إسماعيل فأغيث بالفدا وكان له من الردى معينا ومسعفا وسأل به موسى الكليم عطف الملك الكريم فعاد عليه متعطفا والتمس بركته عيسى فكساه مولاه عقدا نفيساً إذ جاء مبشرا بأحمد المصطفى فهو سيد الكونين وإمام الثقلين ومن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى إلى قاب قوسين معظما مشرفا وكان البراق مركبه وجبريل يحجبه والملائكة ترقبه ويهدى إليه من البشر والهنا طرفا وتحفا فلما وصل ركابه إلى المسجد الأقصى وجده الأنبياء مرتصا فأم بهم وكل منهم دعا له ووصى فقال فى حقه من خصه بالإسراء خصا **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾** فكان ذلك فخراً له وشرفا ثم نصب له المعراج إلى السماء فرقى وسما وصار مبجلا مفخما موقراً معظما معززاً مكرما مؤيدا مقدما حاكما متصرفا هذا وجبريل فى ركابه لا يبغى عنه فى ذهابه حولا ولا تحرفا فاستفتح أبواب السماء بالتعظيم والتبجيل فقيل من معك يا جبريل فقال محمد المصطفى قيل أو قد أرسل إليه قال نعم قالوا مرحباً ولنعم المجىء جاء متوجا مشرفا فتلقته الملائكة الكرام وسلم على الأنبياء بالاحترام فكل رحب به وأضحى من بركة بركته مغترفا فتجاوزهم وسار

وقطع الرسوم والآثار ولم يبلغ تلبثا ولا توقفا فسمع صرير الأقلام وتسبيح الأملاك ورأى الجنة والنار وما أعد الله فيهما للأبرار والفجار فخمد لهيب النار ببركة قدومه وانطفا وعطر رضوان فى الجنة قصوراً وغرفا ثم رفع إلى البيت المعمور وعاين الضياء والنور فرآه يدخله فى كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه إلى يوم يعض الظالم على يديه ندما وأسفا فلما وصل به جبريل إلى سدرة المنتهى تأخر عندها فقال له الرسول الجليل: «**يا جبريل أههنا يترك الخليل متخلفا**» فقال يا سيد المرسلين وحبيب رب العالمين أنت صاحب السر المكتوم والعلم المرقوم ومن ههنا تنطمس الرسوم وتندرس العلوم فهذا مقامى المفهوم ﴿**وما منا إلا له مقام معلوم**﴾ فسر فى مطالع طوالع سعدك مشرفا وأرق من أنوار عزك ومجدك رفرفا رفرفا.

رقى رفرف الأنوار والليل قد صفا	وهب نسيم الوصل وانتسخ الجفا
وطاب له ذكر الخطاب منادما	وراق له ذاك الشراب تلطفا

فما زال المختار يتجاوز حجب الأنوار ويخترق الأستار ويرقى رفرفا رفرفا إلى أن ذهب الأين واختفى وزال البين وانتقى وسلك المصطفى ﷺ حسن الأدب واقتفى وشاهد جمالا ما زال بالوحدانية معروفا وبالفردانية متصفا فوقف موقف الحضور وقد ألبس خلع الضياء والنور مطرزة بطروز السرور مرقومة برقوم الحبور توقد وصل حبل الوصل وانتفى الجفا فبدأه السلام بالسلام متحفا وحباه بالإنعام والإكرام تلطفا وقال له العلى الأعلى ﴿**يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا* وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا* وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً**﴾ فسراج نبوتك يضىء على أمتك إلى يوم القيامة ما وهن ولا انطفأ فأنت الشاهد وأنا المشاهد وقد فزت بأشرف المشاهد والشاهد لا يكون فى تحقق شهادته متردداً ولا متوقفاً فاشهد بما رأيت لتكون للناس بالوحدانية معروفا ولى بالعبودية معترفا فقد أسمعتك كلامى شفاها وجعلته لك شفا وأشهدتك جمالى وكنت إليه متشوقا ولذذتك بخطابى فكان لسمعك مشنفا وسقيتك من لذيذ شرابى كأسا راق ومن الأكدار قد صفا

فقل لمن نام عنى وعفا	وتعوض عن وصلى بالجفا
يا ذا الذى قد نام وهنا أرعفا	ماذا يفوت النائمين من الوفا
قم يا غفولا عن وصال حبيبه	وذر الدموع على الخدود تأسفا
واسمع ودع عنك التكلف إنه	ما طاب من أضحى هواه تكلفاً
لى بالعقيق وبين جرعاء الحمى	بدر رشيق القد أسمر أهيفا

أعـيا عـيون الـناظـريـن بحـسنـه ... وقـضى لـطـرف نالـه أن يـطرفـا
أن يبد فـى ليل، ترى أن بـدرا بدر ... أو ينـثنـى قلـت الحسـام المرهـفا
ولـقد عـلـمت بـأن طـه أحمـدا ... خيـر الأنام المجـتبى والمـصطـفى
هو سـيد الـكونـين والنـور الذى ... ظهـرت شريـعتنـا به بـعد الخـفا
وهو المـشفـع فى الـقيـامة وحـده ... فيمن هوى فى الـنار أو من أشرفا
هو صاحب الخلق العظيم فلا يرى ... إلا صـفوحـا عـاطفـا متـلـطفـا
هو صاحـب المعراج من أسـرى به ... لـيـلا إلى أسـنـى مـقام أشـرفـا
مـلـئـت به الآفـاق نـورا بـاهـرا ... وعـلا علـى متن الـبراق مـشرفـا
كانـت ملائـكة الـسمـا خدمـا له ... ولـه جنـان الخلـد أبـدت زخرفـا
أوحـى إلـيـه الله جـل جـلالـه ... أسـراره ولـغـيـره لن تـكـشـفـا
يا سـيد الكـونين جئـتك أشتـكى ... من جـور دهر لـى عاد متـعسـفا
أنوى المـسيـر إليك وهـو يصـدنى ... والقـلب نحـوك قد غـدا متشـوفا
والعـمر قـد ولى ضيـاعا حـسرة ... وأنـا لأجلـك قد فـنـيت تـأسفـاً

وروى الطبرى فى كتـابه: أن رسول الله ﷺ لما بلغ إحدى وخمسين سـنة وتسعة أشهر أسرى به من بين زمزم والمقام إلى بيـت المقدس وشرح صدره بأمر الملك العلام واستخرج قلبه فـغسل بماء زمزم الشافى من الآلام ثم أعيد مكانـه بعد أن حشى إيمانا وحكمة بلطف وسلام ثم أسرى إلى أشرف مقـام وذلك أنه لما نزل عليه قوله تعالى: **﴿يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً﴾** قال رسول الله ﷺ: **«يا رب أنت شرعت لـى أن الشاهد لا يشهـد إلا بما يرى»** فأوحى الله تعالى إليه أيـها السيد نحن نسرى بك إلينا لتـشاهد الملكوت الأعلىٰ وتخبر عن العيان بما رأتـه العينان فى الجنان والنيران وقيل لما أصعد، وأشهده قال له يا أيها النبى قد شهدت لى فاشهد على قال يا رب وبما أشهد عليك قال اشهد على أنه من جاءنى وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله غفرت له كل ذنب عمله فى سره وجهره

وقيل كشف الله تعالى له الموانع وأزال الحجب المعترضة وطوى له الأرض وقرب المسجد الأقـصى إليه وأحضرة بين يـديه ثم قال يا محمـد انظر وأخبرهم فكـان كلما سألـوه عن شىء نظـر وقال لهم عـلى العيـان والمشاهدة والله عـلى كل شىء قـدير فانقطعوا وأخرسوا ثـم قص عليهم صعوده من بيت المقدس إلى السمـاء فلما لزمتهم الحجة بتحقيق الإسـراء إلى بيت المقدس من مكة فى ساعة واحدة من الـليل وبينهما

شهر للمسافر المسرع لزمهم الإقرار بصعوده إلى السماء؛ لأن من قدر على طى الأرض وهى تراب كثيف فهو أقدر على طى الفضا والهواء وهو شىء لطيف.

وقيل لرسول الله ﷺ يا رسول الله سمعنا منك أن عيسى ابن مريم كان يمشى على الماء قال نعم ولو أراد المشى على الهواء ولكن لزم الأدب مع صاحب الإسراء[1] إذا كان ذلك مخصوصاً بالمصطفى حين رقى السماء وقطع الفلوات وكشف له ألف حجاب من ظلمة وألف حجاب من نور المشى فى الهواء أعجب من المشى على الماء؛ لأنه ألطف من الماء وأيضا فالماء يمشى عليه الأبرار والفجار والمؤمنون والكفار بواسطة خشبة أو لوح أو سفينة والهواء لا يقدر أحد أن يمشى عليه بشىء من ذلك إلا بعناية ربانية وموهبة إلهية، قال بعض العلماء: كان رفيقه جبريل والآخذ بركابه ميكائيل والغاشية بيد إسرافيل والداعى له الرب الجليل والمدعو محمد المصطفى الرسول الجميل وموضع الدعوة قاب قوسين أو أدنى والخلعة الشفاعة فى العصاة من أمته ولذلك قال الله تعالى ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾.

يكفيك فخراً بأن الله فضله	على السماء وما فيها من الزمن
وكم له دون خلق الله معجزة	تتلى على الناس فى الآيات والسور
وليلة الوصل كم فى طيها عجب	فاسمع لها سيرة من أعجب السير
كانت على غير وعد من زيارته	وأطيب الوصل وصل غير منتظر
أوحى إليه الذى أوحى فلا أحد	يدرى الحقيقة من أنثى ومن ذكر
أعطاه فوق الذى يرضى وخصصه	بالقرب والفوز والإقبال والظفر
وعطر الكون والآفاق أجمعها	بطيب نفحة ريا نشره العطر

وذكر الشيخ الإمام أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله فى بعض كتبه: أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى جبريل عليه السلام أن قف على أقدام عبوديتى واعترف بعز ربوبيتى وقدرتى ها قد مننت عليك فاسمع ما أوحيه إليك فقال: إلهى أنت اللطيف وأنا الضعيف وأنت المقتدر وأنا المفتقر فقال الله تعالى يا جبريل خذ علم الهداية وبراق العناية وخلعة القبول والولاية ولباس الرسالة ومنطقة الجلالة وانزل مع سبعين ألف ملك إلى باب شفيع الأمم سيد العرب والعجم الموصوف بالفضل والكرم فقف ببابه ولذ بجانبه فأنت الليلة صاحب ركابه ويا ميكائيل خذ بيدك علم القبول

---

(١) لا أصل له.

وانزل فى سبعين ألف ملك إلى باب حجرة الرسول فأنت الليلة صاحب غاشيته والمندوب إلى خدمته ويا إسرافيل ويا عزرائيل أفعلا كما فعل جبريل وميكائيل فكونا الليلة مطرقين بين يدى سيد الأولين والآخرين ويا جبريل زد من ضوء الشمس على نور القمر ومن القمر على نور الكواكب واجعلهما شمعتين بين يدى سيد الكونين فقال جبريل إلهى قرب قيام الساعة قال لا ولكن حبيب أريد أن أقرب وأطلعه على الأسرار وأخلع عليه خلعة الضياء والأنوار وهو محمد المصطفى المخصوص بالصدق والوفا انزل إليه وقبل الأرض بين يديه وكن له فى هذه الليلة خادما ولركابه ملازما فنزل إليه جبريل بالبشر والتهانى وهو راقد فى بيت أم هانى فناداه يا أيها النبى المختار قم إلى حضرة الكريم الغفار فإن الملائكة لك فى الانتظار فقام على أقدام الأشواق فأركبه جبريل البراق فركبه وساق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وقطع سفرا لا يحد ولا يحصى وسارت الملائكة بين يديه وأكثروا من الصلاة والسلام عليه ونادوه أيها السيد الكريم والرسول العظيم التفت بنظرك إلينا وتفضل بحسن عطفك علينا فقال من نقل قدما إلى غير المحبوب تعب ومن خطا خطوة لغير المطلوب نصب ومن وصل إلى هذا المقام الأعلى كيف يلتفت إلى غير المولى فلما صحت عزائم إرادته واشتغل بالخالق عن سائر مخلوقاته أذعن لسان شكره وماونى وقال إن أنا فرطت فى خدمته فمن أنا فلما اتصف بصفات الأدب والتعليم أدناه إلى مراتب التعظيم فدنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

هنيئا له لما تملى بنور ... وفاز من الرضوان بالمنزل الأسنى
ترقى به الروح الأمين إلى العلا ... فأودعه سراً وقد فهم المعنى
وأحضره المولى بحضرة قدسه ... فيا حبذا المولى ويا حبذا المعنى
فشاهد معنى لا يحد لواصف ... وأدناه منه قاب قوسين أو أدنى
فكم لك عند الله يا خير مرسل ... مناقب فضل لا تبيد ولا تفنى
وقال له هاقد منحتك رؤيتى ... فمن نال منى نظرة فقد استغنى

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ توج بتاج **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** ثم قيل يا محمد أتدرى أين أنت وفى أى مقام فقال أنت أعلم وأنت العلام قال ما رأى مقامك هذا أحد من الأنام نقلتك من منزل إلى منزل ومن عالم إلى عالم ومن معراج إلى معراج حتى لم يبق فى ملكوت السموات والأرض عجيبة إلا أطلعتك عليها ولا منحة غريبة إلا أوصلتك إليها.

تعالى الله عـن قرب وبعد	وعـن قدر يـقدر بـالمكـان
وجل بعزة عن كل وصف	يقدر فى العقول وفى العيان
فلا الألحـاظ تدركه تعـالى	ولا الألفـاظ منـا والمعـانى
فهـذا كلـه فى الله يـفنـى	وجل عن متبـاعد والتدانى

فلما حضر فى الحضرة الأزلية وشرب بكاسات الـصمدية أنارت بطلعته الكائنات وبشـرته ببلـوغ قصده ملائـكة السمـوات فنودى ولم يـر أحدا الله حافظـك ومولاك فاشكره علـى ما أولاك قال فألهمت قول التـحيات المباركات والصلـوات الطيبات لله فأجبت السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فـأشركت إخوانى من الأنبـياء وأمتى فيمـا خصصت به من الفـضل الوافر والثواب الباهر فـأجابت الملائكة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهـد أن محمداً رسول الله ثم نوديت ادن يا محمد فدنوت قيل دنا محمد بالمعرفة فتقرب إلى الرب بالمحبة ثم دنا فتدلى دنا محمد بحبه فتدلى عليه الوحى من ربه دنو رحمة ولطافة لا دنو قطع مسافة بل ذهب الأين من البين والمعنى فكان قاب قوسين أو أدنى.

كان من قبل أن يكون مكان وأوان وقبل كـل زمان أول آخر سميع بصير هو فرد منزه عن ثان بالنبى الكريم أسرى إليه سيد الرسل من بنى عدنان

ثـــم أدناه قاب قوســين منه	ثم أوتى الكتــــــاب بالتبيان
ثم أوحى إليه أســــرار علم	باهرات بأوضح البرهــــــان

فلما رجع المختار مـن سفر الإسراء بالإسراء قد عمه الفرح والاستـبشار والغبطة والسرور وقد تم له السعـد والحبور واعترضه صاحب الطور موسى الكـليم فقال له يا أيها النبى الكريم ماذا افترض ربك على أمتـك من الصلوات يا سيد الكائنات فقال : «**خمسـين صلاة فى اليوم والليلة**» فقـال يا سيد الأنـام عد إلى ربـك فاسأله لـهم التخفيف فإن فيهـم العاجز والضعيف فلم يزل يردده موسى عليـه السلام حتى جعلها خمس صلوات على الدوام.

وإنما السر فـى موســى يــردده	ليختلى حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا	لله در رسول حيــــن أرصـــده

فلم بلغ رسول الله ﷺ ما تمنى وخلا بمشاهـدة مولاة وتهنى قيل له تمنى واطلب ما تريد منا فقد أبـحنا لك الطلب وبلوغ المرام فقال أريد أن يصـيب أمتى من تشريف

خلعتـى لينالهم من مواهـب رحمتى جزيل الإنعام قـيل له يا سيد الكائـنات ويا من تشرف بـوطء أقدامه الأرض والسـموات قد خلعـنا عليهـم خمس خلـع وقد أشرق كوكب سعدهم من أفـق مجدهم وطلع ومن الخمس صلوات التى يـرتاحون إليها فى الخلوات فقال وما صفة هذه الخلع وما أسماؤها فـقيل له اجلس على مراتب التقريب يا أيها الحبيب فها هى ترف بين يديك وتجـلى عليك فأول عروس جليت عليه عروس مشرقـة الأنوار عاليـة المقدار فنـودى عند ذلك يا مـن يوصلنـا من الصدود والـهجر وحصل لأمته ببركته جزيل الثواب والأجر تسـمى هذه الخلعة صلاة الفجر ثم أجليت عليه عـروس فى حلل البياض وقد أمـن من الصدود والإعراض فنودى عـند ذلك يا صاحب المناقب الزهـر ومن فضلت أمته على سائر الأمم بالصلاة والـطهر تسمى هذه الخلعة صلاة الـظهر ثم جليت عروس فى حـلل النور الباهر وقد أشـرق الكون بنور وجهه الزاهر فنودى عند ذلك يا من ليس لصفاته حد ولا حصر ولا قلد بسيف القهر والنصر تسمى هذه الخنعة صلاة العصر ثـم جليت عليه عروس فى حلل الكمال وقد بلغ جـميع المقاصد والآمـال فنودى عند ذلـك يا أشرف من هذب وأفضـل من أدنى وقرب تسمى هذه الخلعة صلاة المغرب ثم جليت عليه عروس فى حلل الوفا وقد قال عزاً وشرفا وبلغ نهـاية الاجتباء والاصطفا فنودى عند ذلك يا أحـسن من نشا وأفضل من هرول ومشى تـسمى هذه الخلعة صلاة العـشا فهذه خمس صلوات فى الـتكليف وخمسون بالأجر والتضعيف وقد زدتـك يا صاحب الحوض والكوثر إنى لا أقبل ذكر من ذكرنى حتى نذكر فـلما جليت عليه خلع الصلوات وعـرائس الصلاة ناداه منادى القبول طوبى لمن حافظ عليها وفاز ببلوغ المقصود والمأمول.

يا غـاديا نـحو الحـبيـب عسـاك	تقـرأ السلام إذا وصـلت هنـاكا
وعسـاك تجرى ذكـر مثـلى عـنده	فـهو الـشـفاء لـدائـنـا ولداكـا
وقل السلام عليـك يا خير الورى	مـن شيـق طول المـدى يـهواكـا
أنت الذى لولاك ما سـرت الصبا	كـلا ولا عرف الـهـدى لولاكـا
لـولاك مـــا غـفـــرت لآدم زلـة	لـمـا التـجـا فى وقـتـه لـحماكـا
لـولا ما رفـعـت ليـونـس رتبـة	لـمـا نجـا مـن حـوتـه بـهـداكـا
لولا مـا كان ابن عـمران ارتـقى	طور الخـطاب ونـال من نجـواكا
ولقـد سريت إلـى المهيـمن ليـلة	والله مـا أحـد سرى مـسـراكـا
بالجـسم كان سـراك لا عن ريـبة	وتحـكمـت فى مـلكـه عيـنـاكـا

وطلبت تخلع نعل رجلك هيبة　　فأتى الندا لا تخلعن نعلاكا
ورقيت تخترق السموٰت العلا　　متوصلا حتى بلغت مناك
ناداه جبريل الأمين مخاطباً　　لك بالكرامة عن رضا مولاك
إن كان آدم صفوة من خلقه　　فقد أصفاك لحبه وهداكا
أو كان نوح قد نجا بسفينة　　فمن العدا فى الغار قد نجاكا
أو كان إبراهيم أعطى خلة　　فقد اجتباك الله إذ ناداكا
أو كان إسماعيل جاء له الفدا　　ومن به فكما فداه فداكا
أو كان موسى للإله مناجيا　　فبليلة المعراج قد ناجاكا
أو كان عيسى نال قبلك رتبة　　فمراتب المجموع قد أعطاك
قد نلت بالمعراج كل فضيلة　　ورأيت جبار السما ورآكا
فعليك يا خير الأنام تحية　　تأتيك بالإقبال من مولاكا

فلما رجع من معراجه ومرقاة وقد أشرق الكون بنوره وسناه وتعطر الوجوه بطيب نشره وشذاه تحدث بما أولاه مولاه من الفضل والجاه وخصه به من الشرف واصطفاه فصدقه الصديق وبشره وهناه ولم يشك فيما اطلع عليه ورواه واطلع عليه ورآه.

حبيب سرى وهنا فيا طيب مسراه　　وقد فاحت الأكوان من طيب رياه
وخادمه جبريل عند ركابه　　على متن ظهر للبراق ترقاه
وصلى بجميع الأنبياء وكلهم　　لرتبته العلياء حن للقياه
فلما علا السبع الطباق تحفه　　ملائكة الرحمن والنور يغشاه
تجاوز حدا لايحد لواصف　　ولا حاسب فى عده قط أحصاه
وفارقه جبريل عند مقامه　　وقال له هذا الحبيب ومولاه
هناك تجلى للحبيب مشاهداً　　بلا كيف لكن حيث شاء تلقاه
فأدهشه ذاك الجمال فلم يطق　　جوابا فنودى بالسلام فحياه
وأدناه منه قاب قوسين إذ دنا　　وناداه يا خير الأنام أنا الله
منحتك فانظر هذه ليلة الرضا　　فهل لى كما ظن المشبه أشباه
فبلغ وقل إن كنت عنى محدثا　　رأيت حبيباً ليس يعقد إلا هو
يجود على العاصى ويستر أهله　　ويعفو عن الذنب الذى ليس برضاه
بجاهك يا خير الأنام تشفعوا　　فحط عن المحزون منهم خطاياه
عليك سلام الله يا خير مرسل　　سلام شريف فى الحقيقة ترضاه

فسبحان من خص هذا الحبيب بخلع التشريف والتقريب وجعله قبلة للطاعة وكعبة للشفاعة من النار واللهب ووعد من صلى عليه بإجابة دعائه وانشراح صدره الرحيب فقال تعالى ﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب**﴾ اللهم إنا نسألك بجاهك العظيم وبما كان بينك وبينه ليلة الخلوة والجارة والتقريب والتكريم اغفر لنا كل ذنب عظيم وألبسنا ملابس القبول وبلغنا نهاية المسؤول وجميع المأمول وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المجلس الخامس والعشرون فى حكايات الصالحين وما فيها من الرقائق والاعتماد على الخالق

فمن ذلك ما قال محمد بن السماك الواعظ رحمه الله وصف لى عابد فسرت إليه لأزوره فوجدته فى بيت وقد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوصا بين يديه فسلمت عليه فرد علىَّ السلام ثم قال من أنت فقلت محمد بن السماك قال الواعظ قلت نعم فألقى الخوص من يده وقال يا ابن السماك إن الواعظ من المستمع بمنزلة الطبيب من العليل فاعرض علىَّ شيئا من وعظك فقلت يا شيخ أما تخشى أن تكون خطيئتك لا تنسى وذنبك لا يمحى ثم كم بين يديك من شدة وأهوال وكربة وأنكال فأولها ظلمة القبر ثم ظلمة النشر ثم ظلمة الحشر ثم ظلمة الصراط ثم وزن الأعمال ثم قطع الآمال ثم سطوة الملك المتعال فبكى بكاء شديدا وقال لى يا ابن السماك وما بعد ذلك قلت حمل الأوزار والورود على النار وأعظم من ذلك توبيخ الملك الجبار فصاح صيحة عظيمة ثم سقط ميتاً فى قبره فخرجت إليه عجوز وجعلت تمسح التراب عن وجهه وتقول هاتان العينان طالما أسهرتا فى طاعة الله وطالما بكتا من خشية الله فخرجت من المنزل فإذا أنا بسرى السقطى وإبراهيم بن أدهم والجنيد وجماعة من وجوه العباد فقالوا إلى مات أبو يزيد الخواص قلت نعم فدللتهم على المنزل فدخلوا ليخرجوه من قبره ويغسلوه ويكفنوه فوجدوه مغسلا مكفنا مطيباً فصلى عليه المسلمون ثم رجعت إلى منزلى وقد صغرت عندى نفسى.

إلى كم ذا التراخى والتمادى	وحادى الموت بالأرواح حادى
فلو كنا جماداً لا تعظنا	ولكنا أشد من الجماد

ينـاديـنـا المــنـيـة كـل وقـت — ومـا نصـغـى إلـى قول المنـادى
وأنفـاس النـفوس إلـى انتـقاص — ولـكـن الـذنــوب إلـى ازديـاد
إذا مـا الـزرع قـارنـــه اصـفـرار — فـلـيـس دواؤه غـــيـر الحـصـاد
كـأنـك بالمـشـيـب وقد تـبـدى — وبـالأخـرى مـنـاديـهـا يـنـادى
وقالـوا قد قـضى فـاقروا عـليـه — سـلامـكـمـو إلى يـوم الـتـنـاد

قال عبدالله بن واسان رحمة الله تعالى عليه: عبرت يوما فى أزقة البصرة فوجدت صبياً يبـكى وينتحب فقلـت له ياولدى ماالذى يبكـيك فقال خوفا من النار فقلت يا ولدى أنت صغير السن وتخاف من النار فـقال يا عم نظرت إلى أمى وهى توقد النار فرأيتها تقدم الحطب الصغار قبل الكبار فقلت لها يا أماه لم تقدمين الصغار قبل الكبار فقالت يا ولدى ما تشـتعل الكبار إلا بالصغار فقلت له يا ولـدى هل لك فى صحبتى فتتعلم ما ينفعك فقال على شرط إن قبلت فإنى أصحبك وأتبعك قلت وما هو قال إن جعت تطـعمنى وإن عطشت تسـقينى وإن زللت تغـفر لى وإن مت تحيينى فـقلت له ياولدى لا أقدر على ذلك كله فقال ياعم فإنى على باب من يقدر على ذلك كله.

منـك أرجو ولست أعـرف ربا — أرتجى منـه بعض ما مـنك أرجو
وإذا اشتـدت الشدائـد فى الأر — ض على الخلق فاستغاثوا وضجوا
وابتلـيت العباد بـالخوف والجو — ع فـصروا عـلى الـذنوب ولجـوا
لم يـكن لى سواك ربـى ملاذا — وتـيـقـنـت أنــنـى بـك أنجـو

قيل لما بلغ سفيان الثورى رضى الله عنه مـن العمر خمس عشرة سنة قال لأمه يا أماه هبينى لله تعالى فقالت ياولدى إنما يهدى للملوك من يصلح لهم وأنت مافيك شىء يصلح لله فاستـحيا ودخل بيتاً فأقام فيه خـمس سنين متوجها إلى الله تعـالى بالعبادة فدخلت عليه أمه بعـد ذلك فوجدته مجتهدا فى العبادة وعليه آثار الـسعادة فقبلته بين عينيه وقالت يـا ولدى الآن قد وهبتك لله فخرج عنها وغاب عشر سـنين فى سياحته متلذذا بعبادته فـاشتاق إلى أمه فزارها ليلا فلما طرق البـاب نادته من وراء الحجاب يا سفيان من وهب لله شيئا فلا يعود فيه وأنا قد وهبتك إليه فلا أراك إلا بين يديه.

ولا تحسـبوا أنـى نسـيت ودادكـم — إنى وإن طـال المدى لسـت أنسـاكم
حفـظنا لـكم عهـداً قديماً وحـرمة — ونحن على العهد الذى قد عهدناكم
ونحن عـلى ما تعهدون مـن الوفا — بودكـمو قـلبى وبـالغيـب يرعـاكم
ولست بنـاس عهدكم بعد بـعدكم — وما دام قلبـى عندكم كيف يـنساكم

قال منصور بن عـمار رحمه الله: تكلمت فى بعض مدائـن العراق بكلام يذوب منه الجماد وتنفطر منه الأكباد فلم يـجر لأحد فى مجلسى دمعة ولا كأن كلامى طرق سمعهـم فبينما أنـا أحمو نياق القـلوب وأسواق الأرواح إلى حضرة المحـبوب إذا أنا بشاب حسن الثياب قد قام فى المجلس وصرخ ثم جلس وزعق فزلزل بصرخته أركان الأفكار وخلا فى سـره بجمال الغفار ثم امتـهلت حتى أفاق وتقدمت إلـيه وقلت له سيدى إلى أين وصـلت خيل طربك فقال وصلـت خيل طربى إلى بلوغ طـلبى قلت وبماذا اتصلت قال براحتى بعد تعبى قلـت وعلى ماذا حصلت قال على كنز مقصودى ومطلبى قلت فهـل مررت على حضرة القرب قال نعم ومنها كـان مشربى قلت فهل شاهدت رجال الوقـار وخلعت معهم العـذار فقال يا ابن عمار وهل خـلع العذار إلا مذهبى قـلت فكيف تجيلـتّ وحتى إلى الدخول تـوصلت قال وقفت بالـباب ولزمت أدبى فنظر الساقـى الباقى إلى فرط أشواقى فرحمنى ولطف بـى وفتح لى الباب ورفع لى الحجاب ونادانى تمل بمشاهدتى عند رفع حجبى ثم أنشأ يقول:

إن كنت مـن أهل عصبة الـطلب	بادر إلـى شرب خمرة الـطرب
وقـم إلى نـحـوهـا لعـلـك أن	تحصل من صرفـها على الأرب
راح عـلى أربـع العـنـاصر قـد	سمت إلى أن علت على الرتب
رقـت وراقت وروقـت وصفـت	وقـدست نـسبـة عن الـعنـب

قيل إن أبا القاسم رحمـة الله عليه حج هو وجماعة من الفقراء الصـوفية فانقطع عنهم الماء أيـاما حتى أشرفوا على الـهلاك وكانوا تحت جبل فقـال لأحدهم خذ هذه الركوة واصعد إلـى ذروة هذا الجبل فخذ لنا تراباً طـيباً طاهراً حتى نتيمـم به فأخذها وصعد إلى الجبل فجعـل يأخذ التراب ويجعله فى الركوة وإذا بصوت يـناديه فالتفت فإذا هو راهب فى دير يناديـه ما تصنع بهذا التراب فقال نحن مسـلمون محمديون إذا عدمنا الماء تيممنا بالتراب فقال عـندى بئر عذب شراب خذ منها واشرب وتوضأ فقال المريد نحن جماعة تحـت الجبل فقال انزل إليهم وأعرض ذلك عليهـم فنزل إلى الجنيد فأعلمه بذلك فقال اصعد إليه وقل له نحن فـى سبعين مرقعة أتحملنا فصعد إليه وقال له ذلك فقال أحملهـم ولو كانوا ألفا إكراماً لمحمد وأمته فإنى أحـبهم فنزل المريد إلى الجنيد وأخبره بقول الراهب فصعد هو والجماعة وفتح لهم الراهب باب الدير فوجدوا بئرًا منقورة وفيهـا ماء عذب طيب فاستقوا منها وشربوا وتوضـؤوا وصلوا فلما فرغوا قدم لهم الـراهب صحفا على عـددهم فيها أنواع الطـعام فأكلوا وقدم لهـم الطشت

والإبريق فغسلوا أيديهم وطيبهم بالماء وورد المسك فلما استقروا سألهم هل فيكم من يقرأ شيئا من القرآن فأمر الجنيد بعض مريديه فاستفتح وقرأ ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون**﴾ فصرخ الراهب وقال: اصطلحنا ورب الكعبة هل فيكم من يحسن أن يقول شيئا فأنشد بعض المريدين:

أقام على الإبعاد حينا من الدهر	فعرفه كيف الطريق إلى العذر
وأشفق أن يبقى على حالة الجفا	فيغرق فى بحر الصدود ولا يدرى
لأن جراحات الجناية بالوفا	وإن برئت لا ينمحى موضع الأثر

فبكى الراهب طويلا ثم قال زيادة فأنشد له ثانيا:

لبيك يا من فى القديم دعانى　　　وإليه باللطف الخفى هدانى

فصرخ الراهب وقال لبيك سيدى لبيك وها أنت قد دعوتنى إليك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وقطع الزنار وخلع ما كان عليه فألبسه الجنيد دلقه وفرح بإسلامه ثم ترك الدير وما فيه وساح على وجهه هائما لا يدرون أين ذهب فلما وصلوا إلى مكة التى شرفها الله تعالى ودخلوا الحرم واجتمعوا وإذا شخص متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: سيدى بكشفك حجابك لى حتى شهدتك وباستدعائك لى حتى أجبتك فيا من عرفنى به فعرفته هب لى من الحجيج من لا قبلته فقال الجنيد لبعض مريديه انظروا من القائل لهذا الكلام فمضى إليه فوجده الراهب فقال يا هذا اذهب إلى الجنيد واقرأه عنى السلام وقل له: إنى لما فتحت لكم المقام وبذلت لكم الطعام نادانى الملك العلام إلى دين الإسلام وخلع على خلعة الإكرام حتى لبست ثياب الإحرام ودخلت البلد الحرام ولى عنده حرمة وزمام فعاد المريد إلى الجنيد فأخبره بذلك فقام إليه وضمه وقبله بين عينيه وقال له حبيبى كيف رأيت لذة الوصول إليه فقال يا سيدى لما هجرت الطول وتبعت القفول هبت على نسمات القبول ففتح لى مولاى باب الوصول فحصلت على المحصول وبلغت القصد والقبول ثم صاح وسقط إلى الأرض فحركناه فإذا به قد مات هذه والله الجذبات الربانية وهذه أمارات الإخلاص فى الوحدانية :

غلب الغرام حتى إنه	ساوى هواء ليله بنهاره
وسطا عليه السكر حتى قد غدا	متهتكا فى الحب بعد وقاره
ولهان بين معنف ومؤفف	فرحان من طرب بخلع عذاره

أضحى بخمرة حبه متمايلا	بخماره شوقا إلى خماره
وكليم شوقا كم له من زوره	يرجو شفا أوزاره بمزاره
فى طور القلب حاول نظرة	فقضى الهوى بالبعد عن أوطاره
لا عار للمطر أن يبدى الجوى	ويبث ما يلقاه من أضراره

قال بعض العارفين: رأيت غلاما قد افترش الرماد وهو يتمرغ عليه ويئن أنيناً شديداً فقلت لصاحبى اعدل بنا إلى هذا العليل نعوده فقال ليس هذا عليلا ولكنه من المحبين يدعى بعيد المجنون قال فتقدمت إليه فإذا هو فتى وعليه جبة صوف بالية وهو يقول سيدى عجبا لمن وصل إلى معرفتك وذاق حلاوة محبتك فقلت لصاحبى إنما المجنون والله من لم يصل إلى هذه المنزلة فلما أفاق من غشيته نظر إلينا وقال: ما بالكم تنظرون إلىَّ قلنا لعل دواء يشفى من الداء الذى تجده فقال الذى ابتلى بالداء عنده الدواء ولكن يطلب من الذى يتداوى أن يحتمى أولا فقلت بماذا قال بترك الحرام وعدم التعرض للآثام ومراقبة الملك العلام والتهجد بالليل والناس نيام وأخذ القليل من البلغة والصبر على البلاء فى حال السخط والرضا والتعفف والقناعة عند وجدان الاستطاعة والاستعداد للموت وإعداد الجواب لمسئلة منكر ونكير والوقوف بين يدى الملك الجليل القدير ثم إما إلى الجنة وإما إلى السعير ثم بكى حتى علا بكاؤه وبكينا معه وقلنا له نحن أضيافك فادع لنا فقال لست من خيل هذا الميدان فأقسمنا عليه فقال جعل الله قراكم الجنة وجعل ذكر الموت منى ومنكم على بال قال فانصرفنا وارتاحت النفوس لعذب كلامه ومحبته.

(إخوانى) هذه أحوال المجانين فأين عقلك أنت أيها الكئيب الحزين المسكين.

يا من بديع جماله الفتان	يسبى عقول أعزة الفتيان
لولا وصالك لى لما علق الهوى	بحشاشتى وثنى إليك عنانى
لاحظتنى نظرا تضمن جملتى	فعجبت من داعيك حين دعانى
يا نظرة أهدت لسر سرائرى	شوقا فلم ينظر إلى إنسان
فتراسلت أسرار وتجوهوت	أرواحنا وسرت عن الجثمان
مالى وللبرق الخفى يهيجنى	وجداً وإن سجع الحمام شجانى
لولاك ما هز الغرام معاطفى	طربا ولا أصبو إلى الألحان
أشتاقه لا عن مسافة بيننا	لكن يحن إلى لقاه جنانى
ما قلت آه تألما من وجده	لكن لفرط لذاذة الوجدان

قيل جلس عبد الله بن مشرف وزير هارون الرشيد بين يديه فقال يا أمير المؤمنين لو استغاث بك رجل فى رد عبد له هرب إليك أما كنت ترده إليه قال بلى فأنا عبد قد فررت إلى خدمة سيدى فاتركنى له فقد أردت الرجوع إليه فبكى الرشيد ومن حضره وقال هذا رجل قد نجا من بيننا ونحن جلوس ننظر إليه ثم خلى سبيله فخرج من وقته محرما يقول لبيك اللهم لبيك فلقيه سفيان الثورى فسلم عليه وقال يا عبد الله ما الذى عوضك الله عما تركت فقال يا سفيان عوضنى الرضا بما أنا فيه فلما بلغ شيوخ الحرم قدومه خرجوا للسلام عليه فرأوا شعثه وجهده فقالوا له كيف رأيت جهدك وصبرك على قطع المفاوز فقال وكيف يأتى العبد المحرم إذا قاد نفسه إلى باب مولاه لو قدرت جئت أسعى على رأسى ثم أخذ فى البكاء فقيل له وما هذا البكاء فقال شفيع قدمته لعله يقبل فلما وقع بصره على البيت شهق شهقة ومات رحمه الله تعالى.

جنونى بكم حلم وغيى بكم رشد وحب الورى هزل وحبى لكم جد

رضيت بما ألقاه فى السخط لو كان سما فهو من أجلكم شهد

وحقكمو ما سرنى من سواكمو دنو ولا من غيركم ساءنى بعد

وما سمحت بالصبر عنكم حشاشتى ولا بخلت بالدمع أجفانى الرمد

وإنى لأهوى الشوق حتى كأنما على كبد من حر نيرانكم وقد

وأستنشق الأرواح من نحو أرضكم وأسأل عنكم من يروح ومن يغدو

فحنوا وجودوا وارحموا وتعطفوا وكونوا كما شئتم فما منكمو بد

قال محمد بن السماك رحمة الله عليه: وصف لى عابد فى بعض جبال الشام فسرت إليه وسلمت عليه فرد على السلام وقال لى يابن السماك ما أوردك إلى هذا المكان قلت سمعت بك فجئت أزورك فقال غرك من أخبرك أنا أعرف بنفسى من غيرى فالعاقل يا ابن السماك من يجتهد فى الخلاص قبل الهلاك قلت هل لك من حاجة قال من جلس فى هذا المكان لم يبق له حاجة إلى إنسان ثم قال يا ابن السماك هل لك أنت من حاجة فقلت له سألتك بالله إلا ما أخبرتنى ما الذى تحب من الدنيا والآخرة فبكى وقال والله لولا أقسمت على ما أخبرتك فأما الذى أحبه من الدنيا فقوة على الطاعة وزهد وقناعة نفس بعيدة عن الهوى وقلب حشوه الخوف والجوى وأما الذى أحبه من الآخرة فسماعى من سيدى اذهب فقد غفرت لك ثم تأوه ووقع على الأرض ميتاً فبهت من حاله وحرت فى أمره وهممت بغسله وتجهيزه فسمعت هاتفا

من خلفى يقول يا ابن السماك هون عليك فليس أمره إليك ثم غيب عنى فسمعت صب الماء عليه وأنا لا أنظر إليه وسمعت قائلا يقول هنيئا لك أيها الولى المحبور بالأمن من الخوف يوم النشور.

فلما رأيتك حاضرا	فى القلب زاد بى الخمار
فبقيت فيك محيرا	والقلب ليس له قرار
يا صاح هات مدامتى	صرفا فما عنها اصطبار
لطفت فلما ذاقها الأحباب	نحو الحب طاروا
بذلوا إليه نفوسهم	كلا ولا فى الموت عار
وإليه فى بحر الهوى ركبوا	وبالأرواح ساروا
طلبوه حقا بالقلوب	فعندها نظروا وحاروا

قال منصور بن عمار رضى الله عنه وكان واعظ العراق: بينما أنا فى بعض الليالى نائم إذ رأيت بابا فى السماء مفتوحا وقد نزل منه ملك كثير الأنوار فقال لى يا ابن عمار: يسلم عليك الملك الجبار خالق الليل والنهار ويقول لك انصب غداً منبرك فى الحال وتكلم بعزم وجنان قلنا فى ذلك سر ونبأ ونشهدك من آياتنا عجبا قال ابن عمار فاستيقظت من منامى فزع لا أجيب وقلت إن هذا لشىء عجيب هذا شىء ما أظنه يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون كيف تورد الأحاديث الصحاح على غير أهل الصلاح وكيف يتلى القرآن بين الدنان والأقداح فأعدت الوضوء وصليت ركعتين ثم نمت وإذا بالملك قد عاد وقال يا منصور ما جئتك إلا بأمر الملك الغفور وهو يقول لك قم وتكلم فى الحال وعلينا الضمان فاستيقظت من منامى وأنا من هذا الأمر العجيب أتفكر وقلت أريد حمال المنبر فإنه به قد حضر وطرق الباب فقلت من فقال يا سيدى أنا حمال المنبر تريد أن أنصب لك المنبر وسط الخان أم بين الدنان فقلت ومن كشف لك عن هذا السر المصون فقال الذى يقول للشىء كن فيكون اعلم يا سيدى أن الملك الذى جاء إليك البارحة جاء إلى بعدك وقلدنى الأمانة وأمرنى أن أنصب لك المنبر فى الحانة قلت حبيبى إن كان الأمر كما تقول فافعل ما أمرك به الرسول فلما أسفر الصباح ونشر عطره الفياح سارعت إلى امتثال الأوامر فإذا شيوخ الخان قد عقدوا الدساكر فصعدت منبرى بين جلاسى وأطرقت ساعة ثم رفعت رأسى وقلت الحمد لله الذى جذب قلوب أحبابه إلى حضرة اقترابه وأدخلهم إلى حانة وصله وسقاهم شراب عتابه وشغلهم به عمن سواه والمحب لا يشغل بغير أحبابه وتجلى عليهم فدهشوا عند

مشاهدة جـماله ورفع حجابه فـيا أيها السكارى بخـمر الهوى لو دخلتـم حانة الحب وعاينتم دنان القرب لرأيتم رجال الوقار فى حضرة الملك الغفار وأقداح الأفراح عليهم تدار وكاسـات المصافات تـغنيهـم عن شراب العقـار فأقداحهـم أفراحهم وخـمارهم أذكارهم وريحانهم قرآنهم وورد‌هم وردهم وشمعـهم سمعهم ومن مارهم استغفارهم فإذا جن اللـيل وغابت الرقباء والأغـيار تجلى عليـهم الملك الجبار ورفع لـهم الحجب وكشف لهم الأستار فشاهدوا جمالا لا تكفيه العقول ولا تمثله الأفكار فتأملوا يا أولى الألباب بين القـشور واللباب واعلموا أن مـحرك أغصان القلوب الجامـع بين يوسف ويعقوب ما أمرنى بالجلوس فى هذا المكان إلا وقد عفا عما كان من الذنوب والعصيان وجاد بالعفو والرضا وصفح عما مضى وسمح للجانى وقبل المطرود والعانى فالمحبوب قد حضر وبعين الرضا إليكم قد نظر وقد انتهت إليكم النوبة فهل فيكم من يعزم على التوبة فقد دارت كؤوس المصالحة وهبت نسائم المسامحة قال ابن عمار: فما استكملت كلامى إلا وشاب قد وقف أمامى وهـو سكران وفى يده قدح الخمر مـلآن وهو ثمل نشوان وقال يـا ابن عمار ترى الملك المـتعال يقبلنـى وأنا على هذا الحال فقـلت له يا حبيبى كيف لا يقبلك بـأفضاله وإسعاده وقد قال تعالى **﴿وهو الذى يقبـل التوبة عن عباده﴾** قال فرمى القدح من يده وخرج هائما واستيقظ من غفلته بعد أن كان نائما ثم قام إلى غلام قد لعبت به المدام واستولى عليه الوجد والغرام وقال يا منصور إن الملك الغفور قد أمر أن تأخذ على العهود فقد مضت دولة الصدود وأنجزت الوعود وآن أوان حصول المطلوب والمقصود فقلت له يا غلام ومن أوصلك إلى هذا المقام فقال أنا الذى خوطبت من أجله فى المنام وأنا الملك فى شأنه مـن عند الملك العلام فقلت له حبيبى ومن كشـف لك عن هذا الـسر المستـور فقال الذى يـعلم خائـنة الأعين وما تـخفى الصدور ثم قـال يا منصور ومن هبـت عليه نسمـات الملاطفة لم يعجـز عن حصول المكاشفة قلت سيدى فمتى هبت عليـك هذه النسائم قال البارحة وأنت نائم ثم قال يا ابن عمار أنت كنت السبب فى دلالتى عليـه وقربى لديه فهل لك من حاجة إليه قلت سيدى فإلـى أين عزمك فقال يا مـنصور إلى حضرة الملـك الغفور بين ندمان عليهم كؤوس الأنس تدور بين ذاكر ومذكور وقد رفعت الحـجب والستور فإن أحببت يا ابن عمار أن ترانى فـهناك غداً تلقانى ثم خـطى فى الهواء خطوات وقد نهـى النفس عن الشهوات فغاب عن عيانى فجعلت أرمقه بإنسانى فسمعته يقول:

دعـونى فـالـذى أهـوى دعانـى ونـادانـى ومـنـه الـوصـل دانـى
وقـال تريـد مـاذا قـلت كـأسـا أهـيـم بـك مـــا طـول الـزمـان
وأنـظـر نظـرة يـا نـور عيـنـى أراك بـها عـلـى قـرب التـدانـى
فقـد لبـى عظـيم الـشوق مـنى ولم يـخطـر سواك علـى لسـانى
ومذ نـاديتـنى لـلوصـل جهـرا أجـبت وقـد أتـيـت بلا تـوانـى
وكنـت علـى القبـائح مـسـتـمرا كثير الـذنب مضنى القـلب عانى
فـلاطفـنى حـبيـبى حـين داوى فـؤادى بالـوصـال ومـا جفـانـى
وكنت عـلى شفاجرف المـعاصى فـداركنـى حـبيـبى واجـتـبانـى
وعـرفنـى الطـريـق إليـه جهـرا فـنلـت القـصـد منـه والأمانـى
فـها أنـا بـعد كـل فـى اعـتـزاز وعـنـدى كـل أسـباب الـتـهانـى

*****

المجلس السادس والعشرون

فى مناقب الصالحين رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله المتعـزز بجلاله المتفرد بكمـاله المتوحد ببديع أفعـاله الذى أودع جواهر حكمته فى صـناديق قلوب أهل معرفته وقـفل عليهم وثيق أقفالـه دعاهم إلى حضرة قدسه وتولاهم بنفسه فخرج كل منهم عن أبناء جنسه وأشكاله قنعوا فى المسير باليسير ونشطوا فى الليل كما ينشط الأسير من عـقاله قاموا فى الدجا على أقدام التهجد بين يدى مولاهم فـأصبحوا وقد أولاهم مـن فضله ونواله واسـتعذبوا التعـذيب فى رضا الحبيب وصبروا على مرارة أهواله تجافوا عن الجفا والغدر وداموا على استعمال الصبر وما كل أحد يـقدر على استعـماله جادوا فى محـبته بالأموال والأرواح فحـصل لهم السرور والأفراح فأضـحوا نشاوى من فرط محبـته لا يعرفُ أحدهم يمينـه من شماله فالعارف قد عرف لذة هجوعه والخائف قد تردى برداء ذله وخضوعه والمذنب قد بكى بفيض دموعه والهائم قد خرج من ربوعـه وأطلاله والمطرود قد غص ببعده والعاصى قد احترق بنار وجده والواجد قد خرج عن حده ونادى بلسان حاله :

يا مـن سقى قلـبى شراب وصـاله وأبـاحـه نـظـراً لحسـن جـمـالـه
عـودتـه مـنـك الجميـل فـأجـره كرمـا علـى عادات حـسن مـنالـه
حـاشاك تمـنعـه رضـاك وقد أتـى متـنصـلا من عـظم قـبح فـعالـه

لا تبتليه بالبعاد وبالجفا | يا سيدى أنت العليم بحاله
يا أيها العاصى المسىء إلى متى | تعصى الإله وتغتذى بنواله
قم فى الدياجى طالبا لأمانه | واخضع وذلك لعزه وجلاله
واضرع إليه وناده بتذلل | يا من يجود على الكئيب الواله
يا من إذا سأل المقصر عفوه | فهو المجيب بفضله لسؤاله
مالى إليك وسيلة إلا الرجا | وتشفعى بمحمد وبآله
المصطفى المختار أكرم شافع | فيمن يرجيه ليوم مآله
صلى عليه ما جن الدجى | وبدا الصباح بنور حسن جماله

(إخوانى) أين الذين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون؟ أين الذين قيل فى حقهم **﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾** أين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ أين من بات وهو لربه ساجد وراكع؟ أين الذين سبقت لهم العناية بالتوفيق والهداية؟

قال عبد الواحد بن زيد رحمة الله عليه: خرجنا جماعة من الفقراء نريد سفرا فى البحر فعصفت الريح بنا فطرحتنا على جزيرة فى البحر فرأينا فيها رجلا يعبد أصناما من دون الله تعالى فقلنا له أى شىء تعبد فأومأ بإصبعه إلى الصنم فقلنا له يا مسكين إن معنا فى السفينة من يحسن يصنع مثل هذا وإن هذا ليس بإله يعبد قال فأنتم من تعبدون قلنا نعبد الله قال وما الله قلنا الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الأحياء والأموات قضاؤه فقال فكيف علمتم ذلك قلنا أرسل إلينا رسولا أخبرنا بذلك قال فما فعل الرسول قلنا لما أدى رسالة الملك قبضه إليه فما ترك عندكم علامة من الملك قلنا بلى ترك عندنا كتاب الملك قال أرونى كتاب الملك فإن كتب الملوك تكون حسانا قال فأتينا بالمصحف فقال لا أحسن اقرأ هذا فقرأنا عليه سورة فما زال يسمع ويبكى إلى أن ختمنا السورة وعلمناه شرائع الإسلام وشيئا من القرآن فلما أقبل الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا للنوم فقال يا قوم الإله الذى دللتمونى عليه ينام قلنا لا يا عبد الله هو حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم قال فبئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فأحببنا كلامه فلما وصلنا إلى عبادان وأردنا أن نتفرق جمعنا له دراهم وقلنا له أنفق عليك هذه فنظر إلينا مغضبا وقال لا إله إلا الله دللتمونى على طريق ولم تسلكوها أنا كنت فى جزيرة فى البحر أعبد صنما من دونه فلم يضيعنى فكيف الآن وقد عرفته ثم تركنا ومضى قال عبد الواحد فلما كان بعد أيام أتانى آت فأخبرنى عنه أنه بأرض كذا وهو يعالج سكرات الموت فجئته وقلت

ألك حاجة قال قد قضى حوائجى من عرفتنى به فبينما أنا أكلمه إذ غلبتنى عيناى فنمت فرأيت فى المنام روضة وفى الروضة قبة وفيها سرير وعليه جارية أجمل من الشمس والقمر وجها وهى تقول سألتك بالله إلا ما عجلت على به فانتبهت فإذا به قد مات فجهزته ودفنته فى قبره فلما نمت رأيته فى المنام فى القبة التى رأيتها أولا والجارية إلى جانبه وهو يتلو قوله تعالى **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب* سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾** .

صب قضى فى الهوى العذرى مشتاقا	ولم يخن لأهل الحى ميثاقا
ومات وجدا بهم من بعد ما عطفوا	عليه حين غدا بالذنب منعاقا
له الهنا وله البشرى غداة غدا	ينسى بطيب التلاقى كل ما لاقى
ويشهد الحسن فى كل الوجود بدا	والحجب قد رفعت والوقت قد راقا
وخمرة الإنس دارت والمدير لها	أعارها منه أنوارا وإشراقا
كم نورت بصراكم جوهرة فكرا	كم أيقظت فى ظلام الليل أحداقا
وقد تجلى لأهل الحب فافتتنوا	وأصبحوا كلهم للحسن عشاقا

(إخوانى) لا تزدروا حلل الفقر فإن عليها أنوار المهابة **﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾** رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو قسم على الله لأبره قال محمد بن المنكدر رحمة الله عليه: كان لى سارية فى مسجد رسول الله ﷺ أجلس إليها بالليل فقحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يسقوا فلما كان الليل صليت العشاء فى المسجد ثم جئت فاستدرت إلى السارية فجاء رجل أسود تعلوه صفرة متزر بكساء فتقدم إلى السارية وأنا خلفه ولم يشعر بى فصلى ركعتين ثم جلس فقال يارب خرج أهل حرم نبيك ﷺ يستسقون فلم تسقهم وأنا أقسم عليك بجاه محمد ﷺ وآله أن تسقيهم قال ابن المنكدر فما وضع يده حتى جادت السماء بالمطر وحمد الله وأثنى عليه ثم قام فلم يزل يصلى حتى قرب الفجر فأوتر وصلى ركعتين ثم أقيمت الصلاة فصلى الناس وصلى معهم فلما سلم الإمام خرج مسرعا فركضت خلفه حتى انتهى إلى باب المسجد فجعل يرفع كساءه ويخوض فى الماء فحيل بينى وبينه فلم أدر أين ذهب فبقيت متأسفا عليه متشوقا إليه.

نهارى وليلى دائم الحزن والبكا	على جيرة فى ذى المنازل قد كانوا
لقد رحلوا عنى وإنى لبعدهم	كئيب حزين واله اللب حيران

نأوا فـبقـلبـى حرقـة لفـراقهـم	وفـيه مـن الوجـد المبـرح نيـران
فواحسـرتى ولى الزمـان ولم أفز	أحـبـاب عـن العـين قـد بـانـوا
نسيـم الصبا بـلغ سلامى إلـيهم	فقد مضى منـهم صدود وهجران
وإن لم أطق صبرا علـيهم فليس	لى سـوى من له حـلم وغـفران
يـفرح أحـزانـى ويغـفـر زلتـى	ففى القلب من فقد الأحبة أحزان

(إخوانى) ما كل مسافـر حاج ولا كل بيت مكة ولا كل زاد يبـلغ ولا كل جبل عرفات ولا كـل واقف واقف. قال ذو الـنون المصرى: حججـت سنة إلـى بيت الله الحرام فلما وقـفت بعرفات رأيت شابا علـيه آثار الاصفرار والنحول والـقلق والذبول فعلمت أن عنده من المحـبة محصول فسمعته يقول سيدى كيف ألـبيك بلسان عصاك وقلب جفاك قـال ذو النون: فتقدمت إليه فلـما رآنى قال مرحبا ياذا النـون فقلت له ومن أين تعرفـنى فقال عرفنى بك من عرفـنى وأخبرنى بك من آنسنـى قلت من أين جئت قال من بلد الـقلب أقصد حضرة الرب قلت فبم تـزودت قال بقطرة من شراب أنسه أرجو أن أصل إلـى حضرة قدسه قلت له فـهل كانت لك مطية قـال نعم صفو النية والانقطاع عن الدنيا بالكلية والتنزه فى مقامات حضرته السنية ثم قال: إليك عنى ياذا النون فما أقبح ساعـة تمر غير طاعة ثم تركنى ومضى فلما جئـت منى رأيته ينظر إلى الناس وهم ينحرون ضحاياهم فجرت دموعه وتزايد ولوعه وعظم خوفه وخشوعه ثم قال سيدى كل أحد تقرب إليك بنسكه وتـقدم بملكه وأنا لا أملك غير هذه النفس العاتية الغافلة الساهية وإنى أقربها إليك بالذلة والمسكنة بين يديك فإن تكرمت بقبولها فجد بوصلها وأسرع فى تـعجيلها فأنت ذليلها إلى سبيلـها ثم صاح وتأوه وسقط إلى الأرض ميتا فـسمعت قائلا يـقول يالها ركضـة إلى الفردوس الأعلى قـال ذو النون: فوقفت عند رأسه ساعة أتـفكر فيه وإذا بعجوز قد أقبلت إليه وألقت نـفسها عليه ثم أجرت الدموع أسفا وأظهرت حزنا وولها ثم قالـت: هنيئا لك يا من كان دأبه النسك والوفاء وما غـفل عن خدمة سيده ولا هـفا وطالما قام فى الـليل برداء الطاعة مـلتحفا يمسى كئيبا ويصبح مدنفا قال ذو النون فقلت لها: من يكون لك هذا الشاب قالت هو ولدى سائح فى الفلوات أجتمع أنا وهو كل سنة فى الموسم والميقات فلا أعود أراه إلا فى العام المقبل فلـما وقفت فى هذه الساعة بعرفات طلبته فـى سالف العادات فهتف بى هاتف أنه قد مات وقد رفعت روحه إلى أعلى الدرجات ثم قالت: ياسيدى بما بينى وبينك فى خلوتى وبما أودعت من محبتك فى مهجتى إلا ما خلصت نفسى العاتية فى

هذه الدار الـفانية وأوصلـتنى مع ولدى إلـى الدار الباقيـة قال ذو النون: ثم تـنهدت وخرجت ميتة إلى جانب ولدها رحمهما الله تعالى.

فـاز المحبـوب بالمحـبوب واتـصلـوا ... ولم يخب مـنهمو فى قصـدهم أمل
وافـوا ومحـبـوبهـم وفـى أجورهـم ... وأقـبـلوا وهـمـو والله قـد قبـلـوا
ومن رضـاه علـيهـم البـسوا خـلعـا ... بديـعة الحـسن فيـها يـضرب المثل
يا حـيرتى واصـيحابى بـخيف مـنى ... مـتـى تـعـود لـنـا أيـامـنـا الأول
ما كان أحـسن ذاك الشمـل مجتمـعا ... والوصل مـتصل والهـجر منفـصل
والوقت صافى وصافى القوم سامرهم ... لـما تجلـى عـلى أسـرارهـم ذهلـوا
ناداهـمو قـد بلـغتـم كل قـصدكـم ... فالـيوم لا صـد تخـشوه ولا مـلل
ها قد خلـعت عليكم مـن خزائن ما ... دخـرته خـلعـا ينـأى بهـا الوجـل
فـاستـبـشـروا بنـعيـم لا نفـاد لـه ... عـلى الـدوام وجـناتـى لـكم نـزل
هـم الأحـبـة أدنـاهـم لأنـهــمـو ... عن خدمة الـصمد القيوم مـا غفلوا
بـاعوا الـنفـوس بجـنات فـبايـعهـم ... لما اشتـرى منهمو فـى حبهم قـتلوا
عـند المـهـيمـن أحـيـاء وقد رزقـوا ... طيب الجـنان على لـذاتها حصـلوا
جاوروا المصطفى الـهادى الذى رغبوا ... فـى حـبـه وله أرواحـهـم بـذلـوا
سـعوا إلـى بـابه راجـى شـفـاعتـه ... يـوم المعـاد إذا كـل الـورى ذهلـوا
داعـى التـشـوق ناداهـم وأقـلـقهـم ... فكيـف يهدوا ونار الـشوق تشتـعل
وشقـة البيـد تطوى فى الـسر لهـمو ... وكـل قاص دنـا حتـى به اتـصلـوا
يا سـيدى يـا رسول الله خـذ بيـدى ... يوم الحـساب إذا ضاقت بـنا السـبل
صلـى عليـك إله العـرش ما هتـفت ... ورق الحمـام وما سارت لـك الإبل

(حكاية) كان إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليـه صاحب خراسان فبينما هو ذات يوم راكب عـلى جواده فى معـرك جلاده بين عسكـره وأجناده إذ سمع مـن قربوس سرجه مناديا ينادى يا إبراهيم ما لهذا خلقت عبادى ولا بهذا أمرت أهل ودادى فاترك مرادك لمرادى وإلا فأنت من أهل عبادى قال إبراهيم فـأصابنى السهم فى مقتل فؤادى فتغربت عن بلادى وخرجت هائما إلى من عليهم توكلى واعتمادى.

أهيم بحبكم فى كــــل وادى ... واسأل عنكمو فى كل نـادى
وأندب كلما عاينت ربعـــــا ... حدا لهمو بوشك البين حادى

فلمـا انفصل إبراهـيم عن ملكـه وممالكه وانـصل بخالقـه ومالكه دخل الـبادية وأشجانه عليه بادية وانقطع فى الطريق عن الرفيق وبقى سبعة أيام لا يتناول شربة من الماء ولا لقمـة من الطعام فغار الـشيطان على صـدقه وحق له أن يغار لأنهـم ألبسوا خلعته التى انخلع منها وولايته التى انعزل عنها فظهر له الشيطان فى هيئة شيخ صالح وقال له يـا إبراهيم اسـمع منى فـإنى لك ناصـح إن الحبيب الـذى تركت من أجـله الممالك وركبت فى مـحبته المهالك قد ضيعك حتى أشرفـت على الموت فقال لا بأس بالموت إذا حصل الآن من الفوت.

يا لائمى لو بذلـت الروح مجتهدا	وجمـلة المال والـدنيـا وما فيـها
وجنـة الخلد والفـردوس أجمعـها	بساعة الوصل كان القلب شاريها
لا تسـلكن طـريقا لسـت تعرفـها	بلا دلـيل فـتهـوى فى مـهاويـها
فـالـروح أول موجـود تجـود بـه	والنـفس أيسـر شىء فيه تـفنيـها
وما عـليـك إذا تموت بـغصـتهـا	من الـغرام فإن الـوصل يـحييـها

فبيـنما إبراهـيم فى دهشـة حيرته إذ ظهـر له شخص مـن أحسن النـاس وجها وأطيبهم ريحا وقال يا إبراهيم تريد أن أعلمـك بالاسم الأعظم فتسقى به وتطعم فقال نعم فعلمه إياه فقال له من أنت قـال له أنا أخوك الخضر تريد أن أصحبك قال لا قال لأن الصحبة لا تخـص إلا بالشركة وأنا لا أريد أن أشرك فى مصـحوبى ولا أصحب غير محبوبى فأنا أخاف أن أصحب غيره وهو شديد الغيرة فلا حاجة فى ذلك.

هاكـم فؤادى فـإن أبقـيتـمو أثـراً	لغيـركم فاجعـلوا التعـذيب مأواه
وها لـسانـى فإن أنـباكـمو خـبرا	عن غيركم صححوا بالكذب دعواه
فمـن تكن أنت دون الـناس بغيـته	فـامنن عـليـه ولو يـومـا بلـقيـاه
فأنـت للـصب أقـصى مـا يؤمـله	وأنـت للـقلـب أحـلى مـا تمنـاه

وكان إبراهيم لما انـفصل عن أهله فارق زوجته وهى حامـل فولدت ولدا أسموه باسم جده فلما كـبر وترعرع قال لأمه يا أماه أما كان لى أب قالـت بلى والله يا بنى كان لك أب وأى أب فقـال أين ذهب قالت يا بنـى ذهب فى طلب ربه فـقال يا أماه دعينى أذهب وأطلب ما طلب أبى لعلى أفـوز برضى ربى فقالت بالله عليك يا ولدى إن أباك قد أحرق قلـبى بفراقه فلا تحرق أنت قلـبى بفراقك فمكث رعـاية لأمه حتى ماتت فبـقى حزينا لا أم له ولا أب فخـرج حافيا وعن النـاس خافيا يبيت بـالمساجد

المهجورة ويسأل اللقمة من الأبواب إلى أن وصل إلى مكة التى شرفها الله تعالى فبينما إبراهيم فى الطواف ومعه بعض مريديه إذ نظر الشيخ إلى الشاب وجعل يحدق بالنظر إليه وقال للمريد اذهب إليه وسله من هو فذهب المريد وسلم عليه وقال له من أين أنت أيها الشاب فقال من بلاد العجم من بلخ فقال ابن من فقال لا أدرى إلا أن أمى قالت لى اسمه إبراهيم بن أدهم ثم تناثرت دموعه على خده قال المريد فرجعت إلى إبراهيم فوجدته قد بكى حتى غشى عليه فجلست عند رأسه حتى أفاق فقلت له يا شيخ الله يأخذ حق هذا الشاب منك فقال هذا والله ولدى تركته لله تعالى فلا أعود فيه فقلت له أيها الشيخ سألتك بالله إلا ما قمت إليه فقام إليه فقال له الصبى من أنت فقال له أبوك إبراهيم بن أدهم ثم ضمه إلى صدره وقال إلهى هذا ولدى وقطعة من كبدى وقد جاء فى طلبى وقد علمت موضعه من قلبى وأنا لا أتفرغ له وأنت أعلم بمصالح عبادك فما مضت على الشاب سبعة أيام حتى قضى نحبه فغسله إبراهيم بيده وكفنه فى قطعة كساء غليظ كلما غطى رأسه بانت رجلاه وكلما غطى رجليه بانت رأسه وهو يقول قرة عينى الله يجمع بينى وبينك يوم القيامة.

إن كنت لى لا أبالى من فقدت ولا ... أرجو سواك ولا ألوى على أحد
ولو سفكت دمى عمداً بلا سبب ... أيا برد ذاك الذى ترضى على كبدى
أهل الهوى فى الحب كلهم قد وردوا ... لكنه ليس ورد الظبى كالأسد
كم وارد ملئت كأس الوصال له ... وواقف دون ذاك الورد لم يرد
وقد مددت يدى بالذل خاضعة ... وقد عجزت، فيا مولاى خذ بيدى
وقد تشفعت بالهادى الشفيع ومن ... ترجى شفاعته فى اليوم ثم غد
محمد المجتبى المختار من مضر ... ومن جلا كل قلب بالذنوب صدى
صلى عليه إله العرش خالقه ... وزاده منحا جلت عن العدد

*****

المجلس السابع والعشرون
فيما يجلو القلوب من القسوة بذكر أخبار النسوة

الحمد لله الذى أنشأ العالم واخترعه وابتدعه وأتقن كل شىء صنعه وأحكم متفرقه ومجتمعه (أحمده) على ما أولى من إحسانه حمد معترف بالتقصير عن شكر امتنانه (وأشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان وأشهد أن محمداً

عبده ورسوله بعثه بـالبيان مرشدا يهدى الحيران مؤيداً بمعجزة القـرآن فأظهر دينه على سائر الأديان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة فى كل وقت وأوان.

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين **﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾** وقال الله تعالى: **﴿إن المسـلمين والمسلـمات والمؤمـنين والمؤمـنات والقـانتـين والقانـتات والصادقين والـصادقات والصابرين والصـابرات والخاشعين والخاشعات والمـتصدقين والمتصدقات والـصائمين والصائمات والحـافظين فروجهم والحافظـات والذاكرين الله كثيـرا والذاكرات أعد الله لهم مـغفرة وأجرا عظـيما﴾** فقرن الله سبحانـه ذكر النساء الصالحات بالرجال الصالحين وللنساء أحوال وزهد وخير وصلاح كما فى الرجال وفى النساء من لهن الأوراد والسياحات والكشف وغير ذلك من الخصوصيات التى خصهن الله تعالى بها كمن مضين منهن فى الصدر الأول مثل رابعة العدوية وشعوانة وريحانة وأم الخير وغيـرهن من النساء المـشهورات كما حكـى عن رابعة العدويـة رحمها الله تعالى أنها كانت إذا صلت العشاء قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت إلهـى غارت النجوم ونامت العيـون وغلقت الملوك أبوابها وخـلا كل حبيب بحبيـبه وهذا مقامى بين يـديك ثم تقبل على صـلاتها فإذا كان وقت السـحر وطلع الفجر قالت إلـهى هذا الليل قد أدبر وهذا النـهار قد أسفر فليت شعرى أقـبلت منى ليلتى فأهنأ أم رددتـها على فأعزى فوعزتى هذا دأبى ما أحييتنـى وأعنتنى وعزتك لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك ثم أنشدت:

يا سـرورى ومنـيتـى وعمـادى	وأنـيـسـى وعـدتـى ومـرادى
أنت روح الـفؤاد أنـت رجائـى	أنت لى مؤنـس وشوقك زادى
أنت لـولاك يا حيـاتى وأنـسى	ما تـشتـت فى فـسيـح البلاد
كم بـدت منه وكـم لك عـندى	مـن عـطـاء ونعـمـة وأيـادى
حـبك الآن بـغيـتـى ونعـيمـى	وجلاء لـعين قـلبـى الصـادى
ليـس لى عنـك ما حيـت براح	أنت مـنى ممكن فـى السـواد
إن تـكن راضـيـا عـلى فـإنـى	يا منـى القلب قد بـدا إسعادى

وقال سعـيد بن عثمان كـنت مع ذى النون رحمـه الله فى تيه بنى إسـرائيل وإذا بشخص قد أقـبل فقلت يا أستاذ شخـص قد أتى فقال لى انظر من هـو فإنه لا يضع أحد قدمه فى هذا المكان إلا صديق فنظرت فإذا هى امرأة فقلت إنها امرأة قال صديقة ورب الكعبة فابتدر إليها وسلم عليها فـقالت مرحباً حياك الله بالسلام فقال ما حملك

على الدخول فى هذا الموضع فقالت آية من كتب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿**ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**﴾ فقال لها صفى لى المحـ [illegible] فقالت سبحان الله أنت عارف بها وتتكلم بلسان المعرفة وتسألنى عنها فقال لها للسائل حق الجواب فأنشدت تقول:

أحبك حبين حب أهل الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فذكر شغلت به عن سواكا
وأما الذى أنت أهل له ... فكشف لى الحجب حتى أراكا
فما الحمد فى ذا وفى ذاك لى ... ولكن إنهم فى ذا وذاكا

آخر:

يا حبيب القلب مالى سواكا ... فارحم اليوم مذنبا أتاكا
يا رجائى وراحتى وسرورى ... قد أبى القلب ألا سواكا

وقيل إنه لما مات زوج رابعة العدوية استأذن الحسن البصرى فى الدخول عليها هو وأصحابه فأذنت لهم وأرخت سترا وجلست وراءه فقال لها أصحابه إنه قد مات بعلك ولابد لك من زوج وقد انقضت عدتك فاختارى من هؤلاء الزهاد من شئت منهم فقالت له إن أجبتنى عن أربع مسائل فأنا لك أهل فقال لها سلى فأنا أجيبك إن وفقنى الله تعالى قالت ما يقول الفقيه العالم إذا أنا مت هل خرجت من الدنيا مسلمة أو كافرة فقال هذا غيب والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى قال فما يقول إن وضعت فى القبر وسألنى منكر ونكير أفاقدر على جوابهما أم لا قال وهذا أيضاً غيب قالت فإذا حشر الناس فى القيامة وتطايرت الكتب فيعطى بعضهم كتابه بيمينه ويعطى بعضهم كتابه بشماله فأعطى كتابى بيمينى أم بشمالى قال وهذا أيضاً غيب قالت فإذا نودى فى الخلائق فريق فى الجنة وفريق فى السعير فمن أى الفريقين أكون قال لها وهذا أيضاً غيب ولم يعلم الغيب إلا الله عز وجل فقالت له فإذا كان الأمر كذلك وأنا فى قلق وكرب من هذه الأربعة فكيف أحتاج إلى الزواج وأتفرغ له ثم أنشدت تقول:

راحتى يا إخوتى فى خلوتى ... وحبيبى دائماً فى حضرتى
لم أجد لى عن هواه عوضا ... وهواه فى الحشايا محنتى
حيثما كنت أشاهد حسنه ... فهو محرابى إليه وقبلتى
إن أمت وجداً وماتم رضا ... واعنائى فى الورى واشقوتى
يا طبيب القلب يا كل المنى ... جد بوصل منك يشفى مهجتى

يـا سروری وحـياتـی دائمـا ... نشأتـی منك وأيضاً نـشوتی
قد هجرت الخلق جمعا أرتجی ... منك وصلا فهو أقصی منيتی

قال صالح المری رحمة الله عليه: رأيت جارية وهی تغنی بالطار فمرت يوما بقارئ يقرأ ﴿**وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**﴾ قال فرمت الطار من يدها وصرخت ثم سقطت إلی الأرض مغشياً علـيها فلما أفاقت كسرت الطار وأخذت فی الـعبادة والاجتهاد ثم قالت أواه كم من فـضيحة تكشفها القـيامة غدا ثم صرخت وبكت فلـم يبق أحد فی المجلس حتی غشی عليه من شدة البكاء مما صنعت بنفسها ثم أنشدت تقول:

أمـا والذی قـد قدر الـبـعد بـينـا ... وعذبـنی بـالشـوق وهو شـديد
وخصكموا بالصـبر دونی وخصنی ... بحـزن علـيكم يـبتـدی ويعـيد
وصبرنـی مهما شمـمت نسيـمكم ... أشـد لـقلـبـی راحـتی وأميـد
لقد ذاب قلبی من دموعی عليكمو ... علـی إنه فـی النـائبـات جلـيد
فيا ليـت شعری هل علی ما لـقيته ... وكابدت مـن جور الفراق مـزيد
لئـن عاد ذاك الـوصل أو بـعضـه ... ومـلتـم إلـيـه إننـی لـسـعيـد
علی إنـها الأقدار قد تـبعد الفـتی ... قـريبـا وقد تـدنيـه وهو بـعيـد

قال ذو الـنون المـصری رحمـة الله عليـه: كانـت أم دأب من كبـار الصـالحات العابدات إلی أن بلغ عمرها تسعين سنة وهی تحج فی كل سنة علی قدميها من المدينة إلی مكة فكف بصرها فـلما حضر وقت الحج دخل عليها النساء يزرنـها ويغممن لها فی كف بصرها فبكت ثم رفعت رأسها إلـی السماء وقالت: إلهی وعزتك لئن فقدت نور بصری بين يديك لما فقدت أنوار شوقی إليك ثم أحرمت وقالت لبيك اللهم لبيك وخرجت مع صواحباتهـا فكانت تمشی بين أيديهن فتسبقهـن فی المسير قال ذو النون: فتعجبت من حالهـا فهتف بی هاتف ياذا النون أتعجب من ضعيـفة اشتاقت إلی بيت مولاها فحملها إليه بلطفه وقواها.

هـمو قـدحـوا الـغرام بـلا زنـاد ... فطـار الشوق مـن شغف الـفؤاد
إذا لـم تـطفـئـوا نـيران شـوقـی ... بـوصـل صار قـلـبـی كالـرمـاد
عذولی لا تـضع فی العـذل وقتی ... فـلـست بـقـاطـع حبـل الـوداد
ويـا حـادی الـنيـاق بـأرض نجـد ... إذا ما جـزت فی تـلك الـبوادی
فـقل لـلـحب بـالجـرعـاء عنـی ... مـقالـة مغـرم الأحـشاء صـادی

أيـا راحى وريـحـانى وروحـى	أتـسهـرنى وتـسـلبـنى رقـادى
ظلام الـليل أحـسن من ضـياء	إذا نـظر المحـب بلا انـتقـادى
يـقوم بـه المحب إلـى حـبيـب	عظيـم العفو منسـكب الأيادى
وسـار الـعارفـون إلـى رضـاء	غنوقـهم البكا والـشوق حادى
وقد جـعلـوا الحنـين له حـداء	وذكـرهـم الأحـبـة خـيـر زاد
فتسمـع صوتهم والعيـس تسرى	بهـم نحـو الذى فـيه رشـادى
أجـل الخلـق أنـسـابا وأعـلـى	وأعـظم حـرمة يـوم الـتنـادى
هو الـهادى البشـير هو المـرجى	شـفيـع الخلـق فى يـوم المعـاد
علـيه مـن المهـيمـن كل وقـت	صلاة مـا حدا بـالركـب حادى

قال محـمد بن مروان وكان من أهـل الفقر والورع: كنـت عند الركن اليـمانى بالكعبة التى شـرفها الله تعالى وقد خفف الطواف وإذا بأربع جوار قـد أقبلن وعليهن سيما القبول فتعلقت الكبرى منهن بالأستار وقالت بلسان الذلة والانكسار:

إليك حجى لا للبيت والحجر	ولا طوافى بأركان وجـــــدر

ثم رفعت رأسها وقالـت: إلهى الشوق أقلقنى إليك والحب هيـمنى وجدا عليك وها أنا بين يديك. إلهـى إن كانت زلتى تطردنى فمحبتى إلـى بابك تجذبنى وإن كان ذنبى عن بابك يبعدنى فرجائى فى عفوك يقربنى وإن كانت خطاياى تقيدنى فإخلاصى فى متابى إليك يطـلقنى: إلهى فمتى إليك أصل وإلى حضرة جـمالك اتصل يا أنيس المستوحشين ويا حبيب المحبين ويا أمان الخائفين ويا راحم المذنبين ويا قابل التائبين ويا أرحم الراحمين ارحمنى برحمتك واشملنى بمغفرتك ثم تنهدت وأنشدت:

أستغفر الله مما كـان مـن زللـى	ومن ذنوبى وتفريطى وإصرارى
يا رب هب لى ذنوبى يا كريم فقد	أمسكت حبل الرجا يا خير غفار

ثم جلست وهـى كئيبة عانية فـقامت الثانية فتـململت وتقلقـلت وبكت ومادت ونادت يا منتهى الآمـال يا حامل الابرار على نجب الاعمال يا مسـرج قناديل الود فى قلوب العارفين يا أنيس المستوحشين يا طبيب القلوب يا غافر الذنوب قد ذاب جسمى من اشتيـاقى إليك وقد استحـييت من إقدامى علـيك فارحمنى واعف عـنى يا أرحم الراحمين ثم جالت وقالت:

أتيتك أشتكى سقمى ودائى	وعندك يا منى قلبى دوائى
فلا أحد سواك إليه أشكو	فيرحم عبرتى ويرى بكائى
فيا مولى الورى جد لى بعفو	ومنّ بنظرة فيها شفائى

ثم جلست وهى من وجدها غائبة فقامت الثالثة فبكت ثم قالت إلهى ذنوبى طردتنى عن بابك ودوام الغفلة أبعدنى عن جنابك وقد وقفت ببابك بالذلة والافتقار ورجوت العفو عن ذنوبى والأوزار وقد هربت منك إليك وها أنا بين يديك ثم تنهدت وأنشدت:

ببابك ربى قد أنخت ركائبى	ومالى من أرجوه يا خير واهب
سواك فجد لى بعفو يا من أنت أهله	لأعطى من الأفضال أسنى المواهب
إذا لم أمت شوقا إليك وحسرة	عليك فلا بلغت مآربى

ثم جلست وعيونها بالبكاء دامعة فقامت الرابعة فبكت وتحسرت واستقالت من ذنوبها وقالت: إلهى أمرت المجتهدين بالوقوف على بابك وما أظن أنى منهم لولا أن العفو من صفاتك لما ابتليت بالذنوب أهل ولايتك. إلهى إن كنت غير مستأهلة لما أرجوه من مغفرتك فأنت أهل أن تجود على بسعة رحمتك يا من لا تخفى عليه خافية ويا من نعمه لم تزل وافية استر على ما خفى من ذنوبى فأنت غاية مقصدى ومطلوبى ثم أنشدت:

تعطف بفضل منك يا مالك الورى	فأنت ملاذى سيدى ومعينى
لئن أبعدتنى عن جنابك زلتى	فإن رجائى فيك حسن يقينى
وظنى جميل إننى منك أرتجى	عواطفك الحسنى فخذ بيمينى

قال محمد بن مروان (قيل) كانت امرأة مجاورة بمكة التى شرفها الله تعالى يقال لها حكيمة وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة يفتح صرخت صرخة عظيمة وأغمى عليها ففتحت الكعبة يوما فى غيبتها فلما جاءت قيل لها يا حكيمة فتح اليوم بيت ربك فلو رأيت الطائفين يطوفون وهم محرمون ملبون ينتظرون من ربهم الرحمة والمغفرة ويبكون بالذلة والمعذرة لكانت تقر عينك فصرخت صرخة أزعجت بها القلوب ولم تزل تضطرب حتى ماتت أسفا على ما فاتها من بلوغ المطلوب ورؤية الكعبة التى شرفها الله تعالى بين الملأ ولم يجعل لها فى الدنيا مثلاً ولا بدلا.

يا كعبة الحسن كم من عاشق قتلا شوقا إليك وعنك لم يرم بدلا
يمسى ويصبح محزونا ومكتئبا ويهجر الأهل والأوطار والطللا
لولاك ما سارت الركبات من طرب كلا ولا قطعت سهلا ولا جبلا
ولا رأت كل ضيق فيك متسعا كلا ولا خف عنها كل ما ثقلا
باعوا النفس رخيصا فى هواك وما تغلو النفوس بوصل منك إن حصلا

قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه: بلغنى أن بالجبل المقطم جارية متعبدة فأحببت أن أزورها فلقيت جماعة من المتعبدين فسألتهم عنها فقالوا أتسأل عن المجانين وتترك العقلاء فقلت دلونى عليها فقالوا تراها تجوز بنا تقع مرة وتقوم مرة تصيح مرة وتسكت مرة وتبكى مرة وتضحك مرة تراها فى الوادى الفلانى فخرجت فى طلبها فلما أشرفت عليها سمعت لها صوتا ضعيفا وهى تقول:

يا ذا الذى أنس الفؤاد بذكره أنت الذى ما إن سواه أريد
يا منيتى دون الأنام وبغيتى يا من له من كل الأنام عبيد
تفنى الليالى والزمان بأسره وهواك غض فى الفؤاد جديد

قال ذو النون: فاتبعت الصوت فإذا أنا بجارية وهى جالسة على صخرة عظيمة فسلمت عليها فردت علىَّ السلام قالت يا ذا النون مالك وللمجانين فقلت لها أمجنونة أنت قالت لو لم أكن مجنونة لما نودى على بالجنون قلت وما الذى جننك قالت يا ذا النون حبه خبلنى ووجده أقلقنى وشوقه تيمنى فقلت وأين محل الشوق منك فقالت يا ذا النون الحب فى القلب والشوق فى الفؤاد والوجد فى السر ثم بكت بكاء شديداً حتى غشى عليها فلما أفاقت قالت أواه من فرط المحبة يا ذا النون هكذا موت المحبين ثم صاحت صيحة عظيمة وسقطت إلى الأرض فحركتها فإذا هى ميتة رحمة الله عليها.

يا حبيب القلب مالى سواكا ارحم اليوم مذنباً قد أتاكا
أنت سؤلى ومنيتى وسرورى قد أبى القلب أن يحب سواك
يا رجائى وغايتى واعتمادى طال شوقى متى يكون لقاكا
ليس قصدى من الجنان نعيما غير أنى أريدها لأراكا
يا حبيب القلوب جد لى بعفو وأنلنى يا نور عينى رضاكا
أنا أهواك ما حييت وإن مت فبعدى يا فوز من يهواكا

ليس لى عنك ما حييت براح — وفؤادى على المدى يرعاكا
كل من فى حماك يهواك لكن — أنا وحدى بكل من فى حماكا
جئت يا منيتى إليك ومالى — غير ذلى إليك لا لسواكا
فبذلى ولوعتى وانكسارى — وافتقارى وثاقتى لغناكا
هب لى الفوز واعف عنى لأنى — فى البرايا أصبحت فى أسراكا
ليس قربة إليك من الخلق — سوى المصطفى الذى ناجاك
أحمد المرتضى شفيع البرايا — سيد الكون خير من ناداك
فعليه صلاة فى كل وقت — كلما حرك النسيم الأراكا

(وعن جعفر الخالدى رحمة الله عليه):قال سمعت الجنيد رضى الله عنه يقول: حججت سنة من السنين على الوحدة وجاورت بمكة التى شرفها الله تعالى فكنت إذا جن الليل دخلت الطواف فبينما أنا أطوف إذا بجارية تطوف بالبيت وهى تقول:

أبى الحب أن يخفى وقد كتمته — فأصبح عندى قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره — وإن رمت قربا من حبيبى تقربا
ويمنحنى وصلا فأحيى به له — ويسكرنى حتى ألذ وأطربا

قال الجنيد: فقلت لها يا جارية أما تتقين الله تتكلمين بمثل هذا الكلام فى مثل هذا المقام فالتفتت إلى وقالت يا جنيد لا تدخل بينه وبين محبيه ثم أنشدت تقول:

لولا التقى لم ترنى هجرت طيب الوسن — إن الهوى شردنى كما ترى عن وطنى
قد همت من حبى له — فحبه هيمنى

ثم قالت: يا جنيد أنت تطوف بالبيت فهل ترى رب البيت فقلت هذه دعوى تحتاج إلى إقامة حجة فرفعت رأسها إلى السماء وقالت سبحانك سبحانك ما أعظم شانك وما أعز سلطانك خلق كالأحجار يطوفون بالإنكار على أهل الأسرار ثم أنشدت:

يطوفون بالبيت العتيق تقربا — إليك وهم أقسى قلوبا من الصخر
فلو يخلصون السر جادت صفاتهم — وقامت صفات الحق منهم على الذكر

قال الجنيد: فأغمى علىَّ من كلامها فلما أفقت طلبتها فلم أجدها.

إذا الـذى آنـسنـى فـى الـفـؤاد وحـرم الـنـوم وطـيـب الـرقـاد
أنـت الـذى أسـهـرتـنـى دائـمـا وقد حلا لـى فيك طيب الـسهاد
ياذا الـذى قد لامـنى فـى الهـوى ما تـتقـى الهـجر وطـول البـعاد
إن كـنـت تـبـغى قـربه فـاجـتـهـد ولذ بـجاه المـصطفـى فى المـعاد
طـه شـفـيـع الخـلـق يـوم اللـمـا إذا أتوا فـى الكـرب يوم الـتنـاد
صـلـى عـلـيـه الله مـا أورقـت أغـصان أشـجـار ومـا سار بـاد

(قال ذو النـون المصرى رحمة الله عـليه): وصف لى عابدة من الزهـاد فقصدتها فإذا هى صائمة بالنهار قائمة بالليل لا تفتر عن العبادة ولا تمل من العمل وهى مقيمة فى دير خرب فلما جن الـليل سمعتها تقول: سيدى لا ينام ولا ينبـغى له المنام فكيف الجارية تنام فلما أصبحت سلمت عليها فـردت علىَّ السلام فقلت لها ياجارية تسكنين فى مساكـن النصارى وأنت علـى هذه الحالة فقالت: يـا ذا النون لا تتكلـم بمثل هذا الكلام السقيم وأنت عـلى هذا القدم العظيم فلا يخطر غيـر الله فى بالك ولا تتوهم غيره فى خيالك فقلت لها: أما تستوحـشين فى هذا الدير فقالت والذى ملأ قلبى من لطيف حكمـته وهيمنى فى محبته مـا علمت فى قلبى موضعا لـغيره ولا فى جسدى عرقا إلا وهو مـلآن بمعرفته فكـيف لا أستأنس بذكره وأنـا دائما فى حضرتـه فقلت لها: قد أرشـدتينى إلى الطريـق فاسلكى بى مسـالك القوم فإنى والله فى بـحر ذنوبى غريق فقـالت يا ذا النون اجعل التـقوى زادك والآخرة مرادك والزهد والورع مـطيتك والانقطاع إلى الله تـعالى سجيتك وارم هذه الدنـيا من قلبك فهو سـبب الرجوع إلى ربك واسلك طريق الخائفين واترك طريق المذنبين تكتب فى ديوان الموحدين وتلقى الله وليس بيـنك وبينه حجـاب ولا يردك عنه بواب قال ذو النـون: فأثر كلامها فـى قلبى وكان سبب رجوعى إلى ربى ثم تركتنى ومضت وهى تسوح وتقول فى سياحتها:

هو الحبـيب الذى بالوصـل قد وعدا وحـقه لا سـلـته مـهـجـتى أبـدا
كرر عـلى مسـمعى ذكـراه تطربـنى روحى الفداء لمن باسم الحبيب حدا
هـو الحـبـيـب فلا شـىء يمـاثـلـه تـالله ما مـثلـه للـقلـب حين بـدا
إن مت فـى حبه شـوقا فلا عـجب يا حبـذا إن أكن من جملة الـسعدا
يـا من يـروم وصالا مـنـه يغـنـمـه أهجر منامك ما وصل الحبيب سدى
وانظر لأهل التقى فى الليل قد وقفوا فـى طـاعـة الله كـل ربـه عـبـدا
هذى صفـاتهمو نـالوا الذى طلـبوا وكـل راح لمـا يـبغـيـه قـد وجـدا

المجلس الثامن والعشرون فى قوله تعالى:
﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾

الحمد لله الذى لا تدركه الأوهام ولا الظنون ولا تحويه الأبصار ولا العيون ولا تناله الآفات ولا المنون الذى أنزل الكتاب المكنون وأرسل السحاب الهتون وأخرج رطب الثمار من يابس الغصون وخلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون تكونت بقدرته الأشياء وتوالت برحمته الآلاء وانشقت بحكمته الأرض والسماء وكتب بمشيئته السعادة والشقاء يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون الشافى صدور أولى الألباب النافى بإتقان مصنوعاته كل شك وارتياب **﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون* وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾** مبدع الدهور بالأحداث ومصور الذكور والإناث وباعث من فى القبور فينهضون بالانبعاث ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون جعل الشمس سراجا وأنزل من المعصرات ماء ثجاجا ولو شاء لجعله أجاجا فلولا تشكرون الكريم الشكور الرحيم الغفور المنزه فى أقضيته عن أن يظلم أو يجور الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون مالك الأشياء بالطول والعرض وقبل من عباده السنن والفرض وإليه المآب والعرض وله من السموات والأرض كل له قانتون أتقن خلق الإنسان وأبدع وركب فيه قوى حركاته وأودع وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وأسبغ على العباد نعمه المتداركة ونور وجوه الموحدين فهى مسفرة ضاحكة لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون أرسل من المعصرات الماء إلى الأرض وأنزل وأسبغ بفضله الآلاء وحول وقضى على خلقه بما شاء وأجزل **﴿لا يُسْئَل عما يفعل وهم يسْألون﴾** إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون رب المشرقين ورب المغربين ومنور الكون بالنيرين من كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون حجب أرباب العقول عن تحديده فتاهوا وبصرهم بتوحيده فلم يشاقوا ولم يضاهوا وألهمهم ذكر تمجيده فنطقوا بذكره وفاهوا الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون أفاض على أوليائه من جزيل نعمائه فضلا ونوالا وأعد لأعدائه من عذابه وبالا ونكالا وحجبهم عن إدراكه فلا يتوهمون له شبيها ولا منالا سبحانه وتعالى عما يشركون وليس كمثله شىء ولا لنشر فضله

طى ولا يعترى المهتدى إلى سبيله غى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون.

فنون المحبة فيها فنون	ولكن لقوم بها يعرفون
ففيها رموز لأهل الهوى	وفيها صفات الجمال المصون
تعلم فيها رجال الوفا	علوم الصفا فيها يعملون
وعرفهم كيف طعم الهوى	وطرق الهدى فيه يعرفون
وفيها إشارات سر الغرام	وسر الغرام لديه فنون
عجبت لمن لامنى فيهمو	يهون باللوم مالا يهون
ويقطع بالعتب أوقاته	ويطلب فى الكون مالا يكون
فسبحان من لا له فى الورى	شريك وكل الورى يشهدون

أحمده حمداً يتقرب به المتقربون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع قائلها يوم لا ينفع مال ولا بنون وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبى العربى الأمين المأمون صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وقوله تعالى: **﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله﴾** وقال ابن عباس رضى الله عنهما صاحب الصور لم يطرف أى لم يطبق جفنا على جفن منذ وكل به ينظر تجاه العرش ويخاف أن يؤمر قبل أن يلتقى جفناه وهذه هى النفخة الأولى ومعنى **﴿فصعق﴾** ماتوا من الفزع وشدة الصوت وقوله: **﴿إلا من شاء﴾** قيل هم الشهداء وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وقيل حملة العرش وقيل الملائكة وقيل الحور العين ثم نفخ فيه مرة أخرى يريد نفخة البعث وفى حديث أبى هريرة رضى ﷺ عنه عن النبى ﷺ قال: **«إن الأجساد تنبت كنبات البقل فتخرج الأرواح كأمثال النحل فتدخل الخياشيم فتدب كدبيب السم فى اللديغ فإذا هم قيام ينظرون إلى أهوال ما كانوا يوعدون»**[1].

(إخوانى) رحل الأحباب إلى القبور وسترحلون، وتركوا الأموال والأوطان وندموا على التفريط فى الأعمال وستندمون، وتأسفوا على أيام الإهمال وستتأسفون، وشاهدوا مالهم عند المنون وستشهدون، ووقفوا ببصائرهم عن الأهوال وستقفون، وسئلوا عما عملوا وستسألون ويود أحدكم لو يفتدى بالمال وستودون فبادروا للمتاب

(١) لا يوجد بهـ اللفظ وإن كان هناك حديث بمعناه - يراجع الحديث فى فتح البارى من تحقيقنا وراجع فهارسه.

قبل يوم الحساب وخيبة الظنون فكأنكم أيام الشباب قد أبلتها يد المنون أظلكم من فجأة الموت ما كنتم توعدون **﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾** فكيف بك يا ابن آدم إذا نفخ فى الصور وبعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور وضاقت الأمور وظهر المستور وخرج الخلائق من القبور **﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾**؟! يا له من يوم عظم فيه الزلزال وسيرت الجبال وترادفت الأهوال وانقطعت الآمال وقل الاحتيال وخسر أصحاب الشمال وخرجوا من القبور بنفخة الصور يرجفون **﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾** يوم تزل فيه الأقدام وتتبلد فيه الأفهام ويطول القيام وتظهر الآثام فهو يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم الزلزلة والطامة يوم يشاهد العاصى ذنوبه وآثامه يوم يخرجون من الأجداث بالانبعاث إلى ما يوعدون فإذا هم قيام ينظرون يوم تبلى السرائر وتكف الضمائر وتظهر الجوائر وتعمى البصائر ويبهت الحائر ويفتضح أهل الكبائر ويبعث ما فى القبور فيخرج المؤمن والكافر والبر والفاجر إلى الموقف يهرعون **﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾** كان محمد بن السماك كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال آية فى القرآن أبكتنى **﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾** لا تذوق العيون من البكاء ألما وهى لا تدرى بما يختم لها. **(إخوانى)** سار المتقون ورجعنا ووصلوا وانقطعنا وأصابوا وامتنعنا ونجوا من الإشراك ووقعنا تعالوا ننظر فى آثارهم وندرس دارس أخبارهم ونبكى على ما نابنا ونندب على ما لحقنا وأصابنا.

تذكرت أيامى وما كان فى الصبا	من الذنب والعصيان والجهل والجفا
وكيف قطعت العمر سهوا وغفلة	فأسكبت دمعى حسرة وتلهفا
وناديت من لا يعلم السر غيره	ومن وعد الغفران من كان قد جفا
وعاد إليه من كبار ذنوبه	فجاد عليه بالجميل تعطفا
أغثنى إلهى واعف عنى فإننى	أتيت كئيبا مذنبا متلهفا
وخذ بيدى من ظلمة الذنب سيدى	وجد لى بما أرجوه منك تعطفا

(إخوانى) زرع أعماركم قد دنا للحصاد وزاد أيامكم قد آذن بالنفاد ويوم غفلتكم قد أطال الرقاد فستندمون يوم يفر الوالد من الأولاد وتختلف الأمور ونفخ فى الصور أين ما أعددتموه ليوم لا تجزى فيه نفس عن نفس وستذهل إذا خشعت الأصوات فلا تسمع إلا الهمس وتعلق الصحائف فى النحور ونفخ فى الصور. قال الفضيل بن

عياض رضى الله عنه فى قول الله تعالى: **﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾** قال: تلقى الوالدة ولدها يوم القيامة فتقول يا ابنى ألم تكن بطنى لك وعاء ألم يكن ثديى لك سقاء فيقول بلى يا أماه فتقول قد أثقلتنى ذنوبى فتحمل عنى منها ذنبا واحدا فيقول إليك عنى فأنا مشغول بنفسى عنك وعن غيرك.

أنا مشغول بذنبى عن ذنوب العالمينا	وخطايا أثقلتنى تركت قلبى حزينا
وقد كنت جليلا فى عيون الناظرينا	صرت فى ظلمة قبرى ثاويا فيها رهينا
بعد عز وسرور فوق وصف الواصفينا	فأتى الموت علينا بعد هذا فغنينا
وعلمنا ففهمنا مالنا الآن نسينا	إن حيا ليس يبقى غير رب العالمينا
والذى صح لدينا وعلمناه يقينا	كل حى سوف يفنى غير محيى الميتينا

(إخوانى) قلوبنا بالغفلة رحلت عن الأجسام. إخوانى إلى متى التحدث وليس فى الحى إلا الخيام. إخوانى أما تنظرون إلى ما فعلت بنا الزلات والآثام إخوانى قيدنا التقصير وقد دنا الحمام فأواه علينا من هول يوم النشور ونفخ فى الصور؟! بالله يا إخوانى إلى متى تؤخرون المتاب هذا المشيب أتى وقد تولى الشباب؟! متى تصالح مولاك متى تقف بالباب؟! أما اعتبرت بالراحلين من الأحباب والأتراب وما حدث بعد ذلك من الأمور ونفخ فى الصور وفى الحديث أن الشاب إذا بكى من ذنوبه واعترف بعيوبه عند سيده ومحبوبه قال إلهى أنا أسأت فيقول الله تعالى وأنا سترت فيقول إلهى وأنا ندمت فيقول الله تعالى وأنا علمت فيقول إلهى رجعت فيقول الله تعالى قبلت أيها الشاب إذا تبت ثم نقضت فلا تستحى أن ترجع إلينا ثانيا وإذا نقضت ثانيا فلا يمنعك الحياء أن تأتينا ثالثاً وإذا نقضت ثالثاً فارجع إلينا رابعاً فأنا الجواد الذى لا أبخل وأنا الحليم الذى لا أعجل وأنا الذى أستر على المعاصى وأقبل التائبين وأعفو عن الخاطئين وأرحم النادمين وأنا أرحم الراحمين من ذا الذى أتى إلى بابنا فرددناه من ذا الذى لجأ إلى جنابنا فطردناه من ذا الذى تاب إلينا وما قبلناه من ذا الذى طلب منا وما أعطيناه من ذا الذى استقال من ذنبه فما غفرناه أنا الذى أغفر الذنوب وأستر العيوب وأغيث المكروب وأرحم الباكى الندوب وأنا علام الغيوب يا عبدى قف على بابى أكتبك من أحبابى تمتع فى الأسحار بخطابى أجعلك من طلابى لذ بحضرة جنابى أسقك من لذيذ شرابى أهجر الأغيار والزم الافتقار وناد فى الأسحار بلسان الذلة والانكسار وقل إن كنت من المحبين وأهل الاشتياق والاشتهار.

يـا من فـؤادى عنـه لا يـسلـو	وخـاطـرى مـنـه لا يـخـلـو
قد انـقضـى عمـرى بلا مـوعد	يـعـلـل القـلـب ولا وصـل
انظـر إلى حـالى بـعين الـرضا	فالـعيش بـالهـجران لا يحـلو
واسمـع على عـبدك يا سـيدى	حوشيـت أن ينقصك الـفضل
كـل عذاب فـيك مـستعـذب	وكـل صـعـب هـين سـهـل
لى بـك عن كل الورى شـاغل	يـا فوز مـن أنـت لـه شغـل

(إخوانى) جزاء الأعمال بالميزان عسير والوقوف بـين يدى المولى بظلمة المعاصى خطير فإلى متى فى المطال والعمر قصـير لا تدرى هول ما أنت إليه تصير وستندم إذا بعثر ما فى القبور ونفخ فى الصور وحصل ما فى الصدور.

ما احـتيالى وأمـر ربى عصـيت	حين تبدى صحائـفى ما جنيت
ما احـتيـالى إذا وقـفت ذلـيلا	قد نـهانـى وما رآنى انـتهـيت
يـا غنـيا عـن العـبـاد جمـيعـاً	وعلـيما بـكل مـا قد سعيت
لـيس لـى حجـة ولا لى عـذر	فاعف عـن زلتى وما قـد أتيت

كيف حالك يـا أخى إذا بلغت القلوب الحـناجر وقطعت الحسرات الأكـباد قطع الخناجر واشـتد عطش المفرطـين من شدة الهواجر فـيا أيها العاصـى بادر باب مولاك وأدرك مواسم الأرباح قبل أن تبور ونفخ فى الصور.

سمـعت حمـامة هتـفت بلـيل	وقد حـنت إلـى ألف بـعيـد
فأزعـجت الـقلـوب وأقلـقتـها	وما زلـنا نـقول لـها أعـيدى
أرى مـاء وبى عـطـش شديـد	ولكـن لا سبـيل إلـى الورود
فـرد مـن ماء مـوعـظـة ورودا	لتلـقى الأمن للـتلب الشـريد
ولازم خدمـة المولـى عسـى أن	تنـال الفـوز من رب مـجيـد

(إخوانى) كم خذلنا الـتفريط من الباطلين وكـم أقعدت البطالة قلـوب الغافلين وكم أعمت الآمال بصائـر الآملين وكم قطعت الأسباب قلوب الخائفـين وحيل بينهم وبين ما يشتهون فـإذا هم قيام ينظرون أما لكم عيون من ألم الـفراق تدمع؟! أما لكم قلوب من وحـشة الانقطاع تخـشع؟! أما لكم أسماع تـصغى إلى المواعظ فـتسمع؟! أمالكم أكباد مـن طلب الفانى فتشبع؟! بالله لتـسئلن عما كنتم تعمـلون فإذا هم قيام ينظرون (قيل) إن بعـض المريدين حصلت له فترة فرجع إلى ما كـان عليه ثم إنه ندم

وقال ترى لو رجعت عن ذنبى كيف يكون حالى مع ربى فسمع النداء يا فتى عصيتنا فسترناك وتركتنا فأمهلناك فإن عدت إلينا قبلناك وإن كنت ما ترانا فنحن نبصرك نراك عصيتنا فى الملأ جهرا وأعطيناك وكم تباعدت عنا ثم قربناك بارزتنا بالخطايا ثم سامحناك ولو رجعت إلينا وطلبت الصلح صالحناك. وكان على بن الموفق يقول فى مناجاته: سيدى وعزتك لا أبرح عن بابك ولو طردتنى ولا أزول عن جنابك ولو أبعدتنى ولا أحول عن وصلك ولو قطعتنى ولا أسلو عن محبتك ولو عذبتنى سيدى ولو كنت محجوبا عن ناظرى فأنت فى قلبى وخاطرى وإن كنت مقاطعى ومهاجرى فحبك مكنون فى سرى وضمائرى.

إن حجبوا شخصك عن ناظرى	ما حجبوا ذكرك عن خاطرى
قد زارنى طيفك فى مضجعى	يا حبذا طيفك من زائر
واصلتنى أفديك من واصل	هجرتنى أفديك من هاجر
أصبحت ما بين الهوى والنوى	فى موقف مالى من ناصر
فظاهرى ينبيك عن باطنى	وباطنى ينبيك عن ظاهرى

(غيره)

قولوا لمن غيب عن ناظرى	حبك فى قلبى وفى خاطرى
يا مالك الروح ارفق بها	قد منع الصبر عن الصابر
تريد أن تقتلنى عامدا	لابد للمظلوم من ناصر
بحرمة الود الذى بيننا	لا تفسد الأول بالآخر

(إخوانى) مدوا أيدى الذل والافتقار ونادوا برفيع الأصوات بالسر والإجهار عبيدك أهل المعاصى والإصرار أتوك يرجون عفوك عن الذنوب والأوزار وقد عثرنا فأقل عثرتنا من النار إلهنا شفيعنا إليك الذل والانكسار والرجوع والدموع الغزار إلهنا إن كانت ذنوبنا قد أخافتنا من عقابك فإن حسن الظن قد أطمعنا فى ثوابك فإن عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك. إلهى إن كنت لا ترحم إلا المجتهدين فمن للمقصرين وإن كنت لا تقبل إلا المخلصين فمن للمخطئين وإن كنت لا تكرم إلى المحسنين فمن للمسيئين. إلهى ما أعظم حسرتى سيدى ما أبلغ قصتى أدل غيرى وأنا الحائر. إلهى جد بالعفو على مذكر متكلف وسامع متخلف. إلهى إذا دللت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظتى إليك أتراك تقبل المدلول وترد الدليل. إلهى إن لم يكن كلامى خالصا لوجهك ففى مجلسى من حضر خالصا

لوجهك فشفعه فى تقصيرى بنور وجهك وارحمنا أجميعن يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

المجلس التاسع والعشرون

فى بعض مناقب الصالحين رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى نزه أبصار بصائر أوليائه فى ملكوته وأراهم من آياته عجبا وأسرى بأرواحهم إلى محل قربه وجعلهم من الأتقياء النجباء وشرفهم بأن جعلهم عبيده فجعل لهم شرفا ونسبا وأقامهم على الأقدام فى جنح الظلام وقد مد عليهم من ستوره غيهبا وأطلعهم على أسرار ما كتبتها أقلام ولا أودعت كتبا وقد قذف فى قلوبهم أنواراً يشاهدون بها الملكوت فيرون ما كان بعيدا مقتربا ومن عليهم بالكشف والاطلاع فيرون ما كان محتجبا وكساهم جمالا ومهابة وسمة وأدبا وجذب أعنة قلوبهم إلى جنابه ونادمهم فى خلوة السحر فقطعوا بالسهر وقتاً طيباً وناداهم فى سرائرهم ببشائرهم أهلا وسهلا ومرحباً وسقاهم من ألذ مشروب وتجلى عليهم المحبوب وأراهم جمالا للقلوب قدسى فهو حبيب القوم وجليسهم ونديمهم وأنيسهم وقد رفع لهم عنده رتبا فإذا غابوا كانوا فى الحضرة قرباً وإذا حضروا حدثوا عجبا فيهم ينزل الغيث ويشعب من الأرض مالم يكن مشعباً ويخصب ما كان مجدبا وبهم يستجاب الدعاء ويكشف البلاء فنالوا قصداً وبلغوا أرباً فإذا أقبل الليل تمسكوا بأذياله وأخذوا منه حسباً وتملوا بمنادمة حبيبهم عندما غابت الوشاة ونامت الرقباء وإذا هجم الصباح أعلنوا بالصياح وأجروا دمعاً منسكباً وقالوا يا ليت الليل لا ذهب وليته أقام وليت المشرق عاد مغربا.

أيا ليل لا تنفذ إلى الحشر دائما	ومد على رغم العوازل غيهبا
ويا صبح لا تهجم علينا بسرعة	وبالله لا تسفز وكن متأدبا
فمحبوبنا فى آخر الليل زارنا	وقد بشرتنا باللقا نسمة الصبا
والمسرى ذاك النسيم معطرا	حسبناه بالمسك العبيق تطيبا
وداخلنا سكر عجيب ونشوة	تخبر أن العشق من زمن الصبا
فيا صاحبا من خمرة الحب خاليا	من الوجد ما ذاق الغرام ولا صبا

ودع عنك الهوى وحديثه — فإن رمت سلوانا تروح مخيبا
بروحى من طاوعت فيه صبابتى — وخالفت فيه عاذلى شاء أو أبى
وقلت هو المحبوب دينى ومذهبى — ويا حبذا لى مذهبى صار مذهبا

قال بعض الصالحين: كنت فى البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامى شخصا فسارعت حتى أدركته فإذا هى امرأة بيدها عكاز وهى تمشى الهوينا فظننت أنها أعيت فأدخلت يدى فى جيبى وأخرجت لها عشرين درهما وقلت خذيها وامكثى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم ائتينى الليلة حتى أصلح أمرك فقامت بيدها فى الهواء هكذا فإذا فى كفها دنانير من الغيب ثم أنشدت تقول:

كم نعمة فى الأنام ومنة — موجودة فى ذاتها لا تعدم
كم آية لك فى الخلائق والنهى — مشهودها أسرارها لا تفهم
كم حالة حولنها وتحولت — فينا بنا عما تريد تسترحم
ولدى كلامك تستوى أقوالنا — ففصيحنا فى بعض قولك أبكم
ونقول حقا إنك الحق الذى — حجب الجميع فعلمه لا يعلم

فسبحان من اختص من خلقه عباداً جعل لهم أرض الهدى مهاداً ومنحهم توفيقا ورشادا وزودهم فى طريقهم زادا فهم فى بساتين وصله يرتعون وفى روضات أنسه يتمتعون ومن أهوال يوم القيامة آمنون **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** (قيل) دخل لص على رابعة العدوية ليلا فنظر فى البيت يمينا وشمالا فلم يجد غير إبريق فلما هم بالخروج فقالت له يا هذا إن كنت من الشطار فلا تخرج بلا شيء فقال إنى لم أجد شيئاً فقالت له يا مسكين توضأ بهذا الإبريق وادخل إلى هذا المخدع وصل ركعتين فإنك لا تخرج إلا بشيء ففعل ما أمرته به فلما قام يصلى رفعت رابعة طرفها إلى السماء وقالت: سيدى ومولاى هذا قد أتى إلىَّ ولم يجد عندى شيئًا وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك فلما فرغ من صلاة الركعتين لذت له العبادة فما برح يصلى إلى آخر الليل فلما كان وقت السحر دخلت عليه رابعة العدوية فوجدته ساجدا وهو يقول فى عناية لنفسه:

إذ ما قال لى ربى — أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى — وبالعصيان تأتينى
فما قولى له لما — يعاتبنى ويقصينى

فقالت له حبيبى كيف كانت ليلتك فقال بخير وقفت بين يديه بذلى وفقرى فجبر كسرى وقبـل عذرى وغفر لى الذنـوب وبلغنى المطلـوب ثم خرج هائما عـلى وجهه فرفعت رابعة طرفها إلى السماء وقالت: سيدى ومولاى هذا وقف ببابك ساعة فقبلته وأنا منذ عرفتك بين يديك أترى قبلتنى، فنوديت فى سرها: يا رابعة من أجلك قبلناه وبسببك قربناه.

يا سيـدى عبدك المسكين فـى بابك	يرجو رضاك فجد بالعفو أولى بك
حاشاك تسدل حجابك دون طلابك	أو تبتـلى بعذابـك قلب أحبـابك
يـا هـذا سبـقـك أهـل العـزائـم	وأنـت فـى الـغـفـلـة نـائـم
قـف عـلـى البـاب وقـوف نـادم	ونكس رأس الذل وقل عـبد ظالم
وناد فى الأسحار أنا المـذنب الهائم	وقد جئـت أطلب العفـو والمراحم

وتشبه بالقوم وإن لم تكن فزاحم

(إخوانى) نظر العارفون بعـين البصائر وعمل كل منهم لما هـو إليه صائر هجروا المنام وقاموا فى الدياجـى الدياجر وغسلوا الوجوه بدموع المحاجر فأزعـجهم ما يتلونه فى القرآن من الزواجر.

خضوع وخوف واحـتشام وذلة	وهذا لـمـن يرجو النـجاة قلـيل
فهل لى من الأحزان حظ موفر	وهل لى إلى طول البكاء سبيل
لـعل أن أحـظى بـقرب ولـذة	ويحصـل بعد الفـراق وصول

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يتجر من بلاد الشام إلى المديـنة ومن المدينة إلى الشام ولا يصحب القوافـل توكلا منه على الله تعالى قال فبيـنما هو جاء من بلاد الشام يريد المدينـة إذ عرض له لص على فرس فصاح بـالتاجر قف فـوقف له التـاجر وقال له شأنـك بمالى وخلى سـبيلى فـقال له اللص: المال مـالى وإنما أريد نفسـك فقال له التاجر: انـتظرنى حتى أتـوضأ وأصلى ركعتين وأدعو ربى عز وجل فقال له افعل مـا بدالك قال: فقام التاجر وتوضأ وصلى أربع ركعات ثـم رفع يديه إلى السمـاء فكان من دعائه أن قـال: ياودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبـدئ يا معيد يا فعال لما يريد أسألك بـنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وبقدرتك التى قدرت بها على خلـقك وبرحمتك التى وسعت كل شىء أنت الذى وسعت كل شىء رحمة وعلما لا إله إلا أنت يـا مغيث أغثنى ثلاث مرات فلما

فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب عليه ثياب خضر وبيده حربة من نور فلما نظر اللص إلـى الفارس ترك التاجر ومر نحـو الفارس فلما دنا منه شـد الفارس على اللص فطعنه طعنة أرداه عن فرسه ثم جاء التاجر فقال له قم فاقتله فقال له التاجر من أنت فما قتلت أحداً قط ولا تطيب نفسى لقتله قال فرجع الفارس إلى اللص فقتله ثم رجع إلى التاجر وقال له اعلم أنى ملك من الـسماء الثالثة حين دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قعـقعة فقلنا أمر حدث ثم دعـوت الثانية ففتحت أبواب الـسماء ولها شرر كشرر النار ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام علينا من قبل السماء وهو ينادى من لهـذا المكروب فدعوت ربى أن يولينـى قتله واعلم يا عـبد الله أنه من دعا بدعائك هذا فى كـل كربة وكل شدة وكل نازلة فرج الله تعالى عـنه وأعانة قال وجاء التاجر سالما غانما حتى دخل المدينة وجاء إلى الـنبى ﷺ وأخبره بالقصة فقال له النبى ﷺ: **«لقد لقـنك الله تعـالى أسمـاءه الحسنـى التى إذا دعـا بها أجـاب وإذا سئل بـها أعطى»**[1].

لك الفضل يا مولاى والشكر والحمد	فمازلت تولى الخير مـنذ ضمنى المهد
ولو رمت إن أحصى جميلك لم أطق	فـما لجـميـل قد مـنـنت بـه حـسـد
وكـم لك مـن لطـف أتانـى مفـرج	من الـكرب ما لولاه قـد كان يشـتد
قصـدناك نـستكـفى الـعدا وشـرهم	وعند عظـيم الجود لم يخب الـقصد
فـليـس لـعبـد غـير مـولاه مـلجـأ	فإن رده المـولى فـما يـصنـع العـبد
ومـالى شـفـيع غـير جـاه مـحمـد	ومن جـاهه فـى الحشـر ليـس له رد
عـلـيـه صـلاة الله مـالاح بـارق	وما هطلـت سحب وما قهقـه الرعد

إلهى وصل العـارفون بالمعرفة إليك، وقـام المجتهدون بالخدمة بين يـديك. إلهى خضـع المتكبـرون من هيـبة جلالك، وخـشع المتجـبرون لسـطوة جمالـك، وارتاح المشتاقون إلى مشاهـدة جمالك. إلهى وقف السائلون ببابك ولاذ المحـتاجون بجنابك وتقطعت أكباد المحبين فى طلابك وفاز القائمون بلذيذ خطابك وربح العاملون بثوابك وحضر المراقبون فى حضرة اقترابك. إلهى ندم المـفرطون على تقصيرهم فى خدمتك وخجل العاصون وأطرقوا حياء من مراقبتك. إلهى إن كنت لا ترحم إلا القائمين فمن للنائـمين. إلهى إذا لم تنـظر إلا للعاملـين فمن للمقـصرين. إلهى إذا لم تـغفر إلا للمـطيعين فمـن للمذنبـين. إلهى أجر أنهـار المتفرقين مـن بحر إنعامـك وارو أكباد المحزونين من ماء عفوك وإكرامك. إلهى رد شارد الحائرين إلى أبواب معرفتك، واهد

(١) على الرغم من وجود الحديث فى عدد من كتب الوعظ إلا أنى لم أجد له أصلا فى كـتب الحديث المعتبرة.

قلوب الضالين بأنوار رأفتك وأدخلهم جميعاً فى ظل عفوك ورحمتك وآوهم إلى ركن تجاوزك ومغفرتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علــى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

المجلس الثلاثون فى مناقب الأولياء ﷺ أجمعين

الحمد لله الذى ملأ قلوب أحبته من سر محبته سروراً وكسا وجوههم من إشراق ضياء بهجته نورا وتوجهم بتيجان البـهاء وكتب لهم الولاء منشورا وهداهم إلى طريق معرفـته وزادهم هدى وتبصـيرا وروق لهم الشراب ورفـع لهم الحجاب وقال مـرحباً بالأحباب لا تخـشوا اليوم حزناً ولا تكديرا فـمنهم من ترنح فطرب ومـنهم من باح بالسر إذ غلب ومنهم من ندب إلى الحضرة وطلب وناهيك من ساق أدار سروراً **﴿إن الأبرار يشربون من كأس كـان مزاجها كافوراً﴾** فهم قائمون فى خـدمته متلذذون فى حضرته منقلبون فى نعمتـه يكسرون جبارا ويجبرون كسيرا **﴿يوفون بالنذر ويخافون يوما كـان شره مستـطيرا﴾** أخلاقهـم القنوع وشـعارهم الخشوع وأفـعالهم السـجود والركوع يطوون الضلوع على الجوع ويؤثـرون على أنفسهم سائلاً وفقيرا **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾** قد غضوا الأبصار وأخرسوا الأفواه وعفروا الوجوه والجباه وقالوا لفـقرائهم قولا ميسورًا **﴿إنما نطعـمكم لوجه الله لا نريـد منكم جزاءاً ولا شكورا﴾** قد شربوا من شـراب حبه كؤوسا واستجلوا من أنـوار مشاهدته شموسا فقالوا **﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوسا قمطريرا﴾** ذلك يوم يا له من يوم يحير من هو لـه كل قوم ويطير مـن شدته من العيـون النوم **﴿فوقاهم الله شـر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا﴾** اخترقوا حجب الأنوار وفازوا بجوار العزيز الغفار فى جنات تجرى من تحتها الأنـهار تخدمهم الملائكة فيـها مساءًا وبكورا **﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حـسبتهم لؤلؤا منثورا﴾﴿ لا يحزنـهم الفزع الأكبر﴾** يوم القيامة ولا تلحقهم حسرة ولا ندامة ثم يقال لهـم فى الجنة تهنئة لهم وتبشيرا **﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾** وسقاهم بكأس أنسه شرابا طهورا وناداهم عبادى وأحبابى طالما وقفتم ببابى ولذتم بجنابى وكان كل منكم على مصابى صبوراً لأبوأنكم دار النعيم ولأمتعنـكم بالنظر إلى وجهى الكريم ولأجعلن جـزاءكم جزاء موفورا نالوا بذلك فرحة وسرورا وسعوا فأصبح سعيهم مشكورا.

قوم أقاموا للإله نفوسهم	فكسا وجوههم الوسيمة نورا
تركوا النعيم وطلقوا لذاتهم	زهدا فعوضهم بذاك سرورا
قاموا يناجون الحبيب بأدمع	تجرى فتحكى لؤلؤا منثورا
ستروا وجوههم بأستار الدجى	ليلا فأضحت فى النهار بدورا
عملوا بما علموا وجادوا بالذى	وجدوا فأصبح حظهم موفورا
وإذا بدا ليل سمعت أنينهم	وشهدت وجدا منهمو وزفيرا
تعبوا قليلا فى رضا محبوبهم	فأراحهم يوم المعاد كثيرا
صبروا على بلواهمو فجزاهمو	يوم القيامة جنة وحريرا

كان أبو مسلم الخولانى رحمة الله عليه يحب الصدقة والإيثار وكان يتصدق بقوته ويبيت طاويا فأصبح يوما وليس فى بيته غير درهم واحد فقالت له زوجته: خذ هذا الدرهم واشتر به دقيقاً نعجن بعضه ونطبخ بعضه للأولاد فإنهم لا يصبرون على الجوع فأخذ الدرهم والمزود وخرج إلى السوق وكان برداً شديداً فصادفه سائل فتحول عنه فلحقه وألح عليه وأقسم عليه فدفع إليه الدرهم وبقى فى هم وفكر كيف يعود إلى الأولاد والزوجة بغير شىء فمر بسوق البلاط وهم ينشرونه ففتح المزود وملأه من النشارة وربطه وأتى به البيت فوضعه فيه على غفلة من زوجته ثم خرج إلى المسجد فعمدت المرأة إلى المزود ففتحته فإذا فيه دقيق حوارى أبيض فعجنت منه وطبخت للأولاد فأكلوا وشبعوا ولعبوا فلما ارتفع النهار جاء أبو مسلم وهو على خوف من امرأته فلما جلس أتته بالمائدة والطعام فأكل فلما فرغ قال من أين لكم هذا قالت من المزود الذى جئت به فتعجب من ذلك وشكر الله تعالى على لطفه وحسن صنيعه.

(إخوانى) انظروا إلى لطف الله تعالى بأوليائه كيف توكلوا عليه فكفاهم أمر دنياهم ورزقهم من فضله وفعل معهم ما هو أهله.

توكل على الرحمن تحظى برفدة	وكن واثقا منه يرزقك بالفعل
وسلم إلى مولاك أمرك إنه	سيكفيك أسباب الكريهة والثقل
ومن يتوكل فى الأمور جميعها	على الله يحظى بالتباشر والفضل
فيلقى جميع الناس بالرحب والرضا	ويحنو على الرجال والصحب والأهل
فذاك الذى قد أذهب الله همه	وجازاه بالإحسان فى الضيق والمحل

كان أبو معاوية الأسود رحمه الله مكفوف البصر وكان يحب قراءة القرآن وكان إذا فتح المصحف رد بصره عليه حتى يفرغ من القراءة فإذا أغلقه كف بصره فنودى فى سره ما كففنا بصرك بخلا عليك به ولكن غرنا عليك أن تنظر إلى غيرنا:

وغضضت طرفى عن سواك فما أرى	فى الكون غيرك من إله يعبد
يا من له عنت الوجوه بأسرها	وله جميع الكائنات توحد
يا منتهى سؤلى وغاية مطلبى	من لى إذا أنا من جنابك أطرد
أنت المؤمل فى الشدائد كلها	يا سيدى ولك البقاء السرمد
ولك التصرف فى العباد كما تشا	فلذاك تشقى من تشاء وتسعد
فامنن علىَّ بتوبة يا من له	قلب المحب مقدس وموحد

قال إبراهيم السائح رحمه الله: بينا أنا أطوف بالبيت الحرام وإذا أنا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهى تنادى وتقول: يا وحشتى بعد الأنس، ويا ذلى بعد العز، ويا فقرى بعد الغنى، ويا عظم مصيبتى فقلت لها: وما مصيبتك فقالت فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب فقلت لها هلا خفضت من صوتك فقالت؛ ياشيخ، البيت بيتك أم بيته فقلت لها بل بيته قالت فالحرم حرمك أم حرمه قلت بل حرمه قالت فمن استزازنا إليه قلت هو قالت فدعنا نتدلل عليه بين يديه كما استزارنا إليه ودلنا عليه ثم رفعت يديها وقالت يا سيدى بحبك لى ألا ماردت على قلبى فقلت لها من أين علمت أنه يحبك قالت لسبق عنايته بى فإنه جيش الجيوش فى طلبى وأنفق الأموال وجهز العبيد حتى أخرجنى من بلاد الشرك وأدخلنى بلاد التوحيد وعرفنى الطريق إليه ودلنى بحسن التوفيق عليه فما شعرت إلا وأنا بين يديه.

شغفى بذكرك جنتى ونعيمى	وإذا نسينك فهو عين جحيمى
يا من أخاطبه فى خاطرى	وأراه وهو محدثى ونديمى
وأحبنى من قبل أن أحببته	فذاك أوجب فى الهوى تقديمى
وعلى بالتوحيد جاد تكرما	والعفو والغفران والتكريم

كان الشيخ أبو مدين رحمة الله عليه كبير القدر وكان من الأبدال صاحب الحظوة والخطوة والكرامات والتصريف وكان يتكلم فى الحقيقة بعد صلاة الفجر فى مسجد الخضر بمدينة الأندلس فسمع به رهبان دير يعرف بدير الملك وكانوا سبعين نفرا فجاء من أكابرهم عشرة بسبب الامتحان فتنكروا ولبسوا زى المسلمين ودخلوا المسجد

فجلسوا مع الناس ولم يعلم بهم أحد فلما أراد الشيخ أن يتكلم سكت حتى دخل رجل خياط فقال له الشيخ ما أبطاك فقال له يا سيدى حتى فرغت العشر طواقى التى أوصيتنى عليها البارحة فأخذها الشيخ منه ونهض قائما فألبس كل واحد من الرهبان طاقية فتعجب الناس من ذلك ولم يعلموا الخبر ثم شرع الشيخ فى الكلام فكان من جملة قوله: يافقراء إذا هبت نسمات التوفيق من جناب الحق تعالى على القلوب المشرقة أطفأت كل نور ثم تنفس الشيخ فانطفأت قناديل المسجد كلها ثم سكت الشيخ وأطرق فلم يجسر أحد أن يتكلم أو يتحرك لعظم الهيبة ثم رفع رأسه وقال لا إله إلا الله يا فقراء إذا أشرقت أنوار العناية على القلوب الميتة عاشت وأضاء لها كل ظلمة ثم تنفس الشيخ فاشتعلت القناديل وعاد إليها نورها ثم تكلم الشيخ فى تفسير آية سجدة فسجد وسجد الناس فسجد الرهبان مع الناس خشية الفضيحة والاشتهار فقال الشيخ فى سجوده: اللهم إنك تعلم بتدبير خلقك ومصالح عبادك وإن هؤلاء الرهبان قد وافقوا المسلمين فى لباسهم والسجود لك وأنا قد غيرت ظواهرهم ولم يقدر على تغيير بواطنهم غيرك وقد أجلستهم على مائدة كرمك فأنقذهم من الشرك والطغيان وأخرجهم من ظلام الكفر إلى نور الإيمان فما رفع الرهبان رؤوسهم من السجود إلا وقد مضى عنهم الهجران والصدود ودخلوا فى دين الله المعبود فأسلموا وبلغوا المقصود فأتوا إلى الشيخ فتابوا على يديه وبكوا وندموا على ما كان منهم وكان يوماً مشهوداً وبلغ الملك خبرهم فأحسن إليهم وأنعم عليهم وفرح الشيخ بإسلامهم. هذه والله صفات الأولياء الأخيار السادة الأبرار أمناء الله على عباده ورحمته لهم فى بلاده.

فهمو أولياؤه حيث حلوا ... وهموا للقلوب برد وظل
قد تفانوا عن الوجود فعزوا ... وأشاروا إلى الطريق فدلوا
فلهذا قد أصبحوا فى البرايا ... كل صعب ينالهم فهو سهل
لم يزل ذكرهم على الدهر يتلى ... ولكل القلوب يجلو ويحلو
فيهم يرفع البلاء عن الخلق ... ويهدوا مخافة أن يضلوا

إلهى وقف السؤال ببابك ولاذ المذنبون بجنابك ورفع ذوو الحاجات قصص فاقتهم إليك نكس العصاة رؤوس الانكسار بين يديك انقطعت حجج المقصرين عن الاعتذار إليك أرسلت سفينة المساكين على ساحل بحر كرمك وكلهم يرجون الجواز إلى ساحة فضلك ونعمك امتدت أيدى السائلين إلى وابل غيث جودك تقلقت قلوب

الخائفين من إزعاج وعيدك فكيف يخيبون وقد عم عفوك ورحمتك سائر عبيدك إلهى فمن للسائلين إذا ردوا ومن للعاصين إذا طردوا عن بابك وصدوا ومن للمتخلفين إذا قطعوا ومن غيرك يقبل التائبين إذا رجعوا إلهى تقطعت أكباد المحبين فى طلابك فاز القائمون بطيب خطابك ربح العاملون بثوابك حضر المراقبون فى حضرة اقترابك إلهى ندم المفرطون على تقصيرهم فى خدمتك خجل العاصون وأطرقوا حياء من مراقبتك أطرق المذنبون من جلال هيبتك تمزق الخائفون من عظيم سطوتك إلهى إن كنت لا ترحم إلا القائمين فمن للنائمين إلهى إذا لم تنظر إلا للعاملين فمن للمقصرين إلهى إذا لم تغفر إلا للمطيعين فمن للمذنبين إلهى رد شارد الحائرين إلى أبواب معرفتك اهد قلوب الضالين بأنوار رأفتك أدخلهم جميعا فى ظل عفوك ورحمتك آوهم إلى ركن تجاورك ومغفرتك برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

(المجلس الحادى والعشرون فى مناقب الصالحين)

الحمد لله الذى فتح أقفال الصدور بمفاتيح السرور والأفراح وخص نسيم السحر بطيب الهبوب فأحيا به القلوب وأرواح الأرواح سقى بساتين قلوب أوليائه بغيث جوده ونعمائه فانبسط جزيل عطائه وساح أنطق بلابل تمجيدهم على أغصان توحيدهم فأثنت بشكر معبودهم فى المساء والصباح عطر أزهار أسرارهم بأنفاس أذكارهم ففاح أرجها الفياح وصفقت أوراق الأشجار وشب النسيم وغنى الهزار بصوته الرخيم حن كل مشتاق إلى عهده القديم وارتاح فمنهم من سكر وصحا ومنهم من فنى رسمه وانمحى ومنهم من هام مترنحا ومنهم من باح ومنهم من لازم الخضوع والانكسار ومنهم من تهتك ولبس ثوب الاشتهار وكلهم فى خلوة الأسحار فسامحهم صاحب الدار وقال ليس عليكم جناح.

إذا غلب الوجود والافتضاح	لأهل الهوى والجوى لا جناح
فكم فى المحبة من هائم	يطيل النحيب ويبدى النواح
وكم فى دجا الليل من سادة	لهم فى الصباح وجوه صباح
وكم فى المحبة من كاتم	ينم عليه نسيم الصباح
فمن باح بالوجد فى حبه	فذاك الذى فى هواه استراح

فقم بالبيت بباب الحبيب	إلى طبيب يداوى الجراح
وقم واسهر فى الدجى واعتذر	إلى الحبيب واسمع منادى الفلاح
وإن لك بالذنب مستوحشا	فهم فى الحقيقة أهل السماح

قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه: حججت سنة من السنين إلى بيت الله الحرام فأتيت مكة شرفها الله تعالى فإذا بالناس قد خرجوا يستسقون فى أول يوم وثانى يوم وثالث يوم وأنا معهم فلم يسقوا فتركتهم ومضيت إلى الحجر فدخلت فإذا على البلاطة الخضراء شخص أسود نحيل الجسم مصفر اللون وعليه خلقتان متزر بإحداهما ومرتد بالأخرى وقد بكى وانتحب حتى بلت دموعه ثوبيه وهو رافع طرفه إلى السماء ويقول إلهى أخلقت الوجود كثرة الذنوب ومنعت عبيدك القطر من كثرة الذنوب ومنعت عبيدك القطر من كثرة المعاصى والخطايا وأنت عالم بالأحوال فقد قتلت الأطفال وهلكت المواشى والعيال فاقسمت عليك بجاه محمد ﷺ إلا ما سقيتنا الغيث الساعة وقد توسلت بك إليك وجعلت متعبدى عليك فهب للحاضرين ذنوبهم ولا تؤاخذهم بجرائمهم يارباه يارباه الساعة الساعة قال فما استتم كلامه حتى تراكمت السحب وجادت بالقطر من كل جانب ومكان فجلست أبكى حتى خرج من الحجر فأتبعته حتى عرفت الموضع الذى دخل فيه فعلمت الباب ورجعت إلى منزلى فلم يأخذنى نوم طول الليل فلما أصبحت صليت الصبح بغلس وأتيت الموضع فدخلت فإذا رجل حسن الهيبة فسلمت عليه فرد على السلام وقال هل لك من حاجة أبا عبد الرحمن قلت نعم أريد شراء غلام فقال عندى عشرة غلمان فاختر منهم من شئت فصاح بأحدهم فخرج غلام سمين فجعل يصفه لى فقلت ليس من حاجتى فعرض آخر وآخر إلى أن عرض العشرة وأنا أقول ليس من حاجتى فقال لم يبق عندى إلا غلام أسود ضعيف الجسم متغير اللون إن ضحك الناس بكى وإن اشتغل الناس بأشغالهم صلى لا ينام الليل ينادى فى بعض أوقاته بالحسرة والويل لا يصلح لخدمة أهل الدنيا من كثرة الضعف والبلى ومع هذا فإن قلبى يحبه وقد استبركت بنظره فصاح ميمون فقال إن شاء الله تعالى ميمون فخرج فنظرته فإذا هو صاحبى فقلت هذا أريد فقال ليس إلى بيعه من سبيل قلت لم لا تبيعه قل قد أنست به واستبركت بطلعته ومع هذا أنه قد حمل عنى مؤنته فوالله ما يأكل عندى شيئا إلا بعمل الشريط والخوص فيعمل كل يوم بنصف دانق فإن باع أفطر وإلا بات طاوياً وقد أخبرنى الغلمان أنه يحيى الليل كله فقلت والله لئن لم تبعنيه لأتيتك بسفيان والفضيل فقال إن

كان هذا قضيت حاجتك فاشتريته منه وأخذت بيده وسرنا فى الطريق فالتفت إلى وقال سألتك بالله لم اشتريتنى وأنا ضعيف نحيل الجسم لا أقوى على الخدمة وقد أخرج سيدى إليك أجود منى فقلت والله لا أستخدمك وإنما أكون لك خادما فقال سألتك بالله إلا ما أخبرتنى بحالك معى فأخبرته بالخبر فقال لى: ينبغى أن تكون عبداً صالحا فإن لله تعالى فى خلقه نجبا وأولياء ليكشف شأنهم إلا لمن ارتضاه من عباده قال فتمشينا إلى أن عبرنا مسجداً فقال لى يا مولاى هل لك أن تأذن لى أن أصلى فى هذا المسجد ركعتين قلت له الساعة تسير إلى منزل الفضيل بن عياض فتركع فيه مابدا لك قال وما على بأن قد بقى من عمرى ما يوصلنى إلى منزل الفضيل وقد قال رسول الله ﷺ: «**من فتح باب خير فليتم فإنه لا يدرى متى يغلق عنه**»[1] قال فدخلنا المسجد فركع وركعت وأطال فى الصلاة وأنا منتظره فلما سلم قال يا مولاى قرب الأجل وانقطع العمل يا مولاى إنما كانت المعاملة طيبة بينى وبينه وقد علمت أنت وسيعلم غيرك وغيرك ولا حاجة لى فى إفشاء السر وقد استودعتك الله وخر ساجداً فما زال يبكى وينشهد إلى أن سكن حسه فحركته فإذا هو ميت رحمة الله عليه فتركته ومضيت إلى الفضيل وسفيان فأخذنا فى أمره ما وجب ودفناه فى المعلاة وانصرفت وفى قلبى لهيب النار فجئت إلى منزلى فلما كان الليل وقضيت وردى ونمت فإذا بميمون قد أقبل فى سلمتين من الحرير وهو يتبسم وفى يده شيء فسلم على وقال لى يا مولاه حضرت بين يدى مولاى الكبير فشرحت له حالى ووزنك لثمنى من غير منفعة انتفعت بها ولا خدمة فقال لى يا ميمون إنى أعلم السر وأخفى وأعلم ما فى الضمائر والقلوب وإنما لم يشترك إلا لوجهى وإجلالا لكرامتى وقد أعتقته من النار بسببك وكرامتك على وهذا ثمنى فخذه قال ابن المبارك فبكيت وانتحبت واستيقظت من نومى والدراهم فى يدى وأنا أبكى فو الله ما ذكرته قط إلا بكيت على فراقه.

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل	ففى حبه يحلو التهتك والذل
تذلل له تحظى برؤيا جماله	إذا رضى المحبوب صح لك الوصل
أدر على العشاق خمرة قربه	فطاب لهم فيها الصبابة والقتل
وقال لهم هذا جمالى تمتعوا	وها خلع الإحسان والجود والفضل
سكارى حيارى واقفين ببابه	وأجفانهم منها المدامع تنهل
فإن شئت أن تحظى برؤيا جماله	تقدم وإلا فالغرام له أهل
فو الله ما فى الكون يعشق غيره	هو السؤل والمطلوب والقصد والكل

(١) لم أجد له أصلا وإن كان معناه صحيحا.

قال مالك بن دينـار رحمه الله: أصابنى فى بعض أسفارى عطـش شديد فملت إلى بعض الأودية طمـعاً فى الماء فنادانى هاتف من بين الجبـال يقول: إنما أنا ولى الله سبحانه وتعالى قـد عظمت زفرته واشتدت حسرته فارتفع صوتـه وعلا نحيبه فعدت إلى طريقى فـإذا أنا بشاب قد أذابته العبادة حـتى عاد كالخلال فسلمت علـيه وأخبرته بعطشى فقال: يامالك ماوجدت فى المملكة قطرة ماء ثم قام إلى صخرة فضربها برجله وقال لها أسقـينا ماء بقدرة من يحيى الـعظام وهى رميم فإذا الماء يخـرج من الصخرة كما يخـرج من العين فشربت حـتى رويت ثم قلت أوصـنى بشىء أنتفع بـه فقال يا مالك: كن لمولاك طائعاً فى الخلوات حتى يسقيك الماء فى الفلوات ثم ولى عنى.

دمـع أضـر بمـهجـة المـشـتـاق	وجرت سـوابق دمـعه المـهراق
صب إذا ما الـليل أسبـل ستره	نادى بصوت فى الـدجا مشتاق
يـا عالما بـسريـرتى وبـنـيتـى	وبمـا أجن مـن الأسى وألاقـى
لو صرت نشوا فى المحبة مغرما	ما حلت عن عهدى ولا ميثاقى
فامـنن بعفوك لـى فإنى مـذنب	مالـى سواك لـزلتـى من راقـى

قال بعض السادة رحـمه الله: رأيت غلاما فى البادية وهو قائـم وليس معه أحد منقطع من الـعمارة والناس فسلمت علـيه فرد على السلام فقلت لـه يا فتى أنت فى مكان منقـطع بلا معين ولا رفيق قال بلـى وعزة ربى معى المعين والرفـيق قلت وأين المعين والرفيق قال هو فوقى بعزته ومعى بعلـمه وحكمته وبين يدى بهدايته وعن يمينى بنعمتـه وعن شمالى بعظمـته فلما سمعت هـذا الكلام قلت ألك فى المرافـقة فقال: هيهات مرافقتـك تشغلنى عن خدمته وما أحب أن يـكون هذا ولى ملك الأرض من مشرقهـا إلى مغربها قلـت له أما تستوحش فـى هذا المكان فقال لى يـا هذا من كان المولى حبيبه وأنيـسه كيف يستوحش قلت من أين تأكل قال يا هـذا غذائى بلطفه فى ظلمة الأحشاء صغيرا أفلا يكفلنى كبيراً ولى عنده رزق معلوم وله وقت محتوم فسألته الدعاء فقال لى حجب الله طرفك عن معصيته ومـلأ قلبك بخشيته قلت يا أخى متى ألقاك فتبسم وقال: أما بعد هذا اليوم فلا تحـدث به نفسك فى الدنيا ويوم القيامة يوم يجتمع فيه الناس كـلهم فإن كنت ممن يلقانى فاطلبنى فى جـملة الناظرين إلى الله عز وجل قلـت له ومن أين عرفـت ذلك قال به وعزته وذلـك إنى غضضت طـرفى عن المحرمات ومنعت نفسى عن من تناول الشهوات وخلوت بخدمته فى الليالى المظلمات فعوضنى النظر إلى وجهه الكريم ثم غاب عنى فلم أره بعد ذلك.

أترى عبدكم يرى بالمصلى | قبل يقضى أسى بكم يتملى
سمعونى وأرسلوا إلى جواباً | إن تكن صادقاً فأهلا وسهلا
قلت أمشى على جفونى إليكم | فعسى بالحبيب نجمع شملا
ثم أشرى الوصال بروحى | قيل لى وصله من الروح أغلى
يا طريدا عن بابنا قبل الأرض | لدينا وعفر الخد ذلا
أن ذل المحب خير شفيع | الحبيب قد صد عنه وولى
لا تظن الدموع تنفع إن لم | تك تجرى من القلوب وإلا
ليس للدمع منة فى هوانا | فابك مهما أردت طلا ووبلا
قلت للروح ودعينى وروحى | ثم للجسم خلنى فتخلى
وإذا بالحبيب قد رفع الحجب | تعالى جماله وتجلى
ثم نادى أين المحب عبيدى | أدن منى وبالوصال تملى
يا عبيدى أطلت صبرك عنى | أتسليت قلت حاشا وكلا
عطف السيد الكريم على العبد | وما زال للتعطف أهلا
ودعاه فى مجلس الإنس جهرا | وعليه كاس التواصل يجرى
ومنادى القبول منه ينادى | هكذا هكذا يكون وإلا
فعلى أشرف النبيين صلوا | فعليه رب الخلائق صلى

قال إبراهيم الخواص رحمة الله عليه: حججت سنة من السنين وكانت سنة كثيرة الحر وقد توسطنا أرض الحجاز انقطعت عن الحاج وغفوت قليلا فلم أشعر إلا وأنا وحدى فى البرية فلاح لى شخص فأسرعت إليه فلحقته وإذا هو غلام لا إنبات بعارضيه وجهه كالقمر المنير أو الشمس الضاحية وعليه أثر الدلال والترفه فقلت له: السلام عليك فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم فتعجبت منه أكثر العجب وقلت له من أين تعرفنى ولم ترنى قبلها فقال: يا إبراهيم ما جهلت منذ عرفت ولا قطعت منذ وصلت فقلت له: ما الذى أوقعك فى هذه البرية فقال: يا إبراهيم ما أنست بسواه ولا وافيت غيره وأنا منقطع إليه بالكلية مقر له بالعبودية فقلت له من أين المأكول والمشروب قال تكفل به المحبوب ثم أجابنى ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب وأنشأ يقول:

من ذا يخوفنى بالبر أقطعه | إلى المحب وقد قدمت إيمانا
الحب أقلقنى والشوق أزعجنى | ولا يخاف محب الله إنسانا

فهل لصغران سنى اليوم تحقرنى دع عنك عذلك قد كان ما كانا

ثم قال إبراهيم: أنت منقطع عن الحاج فقلت له نعم قال إبراهيم فنظرت إلى الغلام قد لمح بطرفه إلى السما وهمهم بكلمات فعند ذلك لحقتنى سنة من النوم فلم أفق إلا وأنا فى وسط الحاج ورفيقى يقول لى يا إبراهيم احذر أن تقع عن الراحلة فما أعرف أن الغلام صعد إلى السماء أم نزل فى الأرض فلما انتهيت إلى الموقف ودخلت الحرم الشريف وإذا أنا بالغلام متعلق بأستار الكعبة وهو يبكى ويقول:

تعلقت بالأستار والقبر زرته	وأنت بما فى انقلب والسر أعلم
أتيت إليه ماشيا غير راكب	لأنى محب فى هواك متيم
هويتك طفلا حيث لا أعرف الهوى	فلا تعذلونى إننى متعلم
وإن كان قد حانت إلى منيتى	لعل بوصل منك أحظى وأغنم

ثم وقع ساجداً وأنا أنظر إليه فأطال السجود فأتيت إليه وحركته فإذا هو ميت رحمه الله ومضيت وأحضرت ثوباً وأغسله فأتيت إليه فلم أجده فسألت عنه الحاج جميعاً فلم أجد أحداً يقول رآه حيا ولا ميتاً فعلمت أنه مستور عن الخلق وأنه لم يره أحد غيرى فأتيت إلى مكانى وغفوت فرأيته فى المنام وهو فى موكب عظيم وهو فى أوائلهم وعليه أثر الدلال والترفه فقلت له ألست صاحبى فقال نعم فقلت له ألست مت قال قد كان ذلك فقلت له لقد طلبتك حتى أكفنك وأصلى عليك وأدفنك فلم أجدك فقال لى يا إبراهيم اعلم أن الذى من بلدى أخرجنى ولمحبته شوقنى وعن أهلى غربنى هو الذى تولانى وكفننى فقلت له ما فعل الله بك، فقال: أوقفني بين يديه، وقال: ما بغيتك، فقلت: أريد أن تشفعنى فى القرن الذى أنا فيه قال قد شفعتك فيه قال إبراهيم ثم صافحنى فاستيقظت بعد المصافحة وقضيت ما كان على من الحج ونسكه ثم سرت مع جملة الحاج فما أجد أحدا إلا يقول لى عجب الناس من طيب رائحة يدك قال الناقل لهذا الحديث ولم تزل رائحة الطيب تخرج من يد إبراهيم حتى قبض رحمة الله عليه:

قلوب بتقوى الله والذكر عامره	وأوجههم بالقرب والبشر زاهره
يناجون مولاهم بفرط تضرع	وأنوارهم من بهجة الحق باهره
ينادهم الرحمن أنتم أحبتى	وأرواحهم شوقا إلى القرب طائره
إذا اجتمعوا فى خلوة الذكر والدجا	بمقعد صدق والزجاجات دائره

ترى أعين العشاق نحو حبيبهم — إلى ذلك الوجه المقدس ناظره
فيا نفس هذا مشرب القوم فاشربى — عسى أن تكونى عند ذلك حاضره
وتحظى برؤيا من بحسن جماله — غدت ألسن المداح تتلو مفاخره
رسول أتى والشرك كالليل حالك — فجلى بأنوار الرشاد دياجره
رؤوف رحيم شاهد متوكل — سراج منير فاز من كان زائره
فلو شاهدت عيناك زوار قبره — وأعينهم كالسحب بالدمع ماطره
وتأتى وفود العاشقين صبابة — إلى نحوه من كل فج مبادره
لتهدى نفوساً حجبت فى ظلامها — وكانت ضلالا قبل ذلك حائره
وهبت لها من ذلك الحى نسمة — وأنفاسها من طيب رياه عاطره
فيا أيها المختار من آل هاشم — ومن كرم الله الكريم عناصره
أغثنا جميعاً فى غد بشفاعة — فأنت لكسر القلب ما زلت جابره
عليك سلام الله ما ذر شارق — ولاحت نجوم فى دجا الليل نائره

*****

المجلس الثانى والثلاثون
فى مناقب الإمام أبى حنيفة رضي الله عنه

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود الموصوف بالكرم والفضل والجود المنزه فى وحدانيته عن الأبناء والآباء والجدود والمقدس فى ذاته عن الصاحبة والمصحوب والولد والمولود العليم بأعداد الرمل والقطر وحبات السنبل والعنقود البصير بحركات الدر فى البحر والبر تحت ظلام الديجور والليالى السود حكيم الذى فجر الأنهار من صميم الجلمود وأخرج رطب الثمار من يابس العود لا تمثله الأفكار ولا تحويه الأقطار ولا ينهيه المقدار ولا تنفيه الأعصار ولا تدركه الأبصار وهو الواحد المعبود المعطى الذى لا مانع لما أعطى ولا دافع لما قضى الكريم الذى جاد لعبده بجزيل رفده وكم رآه عن بابه معرضا الحليم الذى ستر العاصى بحلمه ورأفته وقد رآه لمعصيته متعرضاً الغفار الذى يغفر الذنوب ويستر العيوب عما مضى القهار الذى قهر الجبابرة وكسر الأكاسرة وضرب بسوط بعاده من سل سيف عناده فسبحان من حير الأفكار فى مدارك سبحات جلاله العظيم وأزهل العقول عن الوصول إلى كنه ذاته القديم وأخرس الألسن عن عبادات إشارات سر أفعاله بعد الفصاحة والتكليم وأدهش الخواطر عن

الإحاطة به فلا يرام بالتوهيم فهو الكـريم الماجد القديم الواحد المنزه عن الولد والوالد المقدس عن المشارك والمساعد المتعالى عن المشابه والمماثل والمضاد والمعاند المشكور على جميـع النعم المحمود بـجميع المحامد الـذى أسبل ستره الجمـيل على عبده الـعاصى الذليل وهو إليه ناظر ومشاهد فهو المعروف بالربوبية الموصوف بالألوهية المنفرد بحقيقة الوحدانية تنزه عن الأوهام الخـيالية وتعزز فى بقائه عن الفناء والمثلـية عالم بكل خفية وجلية حارت العقول فى عظمته وكلـت الافكار عن إدراك صمديته فلا تعرف العلوم العقلية فسبحانه من إله تعالى عن المماثل والمناسب وجل عن المشارك والمصاحب يقبل التائب ويجـيب الآيب وليس على بابـه بواب ولا حاجب من أمل سواه فهـو الشقى الخائب ومن أنـاخ بباب كرمه ظفر بنـيل المآرب ومن ذاق حلاوة أنسه رأى مـن لطفه عجائـب الغرائب ومن أعـرض عن سواه رفعه ورقى إلـى أرفع المراتب يزيـل الضرر ويجبر من انكسر وينادى فى السحر هل من مـستغفر هل من تائب ويستعرض حوائج السائلين ويجود على التائبين بخلع القبول والمواهب.

إله جل عـن شبه ومثل وعـن ند يعد وعن صاحـب تفرد فى علاه فـلا شريك ينازعه ولا ضد محارب تحجب حيث شاء فلا يدانى وجل عن المماثل والمناسب.

تجلى للقلوب فليس يخفى وهل يخفى الحبيب على الحبائب

فسبـحانه من إله شهـدت له السموات وما فـيها من العـجائب وأقرت بربوبـيته الأرضون فى مشارقـها والمغارب واصطفى محـمداً ﷺ نبيه المبعوث بـالدين الواصب الموصوف بأحسن الأوصاف وأجل المناقب الذى شرف الله به الوجود وكمل به السعود وبلـغه أسنى المـطالب والمآرب واخـتار أصحابـه بالنجـباء وخلفـاءه الكرماء الأخـيار الأطايب وخص التـابعين لهم بإحسان من أمتـه القائمين بشريعة الإسـلام على توالى الزمان واختار مـنهم أربعة أقاموا قواعـد الإيمان ودعوا العباد إلى عبـادة الملك الديان فملـؤا بعلومـهم الآفاق والبلـدان وسارت بها الـركبان إلى كل مـكان فمنـهم الإمام الشافعى المتصل نسبه بالشرف إلى عدنان ومنهم الإمام الأصبحى مالك بن أنس الرفيع القدر والشان ومنهم الإمام أحمد بن حنبل الذى سلك بعلمه الطريق الأحمد فى السر والإعلان ومنهـم الإمام الكوفى أبو حـنيفة النعـمان فهؤلاء الأربعة الـسادات الأعيان الذى نفع الله بهم وبعلومهم الناس فزال عنهم البأس والجهل والبغى والطغيان:

فالشافعى له علوم تشرق	بين الورى وله ثناء يعبق
ولمالك نشرت علوم ما لها	حد كبحر زاخر يتدفق
ولأحمد تعزى العلوم لأنه	يروى الحديث وصدقه متحقق
وأبو حنيفه سابق فلأجل ذا	آثاره وعلومه لا تسبق
فهم الأئمة خصهم رب العلا	بالفضل منهم فشأوهم لايلحق

وأبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى رضوان الله عليهم أجمعين ولد بالانبار سنة ثمانين ومات سنة مائة وخمسين وعاش سبعين سنة وكانت ولادته فى عصر الصحابة وتفقهه فى زمن التابعين، قال أبو بكر بن ثابت المؤرخ رضى الله عنه ويقال: إن أبا ثابت هو الذى أهدى الفالوذج لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يوم النيروز وقيل كان ذلك يوم المهرجان وكان ثابت أبو أبى حنيفة يقول أنا فى بركة دعوة صدرت من على رضى الله عنه فى حقى وقال السيد الحسيب النسيب أبو عبد الله محمد بن على الحسين أخبرنى أبو العباس بن مسلمة قراءة عليه عن أبى البطى حدثنا ابن خيرون أخبرنا الضمرى قال كان أبو حنيفة حسن السمت والوجه والثوب والنعل والمواساة لكل من طاف به ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وكان من أحسن الناس منطقا سقطت فى حجره حية فقام الناس عنه فنفض الحية وهو فى مكانه لم يتغير وعن أبى نعيم إنه كان يقول كان أبو حنيفة حسن الوجه والثياب طيب الريح حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لإخوانه وكان عابدا زاهداً عارفاً بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله بعلمه فأما كونه عابداً فيعرف بما روى عن ابن المبارك إنه كان أبو حنيفة له مروءة وكثرة صلاة، وروى حماد بن أبى سليمان إنه كان يحيى الليل كله وقال على بن يزيد الصدائى رحمه الله رأيت أبا حنيفة ختم القرآن فى شهر رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار وقال أبو الجويرية رحمه الله لقد صحبت حماد ابن أبى سليمان وعلقمة بن مرثد ومحارب بن دثار وعون بن عبد الله وصحبت أبا حنيفة فما فى القوم أحسن ليلا من أبى حنيفة لقد صحبته ستة أشهر فما منها ليلة وضع جنبه فيها وروى إنه كان يحيى نصف الليل وأشار إليه إنسان وهو يمشى وقال لغيره هذا هو الذى يحيى الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله.

للإمام النعمان فضل عظيم	حيث للدين قد أقام منارا
سنه ضاحك ويعلن حزناً	ألهب الخوف فى الحشا منه نارا

لم يـزل يكتم الـتهجد حـتى	فات من خشيـة الإله اصطبارا
ليـله قـائم يـصلـى ويبـكى	وإذا جاء الصـبح صام النـهارا
لـو تـراه إذا هدت كـل عـين	باكـيا يـسفح الـدموع الـغزارا
إن هذا هـو الكريم عـلى الله	لـه صـيـر الجـنــان قــرارا

وأما زهده فقـد روى عن بشر بن الوليد كـان أبو جعفر أمير المؤمـنين أرسل إلى أبى حنيفة وأراد أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه أبو جعفر لتفعلن فحلف أبو حنيفة لا يفعل فـقال الربيع لأبى حنيـفة ألا ترى أمير المؤمنين يـحلف فقال أبو حنيـفة أمير المؤمنين أقدر مـنى على كفارة يمينه فأمـر به إلى السجن فمات فى الـسجن ودفن فى مقابر الخيزران وفى مـوضع آخر إن أبا جعفر المنصور دعا أبى حنيـفة وسفيان الثورى وشريكا فـدخلوا عليه فـقال لسفيان هـذا عهدك على قضـاء البصرة فالحق بـها وقال لشريك هذا عهدك علـى قضاء الكوفة فامض إليها وقال لأبى حنـيفة هذا عهدك على قضاء مدينتـى وما يليها فامض وقال لحاجبـه توجه معهم متوكلا بهم فـمن أبى منهم فاضربه مائة سوط فأما شريك فإنه تقلد القضاء وأما سفيان فإنه هرب إلى اليمن وأما أبو حنيفة فإنه لم يقبل فضـرب مائة سوط وحبس إلى أن مات رضى الله عنه ورحمه رحمة واسعة، وروى إنه ذكـر أبو حنيفة عند ابن المباك فقـال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها فنفر منها.

وروى عن محمد بن شجـاع عن بعض أصحابه إنه قيل لأبى حنـيفة قد أمر لك أبو جعفر أمـير المؤمنين بعشرة آلاف درهم قال فـما رضى أبو حنيفة فلـما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى بـالمال فيه صلى الصبح ثم تـغشى بثوبه فلم يتكـلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكـلمه فقال من حضر لا يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أى هذه عادته فقال ضعـوا المال فى هذا الجراب فى زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقـال لابنه إذا مت ودفنونى فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قطبة، فقل له: هذه وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة، قال ابنه: ففعلت، قال الحسن: رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحاً على دينه وأما علمه بطريق الآخرة وأمور الدين ومعرفـته بالله عز وجل فتدل على شدة خوفه مـن الله تعالى وزهده فى الدنيا وقد قال ابن جريج رحمه الله بلغـنى أن النعمان بن ثابت شديد الخوف من الله عز وجل وقال شريك النخعى رحمه الله تعـالى: كان أبو حنيفة رضى الله عنه طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للـناس وهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطن

والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتى الصمت والزهد أوتى العلم كله.

قد غدا فى الزمان أسمى وأعلى	زاده الله منه نبلا وفضلا
صار فى مجمع العلوم إلى حد	التناهى فليس يلحق أصلا
ذو بيان ما أشكل الخطب	إلا حله فضله عى الفور حلا
وغدا فى السماح مثل سحاب	لمعت نار برقه فاستهلا
حل أرض العراق فاعتاض منه	أهلها العلم فارتووا منه نهلا

ويروى أن أبا حنيفة رضى الله عنه كان يوما جالساً فى المسجد فدخل عليه طائفة من مقدمى الخوارج شاهرين سيوفهم فقالوا: يا أبا حنيفة نسألك عن مسألتين فإن أجبت نجوت وإلا قتلناك قال: اغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشتغل قلبى قالوا: كيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها فى رقبتك فقال: سلوا إذن فقالوا جنازتان على الباب إحداهما رجل شرب الخمر فغمض فمات سكران والأخرى امرأة حملت من الزنا فماتت فى ولادتها قبل التوبة أهما كافران أو مؤمنان والقوم الذين جاءوا يسألون مذهبهم التكفير بذنب واحد فإن قال مؤمنان قتلوه فقال من أى فرقة كانا من اليهود قالوا لا قال من النصارى قالوا لا قال من المجوس قالوا: لا قال: من عبدة الأوثان قالوا لا قال ممن كانا قالوا من المسلمين قال: قد أجبتم قال وكيف قال قد اعترفتم إنهما كانا من المسلمين ومن كانا من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين قالوا هما فى الجنة أوفى النار قال أقول فيهما ما قال إبراهيم خليل الرحمن ﷺ فى حق من هو شر منهما **﴿فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم﴾** وأقول ما قال عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام فيمن هو شر منهما **﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم﴾** فتابوا واعتذروا إليه.

وحدثنا صالح بن محمد عن يوسف بن رزين عن أبى حنيفة رضى الله عنه قال رأيت فى المنام كأنى نبشت قبر رسول الله ﷺ فأخرجت عظاما فاحتضنتها قال فهالتنى هذه الرؤية فدخلت على ابن سيرين فقصصتها عليه فقال: إن صدقت رؤياك لتحيين سنة محمد ﷺ وحدثنا يوسف بن الصباغ قال قال لى رجل رأيت كأن أبا حنيفة نبش قبر النبى ﷺ فسألت عن ذلك ابن سيرين ولم أخبره من الرجل قال هذا رجل يحيى سنة رسول الله ﷺ وكانا أبو حنيفة رضى الله عنه يقول ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن أصحابه اخترنا منه ولم نخرج عن قولهم وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وأما غير ذلك فلا يسمع

لقد أيد الله الإمام بعـلمه وقد رد حزب الجهل بالعلم معـروف وقد ملأ الآفاق فضلا بعلمه.

وكم جاءه فـي الكشف لـلضر ملـهوف — وكـم من مـنامـات رآهـا له الـورى
وكـم نفـعتـهم مـن نـهاة الـتصـانيـف — وكم من كـرامات حكى القطـر عدها
فلا الفضل محـجوب ولا الحق مصروف — فـهـذا هـو الـنعـمـان حـقـا وإنـه
له عند رب العرش فى القدر تشريف

وأما تأدبه عند مجالـسة العلماء فحدثنا أبو هاشم أيوب بن عـبد الرحمن حدثنا محمد بن رشيد صـاحب عبد الرحمن بن أبى القاسم عن يوسـف بن عمرو عن عبد العزيز الدراوردى قال رأيت أبا حنيفة ومـالك بن أنس فى مسجد رسول الله ﷺ بعد العشاء الآخرة وهما يتذاكران ويتدارسان حتى إذا وقف أحدهما على القول الذى قال به أمسك الآخر من غير تعنيف ولا تغيير ولا تخطـئة حتى صلينا الغداة فى مجلسهما ذلك رضى الله عنهـما وأما إنصافه واعترافـه فإنه رضى الله عنه كان يقـول قولنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحـسن منه فهو أولى بالصواب، وأما قيامه لله تعالى حق القيـام فإنه كان إذا رأى منكر أذهب ذلك اللين فظـاظة واحمرت عيناه وانقلـبتا فى أم رأسـه وانتفخت أوداجـه وما رأى منكـراً قط إلا أزاله وأما تـأدبه مع السلف فيروى إنه سئل رضى الله عنه عن علقمة والأسود أيهما كان أفضل فقال والله ما بلغ قدرى أن أذكرهمـا إلا بالدعاء والاستغفار إجلالا لهما ولا أفضـل بينهما وأما كرمه رضى الله عنه فقال قيس بن الربيع: كان أبو حنيفة يجمع ما يكتسبه من بضائعه فيشترى بـه الكسوة للمشايخ المحدثـين وما يحتاجون إليه ويقول: احـمدوا الله تعالى فهو الذى أعطاكم فو الله ما أعطيتكم من مالى شيئا وكان رضى الله عنه إذ جلس إليه الرجل يسأل عنه فإن كـان به فاقة أعطاه فجلس إليه رجل عليه ثـياب رثة فلما تفرق الناس عنه أمره بالـقعود حتى خلا به فقال له: ارفع هذا المصـلى وخذ من تحته ألف درهم أصلح بـها حالك فقال الـرجل: أنا موسر وأنا فى نـعمة فقال له: أمـا بلغك الحديث **«إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نـعمته على عبده»** فينبغى لك أن تغير حالك حتى لا يغمم بك صديقك.

لأبـى حنـيفـة فى الـعلـوم منـار — مـلـئـت بـهـا الآفاق والأقـطـار
شيخ البـرية فى العلوم ومـن له يد — تـروى المنـاقـب عـنه والأخـبـار
مـتـــعـبـد لله طـــول حـيـــاتـه — وعـلـيه مـنـه سـكـينـة ووقـار

قد كان يحيى ليله متهجدا	وله بكل وظيفة أذكار
وعطاؤه قد كان سحا فى الورى	وله بذاك على الأنام فخار

وكان رضى الله عنه لا يكلمه أحد فى حاجة إلا قضاها وأما ورعه عما دخله الشبه فعن حفص بن عبد الرحمن وكان شريك أبى حنيفة أن أبا حنيفة كان يتجر عليه ويبعث إليه بمتاع ويقول له فى ثوب كذا عيب فبين إذا بعته فباع حفص المتاع ولم يبين ونسى فلما علم أبو حنيفة ذلك تصدق بثمن الثياب كلها ومن ورعه رضى الله عنه أن شاة سرقت فى عهده فلم يأكل لحم شاة مدة تعيش الشاة فيها، وروى أن الخليفة بعث إلى أبى حنيفة وابن أبى ذئب بمال فقال ابن أبى ذئب: إنى لا أرضى له بهذا المال فكيف أرضاه لنفسى، وقال أبو حنيفة لو ضربت أن أمس منه درهما مسسته، وروى أن الخليفة دعاه فقال يا أبا حنيفة كم يحل للرجل الحر من النساء الحرائر فقال أربع فقال الخليفة اسمعى يا حرة فقال أبو حنيفة على البديهة يا أمير المؤمنين لا يحل لك إلا واحدة فغضب الخليفة وقال الآن قلت أربع فقال يا أمير المؤمنين قال الله تبارك وتعالى: ﴿**انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة**﴾ فلما سمعتك تقول اسمعى يا حرة عرفت أنك لا تعدل لهذا قلت لايحل لك إلا واحدة فلما خرج أبو حنيفة بعثت زوجة الخليفة إليه ألف دينار وأنفذت تشكره وتثنى عليه فلم يقبلها أبو حنيفة وردها وقال للرسول قل لها ما تكلمت لأجلك وما تكلمت إلا لأجل الله فأجرى على الله.

وكان رضى الله عنه كثير الخوف والصدقة قال الخطيب كان أبو حنيفة إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وإذا اكتسى ثوباً جديداً كسا بقدر ثمنه العلماء وكان إذا وضع بين يديه الطعام ترك منه الخبز بقدر ما يؤكل ثم يطعمه لإنسان فقير ولمن فى بيته يحتاج إليه وكان يؤثر رضا ربه على كل شىء ولو أخذته السيوف فى الله لاحتمل وكان دائما يتمثل بهذين البيتين:

عطاء ذى العرش خير من عطائكمو	وفضله واسع يرجى وينتظر
تكدرون العطا منكم بمنتكم	والله يعطى فلا مَنٌّ ولا كدر

وقال محمد بن الحسين الليثى: قدمت الكوفة فسألت عن أعبد أهلها فدفعت إلى أبى حنيفة ثم قدمتها وأنا شيخ فسألت عن أفقه أهلها فدفعت إلى أبى حنيفة، وقال مسعر بن كدام وكان مشتهراً بالزهد والاجتهاد، أتيت أبا حنيفة فى مجلسه فرأيته

يصلى الغداة ثم يجلس للناس للعلم إلى أن يصلى الظهر ثم يجلس إلى العصر فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلى العشاء الآخرة فقلت فى نفسى هذا الرجل فى هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة لأتعاهدنه الليلة قال فتعاهدته فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد فانتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر ودخل منزله ولبس ثيابه وخرج إلى المسجد ففعل كفعله اليوم الأول فلما جاء الليل تعاهدته ففعل كفعله الليلة الماضية قال فقلت لألزمنه إلى أن أموت أو يموت قال ابن أبى معاذ فبلغنى أن مسعرا مات فى مسجد أبى حنيفة فى سجوده وعن محمد بن الحسن قال حدثنى القاسم بن معن أن أبا حنيفة رضى الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿**بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**﴾ فلم يزل يرددها ويبكى ويتضرع إلى أن طلع الفجر.

وقال حفص بن عبد الرحمن: كان أبو حنيفة يحيى الليل بقراءة القرآن فى ركعة ثلاثين سنة، وقال أسد بن عمرو صلى أبو حنيفة رضى الله عنه الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه وقيل إنه ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه ستة آلاف مرة وقال ابن أبى زائدة صليت مع أبى حنيفة العشاء الآخرة وخرج الناس وأنا فى المسجد أريد أن أسأله عن مسألة وهو لا يعلم أنى فى المسجد فقرأ حتى بلغ قوله تعالى: ﴿**ووقانا عذاب السموم**﴾ فلم يزل يرددها حتى طلع الفجر ويروى أنه من شدة خوفه سمع قارئا يقرأ ليلة فى المسجد ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها**﴾ فلم يزل قابضا على لحيته إلى الفجر وهو يقول تجزى بمثقال ذرة فرحمة الله عليه ورضوانه.

إن ترد فى أبى حنيفة وصفا	فالرواة الثقات عنه تشير
كان شمسا يضىء بالعلم حقا	وهو فى النفس بالعلوم الأمير
كان شيخ الإسلام قدوة	خلق الله حقا لما اقتضاه القدير
لم يزل وجهه جميلا بهيا	خاشعا لا يشوبه تكدير
معرضا عن حطام دنيا تلهى	كل عقل بحبها مأسور
قد تساوى لديه تنزيه نفس	عن حطام قليلها والكثير

وأما وفاته فحدثنا أحمد بن كامل وعبد الباقى بن قانع قالا: تُوفى أبو حنيفة رضى الله عنه ببغداد فى رجب أو شعبان سنة خمسين ومائة وبلغ سبعين سنة قيل: إنه سقى السم فمات رحمه الله وصلى عليه قاضى القضاة الحسن بن عمارة فى جمع عظيم،

وأما رؤيته بعد الموت فحدثنا جعفر بن الحسن قال رأيت أبا حنيفة فى المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى وعن على بن الحسن قال حدثنا على بن مسلمة قال سمعت عبد الحميد بن عبد الرحمن الجمانى يقول رأيت فى المنام كأن نجما سقط من السماء فقيل أبو حنيفة ثم سقط نجم آخر فقيل مسعر ثم سقط آخر فقيل سفيان فمات أبو حنيفة قبل مسعر ثم مسعر قبل سفيان وحدثنا خلف بن سالم قال حدثنا صدقة وكان صدقة مجاب الدعوة أنه لما دفن أبو حنيفة رحمه الله فى مقابر الخيزران سمعت صوتا ثلاث ليال يقول:

ذهب الفقه فلا فقه لكم ... فاتقوا الله وكونوا خلفا
مات نعمان فمن هذا الذى ... بعد يحيى ليله إن سجفا

وقال بعضهم فى وفاته:

ألا كم لنعمان علوم سوابق ... ويعزى له فضل وتنمى حقائق
وزهد ولطف زانه وتفرد ... معارف شاعت فى العلا وطرائق
فلله يوما حان فيه حمامه ... فكادت له تهوى الجبال الشواهق
وغص به كل الأنام فذا شج ... كئيب وذا باك وآخر شاهق
ويعلو وقار نعشه وسكينة ... وكل فؤاد قد غرق وهو خافق
وقاموا صفوفا للصلاة كأنهم ... سطور وهاتيك البقاع مهارق
تحفهمو فيها الملائك خشعاً ... ومن حوله حور حسان عواتق
وقد حسد المسك التراب لطيبه ... بقبر له فالطيب من ذاك عابق
وفتحت الجنان يوم قدومه ... يقبله رضوانه ويعانق
وكم من منامات رآها أولو النهى ... له فهى بالإسناد عنه توافق
وكم من علوم واجتهاد بفقهه ... يصون حماها حافظ منه صادق
وكم حل أشكالا وكم من أدلة ... تشد إلى معناه فيها الأبابق
وحدث خير الورى عند قبره ... أحاديث صدق وهو بالنقل واثق
وأحيى بعلم الفقه سنة أحمد ... نبى له قلب المتيم شائق
نبى الهدى جالى الصدر قامع العدى ... مزيل الردى يوما تحق الحقائق
شفيع الورى خير الأنام محمد ... ومن فضله فى الخلق والذكر سابق
أحن إليه كل وقت وأنثنى ... وقد عوقتنى عن لقاه العوائق
لئن أوصلتنى أرض نجد مطيتى ... وزرت حماه الرحب والدمع دافق
كحلت عيونى من تراب ضريحه ... ومن لى به كحلا لعينى يوافق
عليه صلاة الله ثم سلامه ... مدى الدهر والأزمان ما ذر شارق

المجلس الثالث والثلاثون
فى ذكر كرامات الأولياء رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى ظهر بالبرهان وتجلى وتصرف فى الأكوان فعزل وولى ووفق من شاء من عباده فجاهد فى الله حق جهاده وأولى أقامه فى الليل لخدمته فجاهد فى طاعته وتلذذ بمنادمته والسعيد من بات بمشاهدة مولاه يتملى وسقاه من شراب قربه بكؤوس حبة فنادى بلسان ذوقه وقلبه على جمرات شوقه يتقلى:

هذه الكاسات فى الأسحار تجلى ... ما ترى الساقى علينا قد تجلى
زالت الوحشة بالأنس وقد ... قيل يا من يطلب الوصل تملى
دولة الهجر تولت وانقضت ... والذى قد كان معز ولا تولى
أيها الأحباب هذا وقتكم ... إن عزمتم فابذلوا الأرواح بذلا
خلوة الليل خلت من عاذل ... والذى تهواه لا يسمع عذلا
واحد منفرد فى ذاته ... عنه آيات صفات الحسن تتلى

فسبحان من نظر بحسن أصفائه إلى أوليائه ومنحهم من عطائه نعما وفضلا أعطاهم ومناهم واختبرهم وابتلاهم فشكروا على ما أعطى وصبروا على ما أبلى سبقت لهم العناية بالسعادة فى سابق الإرادة.

مذ شهدت الحبيب جهراً تجلى ... همت شوقا ونلت قربا ووصلا
فلهذا عرفت فيه جهارا ... بشهود الهوى وكأسى تملى

وجاد بالمزيد على أبى يزيد فلزم التجريد وشطح على كل مريد بالمورد الأحلى ونادى بلسان حاله مترجما عن وجده وبلباله متعجبا بأحواله مدلا.

ويح من لم يكن لوصلك أهلا ... ذاك عن قصده تباعد جهلا
لو يذوق الغرام فى الحب أضحى ... مستهاما بنارها يتقلى

وشعشع شموس العناية للشبلى فبات لأنوار الهداية يستجلى ولأسرار المحبة يستملى إذ شرب بين الناس بالكاس الأملى وخاطبه فى خلوة أنسه وقال له بنفسه مرحباً وأهلا وسهلا.

كاس شوقى من دون ذوقى تملى ... وعروس الرضا لعينى تجلى
لو ترانى وقد برانى نحولى ... هو عندى أهنى لقلبى وأحلى

وتفضل على الـفضيل فشمر فى خدمتـه الذيل وسار فى نيل التحقـيق بعد قطع الطريق مستقلا وأصلح بالمصالحة أسرار قلبه وناداه وقد جمع له بقربه شملا.

قد عفونا عما مضى منك فضلا ... مذ رأيناك للتواصل أهـــلا

ثم قلنا لـمـا أتيت منيـبــــــاً ... مرحباً مرحباً وأهلا وسهلا

وأدار صرف المزاج على الحلاج فسكر وخرج عن المنـهاج وبات بنار شوقه يتقلى ونادى بلسان وجده وقد خرج عن حده لما رأى ساقى شهوده فى وجوده قد تجلى.

سـاقـى الـراح لا تـزدنـى مـهـلا ... أما ترى الـقوم من شرابك قـتلى

يا حـبيـب القلـوب أنت لـقلـبى ... كـعبـة الحسـن للـخلائـق تجلـى

جئـت أسعى عـلى جفـونى إليـها ... قيـل لى لن تنـال السعـى وصلا

قـلت إن جـئت زائـرا تـقبـلونـى ... إن كـنــت لـلـتـواصـــل أهـلا

قـلت قـدمت فـى هواكـم غراما ... قـيـل لـى هـكـذا يـكـون وإلا

أيـها الخـاطب الـذى جاء يـبغـى ... من حـمانـا قربا ويـطلـب وصلا

غض عـن غير حسـننا كـل طرف ... وتـهـنـى بـحـســنـنـا وتمـلـى

وإذا جـئت فـامدد الـكـف فقـرا ... فـى الديـاجـى وعـفر الخـد ذلا

واعتـرف بالذنـوب وابك الخطـايا ... وزمـان مـضـى وعـمـرا تـولـى

ثـم لـذ بالـنـبـى خـيـر البـرايـا ... والـذى فى الإسـرا دنـا فـتدلـى

ثـم صلـى عـليـه فـى كل وقـت ... فـعـلـيـه رب الخـلائـق صـلـى

عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه قال مـرض رجل من أولياء الله تعالى مرضاً شديدا فكان الناس إذا رأوه قالوا به جنون فأكثروا عليه فلما عظم كلام الناس فى أمره قالوا له نعالجك فقال لهم يا قوم اعلموا أن لـى طبيباً إذا سألته داوانى لكننى لا أسأله أن يداوينى فقيل له ولم ذلك وأنت محتاج إلى الدواء فقال: أخشى إن برئت من هذه العلة طغيت فقيـل له إن عندنا مجنونا فاسأل طبيبك هذا أن يـداويه قال: نعم ائتونى به فأتوه برجل فى عنـقه غل عظيم ويداه مشدودتان إلى عنقه فقـال لهم: خلوا بينى وبينه وأدخـلوه معه فى البـيت وأغلقوا عليـهما الباب وهم يـظنون أنه سيفـضى إليه بمكروه فلما كـان بعد ساعة صاحوا به فأجابـهم وخرج إليهم وسلم عليـهم وكلمهم بكلام عاقل وهو يبكى بكاء شديداً فقالوا له: أخبرنا بقصتك وما كان منك ومنه فقال دخلت على هذا الرجل وأنا على ما قد علمتم لا أعقل شيئا كما رأيتمونى فقربنى منه وأدنانى وجعل يده على صدرى والأخرى على رأسـى فأحسست بالعافية وزال ما بى

فقالو له ادخل معنا إليه لنسأله أن يدعو الله عز وجل لنا فدخل مع القوم إليه فلم يجدوه فى البيت وستره الله عز وجل عن أعينهم قال سهل: وهذا رجل من بيت المقدس يقال له إدريس بن أبى خولة رضى الله عنه.

أهل المحبة ما نالوا الذى وجدوا … حتى لربهم فى الخلوة ما انفردوا
تراهم الدهر لا يمضون من بلد … إلا وتبكى عليهم ذلك البلد
لا يعطفون على أهل ولا ولد … ولا ينامون إن كان الورى رقدوا
فالذكر مطعمهم والشكر مشربهم … والوجد مركبهم من أجل ذا سعدوا
لا يبرحون عن أبواب سيدهم … ولا يريدون إلا من له عبدوا
فالشوق يضرم نارا فى قلوبهم … ونارهم فى دجا الظلماء تتقد
مساجد الله مأواهم ومسكنهم … وعيشهم طيب فى قربه رغد

قال الجنيد رحمة الله عليه: حججت سنة من السنين وجاورت بمكة شرفها الله تعالى فجئت يوما إلى بئر زمزم لأرتوى منه فلم أجد بها حبلا ولا سقاء ولا ركوة فبينما أنا كذلك إذ دخل عبد أسود ومعه ركوة وحبل فدلاهما فى البئر فلم يصلا فرفعهما وقال وعزتك لئن لم تسقنى لأغضبن فإذا بالماء قد طفح على جانب البئر فتوضأ وشرب وملأ ركوته ثم عاد إلى قعر البئر قال الجنيد فلما خرج تبعته وقلت حبيبى على من كنت تغضب فقال يا جنيد ما هو كما خطر لك كنت أغضب على نفسى لا أسقيها الماء إلى يوم القيامة فلما علم سيدى صدق الدعوى أنبع لى الماء ثم غاب عنى فلم أره.

قوم أقاموا وداموا على العهود وراقبوا … حبيهم واستقاموا فى السر والأجهار
طوبى لهم إذا وافوا إليه من دون الورى … وبادروا بالطاعة فى خدمة الجبار
لبوه لما دعاهم وقدموا أرواحهم … وأقبلوا لحماه من سائر الأقطار
لهم حقائق دقائق على الخلائق تنعجم … محلها من بوارق خوارق الأفكار
هبت عليهم نسمة فاستنشقوا من نشرها … شذا الحبيب ومنها تنسموا الأخبار
وحين وافت وطافت تفردوا وتجردوا … عن الوجود وولوا عن سائر الأغيار
قلوبهم معمورة بحب مولاهم فلا … يضرهم فى الظاهر ملابس الإنكار
باعوا النعيم الفانى وحققوا واستيقنوا … بأن هذه الدنيا ليست بدار قرار
أباحهم مولاهم يوم القيامة والجزا … جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار
فعندما يدخلونها تقبل تنادى الملائكة … بشراكم إذ صبرتم فنعم عقبى الدار

قيل لمعروف الكرخى رحمة الله عليه: يا معروف بماذا أنت معروف بأى وصف فى المحبة موصوف فقال يا قوم ويحكم هل يجهل المعروف أو ينكر المألوف وهل يخفى القمر إلا على البصر المكفوف أما تنظرون إلى قلبى المشغوف الملهوف وعقلى المخطوف وكم قرأت فى رموز مشكلها من حروف حتى صرت من أهل المحبة معروف لكان عن طريق السعادة مصروف فإن المستور بأثواب غروره مكسوف والمتبهرج بدعوة ترد عليه الزيوف.

جسدى على حكم الضنى موقوف	أبدا وطرفى بالبكاء مطروف
والقلب حول حماكمو ورضاكمو	يسعى على قدم الصفا ويطوف
فبحسنكم قلبى يهيم صبابة	وبحبكم أبداً أنا موصوف
وبوصلكم قد عذت من هجرانكم	فأنا الحزين وقلبى الملهوف
وبكم عرفتم فكيف تنكر حاجتى	والفضل أن لا ينكر المعروف
مالى سوى أبوابكم يا سادتى	والقلب من هجرانكم مرجوف
حاشاكمو أن تطردوا عبدا لكم	عن بابكم قد جاء وهو مخوف
يبغى الأنام ومنكمو يرجو الرضا	والستر فهو لديكمو مكشوف

قيل للفضيل بن عياض رحمة الله عليه: يا فضل أخبرنا كيف جذبتك يد التوفيق من قطع الطريق وكيف نقلت من فريق الشقاوة إلى أسعد فريق فقال: يا قوم كنت ضالا عن الطريق بعيداً عن التوفيق فأنقذنى مولاى من بحر الآثام وغمرنى بالإحسان والإنعام فقالوا كيف كان ذلك وكيف قربت عليك المسالك فقال بينما أنا يوماً قد خرجت لأقطع الطريق على المارة وتقودنى إلى الشر نفسى الأمارة غرنى الزمان واستحوذ على الشيطان فذهبت لأستلب الرقاب وأنتهب الركاب وأنا فى ظلمة الحجاب أتيه ولا أعرف لطريق الصواب باب إذ طلع على من مكان التوفيق كمين : **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾** فألقيت له سمعى وأجريت بالبكاء دمعى وطار قلبى وأثر ذلك فى رجوعى إلى ربى فقلت بلى والله قد آن وحان رجوعى إلى الرحمن وخوفى من العصيان ولكن لابد للخائف من أمان فجاءت بشائر القرآن يترجمان **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** ثم أنشد يقول:

عبدك فى معاصيه تمادى	وبارز وطغى وبغى عنادا
وها أنا واقف بالباب فردا	كما تأتى العبيد غدا فرادى

فكم سودت من صحف ولكن	ستور الحلم غطين السوادا
فواخجلى ومالى ثَم وجه	أواجههم ولا أعددت زادا
ولا مال يقربنى إليهم	ولا جاه يبلغنى المرادا
تراك معذبى يا نور عينى	وقلبى فيك قد أصفى الوداد
فإن يرضيك إبعادى وطردى	على رأسى لو أضنى الفؤادا
فبالله ما أهنا محب	إلى أحبابه ألقى القيادا
وما أشقى معنًّى قد تعنى	وعند الباب فانقلب ارتدادا
فيا مولاى جد بالعفو وارحم	كئيبا قد سها جهرا ونادى
أقلنى عثرتى يا رب واغفر	لعبد فى المعاصى قد تمادى

كان فى بنى إسرائيل رجل عابد فى كهف جبل لا يراه الناس ولا يراهم وعنده عين ماء يتوضأ منها ويشرب ويقتات من نبات الأرض وهو صائم النهار قائم الليل لا يفتر عن العبادة وعليه آثار السعادة فسمع به موسى عليه السلام فقصده فى النهار فوجده مشغولا بالصلاة والأذكار فقصده فى الليل فوجده مستغرقا فى مناجاة العزيز الغفار فسلم عليه موسى عليه السلام وقال: يا هذا ارفق بنفسك فقال: يا نبى الله أخاف أن أؤخذ على غفلة نحبى وأكون مقصراً فى خدمة ربى فقال موسى عليه السلام: هل لك من حاجة قال: سل مولاك أن يعطينى رضاه ولا يشغلنى بسواه حتى ألقاه فصعد موسى عليه السلام إلى المناجاة واستغرق فى لذة كلام مولاه فنسى قول العابد فقال له الحق سبحانه وتعالى: ماذا قال لك عبدى العابد فقال: إلهى أنت أعلم سألنى أن تعطيه رضاك ولا تشغله بسواك حتى يلقاك فقال: يا موسى اذهب إليه وقل له يتعبد ما شاء فى الليل والنهار فهو من أهل النار لما سبق له عندى من الذنوب والأوزار فأتاه موسى عليه السلام فأخبره بقول ربه وما سبق من عظيم ذنبه فقال مرحباً بقضاء ربى وحكمه وكل شىء بعينه وعلمه لا مرد لأمره ولا معقب لحكمه ثم بكى بكاء شديداً وقال يا موسى وعزته وجلاله ما برحت عن بابه ولا حلت عن جنابه ثم أنشد:

لو قطعنى الغرام إربا إربا	ما ازددت على الغرام إلا حبا
لا زلت به أسير وجدى وضنى	حتى أقضى على هواه نحبا

فلما صعد موسى عليه السلام إلى المناجاة وقال إلهى أنت أعلم بما قال العابد

قال: يا موسى بشره بأنه من أهل الجنة فقد أدركته الرحمة والمنة وقل له تلقيت قضائى بالصبر والرضا ورضيت منى بأصعب حكم وقضا فلو ملأت ذنوبك السموات والأرض لغفرتها لك وأنا الكريم الغفار فلما بلغه موسى ذلك خر ساجدا وحمد ربه وما زال فى سجوده حتى قضى نحبه.

نوح الحمام على الغصون شجانى ... ورأى العذول صبابتى فبكانى
إن الحمام ينوح من خوف النوى ... وأنا أنوح مخافة الرحمن
فلئن بكيت فلا ألام على البكا ... ولطالما استغرقت فى العصيان
يا رب عبدك من عذابك مشفق ... بك مستجير من لظى النيران
فارحم تضرعه إليك وحزنه ... وامتن عليه اليوم بالغفران

فيا أيها العبد المريب إلى متى يدعوك مولاك وأنت معرض لا تجيب وكم يتقرب إليك بإحسانه وأنت تبارزه بعصيانه وعليك منه رقيب، بادر بالتوبة إلى بابه ولذ بجنابه فهو منك قريب واسأله الهداية والتوفيق واقصده فى إفراج الهم والضيق فقاصده لا يخيب فإنه لداعيه مجيب وتب فى هذه الساعة إليه وتضرع بين يديه بالبكاء والنحيب فعسى يجتبيك بعنايته ويهديك بهدايته فإن الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب.

تعصى الإله وتغلق بابك لكيلا تفتضح ... فكل ما قد عملته عليك فيه رقيب
تزعم بأنك عاقل وأنت من أهل الوفا ... وتتبع شهواتك ماهذا فعل لبيب
انهض وداوى سقامك فذا أوان طبه ... قبل أن تجيك المنية ما ينفع التطبيب
وقم وهيئ زادك فقد دنا وقت السفر ... وراع غصن شبابك ما دام غصن رطيب

فيا أخى إلى متى تضيع عمرك وما نلت منه نصيب إلى كم يستحضرك إلى حضرة جنابه وأنت فى الغيب إلى متى أنت سقيم بعلة زلتك ولا تبدى شرح قضيتك إلى الطبيب. (كان وكان):

ارفع إلى محبوبك قصة ذنوبك فى الدجا ... فهو الطبيب المداوى ومن دعاه يجيب
حيث اتجهت رأيته حاضر معك فى خلوتك ... وحيث كنت وجدته معك فليس يغيب
فقم داوى سقامك واهجر منامك والكرى ... واخلص قيامك عسى أن تنال نصيب

فيا أيها الـغريق فى بحار الخطايـا والذنوب المعرض عن خدمة عـلام الغيوب إن كنت مستوحشا بالذنوب فباب الكريم مفتوح لن يتوب.

فانهض وبـادر بتوبه ثم اعتذر عـما مضى إلى متى أنت معرض عن الرضا محجوب

وقم وقول ارحـمونى وسامحونـى سادتى فكم عـملت قبـائح وكم ركبـت ذنوب

وها أنا جـئت تائب مـن ذلتى يا سـيدى فارحم خضوعى وذلـى ودمعى المكتوب

فيا أيها المريـد المنقطع عن حبل حبه المديـد لا تستبعد التوفيق فـكم من ضعيف محمول وكـم من منقطع موصول اركـب جواد همتك وضع قدم أقـدامك فى ركاب عزيمتـك وإن لم تملك زادا من الـتقوى فاجعل لـك زادا من الشكوى واقـدح به فى حراق قلبـك المحترق وارسل عليك سحـاب دمعك المتدفق فإذا صعـد دخان زفراتك وعلت أنفاس حسراتك قف على الباب منتظراً ماذا يكون من الجواب فإن سمعت فى العتاب من ذا القريب الواقف بالباب فقل:

العبد واقف بالباب وقوف سائل مفتقر منكس الرأس يبكى بدمه المسكوب

قلت الفقير رأس ماله ورأس قد خرب واحسرتى واعنائى بقلبى المنكـوب

فإن قيل لك فما الذى أبطأ بك عن مطلوبك وما الذى قطعك عن محبوبك فقل:

ما كنت أعرف بجهلى مقدار وصل أحبتى حتى هجرت فقلبى عن وصلهم محجوب

حتى متى بالقطيعة والصد عمرى ينقضى عودوا إلى الوصل عودوا وحياتكم وأتوب

فإن قيل لكم: فكم تتوب وتنقض ونتعرض لك وأنت عنا معرض:

من السعة إن سمحتم بالصلح قلبى ينصلح وينصـلح كل حالـى من كلى المـعيوب

ترى تزول الوحشة ونصطـلح بعد الغضب ونجتـمع بـعد فـرقة ونـبلـغ المطـلوب

وافر حـتى يوم أنـظر جمـال وجه أحبـتى ويشـتفـى بالـتلاقـى فؤادى المـكروب

وأزور قبـر الهادى خـير الأنـام المصطـفى الهـاشمـى التهـامى المجتـبى المحـبوب

صلـى عليـه وسلم رب الـسموات الـعلا ما دام قـلبى إليـه على الـدوام طروب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس الرابع والثلاثون
فى مناقب معروف الكرخى رحمة الله عليه

الحمد لله الرحمن الرؤوف الكريم العطوف المعروف بالمعروف الواحد الأحد الذى لا يتأثر بالوحدة ولا يتكبر بالآلوف الغنى فى ملكوته عن الوزير والمشير والآليف والمألوف العالم بما فوق النجوم وما تحت التخوم فستر الغيب عنده مكشوف استوى على العرش استواء منزها عن الحركة والجلوس والوقوف، أحمد الله سبحانه وتعالى لما دفع من المخوف وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لسانه بالصدق محفوف وكفه على الامتداد إلى غير الحق مكفوف وأشهد أن سيدنا محمدا ﷺ عبده ورسوله أرسله إلى الشريف والمشروف وبشر بالجنة الدانية القطوف وحذر من النار الحامية العسوف ولبس الصوف وانتعل المخصوف وكان من الله بمكان مكين ومقام موصوف اللهم صل على هذا النبى الكريم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الشيم الأنوف وسلم عليه وعليهم ما صف فى الصلوات من الجماعة صفوف.

هذا الولى الذى بالخير موصوف ... واسمه فى الورى لا شك معروف
هو الولى الذى أعطى كرامته ... حديث سن له بالبر مألوف
له الكرامات عند الله قد جمعت ... وشوقه زائد والطرف مطروف
ما نام عن خدمة لله ليلته ... وقد غدا السر منه وهو مكشوف

هو معروف وهو والله بالخير موصوف وكنيته أبو محفوظ واسم أبيه فيروز وهو منسوب إلى كرخ بغداد وكان أبواه نصرانيين وكان معروف فى صغره يصلى بالصبيان فكان يعرض الإسلام على أبويه فيضجان منه فأرسلاه يوما إلى معلم دينهما ليعلمه فأجلسه قدامه وقال: يا بنى أنت وأبوك وأمك كم أنتم فى العدد فقال ثلاثة فقال قل ثالث ثلاثة فصاحت به الغيرة إياك أن تذكر غيره فتهوى فى مهاوى الحيرة واحذر أن تجاوز من الأحد إلى أحد فتضرب بسياط البعد والكمد قال معروف فطاب إسماع هذا الخطاب ثم رفع الحجاب وزال الاحتجاب فرأيت كأساً من المحبة والإخلاص مكتوبا عليه بقلم القبول والاختصاص على الجانب الواحد **﴿وإلهكم إله واحد﴾** وعلى الجانب الثانى **﴿لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد﴾** وعلى الجانب الثالث **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾** وعلى الجانب الرابع **﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى﴾** فلما شربت ذلك الكاس ذهب عنى الباس وزال

الغى والالتباس فغبت فى سكرتى وطبت فى حضرتى وناديت بلسان فكرتى.

جسدى على حكـم الضنى موقوف أبـدا وطرفـى بـالبـكـا معـروف
والقلب حول حمـاكمو ورضاكمو يسعـى على قدم الصفـا ويطوف
وبكم عرفـت فكيف تنكـر حالتى والفـضل أن لا يـنكـر المعـروف

ثم قال المؤدب قل: ثالث ثلاثة فقال بل واحد أحد فضربه ضربا مبرحا ثم أحضره وقال له ثالث ثلاثة فقال بل واحد أحد فضـربه أشد من الأول وأمر أبويه فحبساه فى خزانة فمكـث فيها ثلاثة أيام كل يوم يرمـون له رغيفاً وشربة ماء فبـكت أمه وقالت لأبيه إن ولدك صغير وأخاف أن يعتريه فى هذه الخزانة جنون فأخرجه منها ففتحا عليه الباب فوجد الثلاثة أرغفة لم تكسر فراوداه على الخروج فأبى فقالا له ما تريد بحبسك فى الخزانة فقال إن الحبيب الذى حبستمانى من أجله وجدته عندى فآنسنى.

واحـد لا شىء يـشـبهـه أبـدا قـلـبـى يـوحـده
لـو رآه الجـاحـدون لـه لـرأوا لا شىء يـشـبهـه
هـو فـرد والـفـؤاد لـه عـن الجـمـيـع أفـرده
أنـا مـعـروف بـألـفـتـه يا عـذولى كـيف أنـكره
حينـما وجهت فهـو معى هات قل لى كيف أجحده

فلما ألحوا عليـه فى الخروج خرج وساح على وجهه وبقى أيامـاً لا يأكل طعاما ولا يذوق شرابا ولا يستظل بجدار وجعل أبواه يبكيان ويقولان: ليته يرجع إلينا على أى دين شاء فنـتبعه ونوافقه فـلما كان بعد مـدة طرق الباب فقيل مـن قال: معروف قالا: على أى دين أنت قال عـلى دين الإسلام فخرج إليه أبواه واعتنقـاه وأقبلا عليه وأسلما على يديه.

تعالـوا بنا نصـطلح فباب الرضا قد فتح
وداووا الفـؤاد الذى بسيف الجفا قد جرح
فـيا مـدعى حـبنـا دع الروح ثم انطرح
ووحـد جـمـالـى وقل للعذول استرح

وروى معروف الكرخى بإسناده عن أنس بن مالك وابن عمر رضى الله عنهم أن رجلا أتى إلى النبى ﷺ فـقال له: يا رسول الله دلنى على عمل يدخـلنى الجنة قال:

«لا تغضب» قال: فإن لم أطق ذلـك يا رسول الله قال: **«فاستغفر الله عز وجل كل يوم بعد صـلاة العصر سبعين مـرة يغفر لك ذنوب سبـعين عاما»** قال: فإن لـم يأت على ذنوب سبـعين عاما قال: **«يغفر لأمك»** قال: فإن مـاتت أمى ولم يأت علـيها ذنوب سبعين عاما قال: **«يغفر لأقاربك»**. قال ابن مردويه كنا جـالسين مع معروف الكرخى فلما كان ذات يـوم رأيت وجهه متهللا فقلت له: يا أبا مـحفوظ بلغنى أنك تمشى على الماء قال لى: مـا مشيت على الماء قط ولكن إذا هممت بالـعبور يجمع لى طرفاها فأتخطاها.

وقال محمد بن واسع رحمة الله عليه كـنت عند معروف أذان المغرب وجئت إليه من الغد فـإذا فى وجهه أثر فقلـت لشيخ إلى جانبـى كان أمس به بلة فقـال له يا أبا محفـوظ كنا عندك أمـس وما بوجهك هـذا الأثر وجئنا الـيوم وهو فى وجهـك فما السبب فى ذلك فقال معروف: لا تسأل عما لا يعنيك عافاك الله فقال الرجل سألتك بالله أى شىء سببه فقال معروف: ويحك ما حمـلك على هذا قال ثم تغير وجهه ثم قال: صليت البارحة ههنا العتمة واشتهيت أن أطوف بالبيت فمضيت إلى مكة شرفها الله تعالى فطفت ثـم ملت إلى زمزم لأشرب من مائها فرأيت صـورة حسنة فحدقت إليها بالنظر فزلقت رجلى بالباب فأصاب وجهى ما ترى وإذا أنا بقائل يقول يا هذا لو زدت زدناك.

وقال: حدثنا محمـد بن مخلدة قال: قرأ على الحسن بن عـبد الوهاب وأنا أسمع قال: قالـوا: إن معروفا الكـرخى يمشى علـى الماء ولو قيـل لى أنه يمشى فـى الهواء لصدقت.

وقال عبـد الصمد بن حمـيد: سمعت عبـد الوهاب يقول: ما رأيـت أزهد من معروف ومن كلامه رضـى الله عنه وقال أقام معروف الصلاة يومـا ثم قال لمحمد بن أبى توبة تقدم فصل بنا وذلك أن معروفا كان يؤم إنما يؤذن ويقيم ويقدم غيره فقال له محمد بن أبى توبـة: إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكـم صلاة أخرى فقال له معروف: وأنت تحدث نفـسك أن تصلى صلاة أخرى نعوذ بالله مـن طول الأمل فإنه يمنع خيـر العمل ومن كلامـه أيضاً رضى الله عنه: الـدنيا أربعة المال والـكلام والمنام والطعام فالمال يطغى والكلام يلهى والمنام يـنهى والطعام يقسى. وقال السرى السقطى رحمه الله: سمعت معروفا الكرخى يقـول من كابر الله صرعه ومن نازعه قمعه ومن ماكره خدعه ومن توكل على الله نفعه ومن تواضع له رفعه.

تواضع لرب العـرش علك ترفع　　　فما خاب عبد للمهيمن يخضع

وداو بـــذكـر قـــلـــبـك إنــــه　　　لأشفـى دواء للقـلوب وأنـفع

ولا تغـتر بالمـكر مـنك وبالمـنى　　　فمـن خادع الله المعظـم يُخدع

قيل لمعروف رضى الله عـنه بأى شىء يخرج حب الدنيا من القـلب قال: بصفاء الود وحسن المعاملة وللفتيان علامات ثلاث وفاء بلا خلاف، وعطاء بلا سؤال ومدح بلا جود، وعلامات الأولياء ثلاث: همتهم لله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه.

وجاء رجل إلى معروف الكرخى رضى الله عنه فقال يا سيدى عرفنى كيف أصل إلى الله تبـارك وتعالى فـأخذ بيده وأتـى به دار أمير فـوجد على الـباب عبداً قـائما مكسوراً واقفا على الباب:

العبد واقف على أبوابكم مكســـور　　　واحسرتى إن أمت فى حبكم مهجور

ياليت شعرى تراكم تعتقوا المأسور　　　عسى إذا ما التقينا ينمحى المسطـور

وأنشد آخر:

بالله عليكـــم دعـــوا ما بيننـــا مستور　　　وامحوا بإحسانكم ما قد حوى الدستور

لا يسمعون العدا حين ينقرى المسطور　　　ترجع فضيحه وقلبــى ينـثنــى مكســـور

وقال الثقفى سمعت عبد الله بن محـمد الوراق رحمه الله يقول: ربما كنا مع أبى محفوظ فى المجلس وهو قاعد يتفكر ثم يفزع ثم يقول واغوثاه وقال القاسم البغدادى رحمة الله علـيه: كنت جار معروف الكـرخى فسمعته لـيلة فى المسجد يتـوح ويبكى وينشد ويقول:

أى شىء تريد منى الذنـــوب　　　شغفت بى فليس عنى تغيب

ما يضـــر الذنوب لو أعتقتنى　　　رحمة لى فقد علانى المشيـب

وقال يحيى بن الحسن رحمه الله: سمعت معروفا الكرخى رحمة الله عليه يقول: رأيت رجلا بالبادية شابا حسن الشباب وله ذؤابتان وعلى رأسه رداء قطن قميص كتان وفى رجليه طاق نعل قال معروف فتعجبت منه فى مثل ذلك المكان فسلمت عليه فرد على السلام فقلـت له: من أين أنت قال: من مدينة دمشق قلت ومـتى خرجت منها قال: ضحوة النهـار فتعجبت منه وكان بيـنه وبين دمشق مسافة بعيـدة ومراحل كثيرة

قلت وأين تقصد قال: مكة فعلمت أنه محمول بالعناية فودعته ومضى ولم أره حتى مضت ثلاث سنين فلما كان ذات يوم وأنا جالس فى منزلى أتفكر وإذا بالباب يطرق فخرجت فإذا هو صاحبى فسلمت عليه وقلت له أهلا ومرحباً وأدخلته المنزل فرأيته منقطعاً والها حافيا حاسرا فقلت له ما الخبر فقال أستاذى لاطفنى حتى أدخلنى الشبكة فرمانى فمرة يلاطفنى ومرة يهددنى ومرة يجيعنى ومرة يكرمنى فليته أوقفنى على بعض أسرار أوليائه ثم ليفعل بى ما شاء قال معروف فأبكانى كلامه فقلت: حدثنى ببعض ما جرى عليك منذ فارقتنى فقال هيهات أن أبديه وهو يريد أن أخفيه ثم استفرغه البكاء فقلت: وما فعل بك فقال: جوعنى ثلاثين يوما ثم جئت إلى قرية فيها مقثأة قد خرجت الورق فقعدت آكل من الورق فنظرنى صاحب المقثأة فأقبل يضربنى على ظهرى وبطنى ويقول يا لص ما أخرب مقثاتى غيرك وأنا منذ كم أرصدك حتى وقعت عليك والله لا أعذبنك أنواع العذاب فبينما هو يضربنى إذ أقبل فارس نحوه مسرعا وقلب السوط على رأسه وقال له: ويلك تعمد إلى ولى من أولياء الله تعالى فتقول له يا لص وتضربه وتهينه ولم يأكل من مقثأتك غير الورق قال فأخذنى صاحب المقثأة وقبل يدى ورأسى واعتذر إلى وذهب إلى منزله وأكرمنى وأحسن إلى وسبل مقثأته للفقراء والمساكين من أجلى فقلت له: أنا من أصحاب معروف فقال صف لى معروفا فوصفته فانشرح فما استتم كلامه حتى دق الباب صاحب المقثأة ودخل إلينا وكان موسراً فخرج عن جميع ماله وفرقه على الفقراء وصحب للشاب سنة ثم خرجا إلى الحج فحجا واعتمروا وماتا جميعاً ودفنا بالمعلاة من مكة رحمهما الله تعالى.

الله حسبى فى الأكوان آيات	فيها لمعرفة الرحمن إثبات
انظر إلى كل مخلوق تعانيه	إذ تعتريه من التغيير حالات
جمع وفرق وصفو بعده كدر	قرب وبعد وإعراض وإخبات
تصريف رب حكيم مالك صمد	وكل فعل له فى اللوح ميقات
لله أيام أنس قد صحبت بها	قوما همو فى سلوك الحق سادات
قوم مضوا كانت الدنيا بهم نزها	والدهر كالعيد والأوقات أوقات
ماتوا وعشنا فهم عاشوا بموتهم	ونحن فى صور الأحياء أموات
هم الأحبة إن ماتوا وإن رحلوا	على مضاجعهم منا التحيات
أضحت أحاديثهم ما بيننا سمر	وذكر أوقاتهم للقلب أقوات

أخى فبادر إلى زاد تحصله ... ولا تسوف فللتأخير آفات
وكم سرور أتى من بعده حزن ... وكم أتت بعد أحزان مسرات
يا رب صل على أعلى الورى شرفا ... محمد ما علت بالذكر أصوات
وآله وعلى الأصحاب كلهم ... منى السلام عليهم والتحيات

ومن دعائه رضى الله عنه: اللهم يا من وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعنا عليه. وجاء رجل إلى معروف رحمه الله فقال: ادع الله أن يلين قلبى فقال: قل يا ملين القلوب لين قلبى قبل أن تلينه عند الموت.

قال سرى السقطى رحمة الله عليه: هذا الذى أنا فيه ما نلته إلا ببركة معروف الكرخى رضى الله عنه وذلك إنى انصرفت مرة من صلاة العيد فرأيت معروفا ومعه صبى أشعث وهو باك مكسور القلب فقلت: مالى أرى معك هذا الصغير باكيا فقال لى رأيت الصبيان يلعبون وهذا الصبى واقف مكسور القلب لا يلعب معهم فسألته فقال: أنا يتيم مات أبى ولم يخلف شيئا وليس معى شىء أشترى به جوزا ألعب مع الصبيان فأخذته معى لعلى أجمع له نوى يشترى به جوزا يلعب به فقلت: له أعطنى إياه أغير من حاله ما تشعث قال: أو تفعل قلت نعم قال خذه أغنى الله قلبك بالإيمان وعرفك الطريق إليه فى السر والإعلان قال السرى فأخذت الصبى ومضيت به إلى السوق فكسوته كسوة حسنة واشتريت له جوزا فلعب به مع الصبيان نهاره فقالوا من فعل بك هذا المعروف فقال سيدى السرى ومعروف فلما مضى الصبيان أتى إلى وهو فرحان فقلت له كيف كان يومك فقال يا عم كسوتنى من ملابس الإحسان وفرحتنى بين الصبيان وجبرت قلبى بعد الكسر والأحزان فالله تعالى يجبرك بين يديه ويفتح لك طريقاً إليه قال فسررت بذلك سروراً شديداً وجدلى بالفرح عيدا جيدا.

كرر حديثهمو فما أحلاه ... وألذ عندى وما أهناه
روح به روحى وحدث عنهمو ... فحديثهم للقلب ما أشهاه
بالله واهتف مرة أخرى بهم ... فعسى ينال الصب منه مناه
ولنا رموز ليس يعرف شرحها ... إلا الذى نشر الهوى وطواه
ولقد تنادمنا بكل لطيفة ... سرا ولم تتلفظ الأفواه

قال عامر بن عبد الله الكرخى رحمه الله: كان بجوارى رجل نصرانى فبينما أنا ذات يوم فى منزلى وإذا به أتانى وقال لى يا عامر إن لى عليك حق الجوار وأنا أسألك

بحق خالق الليل والنهار ألا مضيت بى إلى ولى من أولياء الله الأبرار ليدعو لى أن يرزقنى الله ولدا فقلبى إليه مولع بالأشواق وفى كبدى منه لوعة واحتراق قال فأخذته ومضيت إلى معروف الكرخى رحمة الله عليه فأخبرته بأمره فدعاه معروف إلى الإسلام فقال له: يا معروف إنك لن تقدر على هدايتى إلا أن يهدينى العلاّم وأنا أسألك الدعاء فيما جئت فيه والسلام فرفع معروف يديه وقال: اللهم إنى أسألك أن ترزقه ولدا يكون باراً بوالديه ويكون إسلامهما على يديه فاستجاب الله له ورزقه ولداً فاق بكمال عقله على أهل زمانه وعلا بنجابته على أبناء جنسه وأقرانه فلما كبر أتى به أبوه إلى معلم دينه ليعلمه كتابهم ويوضح له أسبابهم فأجلسه المعلم بين يديه ودفع اللوح إليه وقال له قل قال وما أقول ولسانى عن تثليثكم معقول وقلبى بحب ربى مشغول فقال له المعلم يا بنى ما عن هذا سألتك فقال عم سألتنى قال سألتك عما جئت إلى تتعلمه وأتيت لتفهمه فقال علمنى شيئا يقبله عقلى ويدركه ذهنى ونقلى.

فقال قل يا بنى ألف فقال الصغير:

ألف الوصل ألفت كل قلب   لحبيب صفـــــــاته أزليــــه

فقال له المعلم: يا بنى قل باء فقال:

باء عين البقا أحيا نفوسا   لم يدعه حبه لها من بقيــــه

فقال له المعلم: يا بنى قل تاء فقال:

تاء توق القلوب يكشف عنها   كل شك تكـــــون منه بريه

فقال له المعلم: يا بنى قل: ثاء فقال:

ثاء ثوب الثياب ثبت قوما   قد ثور فى المقــــاعد العنديه

فقال له المعلم: يا بنى قل جيم فقال:

جيم نور الجمال تجلى عليهم   فى تجليه بكـــــرة وعشيه

فقال له المعلم: يا بنى قل حاء فقال:

حاء حمدا لا له أحمى قلوبا   فحماها من الخصال الدنيه

فقال له المعلم: يا بنى قل خاء فقال:

خاء خوف الإله أذهب عنهم   كل حزن لهم وكل رزية

وما زال المعلم يلقنه حرفا حرفا وهو يجيبه عنها بكلام منظوم مقفى إلى أن ذهل

عقل المعلم وطاش ووجد فى قلبه مما سمعه منه انتعاش وعلم أن كل دين غير دين الإسلام لاش قال له المعلم شاباش لك يا موحد المحبوب شاباش.

أما والذى أبكى وأضحك والذى	أمات وأحيا والذى أخرج المرعى
لقد خاب من يسعى إلى غير بابهمو	وضل الذى يوما إلى غيره يدعى
القصد لا شىء سواه فمن سعى	إلى غير ذاك القصد يا خيبة المسعى
هو الماجد البر الرحيم وغيره	من الناس لا يستطيع ضرا ولا نفعا
يرى العبد يعصيه ويستر ذنبه	ويرزقه من غير ما أنه يسعى
يعامل بالغفران والصفح من عصى	ويوصل من يستوجب الهجر والقطعا
فسبحانه لا رب فى الكون غيره	يحب الذى يلقى إلى قوله السمعا

قال فلما سمع المعلم كلامه الذى سلب عقله وشجاه علم أن ما أنطقه إلا الذى خلقه وأنشاه فقال عند ذلك فى سر نجواه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم أخذ الصبى وأتى به إلى أبويه فلما رآهما أبوه قد أقبلا صار وجهه بالبشر مهلل فقال للمعلم كيف وجدت ولدى فى ذكائه وفطنته فقال له المعلم أصغ إلى مقالته ثم عرض عليه المقال فقال أبوه والذى يغيث المضطر والملهوف ما نال ولدى هذه المنزلة إلا ببركة دعوة معروف ثم قال الحمد لله الذى أنقذنا بك يا بنى من الضلال بعد أن كنا على أسوأ حال وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم أسلمت أم الصبى وكل من الدار وكسروا الصليب وقطعوا الزنار وأنقذهم الله بدعوة معروف من النار.

ما مضى لا يعاد منكم فإنا	قد عفونا عما مضى واصطلحنا
أبشروا بالمنى فإن حماه	من أتاه ينال ما يتمنى
فاز من جاء بذل وأضحى	من جميع الأنام أغلى وأغنى
والذى جاءنا يزهو وعجب	خاب فى الناس سعيه وتعنى
كم عزيز وافى حمانا مدلا	حجبته إيدى الشقا عنا
والذى جاءنا بإخلاص قلب	حاز فضلا ونال عزا وأمنا

قال أحمد بن العباس رحمة الله عليه: خرجت من بغداد أريد الحج فاستقبلنى رجل عليه أثر العبادة فقال من أين خرجت قلت من بغداد هاربا لما رأيت فيها من الفساد خفت أن يخسف بأهلها فقال ارجع ولا تخف فإن فيها قبور أربعة رجال من

الأوليا حصن لها من جميع البلايا قلت فمن هم قال أحمد بن حنبل ومعروف الكرخى وبشر الحافى ومنصور بن عمار فرجعت وزرت تلك القبور وحصل لى أمر عظيم من الفرح والسرور.

لأحمد أوصاف وبالعلم اشتهر	ومعروف لا تنساه فيمن قد انحصر
وبشر ومنصور ولا سيما هما	لهم أعين فى الليل ما نامت من السهر

وقال أبو الفتح بن بشر رحمة الله عليه: رأيت بشراً فى منامى فى بستان وبين يديه مائدة فقلت له أبا نصر ما فعل الله بك قال رحمنى وغفر لى وأتاحنى الجنة بأسرها وقال لى كل من ثمارها واشرب من أنهارها وتمتع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك الشهوات فى دار الدنيا قلت له فأين أخوك أحمد بن حنبل قال هو قائم على باب الجنة يشفع لأهل السنة ممن يقول القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق قلت له فما فعل الله تعالى بمعروف الكرخى فحرك رأسه وقال هيهات حالت بيننا وبينه الحجب إن معروفا لم يعبد الله شوقا إلى جنته ولا خوفا من ناره وإنما عبده شوقا إليه فرفعه الله تعالى إلى الرفيق الأعلى ورفع الحجب بينه وبينه فمن كانت له إلى الله تعالى حاجة فليأت قبره وليدع فإنه يستجاب له إن شاء الله تعالى.

معروف كل الورى لاشك تعرفه	بالبر والخير والأنعام توصفه
لقد أتى وله علم ومعرفة	وخدمة فى جنان الخلد توقفه

قال محمد بن عبد الرحمن الزهرى رحمة الله عليه: سمعت أبى يقول قبر معروف الكرخى مجرب لقضاء الحوائج وقال يحيى بن سليمان كانت لى حاجة وقد تعسرت على فأتيت قبر معروف فقرأت ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ثلاث مرات وأهديتها له وأموات المسلمين ثم ذكرت حاجتى فما رجعت إلا وقد قضيت حاجتى وقال أبو بكر الخياط رحمه الله: رأيت كأنى دخلت المقابر فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الرياحين وإذا بمعروف قائم فيها بينهم يذهب ويجيء فقلت له: يا أبا محفوظ ما فعل الله بك أليس قد مت قال بلى ثم أنشأ يقول:

موت التقى حياة لا نفاد لها	قد مات قوم وهم فى الناس أحياء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمو	على الهدى لمن استهدى أدلاء
ماتوا وعشاقهم عاشوا بموتهمو	ونحن فى صفة الأموات أحياء

وأما تاريخ موته قال أبو بكر العجورى رحمه الله: سمعت ثعلبا يقول: مات معروف الكرخى رحمه الله سنة مائتين قال أبو القاسم النضرى من بنى نضر بن معين قال حدثنى أبى قال بلغنى أنه صلى على معروف ثلثمائة ألف إنسان قال عبد الرحمن ابن محمد الوراق جاء رجل من أهل الشام إلى معروف الكرخى فسلم عليه وقال له إنى رأيت فى المنام يقال لى اذهب إلى معروف الكرخى فسلم عليه فإنه معروف فى أهل الأرض معروف فى أهل السماء وبلغنى عن بعض القدماء أنه قال مات أخ لى فرأيته بعد عام فقلت له يا أخى ما فعل الله بك قال الآن أعتقت دفن عندنا معروف الكرخى فأعتق عن يمينه ثلاثون ألفا وعن شماله ثلاثون ألفا ومن بين يديه ثلاثون ألفا ومن خلفه ثلاثون ألفا.

سلكت طريق الغفر ظنا بأننى أوافق بشرا أو أصاحب معروفا
ودمت على حسن العبادة عاكفا وأصبح حسن الظن حولى معكوفا
ولم أبد يوما للخلائق قصتى وما زلت فى ثوب الصيانة ملفوفا
فما صح لى فقر ولا صح لى غنى بل ازددت فى علم التقلب تعريفا
فلم أر لى كالصالحين وسيلة ألذ الورى عرفا وأطيب معروفا
رجال إذا ما طبق الأرض حادث رموه بصدق العزم فانجاب مكشوفا
هم العروة الوثقى وهم أنجم الهدى بهم يذهب الله المصائب تلطيفا
إذا وجدوا فى الوقت كانوا طرازه وقد طرزوا من قبل ذاك التصانيفا
صفاتهمو أسنى من الشمس فى الضحى وأحسن من در القلائد مصفوفا
فيا رب وفقنا كما قد منحتهم ووفقتهم كى لا نحاول تحريفا
وهبنا لهم يا ذا الجلال فإننا أتيناك نخشى منك زجرا وتخويفا
وليس لنا من شافع غير سيد به الضر عنا عاد فى الحشر مكشوفا
رسول الهدى جالى الصدى كاشف الر دى أنلنا به يا رب فى الحشر تخفيفا
عليه صلاة الله ما مرت الصبا وزاد حماه من عطاياه تشريفا

المجلس الخامس والثلاثون
فى ذكر الأولياء والأبرار والصالحين والأخيار

الحمد لله الذى خص بحسن اصطفائه خواص أوليائه الأبرار وأسرى بأسرارهم فى ليل نيل أوطارهم إلى عالم الأسرار قاموا بواجب حقه فجعلهم أمناء على خلقه العبيد منهم والأحرار ترفع على أيديهم قصص السائلين ويغفر ببركاتهم للخاطئين الذنوب والأوزار فهم بأمره متصرفون فى البلاد لمصالح العباد البادين منهم والحضار فيهم النقباء والأبدال ومنهم النجباء والرجال ومنهم الأقطاب الأخيار ومنهم الغوث الذى يسقى به الغيث وتدر ببركته الضروع والزروع والثمار فالنقباء سبعون وهم بمصر دون سائر الأمصار والأبدال أربعون وهم بالشام كالشامة الواضحة لذوى المعرفة والاستبصار والنجباء ثلثمائة استخلفهم بالغرب للقيام بالحرب فهم لدينه حماة وأنصار والرجال عشرة وهم بالعراق وشرابهم قد راق وصفا من الأكدار والأقطاب سبعة أركزهم بالأقاليم السبعة لمنافع العباد فى سائر البلاد والأقطار والغوث واحد أقامه بمكة المشرفة المعظمة والمقدار فهؤلاء أمناء سره المصون وخزان علمه المكنون إلى حين انقضاء الأعمار فلولا وجودهم لفاضت العيون والأنهار ولولا ركوعهم وسجودهم لارتفعت الأمطار وتعطلت الارض من الزرع والثمار فهم فى دائرة إرادته ليس لهم عن مراقبة حضرته غفلة ولا قرار إذا غلقت الملوك أبوابها رفعت لهم الأستار وإذا أرخت السلاطين حجابها تجلى لهم الواحد القهار فلو احتجب عن أحدهم طرفة عين لدكت الجبال وزلزلت الأقطار ونادى قتيل الوجد منهم بلسان الاشتياق والاشتهار (كان وكان):

من ذا الذى فى الحضرة	يشرب بكاسات الصفا
من صرف صافى المحبة	ويستطيع قرارا
قوم تراهم نشاوى	من وجدهم بحبهم
وهم حيارى سكارى	من غير شرب خمار
لهم حقائق دقائق	على الخلائق تعجب
محلها من بوارق	خوارق الأفكار
هبت عليهم نسيمه	فاستنشقوا من نشرها
طافت سحيرا ومنها	تنسموا الأخبار
وحين وافت وطافت	تفردوا وتجردوا

عـن الوجـود وولـوا	عـن سـائـر الأغـبـار
قـلوبـهـم مـعـمـورة	بـحـب مـولاهـم فـلا
يضـرهم فـى الظـاهر	مـلابـس الإنـكـار
فازوا بمـن قد حـازوا	مـن المكارم والـنـهـى
وأحـرزوا بـالعـنـايـة	نـهـايـة الأوطـار
نـالوا المـنـا والحظـوة	بـقربـهـم عـند المـلـك
وخـصهـم بـالجلـوة	فـى خـلـوة الأسـحـار

فسبحان مـن قرب أقواما لحضرته وحجبـهم عن الأغيار وأبعد آخريـن فضربهم بسيف البعد والانتهار نصب فخ المحبة للصيـد فعلق بحبل حبه الجنيد فحصل له العز والفخار وأرسل عقبان الـتوفيق إلى شقيق فجذبه بريق التمزيـق والافتقار ومن بالمزيد على أبى يزيد فلزم التجريد وطلب الزيـادة والإكثار وجاد بالمعروف على معروف قلبه بالمعرفة والاستبصار وتفضل على الفضيل فشمر فى الخدمة الذيل وأدلج فى ليل طلبه وسار وسقى صرف المزاج لـلحلاج فسكر وهاج وباح بالأسرار ونـادى بلسان وجده وقد خرج عن حده ولم يطق اصطبار (كان وكان):

يـاذا الـذى قـد سـقـانـى	من صـرف كاسات الـهوى
وقـال لـى لا تـعـنـى	فـتـهـتـك الأسـتـار
ولـو سـقـى فـرد قـطـرة	مما سـقـانـى لـلـجـبـل
غـنـى وصـاح وأضـحـى	بـين الجـبـال غـبـار
الـقـوم دارت عـلـيـهـم	فى الـلـيـل كاسـات الصـفا
فـأصـبـحـوا فـى الـبـرايـا	سـكـر بـغـير خـمـار
مـنـهـا الجـنـيـد تـروى	ويـسـر بـشـر الـفـرح
ومـن سـنـاهـا الـشـبـلـى	بـدت لـه الأنـوار
وكـم كـتـم ابـن أدهـم	حـاله وذا الـنـون اخـتفـى
فـصـار بـين الـنـدامـى	مـعـروف بـالاشـتـهـار
قـوم دعـوا فـأجـابـوا	وطـهـروا أسـرارهـم
وأخـلـصـوا فـى المحـبـة	لـعـالـم الأسـرار
فـهـم رجـال الحـقـيـقـة	وهـم مـلـوك الآخـرة
وهـم شـيـوخ الـطـريـقـة	لـهـم سـمـا المـقـدار

يـا فـوز مـن كـان سـالـك	طـريـقـهـم أو يـقـتـدى
أو يـهـتـدى بـهـداهـم	ويـتـبـع الآثـار
فـهـم عـن الخـلـق تـدفـع	كـل الـبـلايـا والمحـن
لـولا سـنـاهـم لـكـانـت	تـنـزل الأمـطـار
فـهـم طـراز الـدنـيـا	وهـم شـمـوس الـهـدى
بـهـم تـرى الأرض تـنـبـت	وتـنـزل الأمـطـار

قوله عز وجل: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون**﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا خوف عليهم فى الدنيا ولا هم يحزنون فى الآخرة يتلقاهم مولاهم بالرحب والتكريم ويعطيهم النعيم المقيم.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ من أولياؤه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال «**الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها واهتموا بأجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم فما عارضهم من نائلها عارض إلا رفضوه ولا خادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه خلقت الدنيا عندهم فما يجدونها وخربت بينهم فما يعمرونها وماتت فى صدورهم فما يحيونها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم نظروا إلى أهلها صرعى قد خلت بهم المثلات فما يرون أمانا دون ما يرجون ولا خوفا دون ما يجدون**»[1].

قـوم جـفـوا لـذة دنـيـاهـم	وآثـروا خـدمـة مـولاهـم
فـلا قـرار مـنـهـم دونـه	ولا جـنـود الـنوم تـغـشاهـم
وأصـلـهـم والـنـاس فى غـفـلـة	عـنـهـم وقـد أكـرم مثـواهـم
فـهـو ولـى لـهـم دائـمـا	أكـرم أولاهـم وأخـراهـم

وقال ابن ظفر رحمة الله عليه: دخل أبو يزيد البسطامى رحمة الله عليه الكتاب وهو صغير فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿**يا أيها المزمل* قم الليل إلا قليلا**﴾ قال لأبيه طيفور بن عيسى: يا أبت من ذا الذى يقول له الحق سبحانه وتعالى هذا الخطاب فقال يا بنى ذاك محمد ﷺ فقال: يا أبت مالك ما تفعل كما كان يفعل رسول الله ﷺ فقال: يا بنى أمر خص به رسول الله ﷺ ثم خفف عنه فى سورة طه فلما وصل إلى

(1) حديث موضوع.

قوله تعالى: **﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾** قال: يا أبت إنى أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل قال أبوه: أولئك أصحابه ﷺ قال: يا أبت فأى خير فى ترك شىء فعله رسول الله ﷺ وأصحابه قال فكان أبوه بعد ذلك يقوم الليل كله فانتبه أبو يزيد ليلة فقال: يا أبت علمنى أصلى معك قال: يا بنى ارقد فإنك صغير بعد فقال: يا أبت إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم وقال لى ربى ما فعلت أقول لربى قلت لأبى علمنى أصلى معك فقال لى ارقد فإنك صغير بعد فقال أبوه: لا والله ما أريد أن تقول ذلك ثم علمه يصلى فكان بعد ذلك يقوم الليل ويصلى غالبه.

أيها القائمون فى حندس الليل	وقد أسدلت ذيول الظلام
قد وصلتم حمى الوصال فطيبوا	وانزلوا وأبشروا بكل مرام
هذه دارنا ونحن كراما	ربحت عندنا ضيوف الكرام
إن طلبتم قرى وجدتم لدينا	كل ما تشتهى نفوس الأنام
قد رفعنا حجابنا فاشهدونا	وادخلوا خلوة الرضا بسلام

فلله در أقوام ما زالت نياق وجدهم تسرى فى ليل نيل قصدهم حتى بلغوا المنزل وحصلت لهم العناية وكان عمر بن عبد العزيز يأتى المساجد المهجورة فى الليل فيصلى فيها ما يسره الله عز وجل فإذا كان وقت السحر وضع جبهته على الأرض ومرغ خده على التراب ولم يزل يبكى إلى طلوع الفجر فلما كان فى بعض الليالى فعل ذلك على العادة فلما فرغ ورفع رأسه من صلاته وتضرعه وجد رقعة خضراء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب عليها هذه براءة من النار من الملك العزيز لعبده عمر بن عبد العزيز.

طلعت شموس طويلع فلى الهنا	وجنى على محجب بالمنحنى
وحنى على فقرى إليه وذلتى	متعطفا متلطفا متحننا
هبت نسيمة قربة لحبه	فكسا الوجود بها المهابة والسنا
رفع الحجاب عن الجمال وقال لى	بتلطف أهلا بطارق حينا
وغدت على لطائف من قربه	وأنالنى ما أرتجيه من المنى

وقيل: صعد ابن عمار الواعظ يوما منبره بالعراق فأخذ فى المواعظ والتخويف والزجر والتعنيف حتى كادت النفوس تهيم قلقا وتموت فرقا وكان فى المجلس شاب

مسرف عى نفسه خـائف من حلول رمسه فانصرف وقد أثرت المـواعظ فى قلبه وندم على مـا كان من ذنبـه وأتى إلى أمه فـقال لها يـا أماه دونك وما تـريدين كسـر لهو الشيطان ومـا كنت أعددت لمعصية الرحمـن وأخبرها بحضوره مجلـس ابن عمار وما حصل له من الندم على الذنوب والأوزار فقالت يا ولدى الحمد لله الذى ردك إليه ردا جميلا وأنقذك من ذنوب كنت بها علـيلا وإنى لأرجو أن يكون الله تعالى قد رحمك ببكائى عـليك وقبلك وأحسن إليك فـكيف كان حالك يا ولدى عند سـماع الموعظة فأنشد:

شـمـرت لـلـتـوبـة أذيـالـى	وصـرت ذا طـوع لـعـذالـى
لمـا دعـا الـواعظ قـلـبـى إلـى	طـاعة ربـى انـحـل أقفـالـى
يـا أم هـل يقـبـلـنى سـيـدى	على الـذى قد كان من حـالى
واسـوأتـى إن ردنـى خـائـبـا	أو صـد عنـى حـين إقـبالـى

ثم أقبل الفتى عـلى صيام النهار وقيام الليل حتى نـحل جسمه وذاب لحمه ودق عظمه واصفر لونه فأتته أمه بقدح فيه سويق وقالت له: أقسمت عليك يا بنى بالله إلا أشربته فقد أجهدت نفسك فلما صار القدح فى يده جعل يبكى ويضطرب ويذكر قوله تعالى: ﴿**يتجرعه ولا يكاد يسيغه**﴾ ثم صرخ صرخة عظيمة وخر ميتا هذا والله مقام الخوف يا من ضيع زمانه فى لعل وعسى وسوف.

على باب من أهوى يطيب التخضع	وإن أكثـر اللـوام عذلا وأوسـعوا
وفـى حبـه يـحلـو غـرام ولوعـة	ووجـد وتـبـريـح شـوق وأدمـع
ويجعل تـعفير الخدود علـى الثرى	لمـرضاتـه إن كـان ذلـك ينـفـع
ومن لـم يخاطـر فى هواه بـروحه	فـذاك برؤيـا الحسـن لا يتـمتـع
ومن كـان مشـتاقـا محـباً مـولهـا	حـشاشـتـه من شـوقه تـتـقطـع
إذا قـام فى جـنح الـظلام مـراقبـاً	رأى النور مـن طور الأحبة يـلمع
ونـاداه من يـهـواه فز بـجـمـالنـا	فدونك عيش لم يـكن عنه مدفع
وشاهـد جمـالا لا يحـد لواصـف	وبادر إلـى رؤياه إن كنت تـسرع
محـب أو محبـوب وساعة خـلوة	وقـرب ووصل لـيس فـيـه تمنـع

فيا أرباب المـعاملة فى ظلام اللـيل سبحان من أقامكـم وأقعد يا معشر الـتائبين سبحان من قربكـم وأبعدنا إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمـن على من يشاء من

عباده قال ذو النون المصرى رحمة الله علـيه: ضاق صدرى فى بعض الأيام فخرجت أتمشى على شط النيـل فمر بخاطرى العبور إلى ذلك الجانب فركبـت سفينة وجعلت رأسى بين ركبتى فلم أرفـعها حتى توسطت البحر فلما رفـعت رأسى رأيت عن يمينى جارية ذات حسن وجمال وفى حجرها عود وبين يـديها خمر وعن يمينها شاب حسن الشباب نقى الأثواب فقـلت فى نفسى يا نفسى بعد عبادة سبـعين سنة وقعت فى هذه السفينة بين قوم خمارين يعصون الله بالإجهـار فالتفتت إلى الجارية وقالت لى يا شيخ تشرب شيئاً فقـلت إن سقانى مولاى شيئا شربت فأشارت الجـارية إلى الغلام املأ له الكأس واسقه فملأ الكأس وأعطانى فلمـا حصل الكأس فى يدى لحقنى وجد فقالت الجارية يا شيخ لم لا تشرب من شرابنا أتـريد أن أغنى لك حتى تشرب أو تغنى أنت لنا حتى نشرب فقلت بل أنا أغنى لكم حتى تشربوا فقالت غنى لنا حتى نسمع غناءك فأنشدت:

أحـسـن مـن قـيـنـة ومـزمـار	فى ظلـمة الليـل نغمة الـقارى
يـا حسـنـه والجلـيل يـسـمعـه	بـحسـن صوت ودمـعه جـارى
وخـده فـى الـتـراب عـفـره	وقـلـبـه فـى محبـة الـبـارى
يـقـول يـا سيـدى ويـا أمـلـى	أشـغلـنى عـنـك ثقـل أوزارى
اغـفر ذنـوبـى لأنهـا عـظمـت	ولـم تزل يـا جـلـيل غـفـارى
ذاك غـدا فى الجـنان مـسكنـه	بـدار قـدس بـقـرب جـبـار
يـسـكن مـع زوجـة تـشاكـلـه	يـا حـسـن مـخـتـارة لمختـار

فلما سمعت الجارية ذلـك خرت مغشياً عليها فلما أفاقت خلـعت ما كان عليها من الديبـاج وكسرت العود ورمت بـالخمر إلى البحـر وقالت: يا شيخ إذا تـبت إليه يقبلنـى قلت نعم هكذا قال فـى محكم الآيات: ﴿**وهو الذى يـقبل التوبة عـن عباده ويعفو عن السيئات**﴾ فكشفت رأسهـا وقبلت يدى وقالت يا سيدى إن كـنت السبب فى المصالحة فاسأله العفو والمسامحة قال ذو النون المصرى نزلنا من السفينة وتفرقنا فلم أرها بعـد ذلك فلما كان فـى بعض السنـين حججت إلى بـيت الله الحرام فبينـما أنا أطوف بالبيـت وإذا بجارية شعثاء وهى مـتعلقة بأستار الـكعبة تبكى وتتـضرع وتقول إلهى بسكرى البارحة وبخمارى إلا ما غفرت اليوم أوزارى فقلت مه يا جارية فى مثل هذا المقـام تقولين هذا الـكلام فقالت إلـيـك عنى يا ذا النـون لما بت البارحـة بكاس الهوى مسرورة أصـبحت اليوم بحب مولاى مـخمورة فقلت لها مـن أخبرك إنى ذو

النون فقالت يا شيخ أنا الجارية التى تبت على يديك فى نيل مصر فقلت وأين ذلك الحسن والجمال فأنشدت:

ذهبت لذة الصبا فى المعاصى	وبعد ذاك أخذ النواصى
ومضى الحسن والجمال وإلى	عمل أرتجيه يوم الخلاص
غير ظنى بالله وهو جميل	فيه أخلصت غاية الإخلاص

ثم قالت: يا ذا النون قف مكانك حتى أعود فغابت لحظة ثم أقبلت ومعها طبق عليه رطب وتين وعنب فى غير أوانه فوضعته بين يدى فاختلج فى قلبى أنى بعد عبادة سبعين سنة لم أصل إلى ما وصلت إليه هذه الجارية فقالت: يا شيخ لما أتيت إليه واعترفت بين يديه رزقنى صدق التوكل عليه ثم أنشدت:

عش غريبا ولا تذل لخلق	واطلب الرزق فى بلاد الحبيب
ثم سر فى البلاد شرقا وغربا	وتوكل على القريب المجيب
فعسى أن تنال ما ترتجيه	بيد اللطيف من مكان قريب

قال ذو النون ثم التفت فلم أرها، هذه والله صفات التائبين وهذه علامات المقربين:

إن لله عبادا	طلقوا الدنيا وهاموا
فله ذلوا فعزوا	وله صلوا وصاموا
هجروا الأهل وساحوا	وعلى الأوراد داموا
فإذا ما رقد الناس	ونام الخلق قاموا
فلهم فى الليل أحوال	إذا جن الظلام
وعلى الأفواه منهم	حذر اللهم لجام
تركوا الشهوة زهدا	وسواهم مستهام
فهى للعالم حل	وعلى القوم حرام
أخلصوا فى الحب لله	وعلى الخير أقاموا
فعلى الدنيا إذا لم	يوجدوا فيها السلام

يا هذا لا تبرح عن الجناب ولو طرت ولا تزول عن الباب ولو منعت.

قيل إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة التى نهى عنها ونسى عهد ربه سقط عنه لباس الجنة واستوحش منه كل شىء فيها فولى هارباً فجعل يستتر بورق الجنة

فناداه ربـه جل جلاله أتفر مـنى يا آدم قال لا يا رب ولـكن حياء منك فـقال له الله تعالى: أما خـلقتك بيدى أما أسجدت لـك ملائكتى أما نفخت فـيك من روحى أما أسكنتك فـى جوارى أما أبحتك جنتـى اخرج من جوارى فلا يجاورنى مـن عصانى فبكى آدم علـيه السلام ما شاء الله ثم قال: إلهـى إن لم ترحمنى أنت فمـن يرحمنى فأوحى الله تعالى إليـه أن قل «سبحانك اللهم وبحمدك لا إلـه إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فتب على إنك أنت التواب الرحيم» فهذه الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه هذا قول مجاهد وجماعة من المفسرين.

وإنا ليرضينا رجوع وصالكم ... فردوا لنا ذاك الوصـال كما كانا
وكنا نغطى فى الدنو غرامنـا ... ونكتم ما نلقى فقد كان ما كانا

وعن كعب الأحـبار رضى الله عنه قال: إذا كان يـوم القيامة تخرج نـار من قعر بحر عدن فتسوق الناس جميعاً إلى الموقف فبينما هم سكارى حيارى عطاشى مروعين من هـول الموقف أذلة لله سـبحانه وتـعالى فتـشرق الأرض من نوره فـينظر الخـلائق بعضهم بعضاً وتنـظر الوالدة إلى ولدها الذى كانت تشفق عليه فـى دار الدنيا فتعرفه فتناديه يا ولدى أمـا كان بطنى لك وعاء أما كان حجرى لك وطـاء أما كان ثديى لك سقاء فيقول يـا أماه ما الذى تريدين فتقول قد أثقـلتنى ذنوبى فتحمل عنـى منها ذنبا واحدا فيقول هيهات هـيهات كل نفس بما كسبت رهينة يا أمـاه إذا حملت عنك فمن يحمل عنى فبينما هما كذلك إذا بمناد من قبل الحق يا فلان ابن فلان هلم إلى العرض على الله سبحانه وتعالى فإذا سمع ذلك النداء تغير لونه واضطربت جوارحه حياء من الله تعالى فإذا نظرت أمه إلى ما حل به من الوجل قالت له ما حالك يا ولدى فيقول يا أماه قـد نوديت للعـرض على الله عز وجل فـكيف لى بـالهرب منه أم كـيف لى بالخلاص فبينما هما كذلك إذ أقبل ملكان يقبضان عليه ويجرانه ماذا نظرت أمه إليهما جذبته إلى صدرها وقالت والذى بعثنى من مرقـدى لو وجدت سبيلا لما مكنتكما منه ثم تودعه وهى تبكى وتقول سألتك يا ولـدى بالذى استدعاك للعرض عليه والحساب بين يديه إن أنت نجـوت فلا تنسنى فقد طـال وقوفى وعظمت حسرتـى واشتد كربى وعطشى قـال فيأتى به الملكـان إلى الملك الموكل بسـدرة المنتهى فيقـول له من أى أمة فيقول أنا من أمة محمد ﷺ فيقول له طوبى لك ولأمة محمد ﷺ ثم يزجه فى النور فلا يدرى أيـن يذهب يميناً أو شـمالا أو خلفا أو أمامـا وإذا النداء من العلـى الأعلى أثبت فأنا ربك فسكن جوارحك وأهد قلـبك فوعزتى وجلالى إنى لأشفق عليك من أمك حين جذبتك إليها وضمتك إلى صدرها ثم يقول له عبدى اقرأ كتابك قال فيقرؤه

فإذا مر بسئة أخفاها وإذا مر بحسنة جهر بها فيقول الله تعالى: عبدى لم تجهر بالحسنة وتخفى السيئة فيبكى ويقول يا رب تعلمت منك أما تظهر الجميل وتستر القبيح.

أنت الذى لم تزل بالعفو متصفا ... تجود حلما على العاصى وتستره
تخفى القبيح وتبدى كل صالحة ... وتغمر العبد إحساناً وتشكره

ثم يقول الله عز وجل: عبدى كيف أخفيت ذنوبك وعيوبك عن الخلائق وبارزتنى بها أما علمت أنى مطلع عليك وناظر إليك فيقول سيدى ومولاى مر بى إلى النار فلا طاقة لى بالتوبيخ والعار فيقول الله عز وجل: إن أمرت بك إلى النار فأين جودى وكرمى وأين حلمى ومغفرتى يا ملائكتى انطلقوا بعبدى إلى جنتى بفضلى ورحمتى.

من ذا سواك يجود قبل سؤاله ... ويجود للعاصين بالغفران
وإذا أتاه الطالبون لعفوه ... غفر الذنوب وجاد بالإحسان

ثم يقول: إلهى وسيدى إن لى والدة كانت فى الدنيا تشتاق إلى وتشفق على وقد رأتنى اليوم واستجارت فى وطمعت أن أجيرها إلهى وسيدى إن كنت قد عفوت عنى فاجعلها موضعى وهبها مكانى فلا طاقة لها بما هى فيه قال فيقول الله عز وجل: وعزتى وجلالى ما فرقت بينكما إلا وقد رحمتكما يا ملائكتى انطلقوا بهما إلى جنتى وأنا أرحم الراحمين.

مازلت أعرف بالإساءة دائما ... ويكون منك العفو والغفران
لم تنقص إن أسأت وزدتنى ... حتى كأن إساءتى إحسان
تولى الجميل عن القبيح تكرما ... أنت الكريم المنعم المنان

يا هذا قف على الباب تكتب من الأحباب والزم الآداب تحشر مع الطلاب:

يا خجلة العبد من إحسان سيده ... يا حسرة القلب من ألطاف معناه
فكم أسأت وبالإحسان يقبلنى ... واخجلتى واحيائى حين ألقاه
بلطفه وبفضل منه عرفنى ... فى حبه كيف أرجوه وأخشاه
يا نفس كم بخفى اللطف عاملنى ... وقد رآنى على ما ليس يرضاه
يا نفس كم زلة زلت بها قدمى ... وما أنال عثارى ثم إلا هو
يا نفس توبى إلى مولاك واجتهدى ... وصابرى فيه إيقاناً برؤياه
يا نفس من منقذى يوم الحساب غدا ... سواه أو مشهدى إياه إلا هو

ومـن لقـلب إذا لـج الـغرام بـه | إلا الذى جـملـة العـشاق تـهواه
قم يا مشوق إذا ما الـليل جن تجد | قوما سـكارى حيارى عـند ذكراه
فى كـل شىء لـه معنـى تشـاهده | فمـن لمعنـاه أبدى حـسن معـناه
وكيـف يبـعدنـى عن بـابه وإلـى | حماه قد جئت أرجـو طيب لقياه
ولـى شفـيـع إلـيه لا يـرد وفـى | جماله الكل قـد حاروا وقد تاهوا
محمد المصطفـى المختار من مضر | من طبق الأرض طيـا عرف لقياه
أموت شـوقا ولـم أحظ بـرؤيتـه | واحسـرتى فمتـى أحظى بـرؤياه
تـالله فـى فـؤادى قـط جـارحـة | إلا وذكـراه فيـها لـسـت أنسـاه
صلى علـيه إله العرش ما طـلعت | شمـس وغابت حيـاء من محـياه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين.

*****

(المجلس السادس والثلاثون فى ذكر النيل المبارك)

الحمد لله قاصم الجبابرة قهراً وكاسر الاكاسرة جبراً الذى فلق الحب ونبتَ منه برا وأطلع الاب وعده للأنعام براً وخلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً نطقت الكائنات بفضـله فلا غرو إن فاهـت الألسن بذكره شـكراً وسلكه يـنابيع فى الأرض وقـسمه بحكمته مداً وجزراً فـالأنهار تتخرق والغدران تتدفق وجعل لكم نـيلكم الآية الكبرى فهو أعجبـها رفدا وأعذبها ورداً وأطيبهـاً نشراً وأوفرها وقرا وجعلـه دالا على غريب قدرته وعـجيب حكـمته فسبـحان من خص بـه مصرا فأعجـب له من بحـر هو فى انقضاض وفى البرد انتعاض فإذا غـاض كل ماء فأفاض وإذا أخذ الشتاء فى الإعراض أتى هو ببلوغ الأغراض وملأ الـقلوب فرحا وبشرا فكلما هاج لمفارقـة خلجانه توجم توجم الغيور وماج بمجامل السرور برا وبحرا فتأمل كيف أقبلت قوابل مقياسه فى يوم نفاسه تعالج رحم انحباسه فكلما تنـفس نفسا من أنفاسه ملأ الوهاد مدا وذخرا وغمر البلاد بطناً وظـهرا وعم البلاد طيباً ونشرا فكـم جبر بكسر خليجه كـسرا ولكم أطلق بانطلاقه أسرى ولكم أبرد عند وروده كبدا حرا.

تـراه إذا هبـت به نـسـمة الـصبـا | تجـمـده نظـمـا وتـرسـلـه نـثـرا
هـو الـنيـل إلا أنـه عـنـد نيـلـه | تروى كل قطره قـد أسال به بحرا

يجود إذا ضــن السحاب بـوبله | فتهتز منه الأرض إذا حملت وقرا
يفـيض إذا غاض المـياه كأنـها | بجدوله تسرى فسبحان من أسرى
حكـى ملـكا كل المـياه رعـية | يفرقـهم طورا ويجمعـهم أخرى

فإذا أضحت الرياض قفرا وشكت الحياض بعـد غناها فقرا وضجت عطاشها فى الآفاق سهلا ووعـرا وقع مغيث الإغاثـة والإجابة على رفعـة الإنابة ﴿**إن مع العسر يسرا**﴾ وبعث من نيل نيله نوالا مع الحاويات يسرا فأصبحت هناك الأرض باسمة تغرا ووجدت بعد اليبس خضرا واكتسيت بعد الإفلاس حللا خضرا.

وجاد عليها النيل بالنيل فاعتدت | بأزهارها تحكى السما أنجما زهــرا
لها كل عام كسوة بعد كســوة | فأول ما يهدى لها الكسوة الخضرا

فسبحان من قدرته لا تضاهى وحكمته لا تباهى ونعمته لا تتناهى أوسع للمذنبين عفواً وأجزل للمطيعين أجرا ما أعرض معرض عن جنابه إلا لقى فى طريقه خسرا ولا انحرف منحرف عن بابه إلا وجد حلو شرابه مرا فيا أيها الحائم حول حمى عناده لقد جئت شيئا نكراً لقد أوضح لك السبيل فـما أبقى لمقصر عذرا وبين فى الدليل فقال لا يزر وازرة وزر أخرى فلله در العارفين تيقظوا لخدمة مولاهم من رقدات دنياهم فأفنوا أوقاتهم تـسبيحا وذكرا أضرم فـى قلوبهم من محـبته جمرا وأدار عليـهم من كؤوس محبـته خمراً فـلما دارت الســقاة وغنت الحـداة مالوا بأصـوات نغمات ذكـره طربا وسكرا.

أدار عـلـيـهـم من مـدامـة حـبـه | كؤوسا مـن التقوى فأبدت لـهم سرا
فأكـرم به بحـرا جلا ظـلمة الـصدا | وقد مـلأ الأقطـار والسـهل والـوعر
لـه فـرحـة عـند الـوفـاء بـحـقـه | فمـن أمه يـلقـى التـهانـى والبـشر
فـرؤيتـه تجـلو عـن القـلـب همـه | وذكراه يشفى السقم والقلب والصدرا
فمـصر له فيـها الفـخار على الـربا | وقد أصبحت تسمو على غيرها قدرا
وأمسـت به الآفـاق تزهو بـحسـنه | كما قد كسا البلـدان من نشرها عطرا

فانظر يا هذا بعين الفكرة كيف ساقه القـدرة من البلاد الأسوانية ليعم نفعه البرية فهو أعجب الأشياء وأغربها وأحسبها فى المنظر وأحلاها فى المياه وأعذبها فسبحان من حقق به الظنون وأقر به العيون وجعله حـياة للأرواح فانبسط بقدرته وصاح فى فساح الأقطار والجهات لإحياء النبات والغصون وساق فى بحر إنعامه إلى خلجان إكرامه ماء

لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات **﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** فهو الذى أجراه بحكمته وأنشأه بقدرته فانجبر بكسر قلب كل محزون وعمت بركته البرك والخلجان وسار بيد القدرة إلى البلدان فروى الظمآن وشبعت برؤيته البطون **﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾**.

قرت بحمد الله منا العيون مذ هطلت سحب وفاضت عيون
وعم لطف الله سبحانه كل الورى فليحمد الحامدون
وأقبل النيل بأمواجه كأنه جيش السحاب الهتون
يحيا به الزرع وينمو به ومنه تكسى عاريات الغصون
وتكتسى الأرض به بهجة وتبرز الأرض بحسن الفنون
فنسأل الرحمن نفعنا به فهو المرجى عند حسن الظنون
وقد تشفعنا بخير الورى ومن له فى القلب حب مصون
حمائم الأيك وأبدت شجون

وحكى أن فرعون كان يتمرد ويدعى الفرعنة والطغيان فى الأرض وكان يضل قومه بهذا النيل فإذا كان يوم النيروز وقد وفى النيل أجله وبلغ نهايته أمر بأن ينادى فى الناس إن فرعون قد وفى لكم نيلكم فاسجدوا له فكان جهال القوم يعتقدون ذلك فلما كان فى بعض السنين قصر النيل عن وفائه ولم يأذن الله تعالى له بالطلوع فاستشعر الناس بالجوع وأحسوا بالقحط فاجتمعوا إلى فرعون وقالوا له قد هلكنا وهلكت دوابنا وأهلنا وأولادنا فإن كنت إلهنا فاجر لنا نيلنا فقال لكم ذلك ثم إنه عمد إلى مسح وقلنسوة من شعر وكيس فيه رماد ومضى إلى مكان المقياس الآن وكانت خربة فى الجزيرة المعروفة بالمقياس الآن وأمر أن لا يتبعه أحد من قومه ولا من رعيته ودخل الخربة ونزع ثياب الملك والتاج الذى كان على رأسه ولبس المسح والقلنسوة والشعر وفرش الرماد وجعل يتمرغ عليه ويبكى ويسجد لله عز وجل ويمرغ وجهه على الرماد وهو يقول إلهى وسيدى أعلم إنك إله السموات والأرض وإله الأولين والآخرين ولكن غلبت على شقوتى وزدت فى عصيانى وطغيانى وأنت إلهى وأنا عبدك وقد حكمت على بما حكمت فلا تفضحنى بين قومى وأنت أكرم الأكرمين فما استتم كلامه حتى أذن الله للنيل أن يوفى تلك الساعة وأن يسير معه حيثما سار[1]

(١) وهذا استدراج لا كرامة لفرعون.

فكان فرعون يسير بين قومه والماء يبل أذياله فكانوا يغمسون أكمامهم فى الماء والطين ويضربون بعضهم بعضاً فرحا به فصارت فى مصر سنة إلى الآن ويقولون فيروز أى طلع النيل فيا هذا إذا كان هذا عدو الله وقد أخلص لله طرفة عين فأعطاه الله تعالى ما طلب وستره فى قومه ولم يفضحه عندهم فكيف بمن أخلص لله عز وجل عمره كله ولم يبرح فى طاعته وخدمته ماذا يريد أن يعطيه فى الآخرة وكذلك العبد العاصى إذا تاب من ذنوبه واعترف بعيوبه وتضرع إلى مولاه فى سره وجهره فالله تعالى أكرم من أن يعذبه أو يفضحه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

أيها الهائم المشوق إذا ما	شئت تبغى الرضا وتهوى لقانا
غض عن غير حسننا كل طرف	منك واحذر أن تشغل بسوانا
وتخضع ببابك وتضرع	وتذلل لنا وقف بحمانا
واعترف بالتقصير والعجز واند	ب فى المعاصى عمرا مضى وزمانا
وتوسل بجاه خير البرايا	وتوسل به تنال رضانا
فهو نعم الشفيع فى الخلق والحشر	ومن حوضه غدا ملآنا
فعليه الصلاة منا إليه	ما شكت أيكة لها أشجانا

وقيل إنه كان سنة لفرعون إذا بدا وحان النيل أن يأمر ببنت من بنات أهل مصر يحلونها بأنواع الحلى ويلبسونها أفخر الحلل ويزينونها بأنواع الزينة كالعروس التى تزف إلى زوجها ثم يأمر بإلقائها فى النيل كان دأبهم ذلك فى كل سنة وكان عامة الناس وجهالهم يعتقدون أن النيل ما يطلع حتى يرموا فيه العروس واستمر الأمر على ذلك إلى زمان خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان نائبه بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فلما أنكر عليهم ذلك كتب كتابا إلى عمر بن الخطاب يخبره الخبر فكتب له عمر كتابا برد الجواب ورقعة يقول فيها من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك لا تجرى وإن كان الواحد القهار هوالذى يجريك فنسأل الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة فى النيل وكان أهل مصر قد أيقنوا بالغلاء فأصبحوا وقد أجرى الله تبارك وتعالى النيل وطلع ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة كل ذلك من بركات عمر بن الخطاب وحسن إيمانه رضى الله عنه وأراح الله المسلمين من تلك البدعة وأمر عمرو بن العاص الناس بالشكر لله والثناء عليه والتوبة من المعاصى وأبطل ما كانوا يفعلونه من المنكر ورمى البنات فى الماء فلما رأى القبط ما فعله عمر رضى الله عنه ساءهم ذلك وأرادوا أن يقووا دينهم ويكون ذلك

منسوبا إليـهم فاحتالوا بحيلة الـشهيد الذى يرمونه فى التـابوت أوان الزيادة واتخذوه عيدا إلى الآن وكذلك أحدثوا الخمسة أيام التـى يسمونها النسىء قال الله تعالى **﴿إنما النسىء زيادة فى الـكفر يضل به الذين كفروا يـحلونه عاماً ويحرّمونه عـاماً ليواطؤوا عدة مـا حرم الله فـيحلوا ما حـرم الله زين لـهم سـوء أعمالـهم والله لا يـهدى الـقوم الكافرين﴾** فهذا فى دينهم طغيان ونحن بحمد الله تعالى قد خصنا الله تعالى بأشرف الأديان وأوضح لنا فيه طريق الإيمان وخصنا بشفاعة سيد الأكوان محمد المصطفى سيد ولد عـدنان ﷺ وعلـى آله الـسادة الأعيـان وأزواجه وذريتـه صلاة دائـمة فى الـسر والإعلان ولبعضهم فى هذا المعنى:

يـا أيهـا النـيـل المبـارك إن تكـن	من عـند ربك تـأت فاجر بـأمره
وإن تكـن من عنـد نفـسك تأتـنا	فـالله يـبـسـط بـره فـى بـره
كم من بـلاد لست تعـرف أرضها	مـلأ الإلـه بـيـوتـهـا مـن بـره
إن كـان دفعـك لا يـجـىء تأدبـا	إلا بـإذن مـلـيـكـه فـبـعـذره
قـال الصـليـبى الـلعـين بجـهلـه	والكفر يركض فى جوانب صدره
ذا العام لم يرموا الشـهيد فلم يف	ذا الـنيـل إلا أن رمـوه بـنحـره
هـون بـه وبـشـهـره ونـسـيـئـه	وشـهـيـد مسراه وطـيـة بـئـره
نـحن الـذى نلـنا بـجاه مـحمـد	عـند الإلـه بـحمـده وبـشكـره
مـا يـرتجـيـه غـنـى بـغـنـائـه	وفـقـيـرا بـالالـتـذاذ بـفـقـره
ندعـو ونستـسقى الغـمام بوجـهه	فـبذاك أخبـر عمـه فـى شعـره
وقـد استـجرنـا بالـنبى مـحمـد	وبـآلـه وبـصـحـبـه وبـسـره
صلـى عليه الله مـا سرت الصبا	وأنـت بطـيب ثـنـائه وبـعطـره

(إخوانى) تفكروا فى جريان هذا النيل كيف أمده الله تعالى بالمدد الجميل والرزق الجزيل واللطف الجميل وجعله حياة للأرواح فى المسير والمقيل فلو منعه منكم مانع أو قطعه عنكم قاطـع لضاقت بكم الرحاب وتقطعت بكم الأسـباب وحلت بكم الأمور الصعاب والحق سبحانه وتعالى لم يمنعه عنكـم بخلا عليكم برزقه ولا تعجيلا لعقوبة خلقه وإنما يرسله رحمة إليكم وإشفاقا عليكـم شفقة لا تشبه شفقتكم على أبنائكم أو يفعل معكم مـن اللطف والتدبير مالا يفعلـه تدبير آبائكم فإنه سبحانـه وتعالى يسوقه إليكم فى وقت احتياجكم إليه ونفعه ويـصرفه عنكم وقت حاجتكم إلى صرفه ودفعه المتفـع به كل منكم بغرسـه وزرعه فكيف يعصى مـن هذه ملاطفته بعبـاده فى سائر الدهور أم كيف يبارز بالخطايا وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

وفى هذا المعنى:

فيا مـن بات يخلو بالمعاصى	وعـين الله شاهـدة تـراه
أما تخشى من الديان طردا	وتحرم دائـما زبـدا تـراه
تبـارز بالمعاصـى منك مـولى	عـلى جـهـل يراك ولا تـراه
أتعـصى الله وهو يراك جـهرا	وتـنسـى فى غـد خقـا لقـاه
وتخـلو بالمـعاصـى وهو دان	إليك ولست تخشى من سطاه
وتنـكر فـعلـها ولـه شهـود	على الإنـسان تكتـب ما حواه
فويل العبد مـن صحف وفيها	مـسـاويـا إذا وافـى مـسـاه
ويا حـزن المسىء لشـؤم ذنب	وبـعد الحـزن يكـفيه جـواه
ويندم حـسرة من بعـد فوت	ويبكـى حيث لا يجـزى بكاه
يعـض يديـه من نـدم وحزن	ويـندب حـسرة مـا قد عـراه
فـكـن بـالله ذائـقـة وحـاذر	هجوم الموت مـن قبل أن تراه
وبـادر بـالمتـاب وأنـت حـى	لـعـلـك أن تنـال بـه رضـاه
ولذ بـالمصطفـى خير البـرايا	رسـول قـد حـباه واجـتـباه
علـيه من المهـيمن كـل وقت	سـلام عـطـر الدنـيـا شـذاه

اللهم أفض عـلينا من بحر برك وإحسـانك واجبر قلوبنا بعـفوك وغفرانك وأرو عطش قلوبنا بنيل نيل رحمتك ورضـوانك واكتب لنا بالأمن من الخوف توقيع أمانك برحمتك يـا أرحم الراحمين وصلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

*****

المجلس السابع والثلاثون
فى مناقب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

الحمد لله الذى تعـزز فى وحدانيته فهو الـواحد العزيز وتفرد فى أزلـيته وأحرق العالم فى بحر الحيرة والتعجيز أتقن خلق الموجودات فليس فى إتقان صنعه نقص ولا تعويز زين شقـة حلة السماء بنعوت البـهاء وطرزها بالكواكب المشرقـة أحسن تطريز ورقم كميها برقم الشمس والقمر كالفـضة النقية والذهب الإبريز وخرسها من استراق السمع بالـشهب الثواقب أتم حرس وأمنع تحجـيز وجلاها على عيون المعـتبرين أولى العقـل والتميـيـز وسطح الأرض على نـيار الماء وأبرزهـا بقدرته أحسـن تبريز وثبـتها

برواسى الجبال وجعلها مسكنا للرجال والأقطاب والصالحين والأنجاب وخلع عليهم خلع التكريم والتعزيز وصرف عنهم الدنيا فلم يفرقوا الإدخار والتكنيز وجعلهم قائمين بحقه خلفاء على خلقه لمن فهم الإشارة والتلغيز وخص منهم من شاء بالرفق فى بلاده والنصيحة بعباده كالصحابة ومن تابعهم مثل عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم أجمعين.

قال محمد بن سعد رحمه الله: هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويكنى أبا حفص ولد بالمدينة فى سنة ثلاث وستين وهى السنة التى ماتت فيها ميمونة زوج النبى ﷺ وعن العباس بن راشد رحمة الله عليه قال: نزل بنا عمر بن عبد العزيز فلما رحل قال لى مولاى: اخرج معه شيعه فخرجت معه فمررنا بواد فيه حية ميتة ملقاة على الطريق فنزل عمر فدفنها ثم ركب وسرنا فإذا نحن بهاتف يقول يا خرقاء يا خرقاء نسمع صوته ولا نرى شخصه فقال عمر: أسألك بالله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر إلا ما ظهرت وأخبرتنا ما الخرقاء فقال هذه الحية التى دفنتموها فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لها يوما يا خرقاء تموتين بفلاة من الأرض فيدفنك خير مؤمنى أهل زمانه فقال له عمر: من أنت يرحمك الله فقال أنا من الجن السبعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ فى هذا الوادى فقال عمر: آلله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال: نعم فدمعت عينا عمر ثم انصرف وعن مجاهد قال: إن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين سبعة مضى منهم خمسة وبقى اثنان قال خارجة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز وعن زيد بن أسلم قال كان لعمر بن عبد العزيز سفط فيه درع من شعر وغل وكان له بيت فى جوف بيته يصلى فيه لا يدخل فيه أحد غيره فإذا كان فى آخر الليل فتح ذلك السفط ولبس ذلك الدرع ووضع الغل فى عنقه فلا يزال يناجى ربه ويبكى حتى يطلع الفجر ثم يعيد الدرع والغل إلى السفط فهذا دأبه مدة حياته رضى الله عنه (مفرد).

ذم المنازل بعد منزلة اللوى   والعيش بعد أولئك الأيام

وقال الحرث بن زياد جار عمر بن عبد العزيز رحمه الله: لقد سمعت عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو يتململ تململ السقيم ويبكى بكاء الحزين فكأنى أسمعه وهو يقول: يا دنيا إلى إلى تعرضت أم إلى تشوقت

هيهات هيهات غرى غيرى قد طلقتك ثلاثـا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كثير آه من قلة الزاد بعد السفر ووحشة الطريق ثم أنشد:

من العـار بعد النـجدتين هجـوعى ... وغـدر بهـم أن لا تـسـح دموعـى
ولى زفـرات كلـما هـبت الـصبـا ... يـقوم مـنهـن اعـوجاج ضـلوعـى
سـلام علـى تلـك الـديار فـإنهـا ... ديـارى الـتى أشـتـاقـها وربـوعـى

كان عمر بن عبد الـعزيز إذا صلى الصبح أخذ المصحف فـى حجره ودموعه تبل لحيته فكلما مر بـآية تخويف رددها فلا يتجاوزها من كثرة البكـاء حتى تطلع الشمس واشوقاه إلى تلك الوجوه واطرباه عند سماع أخبارهم واسفاه على محو آثارهم.

واأسـفـاه مـن فـراق قـوم ... هم المـصابيح والحـصون
والمـزن والأمن والـتـمنـى ... والخير والعقـل والسكون
بعدهـم العيش ليس يـصفو ... كيـف تفـاجئـهم المـنون
فـكـل نـار لـنـا قـلـوب ... وكـل مـاء لـنـا عـيـون

وعن يـزيد بن حوشـب قال: ما رأيـت أكثر خـوفا من الحسـن ومن عمـر بن عبدالـعزيز كأن الـنار لم تخـلق إلا لهما وكـان عمر بن عـبد العزيـز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله. وروى أن عـمر بن عبد العزيز قرأ يومـاً قوله تعالى: **﴿وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾** فبكى بكاء شديدا حـتى سمعه أهل الدار فجاءت فاطمة زوجته فـجلست تبكى لبكائـه وبكى أهل الدار لبـكائهما فجـاء ولده عبد الملك فـدخل عليهم وهـم يبكون فقال: يا أبت ما يبكيك فقال: يا بنى ود أبـوك ما يعرف الدنيا ولم تعرفه والله يا بنى لقد خشيت أن أكون من أهل النار.

يا هذا كان عمر بن عـبد العزيز يخاف مع عدله وأنت تأمـن مع ظلمك وجورك رؤى فى المنام بعد اثنتى عشرة سنة فقال: الآن تخلصت من حسابى اسمع يا من أمن الأقدار وليس له عند مولاه اعتذار.

تشـاغل بالـدنيا أنـاس فأصبـحوا ... عن الباب محجوبين قد منعوا القربا
وأهل الـتقـى لله تسرى قـلوبـهم ... إلى غاية نـالوا بها المشرب الـعذابا
فجالوا بنور العلم فى روضة التقى ... بهـا أنفس الأبـرار قد مـلئت حـبا
همو قطعوا الدنيا بخوف وعبدهم ... فكـرههمـوا للمـوت أورثهم كـربا

وعن عطاء رحمه الله قال: كان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء كل ليلة ويتذاكرون الموت والقيامة والآخرة فلا يزالون يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة. وعن ابن حبان رحمة الله عليه قال: صليت الصبح خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ **﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾** فجعل يكررها ولا يستطيع أن يتجاوزها وعن سفيان قال كان عمر بن عبد العزيز ساكتا وأصحابه يتحدثون فقالوا له مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين قال مفكراً فى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها وفى أهل النار كيف يصطرخون فيها ثم بكى وعن شيخ من أهل خراسان قال: لما أراد جعفر بيت المقدس نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز إذ أراد بيت المقدس فقال له: يا راهب أخبرنى بأعجب شيء رأيته من عمر بن عبد العزيز قال نعم يا أمير المؤمنين بينما عمر ذات ليلة على سطح غرفتى هذه وكان السطح من رخام وأنا مستلق على قفاى فإذا بماء يقطر من الميزاب على صدرى فقلت والله ما عندى ماء ولا رشت السماء فصعدت لأنظر فإذا هو ساجد ودموعه تنحدر من الميزاب.

وعن عمر بن مهاجر قال: قال لى عمر بن عبد العزيز إذا رأيتنى ملت عن الحق فضع يديك فى تلابيبى وهزنى ثم قل ماذا تصنع يا عمر واعجباه هذا خوف عمر مع كماله فكيف أمانك مع نقصانك الدنيا مرآة الآخرة فما عملته فى هذه رأيته فى تلك فأنت اليوم تعمل وغدا ترى فإن كنت عاقلا فابك على ما جرى وإن كنت نائما فستذهب عنك لذة الكرى.

لو بكيت عيناك يا هذا دما	ما تقدمت إلينا قدما
كيف يصفو لك ود بعد ما	نشر الغدر عليك العلما
نح علينا أسفا أو لا تنح	واسكب الدم علينا والدم
إنما يصفو ودادى لامرئ	حفظ العهد وراعى الذمما
لو أردناك لنا ما فتنا	ووصلنا حبلنا ما انصرما
ما رأينا منصفا عامله	منصف فى صفقة فاختصما

(إخوانى) كانت الدنيا إذا قدمت إلى الصالحين قدموها إلى الآخرة فأين نحن من القوم كم بين اليقظة والنوم كان عمر بن عبد العزيز يأتيه خراج اليمن فيدخله بيت المال ويبيت فى الظلام وكان يقول إذا سهرت فى أمر العامة أشعلت سراجاً من بيت المال وإذا سهرت فى أمر نفسى من مالى وروى أنه جاء خراج اليمن ومعه عنبر حمل على اثنى عشر بغلا فأحضر المال بين يديه ثم أمر به إلى بيت المال وأمر بالعنبر فلما

حضر بين يـديه سد أنفه وأمر به فـأدخل بيت المال فقيـل له إن هذا العنبر لا يـنقصه ريحه فقال إنما ينتفـع منه بريحه وروى أن ابنة لعمر بن عبد العزيـز بعثت إليه بلؤلؤة وقالت يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تبعث لى أختها حتى أجعلهما فى أذنى فافعل قال فأرسل إليها بجمرتين ثم قال إن استطعـت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت بأخت اللؤلؤة إليك.

وعن عيسى بن سنان قال: كان عمر بن عبد العزيز لا يبنى بناء فقيل له فى ذلك فقال ذلك سنة رسول الله ﷺ خرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة. وعن أبى داود الرومى رحمة الله قال: كان لعـمر بن عبد العزيز درجة يصعد عليها وكانت تتحـرك كلما نزل أو طلع يرتاع منها فعمد بعـض أصحابه فشدها بطين فلما صعد عـمر رآها قد تثبتت فسأل عنـها فقيل إن فلانا بناها فقـال أعيدوها إلى ما كانت فإنى عاهدت الله تعالى منذ وليت أن لا أضع لبنة على لبنة ولا آجرة على آجرة اسمع يا مـن أفنى فى عمارة الدنـيا عمره وقلل نفعـه فيها وكثر ضرره كـان السلف يخربون الدنيا فيعمرون بها الآخرة وأنتم قد عكستم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة.

زيادة المرء فى دنياه نقصـــــان — وفعله غير فعل الخير خسران
يا عامر لخراب الدار مجتهدا — تالله ما لخراب العمر عمـران

فيا مستأنسا بالمنازل والدور وكاسات الموت علـيه تدور يا مظلم القلب وما للقلب نور الباطن خراب والظاهر معمور ولو ذكـرت الأجداث والقبور لأبطلت عمارة الدنيا أيها المغرور ستحـاسب على الأيام والشهور يا من يصلى بـلا حضور ويصوم والصوم بالغـيبة مغـمور كم يتـلطف بك وأنت تـفور، كم ينـعم عليـك يا كفور وكـم تبارز بالمعاصى وأنت مـستور ويمهلك لتتوب إليـه فإنه رحيم غفور يعلم خـائنة الأعين وما تخفى الصدور.

إلـى متـى تلـهو بـدار الغـرور — وفى تمادى الغنى تفنى الدهور
يـا ناسـيـا للـمـوت يـا غافـلا — عـليـه كاسـات المنـايا تـدور
حادى السـرى ناداك مستـعجلا — ومـا تزودت لـيـوم الـنشـور
فانهض وتب من كل ذنب مضى — تحظى برضوان العـزيز الغفور

(وعن) الأوزاعى رحـمة الله عليه كان عـمر بن عبد العـزيز يصوم ويفطـر على البقل وكـان فى غالب أوقاته يغـمس الخبز بالدقة ويأكـله وأهدى إليه طبق فـيه تفاح

وفاكهة فرده ولم يأكل منه شيئا فقيل له: ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية قال: بلى ولكن الهدية إلى رسول الله ﷺ هدية وهى لنا ولمن بعدنا رشوة وكان رحمه الله يمنع نفسه الشهوات ويسمح بالعطايا للناس قال خزيمة أبو محمد العابد أن عمر بن عبد العزيز قال: ما أعطيت أحداً مالا إلا واستقللته له وإنى أستحيى من الله أن أسأله الجنة لأخ من إخوانى وأبخل عليه بالدنيا وعن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب رحمه الله تعالى قال ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنتين ونصفا فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون من الفقراء فيقوم وماله معه لما أغنى عمر الناس بعطائه. وعن النضر بن سهل عن أبيه قال: قال عمر بن عبد العزيزلجاريته يوما: روحينى حتى أنام فروحته فنام فغلبها النوم فنامت فلما انتبه أخذ المروحة يروحها فلما انتبهت ورأته يروحها صاحت فقال لها عمر: إنما أنت بشر مثلى أصابك من الحر ما أصابنى فأحببت أن أروحك كما روحتينى فلله درهم جعلوا التواضع لهم شعارا والتقوى دثارا وجانبوا من الدنيا لهوا واغترارا وتزينت لهم فرفضوها لما رأوها ثوبا معارا كم كفت كفا كم أعمت أبصارا وكم بالخوف راعت راعيها ومارعته ليلا ولا نهارا فارحل بعزمك عنها واتخذ غيرها دارا واحذر لباس بأسها فكم كست لابسها عارا.

يا محب الدنيا الغرورة اغترارا	راكبا فى طلابها الأخطارا
يبتغى وصلها فتأبى عليه	وترى أنسه فتبدى نفارا
خاب من يبتغى الوصول إليها	جارة لم تزل تسىء الجارا
كم محب أرته أنسا	فلما طلب الوصل أبعدته مرارا
فتعوض عنها بخلة صدق .	والتمس غير هذه الدار دارا
فالبدار البدار بالعمل الصالح	ما دمت تستطيع البدار

وعن هلال بن قيس رحمة الله قال: مرض عمر بن عبد العزيز مرضه الذى مات فيه أول شهر رجب سنة إحدى ومائة وكان شكواه عشرين يوماً. وعن الوليد بن هشام رحمه الله قال: لقينى يهودى وكان قد أخبرنى قبل ولاية عمر أن عمر سيلى هذا الأمر وسيعدل فيه قال فلقيت عمر فأخبرته فلما تولى عمر لقينى اليهودى بعد مدة فقال لى: ألم أخبرك أن عمر سيلى الخلافة وكان الأمر كما أخبرتك فقلت بلى فقال لى الآن هذا الرجل قد سقى السم فمره عليه فليتداوى ويدرك نفسه قال فلقيته فذكرت له ذلك فقال عمر: والله إنى عرفت الساعة التى سقيت فيه السم ولو كان شفائى فى

مس شحمة أذنى لما مسستها أو لو كانت عاقبتى بطيب أرفعه إلى أنفى مارفعته. وعن مجاهد قال: سألنى عمر بن عبد العزيز فى مرضه ما تقول الناس فىّ قال: يقولون إنه مسحور فقال: ما أنا بمسحور ولكن سقيت السم ثم استدعى بغلام فقال: له ما حملك على أن سقيتنى السم قال أعطيت ألف دينار ووعدت بالعتق فقال هات الألف دينار فجاء بها فألقاها فى بيت مال المسلمين وقال للغلام اذهب حيث شئت فأنت حر.

وعن أبى حازم رحمة الله عليه قال: شاهدت عمر بن عبد العزيز وقد رقد رقدة على أثر وجد وجده فبكى ثم ضحك فلما انتبه قال أبو حازم يا أمير المؤمنين ما الذى اعتراك فى منامك حتى ضحكت بعد البكاء قال: رأيت ذلك قلت: نعم وجميع من حولك قال: رأيت كأن القيامة قد قامت وقد حشر الناس مائة وعشرون صفا أمة محمد ﷺ منهم ثمانون صفا وإذا مناد يناد أين عبد الله بن أبى قحافة فأجاب فأخذته الملائكة فأوقفوه أمام ربه عز وجل فحوسب حسابا يسيرا ثم نجا ثم أمر به وبصاحبه إلى الجنة ثم جىء بعثمان فحوسب حسابا يسيرا ثم أمر به إلى الجنة قال عمر بن عبد العزيز فلما قرب الأمر منى نودى أين عمر بن عبد العزيز قال فتصببت عرقا ثم أخذتنى الملائكة فأوقفونى أمام الحق سبحانه وتعالى فسألنى عن النقير والقطمير وعن كل قضية قضيتها ثم غفر لى فأمر بى ذات اليمين فمررت بجيفة ملقاه فقلت للملائكة ما هذه الجيفة فقالوا سله يجيبك فسألته ووكزته برجلى فرفع رأسه وفتح عينيه فقلت له من أنت فقال لى من أنت فقلت أنا عمر بن عبد العزيز فقال لى ما فعل الله بك فقلت تفضل على ورحمنى وفعل بى كما فعل بمن سلف من الأئمة فقال ليهنك ما صرت إليه فقلت له من أنت فقال أنا الحجاج بن يوسف الثقفى قدمت على الله عز وجل وجدته شديد العقاب والغضب فقتلنى بكل قتيل قتلته وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة وها أنا بين يدى ربى أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم إما إلى الجنة وإما إلى النار قال أبو حازم فعاهدت الله تعالى بعد ما سمعت هذا من عمر رضى الله عنه إنى لا أقطع لأحد بالنار ممن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فالويل لأهل الظلم من الأوزار وذكرهم بالقبائح قد ملأ الأقطار يكفيهم إنهم قد وسموا بالأشرار ذهبت لذاتهم بما ظلموا وبقى العار دار وإلى دار العقاب وملك غيرهم الدار ودخلوا بالعذاب فى بطون تلك اللحود والأحجار فلا راحة لهم ولا سكون ولا قرار دموعهم تجرى على التفريط كالأنهار شدوا بنيان الأمل فإذا به قد انهار كم قتل الحجاج من قتيل وكم ظلم من جار أما علم أن الله ينتقم ممن تعدى

وجار فإذا قاموا فى القيامة حشروا فى جهنم مع الفجار سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار.

ويحك يا نفس البدار	ما هذه الدنيا لحى بدار
منزلة والناس سفر وكم	خانهمو صرف الليالى وجار
فقد نفد العمر وقل البقا	إلى متى يا نفس ذا الاغتزار
من كان فى الدنيا يرى راحلا	كيف له فيها يقر القرار
أم كيف يهنا العيش فيها لمن	عليه كاسات المنايا تدار
يا أيها النائم قم وانتبه	قد فاتك المطلوب والركب سار
إن كنت أذنبت فقم واعتذر	إلى كريم يقبل الاعتذار
وانهض إلى مولى عظيم الرجا	يغفر فى الليل ذنوب النهار

قيل: إن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيه فقال له يا أمير المؤمنين من توصى بأهلك فقال إذا نسيت الله فذكرنى ثم عاد وقال له من توصى بأهلك فقال إن وليى فيهم الله وهو يتولى الصالحين وعن رجاء بن حيوة قال قال لى عمر بن عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيه يا رجاء كن أنت فيمن يغسلنى ويكفننى ويلحدنى فى قبرى فإذا وضعونى فى لحدى فحل العقدة وانظر إلى وجهى فإنى قد دفنت ثلاثة من الخلفاء كلهم إذا وضعته فى لحده حللت العقدة ثم نظرت إلى وجهه فإذا هو مسود محول إلى غير القبلة قال رجاء فلما مات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كنت ممن غسله وكفنه ودفنه فلما ألحدته حللت العقدة ونظرت إلى وجهه فإذا هو يضىء كالقمر المنير متوجهاً إلى القبلة ففرحت له بذلك.

وعن عبيد بن حسان قال لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال اخرجوا عنى فلا يبقين عندى أحد وكان عنده مسلمة بن عبد الملك فخرجوا وقعد مسلمة بن عبدالملك وفاطمة أخته زوجة عمر على الباب فسمعوه يقول مرحبا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا بوجوه جن قال وسمعنا صوتا من ناحية البيت يقول **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾** قال ثم دخلوا عليه وقد مات رحمه الله وقد استقبل القبلة وغمض عينيه وطبق فاه وعن الأوزاعى قال قال عمر بن عبد العزيز ما أحب أن يخفف عنى سكرات الموت فإنه آخر ما يرفع للمؤمن من الأجر وفى رواية قال عمر بن عبد العزيز ما أحب أن يخفف عنى سكرات الموت فإنه آخر ما يكفر به المؤمن. وروى أن عمر بن عبد العزيز لما ثقل

مرضه قال لمسلمة بن عبد الملك خذ من مالى دينارين فاشتر لى بهما كفنا فقال يا أمير المؤمنين إن الدينارين لا يحصل بهما كفن لمثلك فقال يا مسلمة إن كان الله عنى راضيا فسيبدلنى بما هو خير منه وإن كان ساخطا فإنما يكون حطبا للنار وروى أنه كفن فى ثياب صحولية وقيل فى يمنية وكان قبره بدير سمعان من أرض حمص وكان قد أرسل إلى صاحب الأرض يساومه على موضع قبره فقال له يا أمير المؤمنين والله إننى لأتبرك بقبرك وقد حاللتك منه فأبى عمر أن يقبله إلا بثمنه وفى رواية إنه بايعهم يعنى أصحاب الأرض على موضع قبره بدينار وقال لهم إنما أريد بطن الأرض فإذا دفنت فاحرثوا أرضكم وازرعوا وفيها ابنوا وانتفعوا فلا يضرنى ذلك. وروى أن ولاية عمر كانت ثلاثين شهر إلا عشرة أيام وتوفى وهو ابن خمس وأربعين سنة وعن خالد الربعى قال مكتوب فى التوراة إن السماء والأرض لتبكى على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحا.

(وروى) أن رسول عمر بن عبد العزيز كان إذا وصل إلى البصرة تلقاه الناس بالرحب والسعة فإنه كان لا يأتى إلا بزيادة عطاء وإنفاذ مال يتفقد به أحوال الفقراء فلما وصل الرسول بموته خرج الناس إليه جارى عادتهم فلما أخبرهم بموته ضج الناس بالبكاء والعويل وغم ذلك أهل البصرة بأسرهم لعظم مصيبتهم به وقيل إن بعض الجن رثاه فقال:

عنا جزاك مليك الناس صالحة	فى جنة الخلد والفردوس يا عمر
أنت الذى لا نرى عدلا نسر به	من بعد ما جرى شمس ولا قمر

ولما مات عمر بن عبد العزيز رثاه جرير فقال:

تنعى النعاة يا أمير المؤمنين لنا	مفضلا حج بيت الله واعتمر
حملت أمرا عظيما فاستطعت له	وسرت فيه بأمر الله مؤتمر

وقال مسلمة بن عبد الملك: رأيت عمر بن عبد العزيز بعد موته فى المنام فقلت له إلى أى الحالات صرت يا أمير المؤمنين فقال يا مسلمة هذا أوان فراغى والله ما استرحت إلى الآن فقلت يا أمير المؤمنين فأين أنت فقال أنا مع أئمة الهدى فى جنات عدن.

(وكان) عمر بن عبد العزيز يأتى المساجد المهجورة فيصلى فيها ما يسر الله عز وجل فإذا كان وقت السحر وضع جبهته على الأرض ومرغ خده على التراب ولم يزل

يبكى إلى طلوع الفجر فلما كان فى بعض الليالى فعل ذلك على العادة فلما فرغ ورفع من صلاته وتضرعه وجده رقعة خضراء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب فيها هذه براءة من النار من الملك العزيز وقال الفرزدق لما مات عمر رضى الله عنه يرثيه:

لو أعظم الموت خلقا أن يواقعه — لعدله لم يصبك الموت يا عمر
كم من شريعة حق قد بعثت لها — كادت تموت وأخرى منك تنتظر
يا لهف نفسى ولهف الواجدين معى — على الجبيب الذى يسقى به المطر
ثلاثة ما رأت عينى لها شبها — تضم أعظمهم فى المجد الحفر
وأنت تتبعهم إذ كنت مجتهداً — للحق ولأمر المعروف تبتدر
لو كنت أملك والأقدار غالبة — تأتى رواحا وتبيانا ونبتكر
صرفت عن عمر المرضى مصرعه — بدير سمعان لكن يغلب القدر
فالله يكرم مثواه ويرحمه — ما أوجب الحب بل ما سنت العمر
وفى مصاب رسول الله تسلية — فيمن يموت وفى أنبائه عبر
هو الرسول الذى مَنَّ الإله به — على البرية وازدادت به السير
وخير من ولدت عدنان قاطبة — وخير من شرفت من أجله مضر
المصطفى المرتضى للخلق ينقذهم — من الضلال الذى فى طيه الخطر
أعطاه مولاه ما لم يعطه أحدا — خزائن الغيب منها الخير ينتظر
هو الحبيب الذى أسرى به عجلا — إلى السماء وجنح الليل معتكر
صلى عليه إله العرش ما طلعت — شمس وما خلفتها الأنجم الزهر

اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المجلس الثامن والثلاثون
فى مناقب الإمام الشافعى رضي الله عنه

الحمد لله الذى رفع العلماء إلى أشرف المناصب وأعلى وأسمى وخفض لهم المناصب حين نصبهم لفهم أسرار صفات ذاته وعطفهم على حال المعرفة ونظم در عقولهم فى سلك التمييز بالتأكيد نظما نشر فى الأقاليم أعلامهم وأجرى بالحق

أقلامهم فكل بمذهبه يرقم سطر الطروس رقما فنعمان النعمة ملكهم علما وفهما فاضلهم مالك وموطأ لهم الحديث ورسم فيه الأحكام رسما وشافعى سائلهم وفر لهم نصيباً وقسما وأحمدهم لسيدهم مسنداً إليه فلا يخشى لديه هما وكلهم طامع من المولى ببلوغ سؤله متأدب بما قاله تعالى فى تنزيله لرسوله ﴿**وقل ربى زدنا علما**﴾.

إذا ما شئت أن تسمو وتسمى	وتدرك راحة روحا وجسما
فقم لطريق أهل العلم سعيا	لتقفو معهم أثرا ورسما
فإن حصلت لك الدنيا وإلا	ظفرت بأكبر المشرقين نسما
فأكرم ما حواه المرء علم	به يهدى ويهدى من ألما
وليس يفيد ملك الكون عبدا	إلى العلياء يسرى وهو أعمى
فكم أبدى ضياء العلم راشد	وأذهب ظلمة وأزال ظلما
فنحمد ربنا إذ مَنَّ لطفا	به فى رشدنا وأزال غما

أحمد حمدا أنال من الإخلاص حظا وقسما وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أمحو بها ذنبا وإثما وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أذهب الله بشريعته عن القلوب ﷺ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين اطلع الله لهم فى سماء الفضل والشرف نجما قال أصحاب التاريخ: ولد الإمام الشافعى رضى الله عنه بغزة من بلاد فلسطين ومات عنه أبوه وهو ابن سنتين فحملته أمه إلى مكة شرفها الله تعالى فنشأ وترعرع بها وجالس أهل العلم وفتح الله عليه من العلم مالم يفتح على غيره حتى كان مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة يحثه على التقوى وهو ابن خمسة عشرة سنة وهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ويتصل نسبه إلى عبد مناف وعنده يلتقى بالنبى ﷺ وسافر إلى بغداد فأقام بها سنتين ثم عاد إلى مكة فأقام بها أشهرا ثم خرج إلى مصر ومات بها رضى الله عنه وكان يقسم الليل على ثلاثة أقسام ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم.

وقال الربيع رحمه الله: كان الإمام الشافعى رحمة الله عليه يختم القرآن فى كل يوم مرة وقال الربيع أيضا كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة وقال الحسن الكرابيسى بت مع الإمام الشافعى رضى الله عنه غير مرة فرأيته يصلى نحواً من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة وكان لا يمر على آية رحمة إلا سأل الله تعالى الإنابة لنفسه وللمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا

تعوذ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسة وللمؤمنين وكان الشافعي رضى الله عنه يقول: ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأنه يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة. وكان الشافعى رضى الله عنه يقول: ما حلفت بالله فى عمرى لا كاذبا ولا صادقا وسئل رضى الله عنه عن مسألة فسكت فقيل له لم تجيب فقال: حتى أعلم الفضل فى سكوتى أو فى جوابى. وقال المزنى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم: جاء الشافعى إلى مالك رضى الله عنهما فقال له أريد أن أسمع منك الموطأ فقال مالك امض إلى حبيب كاتبى فإنه يقول قرأته فقال له الشافعى تسمع منى رضى الله عنك صفحا فإن استحسنت قراءتى قرأته عليك وإلا تركته فقال له اقرأ فقرأ صفحا ثم وقف فقال له مالك هيه فقرأ صفحا ثم سكت فقال له الإمام هيه فقرأ فاستحسن مالك قراءته فقرأ عليه الموطأ أجمع ثم أتاه بعد ذلك فقال له مالك اطلب من يقرأ لك فقال له الشافعى أحب أن تسمع قراءتى فإن خفت عليك وإلا طلبت من يقرأ لى فقال اقرأ فقرأت عليه فأعجبه ذلك ثم قال اقرأ فقرأت عليه الموطأ من أوله إلى آخره حفظاً فدعا لى وسر بذلك.

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعى يقول حملت عن محمد بن الحسن حمل جمل بختى ليس عليه إلا سماعى منه. وقال محمد بن عبد الله عبد الحكم قال الشافعى: لم يكن لى مال وكنت أطلب العلم فى الصغر فكنت أذهب إلى الديوان استوهب الظهور فأكتب فيها.

(إخوانى) بهذا الاجتهاد بلغوا المراد وبهذا الطلب حصل لهم التوفيق والسداد وبهذه الهمة صاروا قدوة للعباد يا هذا الهمم العلية تدنى إلى المراتب السنية وكل من تعب استراح ويحك يا مضيعا عمره فى البطالة وقد فاز غيره بنجح المطالب يا مهملا نظره فى العواقب احذر فوات الفضائل والمناقب أما كان فيما مضى من عمرك من اللعب ما كفاك ولا فيما رأيت من تغير أحوالك ما وعظك ونهاك ذهب العمر فى كسب ما يضر وأتيت إلى الآخرة بما لا يسر.

ما زلت فى ضر تكابده	حتى قطعت العمر خسرانا
وأتيت بالأوزار تحملها	لا كان ما قد كان لا كانا
وركبت آثاما أسرت بها	ورأيت فى عقباك أحزانا
فعسى الكريم تتم نعمته	ويعيد ذاك السوء إحسانا

كان الشافعى رحمه الله يقول: من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب وأما زهده رضى الله عنه فى الدنيا وسخاؤه فروى الحميدى أن الشافعى رضى الله خرج إلى اليمن فى بعض أشغاله ثم انصرف إلى مكة ومعه عشرة آلاف درهم فضرب خيمته خارج مكة فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرق جميعها وخرج يوما من الحمام وقد أتى بمال كثير فدفعه للحمامى وسقط سوطه من يده وهو راكب فدفعه إليه إنسان فأعطاه خمسين دينار. وروى عنه أنه خاط قميصا عند بعض الخياطين ممن جهل قدره فهزأ به الخياط وجعل له الكم اليمين ضيقا لا تخرج منه يده إلا بجهد والكم الآخر كأنه رأس عدل فلما جاء الشافعى رأى كما ضيقا جدا والآخر متسعا جداً فقال: جزاك الله خيرا هذا الكم الضيق جيد لتشمير الوضوء وهذا الواسع لأجل الكتاب وكان رسول الملك قد جاء إلى الشافعى بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط فقال له ادفعها إليه حق خياطته هذا الثوب وفكرته فى تفصيله فسأل عنه الخياط فقيل له هذا الإمام الشافعى فتبعه وقبل أقدامه واعتذر إليه ثم خدمه وصار من أصحابه.

وقال الربيع تزوجت فسألنى الشافعى كم أصدقتها فقلت ثلاثين دينارا قال كم أعطيتها قلت ستة دنانير فأرسل إلىّ بصرة فيها أربعة وعشرون دينارا وجعل لى معلوما على الأذان بالجامع سنة إحدى ومائتين وقال الشافعى رحمه الله أظلم الظالمين لنفسه الذى إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوو الفضل وقرأ بعضهم عنده يوما قوله تعالى: **﴿هذا يوم لا ينطقون* ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾** فتغير لونه واقشعر بدنه واضطربت مفاصله وخر مغشياً عليه فلما أفاق قال: أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لهيبته نفوس المشتاقين إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عنى فى تقصيرى بكرمك: يا هذا إذا كان هذا خوف الشافعى مع علمه فكيف أمنك مع جهلك ويح الجاهلين الغافلين أعمارهم تنهب وأيامهم تذهب وآثامهم تكتب أصم عن النصائح أم عمى والأمر واضح **﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾** أهل القلوب القاسية يخرجون من مجالس الذكر كما دخلوا **﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون﴾** المواعظ تحوم حول القلوب ولا تجد طريقا إليها **﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾** ومع هذا فلا يقطع الرجاء فإن الخمر ينقلب خلا فى ليلة واحدة يقلب الله الليل والنهار.

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل الإسلام هو أقسى قلبا من الصفا فأسلم ولان عند الصفا.

عسى فرج يأتى به الله إنه ... له كل يوم فى خليقته أمر

ويحك إن اغتالك الظلام فاقتد بعلماء الإسلام. قال عبد الله بن محمد البكرى كنت مع الإمام الشافعى رضى الله عنه بشط بغداد فرأى شابا يتوضأ وهو لا يحسن الوضوء فقال له: يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة ثم مضى فأسرع الشاب فى وضوئه ثم لحق الإمام الشافعى ولم يعرفه فالتفت إليه الإمام وقال له هل من حاجة قال: نعم تعلمنى مما علمك الله فقال له اعلم أن من عرف الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا أفلا أزيدك قال نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان من أمر بالمعروف وائتمر به ونهى عن المنكر وانتهى عنه وحافظ على حدود الله تعالى قال: أفلا أزيدك؟ قال: بلى قال: كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا، واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسأل عنه الشاب بعد ذلك فقيل له هذا الإمام الشافعى رضى الله عنه.

وكان يقول رضى الله عنه: وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم ولم ينسب إلى منه شيء. وقال أيضاً رضى الله عنه ما ناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يظهر الحق على يديه ولا أبالى أن يبين الله عز وجل الحق على لسانى أو على لسانه وقال أيضاً: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت مودته ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته. وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى وقال له ابنه: يا أبت أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال الإمام أحمد: يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للناس فانظر يا بنى هل من هذين خلف هكذا العلماء والصالحون هم كالشمس للدنيا والعافية للناس وليس منها خلف فإن بهم يدفع الله البلاء وينزل الرخاء وتعم البركة وتنشر الرحمة فلله درهم فروا من الدنيا إلى الله وأنتم تفرون من الله إلى الدنيا كان السلف يسخرون من الشيطان وأنتم يسخر بكم كم بينكم وبينهم فى المقدار ملكتكم الدنيا وملكوها فأنتم عبيد لها والقوم أحرار كانت لهم أنفة فما احتملوا العار وعرفوا قدر الزمان فانتهبوا الأعمار لو اطلعتم عليهم فى وقت الأسحار لرأيتموهم نجوم الهدى لا بل هم الأقمار قاموا فى الدجا على قدم

الاعتذار وأنتم فى بحر النوم والغفلة فى التيار.

طال والله بالـذنوب اشتغـالى | وتماديـت فى قبـيح الفـعال
ليت شـعرى إذا أتيت فـريدا | والموازيـن قد نصبن حـوالى
والدواوين قـد نشرن جمـيعا | ثم لـم يغـن هنـالك مـالى
ما احـتيالـى وما أقول لـربى | فى سؤالى وما يكون مقالى

كان الشـافعى رضى الله عـنه كثير الـزهد فى الدنـيا عفيفـاً عن اللغـو والكلام الفاحش مر يوما برجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعى رضى الله عنه إليه فقال: نزهـوا أسماعكم عن سماع الخنا كـما تنزهون ألسنتكم عـن النطق به فإن المستمع شريك القائل وإن السفيه لينـظر إلى أخبث شىء فى وعائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتـكم ولوردت كلمة السـفيه الشقى رادها كـما يشقى قائلـها. وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى عن مسائل فى الورع والشافعى يقبل علـيه لورعه فقال للشافعى أيما أفضل الصبـر والمحنة أو التمكن؟ فقال الشافعى رضى الله عنـه: التمكن درجة الأنبياء ولا يكون التمـكن إلا بعد المحنة فإذا امتحن وصـبر مكن ألا ترى أن الله سبحـانه وتعالى امتـحن إبراهيم عليـه السلام ثم مكنـه وامتحن موسـى عليه السـلام ثم مكنه وامـتحن أيوب علـيه السلام ثم مـكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم آتاه ملكا عظيما والتمكن أفضل الدرجات.

وقال عبد الملك بن عبد الحميد الميمـونى: كنت عند أحمد بن حنبل وجرى ذكر الشافعـى فرأيت أحمد يعـظمه فقال: بلـغنى أو قال يروى عن الـنبى ﷺ أن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلا يقيم لها أمر دينها فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة وأرجو أن يكـون الشافعى على رأس المائة الأخرى. وقال هارون بن سعيد بن الهـيثم الأيلى: ما رأيت مثل الشافعى قط ولقـد قدم علينا مصر فقالوا قـدم رجل من قريش فقيـه فجئناه وهو يصلـى فما رأينا أحسن مـنه وجها ولا أحسن صلاة فافتنا فلما قضى صلاته تكلم فما رأينا أحسن منطقا منه وكان يتكلم فى الحقيقة أيضاً وفـى الزهد وفى أسرار القلوب وكان يقول كيف يـزهد فى الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة وكـيف يخلص من الدنيـا من لا يخلو من الطمـع الكاذب وكيف يسلم من لا يسلم الـناس من لسانه ويده وكيف ينال الحكمة مـن لا يريد بقوله وجه الله عز وجل. وسـأله بعض النـاس عن الرياء فقال لـه: أنت إذا خفت عن نـفسك

العجب فانظر رضا من تطلب وفى أى نعيم ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عافية تشكر وأى بلاء تذكر وله رضى الله عنه.

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى	جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته	بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فلله در العارف الندب إنه	تسح لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم إذ ما الليل مد ظلامه	على نفسه من شدة الخوف مأتما
فصيحا إذا ما كان فى ذكر ربه	وفيما سواه فى الورى كان معجما
ويذكر أياما مضت من شبابه	وما كان فيها بالجهالة أجرما
فصار قرين الهم طول نهاره	ويخدم مولاه إذا الليل أظلما
يقول حبيبى أنت سؤالى وبغيتى	كفى بك للراجين سؤلا ومغنما
ألست الذى غذيتنى وكفلتنى	وما زلت منانا علىَّ ومنعما
عسى من له الإحسان يغفر ذلتى	ويستر أوزارى وما قد تقدما

وله أيضا رضى الله عنه نظم كثير يحتوى على الحكمة والمواعظ وسنذكر منها ما وصل إلينا وصح عنه رضى الله عنه وله أيضا كلام فى الحقيقة ومعادن دقيقة فمن ذلك ما رواه سويد بن سعيد رحمه الله قال: كان الشافعى جالساً بعد صلاة الصبح فى مدينة النبى ﷺ إذ دخل عليه رجل فقال له: إنى خائف من ذنوبى أن أقدم على ربى وليس لى عمل غير التوحيد فقال الإمام الشافعى رضى الله عنه: يا مؤمن لو أراد الله عزّ وجل أن يؤيسك من المسامحة لديه لما أحالك فى مغفرة الذنوب عليه حيث يقول: ﴿**ومن يغفر الذنوب إلا الله**﴾ ولو أراد عقوبتك فى جهنم وتخليدك لما ألهمك معرفتك به وتوحيده ثم أنشد:

إن كنت تغدو فى الذنوب جليدا	وتخاف فى يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه	وأباح من نعم عليك مزيدا
لاتيأسن من لطف ربك فى الحشى	فى بطن أمك مضغة ووليدا
لو شاء أن تصلى جهنم خالداً	ما كان ألهم قلبك التوحيدا

فبكى الرجل وأقبل على العبادة وفرح بكلامه رضى الله عنه وله شعر كثير وأدعية فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مروان قال: كنت أجلس فى حلقة العلم عند الإمام الشافعى رضى الله عنه وأكتب ما أفهمه منه فأتيته سحرا فوجدته فى المسجد

وهو قائم يصلى فجلست حتى فرغ من صلاته ثم دعا بدعوات حفظتها منه فكان من جملة ذلك: اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك وامنن علينا بكل ما يقربنا إليك مقرونا بقبولنا فى الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين قال: فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف ينظر إلى السماء ثم أنشد:

بموقف ذلى دون عزتك العظمى	يخفى سر لا أحيط به علما
بإطراق رأسى باعترافى وبذلتى	بمد يدى أستمطر الجود والرحما
بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها	لعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهد قديم من ألست بربكم	بمن كان مجهولا فعلمته الاسما
أذقنا شراب الأنس يا من إذا سقى	محبا شراباً لا يضام ولا يظما

ومن جملة مناقبه رضى الله عنه قال الربيع رحمه الله: سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول: رأيت وأنا باليمن كأنى جالس فى قضاء الطواف إذ أقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه فقمت إليه مسرعا وسلمت عليه فصافحته فعانقنى ونزع خاتمه من أصبعه فجعله فى أصبعى فلما أصبحت قصصت ذلك على المعبر فقال لى: أبشر يا أبا عبد الله أما رؤيتك لعلى بن أبى طالب فى المسجد الحرام فهو النجاة من النار وأما مصافحتك إياه فهو الأمان يوم الحساب وأما جعله الخاتم فى أصبعك فسيبلغ اسمك فى الدنيا ما بلغ اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه. ومن جملة دعائه رضى الله عنه: اللهم إنى أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة وطارق من الإنس والجن إلا طارق يطرق بخير اللهم أنت عياذى فبك أعوذ وأنت ملاذى فبك ألوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة أعوذ بجلالك وكرمك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك وانصراف عن شكرك أنا فى كنفك ليلى ونهارى ونومى وقرارى وظعنى وأسفارى ذكرك شعارى وثناؤك دثارى لا إله إلا أنت تنزيها لاسمك وتكريما لسبحات وجهك أجرنى من خزيك ومن شر عبادك وقنى سيئات مكرك واضرب على سرادقات حفظك وأدخلنى فى حفظ عنايتك يا أرحم الراحمين.

(إخوانى) ذهب الصالحون والعلماء المجتهدون ولم تذهب آثارهم ومحيت رسومهم ولم تمح محاسنهم وأخبارهم كان الإمام أحمد بن حنبل يعظم الإمام

الشافعى رضى الله عنهمـا ويذكره كثيرا ويثنى عليه وكانت له ابنـة صالحة تقوم الليل وتصوم النهـار وتحب أخبار الصالحين الأخيار وتود أن تـرى الشافعى لتعظيـم أبيها له فاتفق مبيت الإمام الشافعى عند أحمد رضى الله عنهما فى وقت ففرحت البنت بذلك طمعاً أن ترى أفعاله وتسمع مقاله فلمـا كان الليل قام الإمام أحمد إلى وظيفة صلاته وذكره والإمام الشـافعى رضى الله عنه مستلق على ظهـره والبنت ترقبه إلـى الفجر فقالت لأبيها رأيتك أنت تعظم الشافعى وما رأيت له فى هذه الليلة لا صلاة ولا ذكراً ولا ورداً فبينما فى الحديـث إذ قام الشافعى فقال أحمد كيف كانت لـيلتك؟ فقال: ما رأيت ليلة أطيب مـنها ولا أبرك فقال كيف ذلك قال لأنى رتبت فى هـذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهرى كلها فى منافع المسلمين ثم ودعه ومضى فقال أحمد بن حنبل لابـنته هو الذى عمله فـى الليلة وهو نائم أفـضل مما عملته وأنا قـائم. يا هذا كانت حركاتهم وسكناتهم لله وأفعالهم وأقوالهم لله وذكرهم وفكرهم فى الله فقيامهم طاعة ونومهم صدقة وذكـرهم تسبيح وسكونهم فكر وعلمـهم شفاء ورحمة للأمة لا جرم أن الله تعالى مـنحهم ومدحهم وجعلـهم أئمة للإسلام وقدوة للأنـام وينشد فى المعنى:

قوم إلى الله سـاروا بالعلـوم على	نجائـب الفـكر ركبـانا ووجـدانا
وفارقوا الأهل والأوطـان واغتربوا	وقد جفوا فى طلاب العلم أوطانا
حتى انـتهوا منتـهى علم ومـعرفة	وذكـرهم عـطر الأكـوان إعلانـا
هـم الأئمـة لا زالت عـلـومهـم	تبـدى لناسـقهـا روحا وريحـانا

وقيل: إن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يقطع الليل بوظائف العلوم والأذكار ويجول فى روض الحقائـق والأسرار وينزه فى حدائق لطائف الأفكار فـإذا هبت عليه نسمـات الأسحار اضطرب كـونه وتغير لونـه وهاج وجده ولحقه حـال لا يدركه إلا أرباب الأحوال فسـئل عن ذلك فقال: لو تـنشقون فى السـحر ما أنشق لشغـلتم عن دنياكم ولهدتم لأخراكم ولسان حاله يقول:

لكـم مهـجتى والـروح والقـلب	وكلى لكم ملـك وإنى بكم صب
وأنتـم أحبـائى عـلى كـل حالـة	فيا فرحى إن صح لى فيكم الحب
فأتـيتم فـعينـى دمعـها متـواصل	عليكـم وقلبى لا يفارقـه الكرب
وكـم أتمـنـى أن أسيـر إلـيـكـم	فيمنـعنى حظى وما تنفـع الكتب

وأشتـاق وادى الرقمـتين لأجلـكم إلـى وادى قـبـا والقـنـا يـصـب
متى أنظر الأعلام من نحو أرضكم وقد ظهـرت تلك المعالم والـكتب
ويطـربنى نوح الحـمام على الـربا وبان الحمى والأثل والمنزل الرحب
متـى تجمـع الأيام شـملـى برامـة وأنظر من أهوى وقد زالت الحجب
وإنـى لمـشتـاق إلـى قـبر أحـمـد نبـى إليه تـرحل الـعجم والـعرب
هو الـقرشـى الهاشـمى الـذى له منـاقب فضـل لا تبـيد ولا تخـبو
ولولاه كان الناس فى الغى والعمى ولكـن هداه قـد حبـانا بـه الرب
عـلـيـه سـلام الله مـالاح بـارق وما هتف ورق وما هـطلت سحب
وعم جميع الآل والصـحب كلهم سلام فـفيهـم دائما وجـب الحب

وصلـى الله على سـيدنا مـحمد وعـلى آله وصـحبه أجـمعين والحـمد لله رب العالمين.

*****

المجلس التاسع والثلاثون

فى مناقب الإمام مالك رضي الله عنه

الحمد لله الذى جـعل العلم للـعلماء سببـاً وأغناهم به وإن عدمـوا ولأجله فاز إدريس عليه السلام بالجنة ورفعه الله واجتبى ولطـلبه قام الكليم ويوشع وانتصبا فسار إلى أن لقيا فى سفرهما نصبا إذ قال موسى لفتاه ﴿**لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا**﴾ وبسببه خلق الله آدم للبشر أبا وأمـر الملائكة للسجود له فسجدوا إلا إبليس أبى واستخرج مـن ذريته قبائل وشعبا وأجرى عليهم قلـم القضاء وجعل لكل شىء سببـا ووفق أهل العلم بـعنايته فقـاموا فى خدمته رغـبا ورهبا وفقهـم وعرفهم أحكامه فأحرزوا به مزايا وجعلهم فى الدنـيا كالأعلام وهداة للأنام فاكتسبوا به مجداً وأدباً وقذف فى قلوبهم أنـواراً يرون بها من المشكلات ما كان بعيدا محـتجبا وكساهم به عزا وجلالة وسمتا ومـهابة فغدا كل منهم مكرما ومجتـبى وأذاقهم حلاوة أحكامه فما وجـدوا فى سفر طلـبه تعبا فـإذا وفدوا إليه فى القـيامة ألبسـهم تيجان الـكرامة وناداهم أهلا وسهلا ومرحبا.

تقدم وقدم فى الهوى النفس أن ترد	رضاهم إذا أحببت منهم تقربا
ولا تخش من طعن القنا إن أردتهم	ورمت تلاقيهم فلا تخاف الظبا
هم العلماء المخلصون لربهم	فخذ واقتبس منهم وكن متأدبا
فإن كنت أهلا حزت كل فضيلة	ونلت مقاما فى الأنام ومنصبا
وساعدك الرحمن منه بفضله	وصار لك الدين الحنيفى مذهبا

أحمده حمداً أتخذه للنجاة سببا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أهتز بها طربا وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبى المصطفى والرسول المجتبى وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته البررة النجباء صلاة وسلاما دائمين ما هطلت السماء بوابلها وأبدت سحبا (روى الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله فى كتاب الأنساب) أن الإمام مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى رضى الله عنه كان إمام دار الهجرة وفيها ظهر الحق وانتصر وقام الدين واشتهر ومنها فتحت البلاد وتواصلت الأمداد وسمى عالم المدينة وانتشر علمه فى الأمصار واشتهر فى سائر الأقطار وضربت له أكباد الإبل وارتحل الناس إليه من كل فج فانتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة فاحتاج أشياخه إليه وعاش قريباً من تسعين سنة ومكث يفتى الناس ويعلمهم نحوا من سبعين سنة وشهد له التابعون بالفقه والحديث.

وروى عنه من الأئمة المشهورين والعلماء المذكورين محمد بن شهاب الزهرى إمام السنة وربيعة بن عبد الرحمن فقيه أهل المدينة ويحيى بن سعيد الأنصارى وموسى ابن عقبة وهؤلاء كلهم أشياخه وروى عنه وتأول فيه التابعون وتابعوهم أنه العالم الذى بشر به النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه الترمذى وغيره وهو قوله ﷺ: «**ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة**» وفى حديث آخر: «**ليس على ظهر الدنيا أعلم منه فتضرب إليه أكباد الإبل**» وفى حديث آخر: «**يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالم أعلم من عالم المدينة**» قال ابن عيينة: كانوا يرونه مالكا. وقال عبد الرزاق كنا نرى أن مالكا لا يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت أكباد الإبل إلى أحد مثل ما ضربت إليه. قال أبو مصعب: كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم وقال يحيى بن شعبة: دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة ومالك أسود الرأس واللحية والناس حوله سكوت لا يتكلم أحد منهم هيبة له ولا يفتى أحد فى مسجد رسول الله ﷺ غيره فجلست بين يديه فسألته فحدثنى فاستزدته فزادنى ثم عزرنى أصحابه فكست. وقال مالك رضى الله عنه: ما

جلست للفتيا والحديث حتى شهد لى سبعون شيخا من أهل العلم أنى مستحق لذلك. وقال حماد بن زيد لرجل جاء فى مسألة اختلف الناس فيها: يا أخى إن أردت السلامة لدينك فسل عالم المدينة واصغ إلى قوله فإنه حجة مالك بن أنس إمام الناس. وقال حماد بن سلمة: لو قيل لى اختر لأمة محمد ﷺ إماما يأخذون عنه دينهم لرأيت مالكا لذلك موضعا وأهلا ورأيت ذلك صلاحا للأمة. وقال الليث بن سعد: علم مالك علم نقى علم مالك أمان لمن أخذ به من الآثام، وكان عبد الرحمن بن القاسم يقول: إنما أقتدى فى دينى برجلين مالك فى علمه وسليمان بن القاسم فى ورعه فلله درهم نصبوا أنفسهم لنفع الناس فعبقت بأنفاسهم الأكوان واجتهدوا فى طلب العلم فوفقهم الرحمن قال رسول الله ﷺ: « **ما سلك عبد طريقاً إلى العلم إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة ولعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولو أن عابداً مات فى الإسلام ما نقص من الإسلام إلا شخصه ولو أن عالما مات لفقدته أمة من الناس وما تقص عالم من الأرض إلا ثلم فى الإسلام ثلمة لايسدها أحد ما اختلف الليل والنهار ألا وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ولمداد جرت به أقلام العلماء أفضل عند الله من دم الشهداء وليودن رجال قتلوا فى سبيل الله أن يبعثهم الله يوم القيامة علماء لما يرون من فضل أهل العلم فمن أصاب علما فقد أصاب خيرى الدنيا والآخرة ومن آذاهم فقد بارز الله تعالى بالمحاربة** ».

عليك بعلم الفقه فى الدين إنه ... سيرفع فاستدركه قبل صعوده
فمن نال منه غاية بلغ المنى ... وصار مجدا فى بروج سعوده

وقال محمد بن رمح رحمه الله: حججت مع أبى وأنا صبى لم أبلغ الحلم فنمت فى مسجد رسول الله ﷺ فى الروضة بين القبر والمنبر فرأيت النبى ﷺ قد خرج من قبره وهو متوكئ على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فسلمت عليه فرد علىَّ السلام فقلت له: يا رسول الله أين أنت ذاهب فقال: «**أقيم لمالك الصراط المستقيم**» فانتبهت فأتيت أنا وأبى فوجدت الناس مجتمعين على مالك وقد أخرج الموطأ وكان أول خروجه. وحدث محمد بن عبد الحكم قال: سمعت محمد بن أبى السرى العسقلانى يقول: رأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقلت: يا رسول الله حدثنى بعلم أحدث به عنك فقال: « **إنى قد أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم** » ثم مضى فتبعته فقلت له يا رسول الله ﷺ حدثنى بعلم أحدث به عنك فقال: «**إنى أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم**» ثم مضى فتبعته فقلت يا رسول الله حدثنى بعلم أحدث به عنك

فقال ﷺ: « **يا ابن السرى إنى قد أوصيت إلى مالك بن أنس بكنز يفرقه عليكم ألا وهو الموطأ ألا وليس بعد كتاب الله ولا سنتى فى إجماع المسلمين حديث صح من الموطأ فاسمعه تنتفع به**». وقال عتيق بن يعقوب الزبير رحمة الله عليه: قدم هارون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس فوجه إليه البرمكى فقال له أقرئه السلام وقل له يحمل إلى الكتاب فيقرؤه على فأتاه البرمكى فقال له أقرئه السلام وقل له أن العلم يزار ولا يزور وأن العلم يؤتى ولا يأتى فأتاه البرمكى فأخبره وكان عنده أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين يبلغ أهل العراق إنك وجهت إلى مالك بن أنس فى أمر فخالفك أعزم عليه فبينما هم كذلك إذ دخل مالك بن أنس فسلم وجلس فقال له الرشيد: يا ابن أبى عامر أبعث إليك فتخالفنى فقال مالك: يا أمير المؤمنين أخبرنى الزهرى عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال كنت أكتب الوحى بين يدى النبى ﷺ فكتبت ﴿**لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون**﴾ قال مالك رضى الله عنه لهارون الرشيد: يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وإنهم ليحبون التواضع للعلم فنزل هارون الرشيد عن المنصة وجلس بين يديه. وسئل مالك رضى الله عنه عن طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فالزمه. وكان رحمه الله فى تعظيم علم الدين مبالغاً حتى إذا أراد أن يُحَدِّث توضأ وصلى ركعتين وجلس على صدر فراشه ومسح لحيته واستعمل الطيب وتمكن فى الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له فى ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ هكذا يكون تعظيم العلم فالعلماء إذا عظموا العلم عظمهم الله عند الناس وجعل لهم الهيبة والوقار فى قلوب الملوك ومن دونهم فيا أيها الطالب للعلم تواضع فمن تواضع له تواضع لله ومن تواضع لله رفعه الله فإن التراب لما ذل لأخمص القدمين صار طهورا للوجه بقوله تعالى: ﴿**فامسحوا وجوهكم**﴾ يا هذا دُم على حضور مجلس العلم فالطفل يحتاج كل ساعة إلى الرضاع فإذا صار رجلا صبر على الفطام واعلم أن طريق الفضائل مشحونة بالبلاء ليرجع عنها محنة العزم.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه فى النفوس لعظما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة	إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

فيا أيها الشاب جوهر نفسك بدراسة العلم وحلها بحلية العمل فإن قبلت نصحى لم تصلح إلا لصدر سرير أو لدورة منبر.

تعلم فليس المرء يخلق عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافـــل

قيل لما اشتهر مالـك رضى الله عنه بالعلم وانتشر صيته وذكـره فى البلاد حملت إليه الأموال لانـتشار علمه فكان يـفرقها على أصحـابه وأصحابه يفرقونـها فى وجوه الخير لفعله وما كان يدخرها وكان يقول: ليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه: وقال أيضـاً: ما كان رجل صادقاً فى حديـثه لا يكذب إلا متعه الله بعـقله ولم تصبه عند الـهرم آفة ولا خوف. وقال عمر بن أبى سلمة رحـمه الله: ما قرأت كتاب الجامع مـن موطأ مالـك إلا أتانى آت فى المنـام فقال لى: هـذا كلام رسول الله ﷺ حقا: وقيل إن مالكـا رضى الله عنه لما أراد أن يؤلف كتابه بقى مـتفكرا فى أى شىء يسمى به تأليفه قال فـنمت فرأيت النبى ﷺ فقال: « **وطئ للناس هـذا العلم** » فسمى كتابه الموطأ. وقال عبد الله بن المبارك: كنـا عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب سـت عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفـر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ. وقال مصعـب بن عبد الله رحمه الله: كان مـالك إذا ذكر النبى ﷺ يـتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له فى ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت ما أنكرتم ما ترون وكان يكره أن يحدث فى الطـريق أو هو قائم أو مستعجل ويقول: أحب أن أعظم حـديث رسول الله ﷺ: وقال الدراوردى رحمه الله: رأيـت فى المنام أنى دخلت مسجـد رسول الله ﷺ فرأيت النبى ﷺ يعظ الناس إذ دخـل عليه مالك فما أتاه الـنبى ﷺ قال: « **إلى فأقبل** » حتـى دنا منه فـنزع رسول الله ﷺ خاتمـه من أصبعه فوضعه فى خـنصر مالك رضى الله عنه فأولته العلم قـد وضعه النبى ﷺ إليه وكانت العلماء تقتدى بعلمه والأمراء تستضىء برأيه والعامة منقادة إلى قوله فكان يأمر فيمتثل أمره بغير سلطان ويقول فلا يسـئل عن دليل على قوله يأتى الجواب فما يحس أحد على مراجعته ولذلك قال فيه بعض محبيه:

يأتى الجواب فلا يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقـان
ليس الوقار وعـز سلطـــان ... فهو المطاوع وليس ذا سلطان

هذه والله صفات العلمـاء الذين تبكى على فقدهم الأرض والسـماء وترحم بهم العباد وتأمن بهم البلاد فهم العلماء الزهاد أهل الإخلاص والسداد حنت لهم القلوب وانقادت إليهم النـفوس وذلت لهم الصعاب وخضعت لهـم الرؤوس فهم فى الأقطار

كالأقمار والشموش لا جرم صار ذكرهم مدونا فى الطروس وأما من تصنع بالرياء وعمل لأجل الدنيا وغرته أمانيه واشتهى أن يمدح بما ليس فيه ذلك من أهل الأذهان المعكوسة والأفكار المنكوسة إذا سمعوا ما تدركه فهومهم وتقصر عنه علومهم فسدت أصولهم والتبس عليهم محصولهم فعملوا بالمعاصى فى صور الطاعات وجاؤوا فى العمل وخابوا فى الأمل وليس العجب من عامى بجهله قد اقترف وبذنبه قد اعترف فهو على هدف **﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾** وإنما العجب ممن يدعى العلوم ولطلب الدنيا يروم وهو عند الله ملوم وعند الناس مذموم ومن الأجر محروم أنهم بسيوف الجهل صرعى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

كان مالك رضى الله عنه كثير الصلاة والأذكار والأوراد فى الأسحار والدرس فى العلوم والتكرار فجاء مدحه على لسان النبى المختار ما مدح مالك بذلك حتى سلك إلى أصعب المسالك واقتحم فى طلبه جميع المهالك وأنت أيها الغافل فى لجة الجهل بارك ولأوامر الرب تارك.

وحر قلبى من العلوم	من جاهل فى الورى ظلوم
لم يدر فيما ادعاه فرقا	بين صحيح ولا سقيم
بذلت جهدى وحسن قصدى	والصفو من القلب السليم
غواص فكرى بحرى	سرى يجتلب الدر للفهيم
واخيبة السعى إن لم يكن لى	قصد سوى وجهك الكريم
وإن تكن هجرتنى لشىء	سواك يا خيبة القدوم
لله من خلقه خواص	لهم خصوص من العموم
قد خص منه إذ حباهم	بالفضل من جوده العميم
علومهم بالفهوم تقرا	لا بسطور ولا رقوم

وعن الشافعى رضى الله عنه قال: رأيت على باب مالك دواب من أفراس خرسان جاءته هدية وقيل من مصر ما رأيت أحسن منها فقلت له: ما أحسن هذه فقال هى هدية منى إليك فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال إنى لأستحيى من الله أن أطأ تربة فيها نبى الله ﷺ بحافر دابة. وكان يحيى بن سعيد رحمه الله يقول: مالك رحمة هذه الأمة: وقال أبو قدامة: مالك أحفظ أهل زمانه. وقال أبو عبد الله المنشاب: حفظ مالك مائة ألف حديث: وقال الليث بن سعد: والله ما على وجه

الأرض أحب إلى من مالك وقال: اللهم زد من عمرى فى عمره. وكان الأوزاعى معظما لمالك وإذا ذكره يقول قال عالم العلماء قال عالم المدينة قال مفتى الحرمين. وقال المثنى بن سعيد القصير: سمعت مالكا يقول: ما بت ليلة إلا رأيت النبى ﷺ فيها (فأما ذكر وفاته) فقال ابن القاسم رحمة الله عليه. كنا عند مالك فى مرضه الذى مات فيه فدخل ابن الدراوردى فقال: يا أبا عبد الله رأيت البارحة رؤيا أتسمعها منى فقال قل قال رأيت رجلا ينزل من السماء فى ثياب بيض وبيده سجل ينشره ما بين السماء والأرض ثلاث مرات يقول هذه براءة لمالك من النار فبينما أنا أحدثه إذ دخل عليه رسول الأمير فقال يا أبا عبد الله إن مؤذن مسجد المدينة رأى البارحة رؤيا فسمعتها منه فقص عليه مثل ذلك فقال مالك: الله المستعان ما شاء الله كان. وعن أبى زكريا قال: سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول قالت لى عمتى ونحن بمكة: رأيت فى هذه الليلة رؤيا قلت وما هى قالت رأيت قائلا يقول مات الليلة أعلم أهل الأرض فحسبنا ذلك اليوم فكان اليوم الذى مات فيه مالك. وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت بشر بن بكر يقول: رأيت الأوزاعى فى المنام مع جماعة من العلماء فى الجنة فقلت له مالك فقيل رفع قلت بماذا قال بصدقه، ورأى بعض الصالحين مالكا بعد موته فى المنام فقال له ما فعل الله بك قال غفر لى قال بماذا قال بكلمة سمعتها من عثمان أنه كان إذا رأى ميتا يقول الله لا إله إلا هو الحى القيوم سبحان الحى الذى لا يموت فأدمت قولها فأدخلنى. الله الجنة وقال عبد العزيز: توفى مالك رضى الله عنه لعشر أيام خلون من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ومرض يوم الأحد ومات يوم الأحد وعاش تسعين سنة وأوصى أن يكفن فى بعض ثيابه ويصلى عليه بموضع الجنائز فصلى عليه أكثر الناس من ذلك ابن عباس وهاشم وابن كنانة وشعبة ابن داود وكاتبه حبيب وابنه ونزل فى قبره جماعة وأنشد أبو عمار الأرجوانى فى مالك وفى موطئه:

لقد بان للناس الهدى غير أنهم	غدو بجلابيب الهوى قد تجلببوا
فلو أحدثت فى بلدة الصين بدعة	رأيت اليها السفن فى البحر تركب
فمن رام أن ينجو بمهجة نفسه	فلا يعد ما تحوى من العلم ما يترب
أنترك دارا كان بين بيوتها	يروح ويغدو جبرائيل المقرب
وكان رسول الله فيها وبعده	بسنته أصحابه قد تأدبوا
وفرق سبل العلم فى تابعيهم	فكل امرئ منهم له فيه مذهب

فخصه بالسبك للناس مالك ... ومنه صحيح فى المجلس وأجرب
فأبرى بتصحيح الرواية داءه ... وتصحيحها عنه دواء مجرب
ولم يؤت هذا العلم من غير أهله ... وفى قلة التمييز بالعلم معطب
أيا طالب العلم إن كنت طالباً ... حقيقة علم الدين محضاً وترغب
فبادر موطأ مالك قبل فوته ... فما بعده إن فات للعلم مطلب
ودع للموطأ كل علم تريده ... فإن الموطأ شمس والعلم كوكب
هو الحق عند الله بعد كتابه ... وفيه لسان الصدق بالحق معرب
هو الأصل طاب الفرع منه لطيبه ... ولم لا يطيب الفرع والأصل طيب
لقد أعربت آثاره بنيانها ... فما إن لها العاملين مكذب
ومما به أهل الحجاز تفاخروا ... بأن الموطأ فى العراق محبب
وكل كتاب بالعراق مؤلف ... بآثار الموطأ يصعب
ومن لم يكن هذا الموطأ فى بيته ... فذاك من التوفيق بيت مجنب
ولو بالموطأ يعمل الناس كلهم ... لأمسوا وما منهم على الأرض مذنب
جزى الله عنا فى الموطأ مالكا ... بأفضل ما يجزى اللبيب المهذب
فقد جاد بالإحسان فى كل ما روى ... كذا فعل من يخشى الإله ويرغب
لقد رفع الرحمن بالعلم قدره ... غلاما وكهلا ثم إذ هو أشيب
لقد فاق أهل العلم شرقا ومغربا ... فأضحت به الأمثال من الناس تضرب
وما فاقهم إلا بتقوى وخشية ... وإذا كان يرضى فى الإله ويغضب
فلا زال يسقى قبره كل عارض ... من العفو إذ يهمى عليه ويسكب
ويسقى قبورا جاورته كسقيه ... فيصبح فيها نبتها وهو معشب
وما فيه بخل إذ سقاهم بسقية ... ولكن حق العلم أولى وأوجب

(وأما زهده فى الدنيا) فقد كان زاهدا فيها راغبا فى الآخرة مجتهداً فى العلم ونصيحة المؤمنين وسأله المهدى أمير المؤمنين وقال له هل دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال له اشتر لك بها دارا فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الرحيل إلى بغداد قال ينبغى لك أن تخرج معنا فإنى عزمت على أن أحمل للناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل لأن أصحاب النبى ﷺ افترقوا بعده

فى الأمصار فحدثوا منذ كل أهل مصر علم وقد قال رسول الله ﷺ اختلاف أمتى رحمة وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله ﷺ: **«المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون - وقال المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد»** وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعنى إنك إنما كلفتنى مفارقة المدينة بما اصطنعته لدى من أخذ هذه الدنانير فالآن خذها فإنى لا أوثر الدنيا وما فيها على مدينة النبى ﷺ وقال بعض الصالحين رأيت فى النوم أنى دخلت الجنة فرأيت فى وسطها عمودا من نور ورأيت أربعة يجرونه بأربع سلاسل من جهاته الأربع وهو ثابت لا يتغير من مكانه فقلت يالله العجب لو جره هؤلاء من فرد جهة واحدة لكان أسهل عليهم فسألت بعض الملائكة عن ذلك فقال لى هذا العمود هو دين الإسلام وهذه الأربع سلاسل المذاهب الأربعة وهؤلاء الذين يجرونه أئمة الإسلام الشافعى وأحمد وأبوحنيفة ومالك رضى الله عنهم أجمعين فاتفاقهم فرض وقولهم حق واختلافهم رحمة للمسلمين.

هم الفقهاء والعلماء حقا ... وعنهم فى البرايا فارو ذكرا
وهم أهل التقى والدين فاعلم ... وعنهم فاستمع خبرا وخبرا
فهم أهل الهداية حيث كانوا ... ومنهم تكتسى الأكوان عطرا
بهم نحمى البلاد ومن عليها ... من أسباب الردى برّا وبحرا
فكل منهم فى الخلق أضحى ... لقلب الحائر المسكين جبرا
إذا وافاهم المضنى فيشفى ... وإن مر السقيم بهم فيبرا
وإن وافى الفقير إلى حماهم ... تراه بنيل فضل العلم يثرى
وإن نامت عيون القوم قاموا ... يراعوا الدجى سهرا وفكرا
فهم فى الليل فى استغراق فكر ... إذا اضطجعوا وما يخشون نكرا
وجدوا فى تصانيف إليها ... تشد رحال أهل الأرض طرا
فذكرهمو يعطر كل أرض ... ونشرهمو بطيب المسك أزرى
فإن وجدوا فللدنيا ابتهاج ... وإن فقدوا أعيد العيش مرا
وكلهم بدين الله حقا ... وسنة أحمد المختار أدرى
أجل العالمين رسول صدق ... به الرحمن جنح الليل أسرى
هو الهادى البشير ومن هدانا ... لدين قد سما شرفا وقدرا
شفاعته لأرباب الخطايا ... رأوها عند رب العرش ذخرا
عليه من المهيمن كل وقت ... صلاة تملأ الأقطار نشرا

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

المجلس الأربعون
فى مناقب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه

الحمد لله الذى أوضح الطريق فى معرفته لكل سالك توحد بالكبرياء والعظم والممالك إنه لا وزير له ولا صاحبة ولا مشارك صمد ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لا فان ولا هالك يعلم ما كان وما يكون وما يخطر ببالك بصير أغذية الجنين من البطون فى ظلمة الأحشاء فى سواد الليل الحالك سميع يسمع كل داع وما تتحرك شفتاك من ألفاظك وأقوالك مريد لما كان من خير وشر وما يكون بعد ذلك استوى على العرش كما قال لا كما يخطر ببالك لا بنزول ولا بحركة ولا انتقال ومهما خطر فى النفس كان الله بخلاف ذلك فهذا اعتقاد البشر وهو الذى اتفق عليه أبو حنيفة وأحمد والشافعى ومالك فقم أيها العاصى وتذلل لمالك النواصى وأقبل بافتقارك واشك حالك إليه فهو أعلم بحالك أحمده على السراء والضراء وأشكره فى الشدة والرخاء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العزة والبقاء وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وعلى السادة الأتقياء. قال إدريس الحداد: كان الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى رضى الله عنه صاحب رواية فى الحديث ليس فى زمانه مثله.

وأحمد المعروف فى كل مشهد	وقد رفع الله العظيم له قدراً
وآتاه علما فى الورى ومهابة	وجاء عليه بالكرامة فى الأخرى

وكانت له حالة الصالحين وشعار المؤمنين قال وكان له على والده عبد الله رغيف خبز وشىء من الأدم فلما ولى ولده القضاء امتنع من قبول الرغيف وقال والله لا آكل طعاما أبداً وكان كما قال إلى أن مات وقال إدريس الحداد: ما رأيت أحمد قط إلا مصليا أو يقرأ فى المصحف أو كتاب ما رأيته فى شىء من أمور الدنيا قال: وكان إذا اشتد به الأمر بقى اليوم واليومين والثلاثة لا يأكل شيئا فإذا رأى أهله شرب الماء يوهمهم أنه شبعان (وقال) إدريس الحداد: ولما زالت المحنة وصرف أحمد إلى بيته حمل إليه مال كثير جزيل وهو محتاج إلى أيسره فرد جميع ذلك ولم يقبل منه قليلا ولا كثيرا فجعل عمه إسحاق يحسب ما رده فى ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار فقال له أحمد يا عم أراك مشغولا بحساب مالا يفيدك فقال له قد رددت اليوم كذا وكذا وأنت محتاج إلى حبة قال يا عم لو طلبناه لم يأتنا إنما أتانا لما تركناه. وقال على

ابن سعيد الـرازى: سرنا مع أحمد بن حنبـل يوما إلى باب المتوكل فلـما أدخلوه من باب الخاصة قـال لنا أحمد انصـرفوا عافاكم الله فمـا مرض منا أحد بعـد ذلك اليوم ببركة دعائـه. وقال الهلال بن العلاء: أربعة لـهم على الإسلام منة أحمـد بن حنبل حيث ثبت على المحنة ولم يقل بخلق القـرآن، وأبو عبد الله الشافعى حيث بنى الفقه على الكتاب والسـنة، وأبو عبد الله القاسم بن سلام حيث فـسر حديث النبى ﷺ، وأبو زكريا حيث بين الصحيح من السقيم، وقال محمد بن موسى: حمل إلى الحسين ابن عبد العـزيز ميراثه من مصر وكـان مبلغاً عظيمـاً فحمل منه إلى أحمـد بن حنبل ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار وقال له: يـا أبا عبد الله استعن بها على عيالك فقال لا حاجة لى بها أنا فى كفاية من الله تعالى وردها عليه. وقال عبد الله بن أحمد ابن حنبل: كان أبى يقـرأ فى كل ليلة سبع القرآن ويختم فى كل سـبعة أيام ختمة ثم يقوم إلى الصباح وكان يـصلى فى كل يوم ثلثمائة ركعة فلما ضـرب بالسياط أضعفه ذلك فكان يصلى كل يوم مائة وخمسـين ركعة وكان له فى الليل ثلاث هدآت وثلاث صيحات قال وكان ذات يوم جالسا عند الشافعى فـمر بهما شيبان الراعى عليه مدرعة صوف فقال أحمـد للشافعى: يا أبا عبـد الله ألا أنبه هذا الجاهل على جهـله فقال له الشافعى لا تفعل دعه فى شأنه فقال أحمد لابد ثم إنه استحضر شيبان رقال له شيبان ما تقول فى رجل سنى صلى صلاة مـن يوم لا يدرى أى صلاة هى ما الواجب عليه أن يفعل؟ فقال شيـبان يا أحمد هذا رجل غفل قلبه عن الله فـهو ساه غافل الواجب عليه أن يؤدب حتى لا يرجع إلى مثلها أبدا ثم بعد ذلك يقضى صلاة اليوم أجمع ثم التفت إليهما وقال هل تقدران أن تردا على قال فصاح أحمد وقال لا والله بل هذا هو الحق ثم تركهما وانصرف (وقال) إدريس الحداد: لما دخـل أحمد بن حنبل مكة للحج عسر عليه بـعض حوائجه فأخذ سطلا كان مـعه فدفعه إلى بعض البقـالين رهنا على شىء كان يـأخذه فلما فتـح الله بفكاكه حـضر عند ذلك الـبقال فدفع له مـا كان له وطلب الـسطل فقام البـقال وأحضر سطلـين على هيئـة واحدة وقال قد اشتبـه على سطلك فخذ أيهما شئت فقال أحمد وأنـا أشكل على أيهما لى والله لآخذنه فقال أنا لا أتركه أبدا فاتفقا على بيعه والتصدق به (قال) وخرج يوما من داره فوقع نظره على امرأة مكشوفة الوجه فقال: لا حول ولا قوة لا بـالله العلى العظيم وحلف ألا يخرج إلا مغطى الـوجه لئلا يبصـر أحدًا وكان إذا وقعت الحادثة أو المـسألة لا يكتبـها حتى يوردها على الفقهاء فإن وافق رأيهم رأيه كتبها وإلا تركها واستغفر الله مما خطر بباله.

قال وكان من زهده وورعه إذا جف القلم بيده مسحه فى رأسه ولم يمسحه فى ثوبه فقيل له ذلك فقال إن هذا مداد أثر العلم فلا أضعه فى خرقة لعلها ترمى فى نجاسة وقال محمد بن موسى: ولد أحمد بن حنبل فى سنة أربع وستين ومائة ومات وهو ابن سبع وسبعين سنة ودفن يوم الجمعة بعد الصلاة وحشر الناس لجنازته وصلى عليه محمد بن عبد الله بن طاهر وحسبوا من صلى عليه ذلك اليوم وحضر جنازته فكانوا ثمانمائة ألف رجل وستين ألف امرأة (قال) وكان أحمد بن حنبل أزهد أهل زمانه وأروعهم وأفقههم وأتقاهم وأعرفهم بحديث النبى ﷺ وأخبر بصحيحها من سقيمها وأعلم برجال الحديث والصادق منهم والمنتحل وقد روى ألف ألف حديث منها بالأسانيد والمتون مائة ألف وخمسون ألفا وقد روى أنه لما ضرب وجرى عليه ما جرى وثبت على المحنة حببه ذلك إلى أهل الشرق والغرب ولم يزل أحمد بن حنبل بعد ذلك فى رفعة وعلو وزيادة فى أعين الناس حتى إذا رأوه كأنهم رأوا أسدًا ودخل عليه مجاهد فى مرضه الذى مات فيه وهو يجود بنفسه فبكى وقال يا أبا عبد الله أوصنى فأشار إلى لسانه وقال ﴿**لمثل هذا فليعمل العاملون**﴾ ثم مات رحمة الله عليه:

وللحافظ المعروف بالحفظ والتقى ... فخار عليه فيالله فخر ابن حنبل
هو العالم المضروب ظلما ولم يحل ... عن الحق يوما من عذاب به بلى
رأى الله رب العرش تسعين مرة ... وتسع مرار هكذا صح فانقل
وقال لئن أكملتها مائة لأسألن ... وقد كان الذى فيه يأتلى
ولم يدخر قوتا سوى قوت يومه ... وكان له فى كل خير توكل
لقد فك منه عند ضرب لباسه ... ولم تبد عورات لما منه قد تلى
فهذا الذى قلناه من بعد ما جرى ... تلخص قولا من كلام مطول
فهم علماء المسلمين وذكرهم ... إلى آخر الدنيا بغير تخزل
سقى الله رب العرش منه مضاجعاً ... كما قمعوا عن دينه كل مبطل
وأدوا عن المهيمن دينه ... بأحسن أسلوب وأحلى تسلسل
إلهى كما أرشدتنا لطريقهم ... علينا إله الحق عفوك أنزل
ومن فتن الدنيا أجرنا تكرما ... ومن كل هول فى المعاد مهول

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

المجلس الحادى والأربعون

فى مناقب الصالحين رضى الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذى رفع السماء بقدرته وأدار دوائر الأفلاك وبسط الأرض بمشيئته ومهدها للسلاك وسخر الفلك ومهدها ودبر الأملاك الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم الذى خلق الموت والحياة وقدر النجاة والهلاك القديم الخلاق الذى له الخلق والأمر وبيده الإطلاق والإمساك الذى أنشأ اللوح والقلم وعلم الإنسان ما لم يعلم ووهب له العقل الكامل والفهم والإدراك منقذ الغرقى من لجج البحار بعد معاينة الأخطار والهلاك ومنجى الهلكى بعد انقطاع الحبل والاستدراك ومطلق الأسرى من القيود الشديدة الوثاق ومسعفهم بالإطلاق والفكاك الغنى عن العباد يأمرهم بالطاعة والإيمان ولا يرضى لهم الكفر والإشراك الذى لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية وإنما يأمرك أيها العاصى بطاعته وعن معصيته وينهاك ليريك بعين يقينك ويبين لك أمر دينك ودنياك فراقبه واتقه واحذر من معاصيك فإن لم تكن تراه فإنه يراك وحافظ على الصلوات التى بها أمرك وأوصاك وقف بين يديه فى الأسحار بالذلة والانكسار وقد جاد عليك بنعمه الغزار وبلغك مقصودك ومناك أما حفظك فى ظلمات الأحشاء وبلطفه غذاك أما أخرجك ضعيفا وجعل لك رزقا وقواك أما أحسن منشأك ومرباك أما أعزك وأكرم مثواك أما ألهمك رشدك وتقواك أما وهب لك العقل وإلى الإيمان هداك أما خولك فى نعمه وأعطاك أما أمرك بطاعته وأوصاك أماحذرك عن معصيته ونهاك أما دعاك إلى بابه ونداك أما أيقظك فى السحر بلطيف خطابه وناجاك أما وعدك بالفوز والجزاء فى أخراك أما سألته ودعوته فأجاب سؤالك ودعاك أما استغثت به فى الشدائد فأغاثك منها ونجاك أما عصيته فسترك بذيل حلمه وغطاك أما أغضبته مرارًا وأرضاك فيستحق منك أن تبارزه بذنوبك وخطاياك يمدك برزقه وتمد إلى معصيته خطاك وتستخفى من الناس ولا تستخفى من الله وقد شاهدك ورآك إلى متى أنت غريق فى بحر غيك وهواك إن أردت النجاة فاركب سفينة الندم وافلح بريح التوبة إلى مولاك والق نفسك إلى ساحل الإخلاص وقد جاد عليك بالخلاص ونجاك (كان وكان).

يا من يعاهد وينكث خف من إلهك واستحى ... واذكر ٨ جوم المنايا فما المراد سواك
إلى متى أنت غافل تنسى مصيرك فى الثرى ... وأنت فى اللحد وحدك وقد جفاك أخاك

إن كنت عاصى مثلى أفق وقم وابكى معى ... على الذنوب والخطايا عسى تنال مناك .
عند استماع الملاهى تحضر بنية صادقة ... وفى الصلاة توسوس قل لى فمن أغواك
احذر مصايد ذنوبك فكم رمت لك من شرك ... تروم صيدك وكيدك وشقوتك وأذاك
ويحك تنبه لنفسك واعمل لما تلقى غدا ... إذا أتيت القيامة وقامت الأملاك
قمت تقرأ كتابك خجلان من قبح الذلل ... وما كفى ذاك حتى تشهد عليك أعضاك
وإن أتيت جهنم استقبلتك زبانية ... وقال مالك: مالك غفلت عن مولاك
تذكر غرور الدنيا وتذكر الذنب الردى ... لم لا سبقت بتوبة هذا العذاب بذاك
كم كنت تجنى وتأمن ولم تخف رب السما ... هذا الذى قد لقيته بما جنته يداك
كم قد سمعت المواعظ تتلى وما عندك خبر ... ولا جرت لك دمعة ويحك فما أقساك
إن كنت أضمرت توبة فهذه أوقاتها ... فانهض بعزم صادق وتب إلى مولاك
وقل إلهى إنى أخطأت فاغفر زلتى ... فمن يجبر العاصى من الذنوب سواك
وليس لى من وسيلة إليك إلى المصطفى ... ومن إليك رفعته دون الورى ورآك
صلى عليه وسلم رب السموات العلا ... وآله والصحابة السادة النساك

سبحان من نطر بعين اصطفائه إلى خاصة عبيده وجعل قلوبهم بيوت توحيده وسرائرهم مقرا لتفريده وصدورهم مصادر ذكره وتمجيده، فكلما طلع لهم من أفق التوفيق طالع أو لمع لهم من بروق التحقيق لامع انشرحت القلوب لذكر المحبوب فطلب لها المشروب وكشف لها المحبوب. قال أبو زيد رحمه الله: مازلت أسوق نفسى إلى الله تعالى وهى تبكى إلى أن سقتها إليه وهى تضحك فمن عرف الله ذل له كل شىء. وقال الأصمعى رحمه الله: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون إذ خرج علينا أسد عظيم الخلقة هائل المنظر فقطع على الركب الطريق فقلت لرجل إلى جانبى أما فى الركب رجل يأخذ سيفا ويرد عنا هذا الأسد فقال أما رجلا فلا أعرف لكنى أعرف امرأة ترده بغير سيف فقلت وأين هى فقام وقمت معه إلى هودج قريب منا فنادى يا بنية انزلى فردى عنا هذا الأسد فقال يا أبت أيطيق قلبك أن ينظر إلىَّ الأسد وهو ذكر وأنا أنثى ولكن يا أبت قل للأسد ابنتى فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذى لا تأخذه سنة ولا نوم ألا ما عدلت عن طريق القوم قال الأصمعى: فو الله ما استتم كلامها حتى رأيت الأسد ذاهباً أمامها هذه والله دلائل الصالحين وهذه أمارات العارفين.

فاز قوم رقوا سماء المعالى باجتهاد لهم وحسن الفعال
فيهم تدفع الخطوب عيانا وبهم قد بدت شموس أحمالى
كل من لم تكن دعاويه حقا فضحته شواهد الأحوال
وبك يا قاصر العزيمة هذاما مورد الأسد مرتع الأشبال
وصال الحبيب سهل ولكن يا إن ترد فابذل العزيز الغالى
يا ضعيف السلوك هذا طريق فيه دون الوصال حد النصال
فتجرد عن الدنيا وتفرد ذاك زاد من خالص الأعمال
ثم لابد من دليل بصير ومعين على صروف الليالى
فإذا خفت من إلهك خافت منك أسد الثرى مع الإبطال

قال سعيد بن إسحاق البصرى رحمه الله: دخلت فى السحر إلى بئر زمزم فإذا شيخ قد أتى البئر فملأ الدلو وشرب فأخذت فضلته فشربتها فإذا هو سويق وسكر لم أذق قط أطيب منه ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ثم عدت من الغد فى السحر إلى بئر زمزم فإذا الشيخ قد دخل وملأ الدلو وشرب فشربت فضلته فإذا الماء مضروب بالعسل والطيب لم أذق أطيب منه ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ثم عدت من الغد فى السحر إلى بئر زمزم فإذا الشيخ قد دخل فملأ الدلو وشرب فأخذت فضلته فشربتها فإذا لبن مضروب بالسكر لم أذق مثله فقلت له: يا شيخ بحرمة هذا البيت عليك من أنت قال تكتم ذلك حتى أموت قلت نعم قال أنا سفيان الثورى.

بذكرك يا رب الورى تنعم فقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
ألست الذى قربت قوما فوافقوا ووفقتهم حتى أنابوا وأسلموا
وقلت استقيموا منة وتكرما فأنت الذى قومتهم فتقوموا
لهم فى الدجى أنس بذكرك دائما فهم فى الدياجى ساجدون وقوم
نظرت إليهم نظرة بتعطف فعاشوا بها والخلق سكرى ونوم
لك الحمد عاملنا بما أنت أهله وسامح وسلمنا فأنت المسلم

قال أبو يوسف الغسلونى رحمه الله: كنت يوما جالسا بمسجد بالشام فدخل علىَّ إبراهيم بن أدهم فقال لى يا غسلونى لقد رأيت اليوم عجبا قلت وما هو ياأبا إسحاق قال: وقفت على قبر من هذه المقابر فانشق لى عن شيخ خضيب فقال ياإبراهيم سل فإن الله عز وجل قد أحيانى من أجلك قلت له ما فعل الله بك قال أتيت الله عز وجل بعمل قبيح فقال لى: لقد غفرت لك بثلاث لقيتنى وأنت تحب من أحب ولقيتنى

وليس فى صدرك مثقال ذرة من شراب حرام ولقيتنى وأنت خضيب وأنا أستحيى من شيبة الخضيب أن أعذبها بالنار قال ثم التأم القبر على الشيخ قال الغسلونى: فقلت يا أبا إسحاق ألا ترافقنى فى زيارة هذا القبر فقال ويحك يا غسلونى عامل الله يرك العجائب واشتغل بحبه عن جميع الأجانب لو يعلم الناس عمن اشتغلوا لما اهتموا بما به اشتغلوا بالأهل جادوا وكل ما ملكوا والمال فى حبه وما بخلوا عاشوا وفازوا وهم الملوك وإن ذلوا وإن حملوا لله قوم بالروح قد سمحوا واستصغروا قدرها وما جهلوا ذاقوا مدام الهيام فيه ولم يحل لهم منزل ولا طلل وما تفانوا عن الوجود سدى إذ هم على قصدهم قد حصلوا.

وقال الليث بن سعد رحمه الله: حججت فى بعض السنين فلما أتيت مكة صليت العصر ثم طلعت إلى جبل أبى قبيس فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو فقال: يا رب يا رب حتى انقطع نفسه ثم قال يا ألله يا ألله حتى انقطع نفسه ثم قال يا حى يا قيوم حتى انقطع نفسه ثم قال يا رحمن يا رحمن حتى انقطع نفسه ثم قال يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه فلما فرغ قال اللهم إنى أشتهى العنب فأطعمنيه وإن بردى قد خلق فاكسنى قال الليث فو الله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا وليس على الأرض عنب يومئذ وبردين موضوعين فأراد أن يأكل فقلت أنا شريكك فقال ولم فقلت لأنك لما دعوت كنت أنا أؤمن فقال لى تقدم وسم الله تعالى وكل ولا تدخر منه شيئا فتقدمت فأكلت فإذا عنب لا عجم فيه لم آكل قط أطيب منه فأكلت حتى شبعت والسلة لم تنقص شيئا ثم قال لى خذ أحب البردين إليك فقلت أما البردان فأنا غنى عنهما قال لى توار عنى حتى ألبسهما فتواريت عنه فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فجعلهما على يديه ومضى فتبعته حتى أتى المسعى فلقيه رجل فقال له اكسنى كساك الله يا ابن عم رسول الله ﷺ فدفعهما إليه فلحقت الرجل فقلت له من هذا يرحمك الله قال هذا جعفر بن محمد قال الليث فطلبته فلم أجده فتأسفت على فراقه.

أسائل الشمس عنكم كلما طلعت	واسأل البرق عنكم كلما طلعا
لكان من دهرى على طرفى برؤيتكم	أحسن إذ ما بيننا جمعا
لا تحسبوا أننى بالغير مشتغل	إن الفؤاد لحب الغير ما وسعا
مالى سوى عفوكم يا سادتى كرما	فالعبد فى حبكم ثوب الهوى خلعا
منوا عليه بعفو منكمو كرما	فالذنب قطع منه قلبه قطعا

قال أبو نصر الصياد: مر بشر الحافى رحمه الله وأنا على باب الجامع وقد انصرف الناس من صلاة الجمعة فقال مالى أراك فى هذا الوقت قلت ما فى البيت دقيق ولا خبز ولا درهم ولا شىء يباع فقال لى بالله المستعان احمل شبكتك وتعال إلى الخندق قال فحملتها وذهبت معه فلما وصلنا إلى الخندق قال توضأ وصل ركعتين ففعلت فقال سم الله تعالى والق الشبكة فسميت الله تعالى وألقيتها فوقع فيها شىء ثقيل قال فجعلت أجره فصعب علىَّ فقلت له ساعدنى وأعنى فإنى أخاف أن تنقطع الشبكة فجاء وجر الشبكة معى فإذا فيها سمكة هائلة فقال لى خذها وبعها واشتر بثمنها مصالح عيالك قال فحملتها إلى الباب فاستقبلنى رجل فقال بكم هذه السمكة فقلت بعشرة دراهم فقال اشتريت فوزن لى عشر دراهم فاشتريت لأهلى ما يحتاجون إليه ثم أخذت رقاقتين وجعلت فيهما من الحلوى وأتيت بهما إليه فطرقت الباب فقال من فقلت أبو نصر فقال افتح الباب وضع ما معك فى الدهليز وادخل قال فدخلت إليه وحدثته بما صنعت فقال الحمد لله على ذلك فقلت إنى هيأت للبيت شيئاً وقد أكلوا وأكلت معهم ومعى رقاقتان فيهما حلوى فقال يا أبا نصر لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة اذهب كله أنت وعيالك.

حاشاك يا ذا الفضل والامتنان	أخاف ضيقاً وبك المستعان
قد سود العصيان وجهى وقد	رحت أسير القلب رهن اللسان
فمن مجيرى من ذنوب بها	قد انقضى العمر وضاع الزمان
مالى سوى عفوك يا سيدى	ومن رجا عفوك نال الأمان

قال محمد بن أبى الحوارى رحمه الله: كان بالموصل رجل موله يسمى سعدون وكنت أحسن إليه فقلت يوما أخبرنى ما كان سبب تولهك فقال مررت يوماً فى سياحتى لعلى أصادف من يجلو قلبى ويعرفنى الطريق إلى ربى فرأيت رجلا راكبا على أسد فخفت منه فنادانى أتخاف من مخلوق مثلك ثم طرد الأسد ومشى فتبعته وسلمت عليه فرد علىَّ السلام فقلت له بالذى أعطاك هذه المنزلة والقرب لديه إلا مادللتنى على الطريق إليه فقال اجعل الدنيا لك سجنا والآخرة سكنا وحصنا وعود عينيك البكاء والسهر والزم الخدمة فى السحر وكن منه على حذر قلت سيدى زدنى قال يا سعدون أنت عاقل أم مجنون والله إذا عرفتك الطريق إليه سخر لك الوجود وأذل لك الأسود قلت سيدى بحق من أطلعك على الأسرار وملأ قلبك بالأنوار إلا ما

أذنت أن أصحبك بقية هذا النهار فقال على شرط أن تكتم عنى ما تراه ما دمتُ فى الحياة فقلت سمعا وطاعة فقال امض معى نحضر موت بعض الرجال فسار وسرت معه حتى أتى البحر ففرش رداءه وأمسك بيدى فجلسناً عليه حتى وصلنا إلى جزيرة فى وسط البحر فوجدنا رجلا ملقى على ظهره وهو يعالج الموت فلما قضى نحبه غسله وكفنه وصلينا عليه ودفناه مكانه فقلت له يا سيدى من يكون هذا الرجل وما اسمه فقال هذا عبد الوهاب وهو من السبعة الأقطاب وقد أعطيت مكانه فهممت أن أسأله عن نفسه وعن اسمه فنهرنى ثم سار وتركنى فبكيت بكاء شديداً إذ صرت فى الجزيرة وحيداً فسمعت قراءة القرآن على القبر وأنا لا أرى أحداً فاستأنست بذلك وجلست عند القبر وأنا بين النائم واليقظان فرأيت الشيخ فى المنام على هيئة حسنة فقلت له سيدى بالذى جاد عليك بخلع القبول والرضا مااسم هذا الشيخ الذى تركنى فى هذه الجزيرة وحيدا ومضى فقال هذا صاحب العلم الربانى عبد الله اليونانى وقد أعطى مكانى غدا يأتيك ويبلغك أمانيك ولكن إذا اجتمعت به قل له لا تنس العهد الذى بينك وبينه قال سعدون ثم انتهيت وقد طلع الفجر فتوضأت وصليت وقرأت شيئا من القرآن ورمقت فلم أشعر إلا وصاحبى ينبهنى فقبلت يديه واعتذرت إليه فأخذ بيدى ومشى إلى البحر إلى أن وصلنا إلى البر فلما هممت بالانصراف قال أين وصية الشيخ فقلت يا سيدى قد علمتها وهى العهد الذى بينك وبينه قال لك لا تنسه فقال ما كنت بالناسى لعهده فقلت يا سيدى احملنى فى هذه ما كان العهد الذى بينك وبينه قال عهد إلىَّ أن أزوره فى كل يوم فقلت بالذى خصك بمعرفته وشرفك بمحبته زودنى بشىء أنتفع به فى الدنيا والآخرة فقال اسلك سبيل الهدى وجانب أهل الغى والردى واقنع برزقك اليوم ولا تهتم بالرزق غدا وعامل مولاك بالرضا والصبر على البلاء والقضا ثم تركنى ومضى قال سعدون فهذا كان سبب تولهى عليه وشوقى إليه.

من عرف الله هام وجدا	وجاء فى حبه مجدا
تملك الحب منه قلبا	صيره للإله عبدا
فدمعه ليس فيه يرقا	وقلبه منه ليس يهدا
يحسبه الجاهلون فيما	يرونه جاهدا مكدا
جانب كل الورى جميعا	وعاش فى العالمين فردا
قد ألف الوحش لا تراه	يلهو بعيش ولا بسعدى
لكنه للحبيب عبد	مشمرا جاء مستعدا

إن كنت تبغى بهم لحوقا ... فابذل لمولاك منه جهدا
ولا تكن طامعا بفوز ... ولم يرَ الله منك كدا
ولد بجاه الذى ... ترقى إلى السماء ثم زاد مجدا
محمد المصطفى رسول ... إلى جميع الأنام فردا
صلى عليه الإله حقا ... ما قصد القاصدون نجدا

(فصل) الحمد لله الذى قرب بعيداً وأبعد قريباً وأقصى عدوا وأدنى حبيبا وأذل عاصيا وأعز طائعاً منيبا الذى ما دعاه داع إلا وكان بالتلبية مجيبا ولا سأله سائل إلا وأعطاه سؤله ووفر له من فضله نصيباً فيا أيها العاصى تذكر حلول رمسك وكن على نفسك رقيبا واعمل ليوم عرضك ومالك ما دام غصن شبابك غضا رطيبا فإلى متى أنت سقيم بداء زلزلتك ولا تجد لعلتك شافيا ولا طبيبا انهض فى ظلم الدياجى وناج من لم يزل سميعا قريبا وتضرع بين يدى مولاك وكن فى دنياك غريبا والتجئ إلى ظل رحمته مساء وصباحا وقف على بابه تجده بابا مباحا وجنابا رحيبا وناد فى الأسحار بلسان الاعتذار وقل مقالة من أصبح على ذنوبه حزينا كئيبا.

أنا العبد الذى كسبا الذنوبا ... وصدته المعاصى أن يتوبا
أنا العبد الذى أضحى حزينا ... على زلاته دنفا كئيبا
أنا العبد الذى سترت عليه ... صحائف لم يخف فيها الرقيبا
أنا العبد المسىء عصيت ربى ... فمالى الآن لا أبدى النحيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمرى ... ولم أرع الشبيبة والمشيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا ... وقد أقبلت التمس الطبيبا
أنا العبد المخلف عن إناس ... حووا من كل معروف نصيبا
أنا العبد الشريد ظلمت نفسى ... وقد وافيت بابكمو منيبا
أنا العبد الفقير مددت كفى ... إليكم فادفعوا عنى الخطوبا
أنا الغدار لما عاهدت عهدا ... وكنت على الوفاء به كذوبا
أنا المهجور هل لى من شفيع ... يكلم فى الوصال لى الحبيبا
أنا المقطوع فارحمنى وصلنى ... ويسر منك لى فرجا قريبا
أنا المضطر أرجو منك عفوا ... ومن يرجو رضاك فلن يخيبا
فوا أسفا على عمر تقضى ... ولم أكسب به إلا ذنوبا
وأحذر أن يعاجلنى ممات ... يحير هول مصرعه اللبيبا

وواحزنـاه من حـشرى ونـشرى	لـيوم يـجعـل الـولدان شـيبـا
فيـا مولاى جد بـالعفـو وارحم	عبـدا لم يـزل يشـكو الـذنوبـا
وسامح هـفوتى وأجب دعـائى	فـإنـك لم تـزل أبـدا مـجيـبـا
وشـفع فـىَّ خيـر الخـلق طـرا	نـبيـا لـم يزل أبـدا حـبيـبـا
هو الـهادى المـشفع فـى البـرايا	وكـان له رحـيـما مـستـجيـبـا
علـيه مـن المهـيمـن كل وقـت	صـلاة تمـلأ الأكـوان طـيـبـا

(إخوانى) ما أحسن حال من التجأ إلى رب الـعالمين. إخوانى ما أطيب حال من انتمى إلى عباده الصالحين. إخوانى ما أحسن حديث المحبين. إخوانى ما أطيب أخبار المتقين. إخوانى ما أربح بضائع العاملـين. إخوانى ما أصبح وجوه المجتهدين. إخوانى ما أعطـر أنفاس الذاكـرين. إخوانى مـا ألذ عتاب المـشتاقين. إخـوانى ما أنفـع بكا المحزونين. إخـوانى ما أعذب مـناجاة القائـمين. إخوانى مـا أمر عيش المحـجوبين. إخوانى ما أذل نفوس الخـاطئين. إخوانى ما أسوأ حال المحرومين. إخـوانى ما أعظم حسرة الغافلين. إخوانى ما أشنع عيش المـطرودين. إخوانى ما أعمى قلوب الظالمين. إخوانى ما أقبح وجوه العصاة والمذنبين.

(يا هذا) إذا رأيت المبارزين بالخـطايا قد اتسع لهم مجال الإمهال فـلا تستعجل لهم إنما نملى لهم لقد فرحوا بما يوجب الغم من اللذات **﴿أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لـهم فى الخيرات﴾** بينا أرض أعراضهم قـد أخذت زخرفها وازينت جعلناها حصيدا كـأن لم تغن بالأمس يا معشر الغافلين فى لذاتـهم إنا أنذرناكم عذابا قريبا واخجلتهم يوم ينبئهم الله بما عملوا والله بكل شىء عليم.

واخجـلة العبـد من إحسان سـيده	واحسرة الـقلب من الطرف مـعناه
وكـم مـن أيـاد لـه غـيـر واحـدة	عنـدى وأعصـيه جهـرا ثم أنـساه
وكم أسـأت وبالإحـسان قـابلـنى	واخجـلتـى واحيـائى حـين ألقـاه
وكم عكفـت على العصيان مـستترا	ممن سـواه وما فـى الكـون إلا هو
يرعى الذمام ويولى الـفضل مبتدرا	لا كان فى الناس عبـد ليس يرعاه
يا نفس كـم بخفى اللطف عـاملنى	وقد رآنـى علـى ما لـيس يـرضاه
يا نـفس كـم زلة زلت بـها قـدمى	ومـــا أقـــال عـثـــارى إلا إيـــاه
يا نفس توبى إلى مولاك واجتهدى	عـسى تـنالـى منـاك عـند لـقيـاه

(إخوانى) تفكروا فى عواقب الذنوب كيف تفنى اللذات وتبقى العيوب. بالله عليكم احذروا طلب المعاصى فبئس المطلوب ما أقبح آثارها فى الوجوه والقلوب فلله در من أحسن سريرته وأخلى من الذنوب صحيفته وأخلص لله سره وعلانيته.

يا من عليه مدى الأيام معتمدى	إليك وجهت وجهى لا إلى أحد
أنت المجيب لمن يدعوك يا أملى	يا عدتى يا شفاء دائى ويا سندى
يا مالك الملك يا معطى الجزيل لمن	يرجو نداه بلا حصر ولا عدد
مالى سواك ومالى غير بابك يا	مولاى فامح بعفو ما جنته يدى
وانعم وأمطر علينا رحمة فلنا	عوائد منك بالإحسان والمدد
وانظر إلينا فكم أوليتنا نعما	ما إن تمر على بال ولا خلد
يا من أجاب دعائى عند مسألتى	ومن عليه وإن أخطأت معتمدى
ثم الصلاة على المختار من مضر	ما ناحت الورق فى غصن مدى الأبد

(إخوانى) لقد وعظتنا الدهور بمر الأيام والشهور ورأينا الحزن عقب السرور وعلمنا أن الزمان بأهله عثور وتيقنا أن آخر الأمر إلى القبور فالعامل بالتقى مشكور كم كسفت الدنيا من بدور وكم أخلت من أهلها من دور وقصور أعمى فى الأبصار أم هى عور **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾**.

تصرمت الحياة بغير نفع	فما صنعى وقد وافى نذيرى
وأعمالى وطاعاتى وبرى	غرور فى غرور فى غرور
وصبرى والأمانة وارتجاعى	عسير فى عسير فى عسير
وجرمى والإساءة فى التعدى	كبير فى كبير فى كبير
وسعيى واجتهادى واعتذارى	صغير فى صغير فى صغير
ورحمته وعفو واغتفار	كثير فى كثير فى كثير

قيل كان بالبصرة شاب يقال له رضوان كثير اللهو والعصيان والتيه والطغيان يبيت الليالى بالخمر سكران قد غلبت عليه شقوته وأغواه الشيطان فبينما هو فى بعض الأيام معتكف على شرب المدام ومعه جماعة من أصحابه الموافقين على الذنوب والآثام إذ سمع رجلا فقيرا ينشد فى الطريق:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل	خلوت ولكن قل علىَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل لحظة	ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فبكى الشـاب وقال: بالله عليك يا فقـير إلا ما أعدت إلى قولك فأعـاده فأقسم عليه الـشاب أن يحضر مجلـسهم فحضر فقال لـه والله يا سيدى لقد سعـدنا برؤياك وأعجبنا صوتك وحسن غناك فغن لنا وطيب عيشنا فأنشد الفقير وقال:

تعصى الإله وأنت تأكـل رزقه	ويراك إذا من خلقه تتكتـم
فاحذر فما حاولت أمراً منكرا	إلا وينظره لديك ويعلـــم

فبكى الشاب وخر مغشيا عليه فلما أفاق من غشيته كسر أوانى الخمر وأقبل على الفقير وقال يا سيدى هل من توبة فأنشد:

هذا زمان الصلح ما أقعدك	عن باب مَن للخير قد عودك
فإن محوت اليوم ما سطرت	أيدى خطاياك فما أسعـــدك

هل يؤاخذنى بما مضى فأنشد وقال:

لله مـا أطـيـب صـــفـو الـوداد	ومـا ألـذ القـرب بـعـد البـعـاد
ومـا أشد الـهـجر مـن بـعد مـا	قد كـنت من جـملة أهـل الوداد
يـا نـاسيـا لـلـعهـد عـامـلتـنـا	ثـم تـعـلـلـت بـطـيـب الـرقـاد
بمـن تـشـاغـــلـت وأيـن الـذى	حصـلت كـلا بل حـرمت المراد
شمـر من الـيوم ودع مـا مضـى	وكـن فقـيرا مـا مضـى لا يعـاد

فبكى الشاب وبكى أصحابه ثم تابوا وخلعوا ما كان عليهم من لباس الزينة وتاب الشاب إلى ربـه وندم على قبيـح ذنبه وبات ليلـته بحضرة الفـقير فى بكاء ونـحيب وحسرات وزفرات فلما كان وقت السحر ذكر ذنـوبه والسيئات فصرخ وأسبل العبرات ثم غشى عليه فحركه الفقير فإذا به قد مات.

أجـل ذنوبـى عـند عـفـوك سيـدى	حقـير وإن كـانت ذنـوبى عـظائـما
فمـا زلت غـفارا ومـا زلت راحـما	ومـا زلت سـتـارا علـىَّ الجـرائمـا
لئن كنت قد تابعت جهلى فى الهوى	وقـضيـت أوطار الـبطـالة هـائمـا
فـها أنـا قد أقـررت يـا رب بالـذى	جنـيت وقد أصبـحت حيران نـادما
فتـب واعف عـنى يـا إلهـى تكـرما	وكـن لى يـا رب الـبـرية راحـمـا

(إخوانى) إلى كم تضـيعون السنن والفرائض وإلـى متى تتيممون بـالتراب والماء فائض يا كـسلان فى الطاعة وهو فـى المعصية ناهـض تالله من لم يكن له مـن نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

لا ينفع الوعظ قلباً قاسياً أبـدا ... ولا يلين لوعظ الواعظ الحجـر

ولا أرى أثرا للذكر فى جسدى ... والحبل فى الحجر القاسى له أثر

وروى أن سفيـان الثورى رحمه الله كـان يعظ الناس ويـشوقهم إلى الله تـعالى ويرغبهم فى ثـوابه ويحذرهم من عقابه وكان النـاس يختلفون إليه فصعـد يوماً منبره على عادته فـلما استقر به الجلوس وأراد أن يتـكلم رفعت إليه امرأة رقعة فـلما قرأها تغير لـونه وبكى بكاء شـديدا ثم نزل ولم يتـكلم فسأله أصـحابه ومن يعز عـليه أن يخبرهم بما فى الرقعة فقرأها عليهم فإذا فيها مكتوب:

يـا أيـهـا الـرجل المـعـلـم غـيـره ... هـلا لـنفـسـك كـان ذا الـتـعليـم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ... كـيـمـا يـصح بـه وأنـت سـقـيـم

ونـراك تصـلـح بالـرشاد عـقـولنـا ... أبـدا وأنـت مـن الـرشـاد عـديم

فابـدأ بنـفسـك فانـههـا عن غـيهـا ... فـإذا انتـهـت عـنه فـأنـت حـكيـم

فـهنـاك يقـبل مـا تـقول ونـهتـدى ... بـالوعـظ مـنك ويـنـفـع التـعـليـم

لا تـنـه عن خـلـق وتـأتـى مثـلـه ... عـار عـلـيـك إذا فعـلـت عـظـيـم

فلما قرأ ذلك بكى بـكاء شديدا حتى أغمى عليه فلما أفـاق قالوا له يا سيدى إن كلامك موزون وعرضك مصـون تشفى القلوب بوعظك وتسلـى المحزون فكيف يؤثر فى قلبك هذا الـكلام وأنت إمام وأى إمام فبكى وقال: أنا ما أصلـح أن أتكلم على رؤوس الناس فأنا أعرف بنفسى من غيرى ثم فاضت عيناه واشتغل بوجده وجواه وما عاد أحد بعد ذلك اليوم يسمع كلامه ولا يراه حتى مات رحمه الله.

(إخوانى) أفلا تنظرون إلى قـلوب هؤلاء الأقوام كانت قلوبهم كالـزجاجة رقيقة يؤثر فـيها الكلام ويـقدح زناد الموعظة فـى حراق قلوبهـم نار الوجد والغـرام وأنتم تسمعون المواعظ فلا يؤثر فى قلوبكم ولا تـغسلون بماء الدمع درن ذنوبكم بل تتركون ما ينفعكم وراء ظهوركم وتقبلون على اللهو والأباطيل كما قيل:

قـلوب بـذكـر الوعـظ تـزداد قسـوة ... فلا الوعظ يجدى لا ولا العتب ينفع

ألـين مـقالا فـى الـكـلام لـعلـهـا ... تـلين فـلا تـصغـى ولا تـتـخشـع

إذا قلـت هذا مدرج الـقوم فـادرجى ... يقول الهوى حدثت مـن ليس يسمع

وإن عرضت يـوما إلى النـاس شهوة ... تراهـا إلى مـا يغضـب الرب تـسرع

وإن لـيـس للإنـسان إلا الـذى سعـى ... وكـل مجـازى بالـذى كان يـصنـع

(إخواني) استحوذت عليكم الغفلة وغرتكم أيام المهلة فيا مغترا في ظلمه بإمهاله فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون. ليست المهلة على الإطلاق إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار فلو رأيتهم يوم العرض قد خرجوا من قبورهم حيارى وبرزوا لله الواحد القهار ترجف بوادرهم يوم ترجف الراجفة عليهم أمارات الشقاء يعرف المجرمون بسيماهم إذا اشتد جوعهم ليس لهم طعام إلا من ضريع إذا قوى عطشهم سقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم العرى حير من كسوتهم سرابيلهم من قطران إذا استغاثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه أتراهم يسمعوا أن الفصل ميقاتهم أجمعين إذا شاهدت النار من لذة ساعة بعذاب سنين تكاد تميز من الغيظ من أراد النجاة أن يتماسا:

ما حال من غلقت أبواب رحمته	وخلدت نفسه في سجن غفلته
أعمته شهوته عن كل صالحة	كأنما ختمت أجفان مقلته
فدعه لم يفق من قبل صرعته	فسوف يعثر في أذيال جفونه
يا من ينادى ولا يصغى لصالحه	كأنما قلبه في غير جنته
إن كان جسمك لا يقوى على الألم	فالنار أعظم من آلام علته

(إخواني) إذا كان صفاء المواعظ لا يؤثر في قلوبكم الكدرة ومعاول التخويف لا تقطع نفوسكم المتحيرة فهذا كلام ربكم يتلى عليكم في آياته المطهرة **﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** يا غافلا عما نهاه أمره يا مضيعا في البطالة عمره إلى متى تلهو وذنوبك مكتوبة مسطرة كيف حالك في سفرك وطريقك خطرة وشاهدت ميزانك الذي يرجح بالذرة الحقرة **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** يا غافلا والموت يقفو أثره كيف بك إذا شاهدت السماء مقنطرة وحافظك قد أحصى ما عملت من خير وشر وحصره وقد تعذرت المعذرة فهناك يجد الإنسان من الإحسان والعصيان ما أحضره **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾**.

يا نفس توبى عن فعال منكره	واسعى إلى دار البقى متبصره
يا نفس فاز القوم من رب العلا	بالعفو عن زلاتهم والمغفره
يا نفس قد قطعوا النهار لربهم	صوما وفازوا بالعلا في الآخره
يا نفس ويحك للمتاب فبادرى	من قبل أن تأتى الذنوب مسطره

يـا نفـس إن الـقـوم زادوا خيـفـة من مكـره وقـلـوبهـم مـتـنكـره
يا نفـس جدى فى التـقى وتزودى عمـلا وكونـى للـقاء مـستـشعـره
يا نفس كم قوم علـى الدنيا احتووا ظـلـمـا ومـا لهـمـو إذًّ من آخـره
يا نـفس كـم أمم تفانـوا فى الـبلا عظـامهم أضـحت عـظاما نـاخره
يا نفس توبى الـيوم من قبل الردى فعـسى تكـونى فى غد مـستبـشره
يـا نفـس آه من الـذنوب وكـلهـا يوم الـقيامـة فى الـكتاب مـحرره
يا نفـس ما ينجـيك فى يوم الـلقا من عـظم أهوال الحساب المنكره
إلا شفـاعة أحـمد الـهادى الـذى يرجـى لديـه العـفو عـند المـقدره
فهـو النـبى الهـاشمى المـصطـفى والمجـتبـى مـن خلـقـه إذ طهـره
يا نـفس جدى فـى المسـير لقـبره واسـعى إلـى أبوابـه مـستـعصـره
وتمـتـعـى بـجـمـالـه ووصـالـه كى لا تكـونى فى الورى متـحسره
وإذا وصـلت إلـى رباه فـعـظمـى تـلك المـواقف وادخـلى مـتوقـره
فعسـى تنالى الفوز مـن رب العلا وتـعـود ذلات الـذنوب مـكـفـره
وتشاهـدى ذاك الضريح وقـد بدت أنـواره لـلـكـائـنـات مـنـوره
هو صفـوة الرحمن مـن كل الورى وحـسن الـتـكويـن حـقا صـوره
أسـرى بـه الـبارى إلـيـه جـهـرة فى جـنح ليـل صبـحه ما أسـفره
ورقى عـلى ظهـر البـراق معظـما والـكـون مـن أنـوارِه قـد نـوره
فاسـتبشـرت بقدومـه أهل الـسـما فلـذاك أضحت مـن شذاه معـطره
وهو الـذى جليـت عروس جمـاله فـى لـيـلـة المعـراج لما أظـهـره
وهو الـذى جاء بـالحق وبـالهـدى وأبـاحنـا الـدين الـقـويم ويسـره
وصلـى عليه الله مـا سرت الصـبا وأتـت بطـيـب ثـنائـه مـتـعطـره

*****

المجلس الثانى والأربعون فى فضائل يوم عاشوراء

الحمـد لله الذى عزت عزتـه وآلائه أولا وآخرا وكـفلت نـعمته مـؤمنا وكـفورا وأظهرت قدرته ضياء وديجـورا ووسعت رحمته من ضيع زمانه تقصيـرا كم أفقر غنيا وأغنى فقيرا ورحم مسكينا وجبر كسـيرا وغفر ذنوبا وعمر قلوبا وشرح صدورا وأباح جنابه وفتح بابه لمن كان مهجورا يخافه الملك فيكثر تهليلا وتكبيرا ويجرى بأمره الفلك

فيسيره تيسيراً كتب كتاب رحمته وسطره تسطيرا وأشهد على ملائكته إنه لم يزل غفوراً معظما مقدسا مذكوراً معبودا محموداً مشكوراً يبصر ما تحت التحت وكان الله سميعاً بصيراً ويعلم ما يختلج فى الكفر وكان الله عليما خبيرا ويفنى الكل ويبقى وكان الله على ذلك قديرا يخرج الحى من الميت وخلق كل شيء فقدره تقديرا أعطاك مع علمه بذنبك ﴿**وما كان عطاء ربك محظورا**﴾ ليس عليه حجاب فيكون مستوراً ولا هو جسم فيكون محصورا اختار قوما قواما فكسا وجوههم نوارا وملأ قلوبهم بمحبته بهجة وسروراً شرفهم إذ عرفهم طريق معرفته وجعل حظهم حظا موفوراً رفعوا إليه قصة الشكوى من الهجران فكتب لهم بالأمان منشوراً أيقظهم من بين النائمين وجعل بينهم وبين الغافلين حجابا مستوراً نصبوا فى خدمته الأقدام وستروا وجوههم بأستار الظلام فجعلها بين الأنام شموساً وبدورا فقههم لخطابه ولذذهم بعتابه وسقاهم بكأس اقترابه شرابا طهوراً وأدناهم من الجناب لهم الباب ورفع لهم حجابا مستورا فسبحانه من إله صرف أعواما ودهورا وشرف أياماً وشهوراً وفضل مواسم الطاعات على جميع الأوقات وخص بالفضل والبركات يوم عاشوراء وخاطب فيه نبيه موسى وسقاه من شرابه كؤوسا وجعل له عند سماع مناجاته طوراً وقربه واجتباه وخاطبه فيه وناجاه وأعطاه فضلا عزيزاً وافترض صيامه على بنى إسرائيل وأعد لمن صامه من الفضل الجزيل أجوراً وفيه تاب الله على آدم ولقاه نضرة وسروراً وأخرج نوحا من السفينة وجعل له من السكينة حظا موفورا وفيه نجا الخليل من نار النمروذ وقاه لهيبا وسعيراً وفيه أخرج يوسف من السجن إذ كان صبورا وفيه رد بصر يعقوب وكشف ضر أيوب وغفر لداود فأصبح ذنبه مغفوراً ولسان الإحسان يبشرهم فى القرآن بقول الملك الديان ﴿**إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا**﴾.

لا نلت مما أرتجيه سرورا	ان كان قلبى عن هواك نفورا
والمرء ليس بصادق فى حبه	إن لم يكن فى النائبات صبورا
أشغلتنى بهواك عن كل الورى	فلذاك نواح القلب فيك أسيرا
لله قوم أخلصوا فى حبه	فكسا وجوههم الوسيمة نورا
تركوا النعيم وطلقوا دنياهمو	زهدا فعوضهم بذاك أجورا
قاموا يناجون الحبيب بأدمع	سحا فتحكى لؤلؤا منثورا
ستروا وجوههم بأستار الدجا	ليلا فاضحت فى النهار بدورا
عملوا بما علموا وجادوا بالذى	وجدوا فأصبح حظهم موفورا

فإذا بـدا ليـل سمـعت حـنيـنهـم	وشهـدت وجدا مـنهـمو وزفـيرا
تعـبوا قلـيلا فى رضا مـحبوبـهم	فـأراحهـم يـوم اللـقـاء كـثيـرا
صبـروا على بـلواهمـو فجزاهـمو	يـوم الـقـيـامة جـنـة وحـريـرا
يا أيـها الصـب الكـئيـب إلى مـتى	تـفنـى زمـانـك باطـلا وغـرورا
بـادر فـهـذا يوم عـاشـورا الـذى	مـــن صـامـــه لله نـال أجـــورا
فـاضـرع إلـى مـولاك فـيـه ونـاد	يـا واحـدًا فـى ملـكـه وقـديـرا
إن لم أكـن أهلا لـعفـوك سيـدى	كـن أنت أهـلا سـاتـرا وغفـورا
ما لى سـواك وأنت غاية مـقصدى	وإذا رضـيـت فـنعـمـة وسـرورا

روى أبو قـتادة الأنـصارى رضـى الله عنـه أن رسول الله ﷺ قـال: «**صوم يوم عاشوراء بكفر الـعام الذى قبله**» وعن أبى هـريرة رضى الله عنه قـال قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجـل افتـرض علـى بنـى إسرائـيل صـوم يوم فـى السـنة وهـو يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على عيالكم فيه فإنه من وسع فيه على عـياله وأهله من ماله وسع الله سائـر سنته فصوموه فإنه اليـوم الى تاب الله فيه على آدم فـأصبح صفيا ورفـع فيه إدريس مكـانا عليا وأخـرج نوح من السفيـنة ونجى إبراهيم من النار وأنزل الله فيه التوراة علـى موسى وأخرج فيه يوسف من السجن ورد فيه على يعقوب بصره وفيه كشف الضر عن أيوب وفيه أخرج يونس من بطن الحوت وفيه فلق البحر لبـنى إسرائيل وفيه غفر لداود ذنبه وفيه أعطى الله المـلك لسليمان وفى هذا اليوم غفـر لمحمد ﷺ ما تقدم من ذنبـه وما تأخر وهو أول يوم خلق الله فـيه الدنيا وأول يوم نزل فيه المـطر من السماء يوم عاشوراء وأول رحمـة نزلت إلى الأرض يوم عاشوراء فمن صام يوم عـاشوراء فكأنما صام الدهر كله وهو صوم الأنـبياء ومن أحيا ليلة عاشوراء بالعـبادة كأنما عبد الله تعالى مثل عبادة أهل السـموات السبع ومن صلى فيه أربع ركعات يقرأ فى كل ركعـة الحمد مرة و﴿قل هو الله أحد﴾ إحدى وخمسين مرة غفر الله ذنـوب خمسين عاما ومن سقـى فى يوم عاشوراء شربة مـاء سقاه الله يوم العطش الأكبر كاسا لم يظمأ بعده أبـدا وكأنما لم يعص الله طرفة عين ومن تصدق فيه بصدقة كأنما لم يرد سائلا قط ومن اغتسل وتطهر يوم عاشوراء لم يمرض فى سنته إلا مرض الموت ومن مسح فيـه على رأس يتيم أو أحسن إليه فكأنمـا أحسن إلى أيتام آدم كلهم ومن عاد مريـضا فى يوم عاشوراء فكأنما عاد مرضى أولاد آدم كـلهم وهو اليوم الذى خلق الله فيه العرش واللوح والقلم وهو اليوم الذى خلق الله فيه جبريل ورفع فيه**

عيسى وهو اليوم الذى تقوم فيه الساعة».

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله عز وجل: **﴿موعدكم يوم الزينة﴾** قال: هو يوم عاشوراء فطوبى لمن قدم فى هذا اليوم الشريف عملا صالحا واتجر فيه بالخيرات للآخرة متجرا رابحا وتاب من ذنوبه وخطاياه وأقبل إلى مولاه صالحا واتعظ بغيره وقبل ممن أصبح ناصحا وترك الكبر والدعوى وسلك إلى التقوى طريقا واضحا .

يا غاديا فى غفلة ورائحا	إلى متى تستحسن القبائحا
وكم أخى كم لا تخاف موقفا	يستنطق الله به الجوارحا
واعجبا منك وأنت مبصر	كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرأ فى غد	صحيفة قد حوت الفضائحا
وكيف ترضى أن تكون خاسرا	يوما يفوز من يكون رابحا
فاعمل لميزانك خيرا فعسى	يكون فى يوم الحساب راجحا
وصم فى هذا يوم عاشوراء الذى	ما زال بالتقوى شذاه فائحا
يوم شريف خصنا الله به	يا فوز من قدم فيه صالحا

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم**» انفرد به مسلم، وسئل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن صيام يوم عاشوراء فقال: ما علمت أن رسول الله ﷺ صام يوماً يطلب فضله فى الأيام إلا هذا اليوم يعنى عاشوراء ولا شهراً إلا هذا الشهر يعنى رمضان متفق عليه: وروى مالك بن أنس رضى الله عنه عن ابن شهاب عن حميد بن عبدالرحمن أنه سمع معاوية بن أبى سفيان عام حج وهو على المنبر يقول: يا أهل المدينة أين علماؤكم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا يوم عاشوراء لم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر**» متفق عليه وروى ابن عباس وغيره عن النبى ﷺ أنه قال: «**لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر**» فتوفى رسول الله ﷺ قبل ذلك فيحتمل أن يكون أراد نقل الصيام إليه ويحتمل أن يكون أراد أن يصومه مع العاشر ولهذا استحب الإمام الشافعى وغيره صيام اليومين احتياطا وهو مروى عن ابن عباس أنه قال: صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود.

ورُوت عائشة رضى الله عنهـا عن النبى ﷺ أنه قال: «**من صام أيام العشر إلى يوم عاشوراء ورث الـفردوس الأعلى**»[1] وإلى هذا العـشر أشار الله تعالى بـقوله: ﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر**﴾ ولعشر المحرم فضائل كثيرة وآثار غزيرة فمن ذلك ما روى معاوية بن قرة أن نوحا عليـه السلام صام هو ومن معه فى السفينة يـوم عاشـوراء شـكرا لله تـعـالى إذ نجـاه يوم اسـتـوت علـى الجـودى وكان يـوم عاشـوراء: وعن طـاوس فى قـوله تـعالـى إخبارا عـن يعـقوب عـليـه السـلام فى قوله: ﴿**سوف أستغفر لكم ربى**﴾ قال: أخرهم إلى ليلة الجمعة فوافقت ليلة عاشوراء قال ابن شهاب ومما بلغنا عن الصحابة والـتابعين أنه كان يصوم يوم عاشوراء على بن أبى طالب وأبو موسى الأشـعرى وعلى بن الحسين وسعيد بن جبـير رضى الله عنهم أجمعين وقد ذكرنا ما يستحب من الأعمال فى يوم عاشوراء التوسعة على العيال ومن ذلك إكرام الوالديـن والبر بهما ومن ذلك تـشييع الجنائز ومن ذلـك إماطة الأذى عن الطريق ومن ذلك كظم الغيظ ومن ذلك العفو عمن ظلم. ومن ذلك ما روى عن على ابن أبى طـالب رضى الله عنه قال مـن قرأ فى يوم عاشـوراء ألف مرة ﴿**قل هو الله أحد**﴾ نظر الرحمن إليه ومن نظر الرحمن إليه لا يعذبه أبدا (وعن) ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنزل الله تعالى على موسى بن عمران فى التوراة من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله**»[2] .

وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنـه قال أمر رسول الله ﷺ رجلا أن ينادى فى الناس: «**ألا من كـان أكل فلـيصم بـقية يـومه ومن لـم يأكل فـليصـم فإن اليـوم يوم عاشوراء**» ومما روى أن فقيراً كان له عيال فى يوم علاشـوراء فأصبح هو وعياله صياما ولم يكن عندهم شىء فـخرج يطوف على شىء يفطرون عليه فلـم يجد شيئا فدخل سوق الصرف فـرأى رجلا قد فرش فى دكانـه النطوع المثمـنة وسكب عليـها أكواب الذهب والفضـة فتقدم إليه وسلم وقال له يـا سيدى أنا فقير لعل أن تقـرضنى درهما واحدًا أشترى به فطورا لـعيالى وأدعو لك فى هذا اليوم فولى بوجهـه عنه ولم يعطه شيئاً فـرجع الفقير وهو مـكسور القلب وولـى ودمعه يجرى على خـده فرآه جار له صيرفى وكان يـهوديا فنزل خلف الفقـير وقال له أراك تكلمت مـع جارى فلان فقال قصدته فى درهم واحد لأفطر به عيالى فردنـى خائبا وقلت له أدعو لك فى هذا اليوم

---

(١) حديث ضعيف.

(٢) لم أجده فى كتب الحديث المعتبرة.

فقال اليهودى وما هذا اليوم فقال له الفقير هذا يوم عاشوراء وذكر لـه بعض فضائله فناوله اليهودى عشـرة دراهم وقال له خذ هذه وأنفقها على عيالـك إكراماً لهذا اليوم فمضى الفقير وقد انشرح لذلك ووسع على أهلـه النفقة فلما كان الليل رأى الصيرفى فى المنام كأن الـقيامة قد قامت وقد اشتد الـعطش والكرب فنظر فإذا قـصر من لؤلؤة بيضاء أبوابه من الياقوت الأحمر فرفع رأسه وقال يا أهل هذا القصر اسقونى شربة ماء فنودى هذا القصر كـان قصرك بالأمس فلما رددت ذلك الفقير مكـسور القلب محى اسمك من عليه وكـتب اسم جارك اليهودى الذى جبره وأعطاه عـشرة دراهم فأصبح الصيرفى مذعورا ينـادى على نفسه بالويل والثبور فجاء إلـى جاره اليهودى وقال أنت جارى ولى عليك حق ولى إليك حاجة قال ومـا هى قال تبيعنى ثواب العشرة دراهم التى دفعتـها بالأمس للفقير بمـائة درهم فقال والله ولا بمائة ألف دينـار ولو طلبت أن تدخل باب القصر الذى رأيته البارحة لما مكنتك الدخول فيه فقال ومن كشف لك عن هذا السر المصون قال الذى يقول للشىء كن فيكون وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(إخوانى) كان هذا يـهوديا فأحسـن الظن بيوم عاشـوراء وما كان يعرف فـضله فأعطاه مـا أعطاه ومن عليه بـالإسلام فكيف بمن يعرف فـضله وثوابه ويهمـل العمل فيه.

ما حال من ظل عن باب الرضا مطرود	ومن موارد ساعات اللقـا مطـرود
وقد حكم فى القدم أن ينجز الموعـــود	هذا بحكم القضا يشفى ودا مسعود

فيا من ضـيع أوقات المسكنة والاقـتدار ونسى الآخرة وأنس بهـذه الدار وجانب الصالحين وصاحب الفجار وآثر على صفاء الإخلاص كدر الأسرار وصار عبدا للهوى وقد كان من الأحرار ولم يذكر فى حلاوة الشهوات مرارة الأوزار.

يـا غافـلا فـى نومـه وسـنانـه	متشـاغلا باللـهو فى غفـلاته
لا يسـتفيق مـن الذنوب وكلـما	وعظـوه جاز الحـد فى زلاتـه
قد ضل عن طرق الهداية والتقى	والشـيب وافى مـنذر بوفـاته
فلـو استـقال إلى الـكريم فـربما	يعفو بـفضل منه عن هـفواته

وقيل كان بالـبصرة رجل له مال وثروة وكان فـى كل سنة يجمع النـاس فى بيته ليلة عاشوراء يقرؤون الـقرآن ويذكرون ويسبحون ويحيون تلك اللـيلة بالقرآن والذكر

ويمد لهم الطعام ويتفقد المساكين ويحسن إلى الأرامل والأيتام وكان له جار وله بنت مقعدة فقالت لأبيها: يا أبت ما بال جارنا يجمع الناس فى كل سنة فى هذه الليلة ويحيونها بالقراءة والذكر فقال لها هذه ليلة عاشوراء ولها حرمة عند الله وفضائل كثيرة ثم ناموا وسهرت الصبية تسمع القرآن والذكر إلى وقت السحر فلما ختموا القرآن ودعوا رفعت رأسها إلى السماء وقالت يا سيدى ومولاى بحرمة هذه الليلة عندك وبهؤلاء الأقوام الذين باتوا يتلون ذكرك ساهرين فى طاعتك إلا ما عفيتنى ومسحت ضرى وجبرت قلبى بعد كسرى فما استتمت الكلام إلا وقد زالت عنها الأوجاع والأسقام ونهضت قائمة على الأقدام فلما نظر أبوها إلى قيامها بعد ضرها وسقامها قال يا بنية من كشف عنك هذه الغمة والبلية قالت الذى جاد لى بالرحمة ولا يبخل بالنعمة يا أبت إنى توسلت بهذه الليلة إلى سيدى فأزال ضرى وعافى جسدى.

فلا تجزع لريب الدهر واصبر — فإن الصبر فى العقبى سليم
فما جزع بمغن عنك شيئا — ولا ما فات ترجعه الهموم
إذا ضاق الخناق فكن صبورا — كريماً فالشدائد لا تدوم
فبالصبر الجميل تنال أجرا — وتعطى بعد ذلك ما تروم
فكم من محنة عظمت ودامت — وخان مواصل وجفا حميم
أتى فرج الإله لها صباحا — فما أمست وأقلعت الهموم
فسلم فالذى أبلى يعافى — وثق بالله فهو بنا عليم

(إخوانى) اغتنموا زمان الأرباح فأيام المواسم معدودة وانتهزوا الفرص فأوقات السلامة مشهودة وبادروا للعمل مبادرة مجتهد بحق وارفضوا فضول الدنيا وتخلصوا من الرق قبل أن تلقوا ساعة حسرة وانقضى العمر كما قضى الله وحكم وأقبل الموت الذى قدره الله وحتم وبلغت الروح التراقى فنسيت لذة النعم وتحسر القلب لفراق الأحباب وأظهر الدمع ما كنتم إلا ساعة حتى ذهبت الروح وسكن الألم ثم تنقل إلى منزل وعر شديد الظلم فيا أسفا إن جازاك مولاك بالمعاصى وانتقم ويا تعسا لك إن زلت عن الصراط منك القدم.

تفنى اللذاذة ممن نال شهوته — من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء فى مغبتها — لا خير فى لذة من بعدها النار

قيل إنه كان بمصر رجل تاجر فى التمر يقال له عطية بن خلف وكان من أهل الثروة ثم افتقر ولم يبق له سوى ثوب يستر عورته فلما كان يوم عاشوراء صلى الصبح فى جامع عمرو بن العاص ومن عادة هذا الجامع ألا يدخله النساء إلا فى يوم عاشوراء لأجل الدعاء فوقف يدعو مع جملة الناس وهو بمعزل عن النساء فجاءته امرأة ومعها أطفال أيتام فقالت يا سيدى سألتك بالله إلا ما فرجت عنى وآثرتنى بشيء أستعين به على قوت هذه الأطفال فقد مات أبوهم وما ترك لهم شيئا وأنا شريفة لا أعرف أحدًا فقال الرجل فى نفسه أنا ما أملك شيئاً وليس عندى غير هذا الثوب وإن خلعته انكشف عورتى وإن رددتها فأى عذر لى عند رسول الله ﷺ فقال لها اذهبى معى حتى أعطيك شيئا فذهبت معه إلى منزله فأوقفها على الباب ودخل وخلع ثوبه وأتزر بخلق كان عنده ثم ناولها الثوب من شق الباب فقالت ألبسك الله من حلل الجنة ولا أحوجك باقى عمرك ففرح بدعائها وأغلق الباب ودخل بيته يذكر الله تعالى الليل ثم نام فرأى فى المنام حوراء لم ير الراؤون أحسن منها وبيدها تفاحة قد عطرت ما بين السماء والأرض فناولته التفاحة فكسرها فخرج منها حلة من حلل الجنة فألبسته الحلة فقال لها من أنت فقالت أنا عاشوراء زوجتك فى الجنة قال بم نلت ذلك قالت بدعوة تلك المسكينة الأرملة والأيتام الذين أحسنت إليهم بالأمس فانتبه وعنده من السرور مالا يعلمه إلا الله عز وجل فتوضأ وصلى ركعتين شكرا لله عز وجل ثم رفع طرفه إلى السماء وقال: إلهى إن كان منامى حقا وهذه زوجتى فى الجنة فاقبضنى إليك فما استتم الكلام حتى عجل الله تعالى بروحه إلى دار السلام.

عامل الله لم تخسر تجارته	وكل ما كان منها كاسدا نفقا
والله حقا يجازى المحسنين وقد	جاء الكتاب بذى المعنى وقد نطقا
فاطلب رضا الله فيما ترتجيه وثق	به تنل المنا والفوز والسبقا
وقف على الباب واطرق بأعتاب تنل	أما ترى الباب مفتوحا لمن طرقا

(إخوانى) هذه بعض شارات المؤمن عند الموت فأين الاستعدادات أين من يزرع الخير فى دنياه ويحمد فى عقباه الحصاد؟ أين الذين كنزوا الكنوز وعمروا البلاد؟ أين الذين قادوا الجيوش واستعبدوا العباد؟ أين من بنى وشاد؟ أين الآباء والأجداد؟.

غدا توفى النفوس ما كسبت	ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم	وإن أساؤوا فبئس ما صنعوا

فلله در من عمل وبادر شهوره وسنينه وتدرع بالحياء والوقار والسكينة وعمل ليوم فيه كل نفس بما كسبت رهينة وعرف قدر هذا اليوم الشريف الذى نجا الله تعالى فيه نوحا وأخرجه من السفينة وذلك أن نوحا عليه السلام لما نزل من السفينة هو ومن معه شكوا الجوع وقد فرغت أزوادهم فأمر أن يأتوا بفضل أزوادهم فجاء هذا بكف حنطة وهذا بكف عدس وهذا بكف فول وهذا بكف حمص إلى أن بلغت سبع حبوب وكان يوم عاشوراء فسمى نوح عليها وطبخها لهم فأكلوا جميعاً وشبعوا فذلك قوله تعالى: **﴿يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾** وكان ذلك أول طعام طبخ على وجه الأرض بعد الطوفان فاتخذه الناس سنة يوم عاشوراء وفيه أجر عظيم لمن يفعل ذلك ويطعم الفقراء والمساكين.

(وقيل إن موسى عليه السلام)لما وعده الله سبحانه وتعالى أن يخاطبه ويكلمه ويلقى إليه التوراة فى الألواح أمره بصيام ثلاثين يوما فصامها وهى شهر ذى الحجة فلما أنكر خلوف رائحة فمه استاك بعود خروب وقيل زيتون وقيل غير ذلك فقيل له أيها الصائم عن أمرنا كيف أفطرت برأيك أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فأمر بصيام عشرة أيام أخر كفارة لما فعل قال الله تعالى: **﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر﴾** وهى عشر المحرم وقيل عشر ذى الحجة على الوجه الأول يكون آخرها يوم عاشوراء وهو اليوم الذى كلم الله فيه موسى وأنزل عليه التوراة وهو يوم عظيم فضيل فيه تضاعف الحسنات ويعفى عن كل ذنب ثقيل فيه تاب الله على آدم وأخرج نوحا من السفينة وحمله ومن معه بالزاد القليل وفيه نجى من النار إبراهيم الخليل وشفى من البلاء أيوب ورد يوسف على يعقوب بعد حزنه الطويل وفيه أخرج يونس من بطن الحوت وفلق البحر لبنى إسرائيل وغفر لداود ذنبه وفيه رد لسليمان ملكه الرد الجميل وفيه خاطب الله تعالى موسى ورفع فيه عيسى وفيه ينزل بالرحمة جبريل وفيه غفر لمحمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن كسا فيه عاريا أو أجرى فيه من المعروف جاريا أجاره الله من العذاب فأكثروا فيه التسبيح والتهليل وبادروا فيه بالتوبة إلى الملك الجليل وتزودوا فيه من الأعمال الصالحة للسفر الطويل فقد ورد فى فضله من الإنعام والإحسان ما يقصر عن وصفه كل لسان ويقصر عن حصره كل فضيل (كان وكان):

يا من يروم الفضائل فى يوم عاشوراء استمع	فإنه فى الحقيقة يوم شريف فضيل
فتب إلى الله واغنم صيامه تلق المنى	وإن نويت الإنابة بادر إلى التعجيل

وحصـل الزاد واغنم هـذه الليـالى بالتـقى وابكـى بدمـع هامـى علـى الخدود يـسيـل

طـوبى لـعبـد تيـقظ وقـام وقت الـسحـر وقـال يـا رب إنى مـذنـب عـلـيل ذلـيـل

فامـن علىَّ بـتوبـة فأكثـر العمـر انقـضى ولا تخـيب رجـائى فـالظـن فيـك جمـيل

وليـس لى من وسيـلة إلا النـبى المصطـفى الـهاشـمى المـفضـل بـالوحـى والتـنزيـل

رسول رب الـبرايا مـاحى الخـطايا والـزلل هو الـنبـى المخصـص بالقـرب والتـبجـيل

صلـى علـيه وسلـم رب الســموات الـعلا ما دامت الورق تـبدى على الغصـون هديل

اللهم اجعلنا من المقبولين فى هذا العشر الفضيل وخصنا به بالأجر الوافر والعطاء الجزيل واغفر لنا فيه كل ذنب عظيم وخفف ظهورنا من كل وزر ثقيل وتقبل فيه يسير أعمالـنا فإنك تقـبل العمل الـقليل وأجزنا فـيه من عاداتك عـلى كل حسن جـميل واحشرنا تحت لواء من أنزلت عليه فى محكم الـتنزيل حسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المجلس الثالث والأربعون فى مولد رسول الله ﷺ

الحمد لله الـواحد فلا يجـحد الأحد الذى فـى سرمديتـه توحد الفـرد الذى فى ربوبيته تـفرد الشكور الذى لا يشكر غيـره ولا يحمد الغفور الذى يغـفر الذنوب لمن يتوب ولا يتردد الملك الذى أفنى الممالك والملوك وملكه سرمد العلى الذى إليه الكلم الطيب يصعد، الحاكم الذى حكم بالموت على أهل الدنيا فليس فيها أحد يخلد أرسل الرسل ليرشدوا الناس إلـى الطريق الأحمد وجعلهم حجابا بين يـدى من له الشفاعة ولواء الحمد فى القيامة يعقد وجعله آخر الأنبياء ليبين لهم الطريق الأرشد فلذلك قال تعالى فى كتـابه الممجد: **﴿وإذ قال عيـسى ابن مريم يـا بنى إسرائيـل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾** فنوه بذكره تشريفاً لقـدره وتوقيرا وأطفأ به للمشركين ناراً وأظهر به لـلمؤمنين نورا وأكمل به لأمته فرحا وسروراً وأرسله إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا وجعله داعياً بإذنه وسراجا منيرا وبعثه رحـمة لكل موجود ونور به الوجود تنويرا فـقال فى حقه الملك: **﴿يا أيها النبى إنـا أرسلناك شاهدا ومـبشرا ونذيرا* وداعيـا إلى الله بإذنه وسراجا مـنيرا﴾** فهو سيد المرسلـين وإمام المتقين ومن شرفه الله عـلى جميع المخلوقين ونـبأه وآدم بين الماء والطين وأرسله إلى كافه الخلق فقـال تعالى فى كتابه المبين: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة**

للعالمين﴾ وجعل مقامه رفيعاً وحسنه بديعا ومولده للمؤمنين ربيعا فما برح دين الإسلام به مرفوعاً ودين الشرك به موضوعاً نقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية فطاب أصولا وزكا فروعاً ارتج لميلاده إيوان كسرى فانهار بنيانه وتداعى وقوعا شفعه الله تعالى فى العصاة من أمته تعظيما لقدره وجعل كلا منهم لقوله سامعا لأمره مطيعا واختاره لهم فى الدنيا رسولا وفى الآخرة شفيعا وأمره بإظهار شرفه عليهم فقال: **﴿يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا﴾** توجه الله بتاج الوقار ونور به جميع الأقطار وشرف به البادين الحضار وصفاه من جميع الأكدار وأخمد لنوره نار فارس وأضاء بمولده غياهب الحنادس وخلع عليه خلع الهيبة والوقار وختم به النبيين وتمم به المرسلين وأنزل عليه فى كتابه المبين تشريفا له ولأصحابه الأخيار: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾** نبى بوأه الله مقاما جليلا وأعطاه عطاء جزيلا بشرت بنبوته الأحبار والرهبان وأخبرت بظهوره الكهان وأظهرت له فى الأكوان وصفا حسنا وثناء جميلا وأوجده الله فى مثل هذا الشهر الشريف وفضله على سائر الخلق تفضيلا وكساه من حلل الوقار ثوبا جليلا وأنذر الناس برسالته فقال فى محكم آياته: **﴿إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾**.

ربيع السرور أنار السبيلا ... وأهدى لنا كأسه السلسبيلا
بمولد خير الأنام الذى ... له الله كان وليا كفيلا
ترى قبل موتى أزور الحمى ... وأبرء منه الفؤاد العليلا
وأنظر وادى قبا قد بدا ... لعينى وأشهد ذاك النخيلا
ويدنو البقيع وقبر الشفيع ... بمن طاب فرعا وأصلا أصيلا
وألثم ذاك الضريح الذى ... تضمن خير الأنام الرسولا
نبى الهدى ما حيا للردى ... ويجلو الصدا وهو يهدى السبيلا
عليه من الله طول المدى ... سلام إذ رام حاد رحيلا

فيا ذوى العقل الراجح والذهن السليم انظروا ما أعد الله تعالى لهذا النبى الكريم من العطاء الجزيل والتبجيل والتكريم والحظ الوافر والفضل الجسيم فهو النبى الكريم المخصوص بالخلق العظيم الموصوف بالتبجيل والتعظيم المنزل عليه فى الآيات والذكر الحكيم: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** إن أول ما استفتح به الإنسان ونطق به اللسان كلام من خلق الخلق والأنام للتفضل عليهم والإحسان إليهم ليس ذلك لحاجة ألجأته إلى إيجادهم ولا

ضرورة أحوجته إلى انقيادهم إذ هو الغنى علـى الإطلاق والذى لا تفنى خزائنه بكثرة الإنفاق ومن أعظم إحسانه وأكثر امتنانه على عباده أن أرسل إليهم صفيه الكريم ونبيه الجليل العظيم ورسوله الصادق الأمين الذى قال سبحانه فى صفه إبلاغه **﴿وما هو على الغيب بضنين﴾** فأطفأ بنور وجوده دياجى الكـفر وأطلع فى سماء الإيمان زهر الدرارى ودرارى الزهر وأضاء بأنواره غياهب الحنـادس وأخمد به نار فارس وشق إيوان كسرى إنذارا بزوال ملكه ورأى قيصر رؤياه الدالة على هلكه فيجب على أمته التى رفعها الله به على الأمم وطأطأ لهـا بسيوف قدمه شوامخ القمم أن يتخذوا لـيلة ولادته عيدا من أكبر الأعياد ويجتهدوا فى الفرح به غاية الاجتهاد ويتقربوا إليه إكراما للغرباء والفقراء ويمتثلوا وصيته فى إسعاف اليتامى والأرامل والـضعفاء ويتلوا قصة مولده على أسماع الأمم ويتحققوا عندهم ما أوجدهم الله بوجوده مـن الكرم ومحاسن الشيم ليتقرر فى خواطرهم ماله عنـد الله من المكانة والإمكان وإنه ما خلق الله مثـله من إنسان وها أنا أذكر مولده مسندا عن الأئمة الصادقين وأتلو قوله تعالى **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** فقد روى عن مخزوم بن هـانئ وعن أبيه وكان قد بلغ من العمر مـائة وخمسين سنة وقال ولد النبـى ﷺ يوم الإثنين لاثنتى عشـرة ليلة مضت من ربيـع الأول عام الفيل ولاثنتين وأربعين سنـة من ملك كسرى أنو شروان ولثمان سنين وسـتة أشهر من ملك عمرو بن هند وذلك أن عبـد المطلب نام ليلة فى الأبطح فرأى كأنه خـرج منه سلسلة بيضاء لها أربعة أطراف طرف بلغ مشارق الأرض وطرف بلغ مغاربها وطرف بلغ إلى عنان السماء وطرف رجع حتى صار كشجرة خضراء فلما أصبح سأل عن ذلك فقالوا له إن صدقت رؤياك ليخرجن من صلـبك من يؤمن به أهل السموات والأرض وروى كعب الأحبار(1) رضى الله عنـه قال: لما أراد الله عز وجـل خلق الموجـودات وخفض الأرض ورفع السموات وقبض قبضة من نوره وقـال لها كونى محمدا فصارت عمودا من نور وأشرق حتى انتهى إلى حجاب العظمة فسجد وقال الحمد لله فقال الله تعالى لهذا خلقتك وسميتك محمداً مـنك أبدأ الخلق وبك أختم الرسل ثم إن الله عز وجل قسم نوره على أربعة أقسام فخلق من القـسم الأول اللوح ومن القسم الثانى القلم ثم قال الله تعالـى للقلم اكتب فـارتعد من الهيبـة ألف سنة فقال يا رب ومـا أكتب قال اكتب لا إله إلا الله محمـد رسول الله فكتب القلم ذلك فاهتدى إلـى علم الله تعالى

(1) لا أصل لهذا الأثر وأخبار كعب تؤخذ على حذر فقد كان ينظر فى كتب اليهود وإن كان رسول الله دعا أن يكون عن يمينه نور وكذلك شماله . . . إلخ.

فى خلقه فكتب أولاد آدم لصلبه من أطاع الله أدخله الجنة ومن عصى الله أدخله النار أمة إبراهيم كذلك أمة موسى كذلك أمة عيسى كذلك حتى انتهى القلم إلى أمة محمد ﷺ فكتب أمة محمد من أطاع الله أدخلـه الجنة ومن عصى الله أراد أن يكتب أدخله النار فإذا النداء من العـلى يا قلم تأدب فانشق القلم من الهيبـة وقط بيد القدرة فصار ذلك عادة فى القلم لا يكتب إلا أن يكون مشقوقا مقطوطا فقال اكتب أمة مذنبة ورب غفور ثم خلق الله عز وجل من القسم الثالث العرش ثم قسم القسم الرابع على أربعة أقسام فخلق من القسم الأول العقل ومن القسم الثانى المعرفة ومن الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبـصار والنهار فكل هذه الأنـوار من نور النبى المختار فـكان هو أصل المخلوقات كلها ثم بقى ذلك القسم الرابـع من النور مستودعا تحت العرش حتى خلق الله عز وجل آدم عليه السلام فوضع ذلك النـور فى ظهره وأسجد له الملائكة وأدخله الجنة فكانت الملائكة تقف خلف آدم صفـوفا ينظرون إلى نور محمد ﷺ فقال آدم: يا رب ما لهؤلاء الملائكة يقفون صفوفا خـلف ظهرى قال الله تعالى: يا آدم ينظرون إلى نور حبيـبى وصفوتى من خلـقى محمد خاتم الأنـبياء الذى أخرجه من ظـهرك فقال آدم: يا رب اجعل هذا الـنور فى مقدمى حتى يسـتقبلونى ولا يستدبـرونى فجعل الله ذلك النور فى جبهته فكانت الملائكة تقف قباله آدم فيسلمون على نور محمد ويصلون عليه فـقال آدم: يا رب أريد أن يكون لى نصيب من هذا النور كـما للملائكة فاجعله منى فى مكان أراه فنقـل الله ذلك النور من جبهته إلى السبابة من يـده اليمنى فكانت الملائكة تسـبح فيسبح نور محمـد ﷺ فى أصبع آدم فلذلك سميـت من بين الأصابع المسبحة ثم قال آدم يا رب هل بقى من هذا النور شىء فى ظهرى فقال: بقى نور بقية صحابتـه فقال: يا رب اجعله فـى بقية أصابعى فـجعل الله نور أبى بكر فـى أصبعه الوسطى ونور عمر فى البنصر ونور عثمان فى الخنصر ونور على فى الإبهام فما زالت هذه الأنوار تتلألأ فى أصـابع آدم ما دام فى الجنة حتى أصاب من الـشجرة ما أصاب فرد الله تلك الأنوار إلـى ظهره ثم إن الله عز وجل عرف آدم قدر مـا أودعه من السر وقال له تـطهر وسبح وقـدس واغش زوجتك علـى طهارة منـك ومنها فإنـى مخرج منكما نورى ففعل آدم ما أمره به ربه فنقل الله ذلك النور من آدم إلى حواء فكان يرى فى جبهتها دارة كدارة الـشمس فلما وضعت شيئاً عليه السلام انـتقل النور إلى جبين شيث عليه السلام فلما كبر وأخذ حد الرجال أخذ آدم عليه العهد والميثاق ألايودع هذا السر إلا فى المطهرات من النساء ليصل إلى المطهرين من الرجال فانتقل ذلك النور من

شيث إلى أنوش ثم إلى قينان ثم إلى مهلائيل ثم إلى برد ثم إلى أخنوخ ثم إلى متوشلخ ثم إلى ملك ثم إلى نوح عليه السلام ثم إلى سام ثم إلى فخشد ثم إلى شالخ ثم إلى عابر ثم إلى فالغ ثم إلى رعو ثم إلى فالغ ثم إلى ساروغ ثم إلى ناحور ثم إلى تارخ ثم إلى آزر ثم إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ثم إلى إسماعيل ثم إلى قيذار ثم إلى نبت ثم إلى سلامان ثم إلى الهميع ثم إلى اليسع ثم إلى عدنان ثم إلى معد ثم إلى نذار ثم إلى مضر ثم إلى إلياس ثم إلى مدركة ثم إلى خزيمة ثم إلى كنانة ثم إلى النضر ثم إلى مالك ثم إلى فهر ثم إلى غالب ثم إلى لؤى ثم إلى كعب ثم إلى مرة ثم إلى كلاب ثم إلى قصى ثم إلى عبد مناف ثم إلى هشام ثم إلى عبد المطلب ثم إلى عبد الله والد محمد ﷺ

ما زال نور محمد متنقــلا — فى الطيبين الطاهرين أولى العلا
حتى لعبد الله جاء مطهرا — ومكـرما ومعظمـا ومبجـــلا

فلما أراد الله عز وجل إخراج تلك الوديعة من خزائن الأصلاب الرفيعة إلى كنز أحشاء آمنة المنيعة وظهرت لانتقال نوره الآيات وتباشرت به جميع المخلوقات نودى فى جميع الأرض والسموات: يا عرش تبرقع بالوقار يا كرسى تدرع بالفخار يا سدرة المنتهى ابتهجى يا أنوار المهابة تلهجى يا جنان تزخرفى يا حور من القصور أشرفى يا ملائكة الله اصطفى وتمنطقى بالعرش وخف يا رضوان افتح أبواب الجنان وزين الحور والولدن وأطلق مجارى الطيب وعطر الاكوان يا ملك أغلق أبواب النيران فإن النور المكنون والسر المصون المخزون الذى فى خرائن قدرتى فى هذه الليلة من عبد الله ينفصل وإلى آمنة يتصل وإلى أحشائها فى هذه الساعة ينتقل التى فيها يتم خلقه تماماً جلياً ويخرج إلى الناس بشراً سوياً فلما أذن الله سبحانه وتعالى فى انتقال نور محمد ﷺ انتقل عشية الجمعة أول ليلة من شهر رجب الفرد وقيل منتصف جمادى الآخرة وهو قول الواقدى ولم يبق فى تلك الليلة دار ولا مكان إلا ودخله نور ولا دابة إلا نطقت. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: كان من دلائل حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها[1] قالت آمنة: لما مر لى من حمله ستة أشهر مات أبوه عبد الله وأتانى آت فى المنام فوكزنى برجله وقال يا آمنة أبشرى فقد حملت بخير العالمين طرا فإذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك قالت فى مدة حملى به ما

(١) لم يثبت له أصل.

شكوت وجعا ولا ألما ولا ثقلا ولا مغصا ولقد حملت به تسعة أشهر كملا فلما حان وقت ولادتى أخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى أحد من قومى وإنى وحيدة فى المنزل وعبدالمطلب فى طوافه فمددت كف السؤال إلى من لا تخفى عليه خافية فإذا أنا بالأخت المواسية امرأة فرعون آسية ثم نظرت نورا أضاء منه المكان فإذا هى مريم ابنة عمران ثم شاهدت وجوها كالبدور فإذا هم جماعة من الحور فاشتد بى الطلق فاستندت على النساء ثم أعاننى عالم الغيب والشهادة على تسهيل الولادة فوضعت الحبيب معتمداً على يديه شاخصاً إلى السماء بعينيه حنت آسية عليه بادرت مريم إليه قبلت الحور يديه نزل إلى المنزل جبريل حف به ميكائيل جاء إلى خدمته إسرافيل أخفوه عن الأبصار طافوا به جميع الأقطار غمسوه فى الجنة فى سائر الأنهار كتبوا اسمه على أوراق الأشجار ثم عادوا بالمفضل على الكونين فى أسرع من طرفة عين أخذته آسية تكحله فوجدته مكحولا بكحل الهدى أرادت مريم أن تقطع سرته فوجدته مقطوع السرة قد زال عنه الردى قدمت الحور العين أنواع الطيب طيبت به شمائل هذا الحبيب سارعت إلى طلعته المباركة ثلاثة مع أحدهم طشت من الذهب الأحمر ومع الثانى إبريق من الجوهر ومع الثالث منديل من السندس الأخضر فغسلوا وجه الحبيب بماء الإبريق وأخرجوا من الخرقة خاتم النبوة والتصديق وله لمعان وبريق ختموا به ظهر هذا النبى الشفيق فتم بذلك سعده والتوفيق وقيل لأمه آمنة لا تدعى أحداً من العالمين ينظر إلى محمد الصادق الأمين حتى تنقضى منه زيارة الملائكة المقربين ولما ولد ﷺ وسقط اهتز العرش طربا وزها الكرسى عجبا ومنعت الجن عن السماء وقالوا لقد لقينا فى طريقنا نصبا وضجت الملائكة بالتسبيح رغبا ورهبا ونشرت الرياح وبدت سحباً وأمالت فى الحدائق عن الغصون قضبا ونادت الكائنات من جميع الجهات أهلا وسهلا ومرحبا.

نسيم الصبا أهلا وسهلا ومرحبا	قدمت فأقدمت السرور إلى الربا
وجددت فى كل القلوب مسرة	ونشرك أضحى فى الوجود مطيبا
متى أنظر الأعلام يا سعدة قد بدت	ويصبح قلبى من حماه مقربا
فقد زمزم الحادى بذكر محمد	نبى كريم للشفاعة مجتبى
رسول عظيم مصطفى ذو مهابة	له الله بالذكر المرفع قد حبا
فلولاه ما سار الحجيج لمكة	ولا حن مشتاق لنجد ولا صبا

فسبحان من أطلع كواكب سعوده فى الأكوان فظلمت وألمع بوارق جوده فلمعت وبث أنوار أقمـاره فتلألأت وسطعت وقطع آمـال الكفار من مرادهم فانـقطعت وأذل ملوكهم لعزه فذلـت لهيبته وخضعت فالأيس بقدومه قد تـآنست وارتفعت والجن من استراق السمع قد منعت والأملاك فى الأفلاك قد سجدت وركعت وآمنة قد فازت بما حزت حين جمـال هذا الحبيب قد وضـعت وحليمة الحـليمة تشرفـت إذ له أرضعت وألسنة المداح قد أثنت بشكره فى الآفاق وأسمعت.

قـلوبـنا بـالـغرام قـد ولعـت	ما فـترت عـنه لا ولا رجـعت
وأذنـنا شـرفـت ومسـمـعهـا	من طيـب أذكاره التى سـمعت
طـلعـتـه تخـجـل البـدور إذا	ما ظـهرت لـلعيـون واطلـعت
وقـد يـخـجل الـغـصـون إذا	مـا نظـرت قـده لـه ركعـت
كـل لـه مـليـح أقـر كـمـا	مع الحـسن فـيه قـد جمـعت
مـحـمـد سـيـد الأنـام ومـن	أعـناق أعـدائه لـه خـضعـت
جـاءت لـنـا رحمـة بمـولـده	ومذ أمـدت به فـلا انقـطعـت
وفـى ربـيـع جاءت بـشـائـره	فـمذ أتـانـا أسـواؤنا دفـعـت
فـما مـثـله فـى الأنـام سائـر	وما حملت حامل ولا رضعت
فـى الـدنـيـا غـيـره بمـولـده	أشرقت الأرض والسما سطعت
ويـنزل الـغيـث والغـياث بـه	ومن سـناه الـبروق قـد لمعـت
يا مولد المـصطفى جمعـت لنا	أنواع بشر فى القلب قد زرعت
ويـا ربـيـعـا لـنـا بمـربـعـه	أوقات أنس بـالخير قد رفـعت
لـيتـك لـو كنـت دائـماً أبـداً	فـإن أعداءنـا بـك انـقمـعـت
يا سـيد المـرسلـين خذ بـيدى	فأدمـعى من جـنايـتى همـعت
واشفـع لنا فى المـعاد يا أمـلى	من حر نار الجحـيم قد لذعت
فـمنـك نـرجو ألا تـخـيـبنـا	يا مـن به الكائـنات قد نفـعت
عليـك صلى الإله مـا سهرت	عين ومـا فى منامـها هجـعت
وآلك الطـهر والصحـاب ومن	تحـب مـن أمـة لك اتـبـعـت

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس الرابع والأربعون فى التنزيه وذكر الصالحين

الحمد لله الذى اعترف بفضله كل حاضر وبادى واغترف من بحره كل رائح وغادى وهمعت بفضل وجوده عيون السحب الغوادى وسبح بحمده النهار الزاهر والليل الهادى ونطقت بحكمته الكائنات لذوى البصائر والعقول والسموات تقول سبحان من رفعنى بقدرته وأمسكنى بقوته فهو ركنى وعمادى والأرض تقول سبحان من وسع كل شىء علما وفرش فراشه على الماء ومهد مهادى والجبال تقول سبحان من قوى أركانى وثبت بنيانى وأوتادى والبحار تقول سبحان من بمشيئته أجرانى واسال عيونى وغدرانى لورادى وقصادى والعارف يقول سبحان من دلنى عليه وجعل إليه مرجعى ومعادى والعالم يقول سبحان من فتح مسامع أفهامى ووفقنى فى أحكامى واجتهادى والعابد يقول سبحان من أيقظنى فى الليل لنيل أوطارى وأقامنى لأذكارى وأورادى والمذنب يقول سبحان من اطلع علىَّ فى المعصية ورآنى فسترنى وغطانى وتاب على لما نبت وهدانى وأصلحنى بعد فسادى فسبحانه من إله ينزل كل ليلة فى سماء الدنيا وينادى هل من تائب فأتوب عليه وأنظر إليه بعين ودادى هل من مستغفر فأغفر له أريه طرق رشادى فيا أيها الغافل إلى متى هذه الغفلة والتمادى انهض على قدم الندم والاعتذار وداوم بمداومة الأذكار قلبك الصادى وقف فى الأسحار بالذلة والانكسار بين يدى الملك الجبار ونادى:

تبت إليك يا رب العباد	يا ملاذى وذلى وانفرادى
وها أنا واقف بالباب أبكى	زمانا ما بلغت به مرادى
عسى عفو يبلغنى الأمانى	فقد بعد الطريق وقل زادى
فأنت ذخيرتى وبك انتصارى	وفيك تولهى وبك اعتمادى
وعنك إشارتى إليك قصدى	ومنك مسرتى ولك انقيادى
ومالى حيلة إلا رجائى	وفيك على المدى حسن اعتقادى
ولو أقصيتنى وقطعت حبلى	وحقك لا أحول عن الوداد
فجد بالعفو يا مولاى وارحم	عبيداً ضل عن طريق الرشاد
وقد وانى ببابك مستجيرا	يخاف من القطيعة والبعاد
توسل بالنبى الطهر حقا	شفيع الخلق فى يوم المعاد
عليه من المهيمن كل وقت	صلاة ما حدى بالركب حادى

عن ثوبان رحمه الله قال قال رسول الله ﷺ: **«إن حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين»** فقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه: هم الشعث رؤوسا الدنسون ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد أولئك أهل الله وخواصه من عباده.

رجال لهم مع الله صدق ... فلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا

تحوم على الدنيا وتبغى تزهدا ... فلا أنت معدود هناك ولا هنا

مر سرى السقطى رحمه الله برجل ملقى على الأرض وهو سكران والخمر يطفح من فيه وهو يقول: الله الله فرفع السرى طرفه إلى السماء وقال: إلهى إنسان يذكرك لا يكون هكذا ثم دعا بماء فغسل فمه ثم تركه ومضى فلما أفاق الرجل قالوا: إن الشيخ السرى قد رآك وفعل معك خيراً وغسل فمك فخجل واستحى ولام نفسه ووبخها وقال: ويحك يا نفس إن لم تستحى من الله ومن أوليائه فممن تستحين؟ ثم ندم وتاب مما كان فيه وبات السرى فرأى فى منامه قائلا يقول له ياسرى أنت طهرت فمه لأجلنا ونحن طهرنا قلبه من أجلك فلما أصبح السرى سأل عن ذلك الرجل فوجده فى بعض المساجد وهو قائم يصلى فلما فرغ قال له السرى: يا أخى كيف حالك فقال يا سيدى كيف تسأل عن حالى وقد أخبرك الكريم أنه طهر قلبى من أجلك وأصلح بالى قال ومن أعلمك بهذا قال الذى طهر قلبى من سواه وجاد علىّ بعفوه ورضاه.

من مثل ربك تعصيه وتهجره ... ويسبل الستر ياذا الغدر فارتدع

يا ناقض العهد يا من حاله قبحت ... مع الإله بلا خوف ولا جزع

ضيعت عمرك تسويفا بلا عمل ... تمسى وتصبح بين الحرص والطمع

وتسمع الوعظ لا تنهاك زاخرة ... بل أنت فى غفلة عن ذاك فاستمع

فقم لتقرع بابا للذى كثرتْ ... للسائلين عطاياه وأنت معى

لعله أن يرانا تائبين له ... يمن بالعفو عن عصياننا الشنع

قال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى: رأيت غلاما نحيفا مصفر اللون دقيق الساقين يمشى فى البرية بلا زاد ولا ماء ولا نعل فسلمت عليه وقلت له مالى أراك على هذه الحالة فبكى وأنشد:

ذاب ممـا بفـؤدى بـدنـى	وفـؤادى ذاب مما فـى البـدن
اقطـعوا حبـلى وإن شـئتم صـلوا	كل شـىء منكمـو عندى حـسن
وعـنـد النـاس إنـى والـه	غيـر أن لم يعـلمـوا حسبـى لمن

قال ذو النون المـصرى: ثم لا أدرى أين ذهب. يا هـذا أطيب المعاملـة ما طاب منهلا وأعذب الموارد ما راق وحـلا ما صفا عيش القوم حتى قلبهـم فى قليب الابتلا سكن قلوبهم بسكينة المسكنة وقطع منها أربا وأملا ونادى عليهم فى سوق الشوق بين الملا أتصبرون على البلاء قالوا بلى فسقاهم رحيق التوفيق ختامه مسك التصديق فعانوا على النفس وغابوا فى فلوات التحقيق وتلذذوا بالفقر والفاقة فى سلوك الطريق فانسوا بخلواتهم فى البـر الأقفر لهم تهافت عند ذكر الحبيب الأكبر ولـهم تواجد عند سماع رب أشعث أغبر، كان أويـس القرنى رحمه الله إذا جاع يأتى المزابل فـأتاها يوماً فإذا كلب ينبح عليه فقال لا تؤذ من لا يؤذيك أنـت تأكل مما يليك وأنا آكل مما يلينى فإن دخلت الجنة فأنا خير منك وإن دخلت النار فأنت خير منى:

ذل الفتى فى الحب مكرمـة	وخضوعه لحبيبه شـرف
وإذا تذلل عز قدرا فى الهوى	وأتته بعد الفاقة التحف

وقيل: إن رابعة العدوية رحمها الله مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها فقالت له يا هذا إلى مـتى تشتغل بالأغيار عن الواحد الجبار ويـحك عليك بالجار ثم الدار فقال لها اذهبى يا مجنونة فقالت أنـا لست بمجنونة وإنما المجنون من لم يفهم ما أقول يا مـسكين. الجنة سـجن لمن يكن الله أنـيسه والنار بـستان من كان الله مـؤنسه وجليسه ألا ترى إلى آدم لما كان فى الجنة يرتع ويتـهنا فلما تعرض للأكل من الشجرة صارت عليه سـجنا وإبراهيم الخليل لما حـفظ سره لمولاه قربه واجتباه فـلما طرح فى النار صار عليه بردا وسلاما:

فروحى وريحانى إذا كنت حاضرا	وإن غبت فالدنيا على محابس
إذا لم أنافس فى هواك ولم أغـر	عليك فلمن ليت شعرى أنافس

قيل كان حبيب الـنجار رحمه الله من الأولياء الأخيار الأتقيـاء الأبرار يقوم الليل ويصوم النهار ويؤثر بطعامه عند الإفطار ويبيت طاويا فى خدمة الملك الغفار فإذا كان وقت الأسحـار ناجى ربه وقـال بلسان الـذلة والانكسـار: غرقت فى بـحار غفلـتى وركضت فى ميدان صبوتى وعثرت بأذيال زلتى وتحيرت فى بيداء شقوتى ومالى غيرك

أعتمد عليه ولا أعرف بابا غير بابك فالتجئ إليه وها أنا عبدك الذليل المذنب العليل قد وقفت ببابك ولذت بجانبك فإن لم ترحمني فياذلي ويا شقوتي وإن لم تعف عني فيا طول حسرتي ثم يسجد فلا يرفع رأسه حتى يطلع الفجر فإذا صلى وفرغ شرع في القراءة من أول الختمة إلى آخرها بقية يومه فلما مات فإن آخر آية تلاها في سورة يس قوله تعالى: **﴿إني إذاً لفي ضلال مبين﴾** فلما دفن سأله ملائكة ربه عن الإيمان فقال: **﴿إني آمنت بربكم فاسمعون* قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون* بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾** فلله درهم من أقوام قاموا يناجون الحبيب والناس نيام ويتحملون أثقال الوجد والغرام ويفرحون بالليل إذا جن الظلام فهم غدا في جنان الخلد يتنعمون وإلى وجه الحبيب ينظرون **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون﴾**.

لله قوم بذكره اشتغلوا	وفي حي قربه لقد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرح	فهم حقيقا عليه قد حصلوا
من ذاق وصل الحبيب هام ولم	يحل له منزل ولا طلل
بروحهم في وصاله سمحوا	وحققوا ربحهم وما جهلوا
قاموا يناجونه وقد علموا	بأنهم للمعاد قد عملوا
فاستعذبوا الصعب في هواه	وقد لذ لهم في رضاه ماحملوا

قال أبو بكر بن عبد الله رحمه الله: تهت في بادية العراق أياما فلم أجد شيئا أرتفق به فبينما أنا سائر إذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فإذا على باب الخيمة ستر مسبل فسلمت فردت على السلام عجوز من داخل الخباء وقالت من أين الرجل قلت من مكة قالت وأين تريد قلت الشام قالت أرى سيحك سيح البطالين هلا لزمت زاوية تعبد الله فيها إلى أن يأتيك اليقين ثم قالت لي أتقرأ القرآن قلت نعم فاقرأ على آخر سورة الفرقان فقرأتها فصرخت وأغمي عليها فلما أفاقت قالت لما قرأت هذه الآيات اقشعر جلدي لقراءتها ثم قالت لي اقرأها ثانياً فقرأتها فلحقها مثل ما لحقها في المرة الأولى ثم مكثت طويلا فقلت في نفسي ترى ماتت أم لا فرجعت ذاهباً مقدار نصف ميل فأشرفت على واد فيه عرب فابتدرني غلامان ومعهما جارية فقال لي أحد الغلامين يا هذا أتيت على الخيمة الشعر التي بالفلاة قلت نعم قال قرأت القرآن عند العجوز قلت نعم قال ماتت ورب الكعبة فمضيت مع الغلامين حتى أتينا

الخيمة فدخلت الجارية وكشفت عن وجه العجوز فإذا هى ميتة فعجبت من خاطر الغلام ثم قلت للجارية من هذان الغلامان فقالت هما شريفان جعافرة وهذه أختهما منذ ثلاثين سنة ولم تستأنس بكلام أحد من الناس وإذا نزلوا واد انفردت عنهم وضربت خيمتها فى الفلاة وحدها وكانت تأكل فى كل ثلاثة أيام مرة واحدة.

(إخوانى) إلى متى تشتغلون باللذات الفانيات عن الباقيات الصالحات بادروا الأوقات واستدركوا الهفوات وكفوا عن الشبهات أما أيقظكم منادى الشتات؟! أما هزمكم حديث الصالحين والصالحات إذا جاء النهار قطعوه بمقاطعة اللذات وإذا أقبل الليل ضجوا فيه بحنين أصوات ليس لهم إلى غير محبوبهم التفات فهم الأبطال والسادات.

حياتنا باطل غرور	وعمرنا ذاهب قصير
والناس فى غفلة نيام	وقد دعتهم لها القبور
والعمر يمضى وليس تدرى	مثل سفين بنا تدور
يا نفس ما سر فهو حزن	لا تحسبى إنه سرور
تذكرى الموت واستعدى	له فقد جاءك النذير

* * *

يوم إذا عبث الزمان بأهله	كان المفر من الزمان إليهم
وإذا أتيتهم لدفع ملمة	جادوا عليك بما يكون لديهم
فإذا أتيتهمو أنخ بجناحهم	أو لا تنخ فاقرأ السلام عليهمو

فلله درهم من رجال ما تركوا فى قلوبهم لغير محبوبهم من مجال قد أسبلوا العبرات على الوجنات ووصلوا الزفرات بالحسرات ونادوا يا من لا تحيط به الصفا أنقذنا من ظلم الآفات فلو تراهم وقد براهم الوجد وأنحلهم الشوق ولم يشكوا ألما ولا شرا وناجهم الحبيب وناداهم بالترحيب سحراً وركبوا خيل الليل وساروا فحمدوا عند الصباح السرى.

لله در رجال واصلوا السهرا	واستعذبوا الوجد والتبريح والفكرا
قوم نجوم الهدى فى الليل تعرفهم	هم الملوك هم السادات والأمرا
كل غدا قلبه بالله مشتغلا	عمن سواه وللذات قد هجروا
يمسى ويصبح فى وجد وفى قلق	مما جناه العصيان منذ عرا
يقول يا سيدى قد جئت معترفا	بالذنب فاغفر لى يا خير من غفرا

حملت ذنبا عظيما لا أطيق له ولم أطع سيدى فى كل ما أمرا
عصيته وهو يرخى ستره كرما يا طالما قد عفا عنى وقد سترا
يا طالما كان لى فى كل نائبة إذا استغثت به فى كربة نصرا
وإننى تائب مما جنيت وقد وافيت بابك يا مولاى معتذرا
لعلك تقبل عذرى ثم تخبرنى يوم الحساب إذا وافيت منكسرا
وقد أتيت بذلى راجيا كسبا إليك يا سيد السادات مفتقرا
وقد تشفعت بالهادى البشير ومن فاق النبيين والأملاك دون مرا
تالله لو لم يكن فى الأرض ما نبتت زرعا ولا أنزل البارى بها مطرا
متى أسير إلى ذاك الجنان متى أحظى برؤيته أقضى بها وطرا
صل إله العرش ما ركضت نوق وما زمزم الحادى وسرى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المجلس الخامس والأربعون فى المحبة

الحمد لله الذى عمت رحمته أولا وآخراً وكفلت نعمته مؤمناً وكافراً وأسهر عيون أهل محبته فى خدمته فالسعيد من بات فى طاعته ليلا ساهراً أشغلهم بحبه ولذذهم بعتبه فأصبح شذاهم بتقواهم فى الأكوان عابقا عاطراً ويا فوز من كان له الحبيب مسامراً سقوا بساتين أشجانهم بماء دموع أحزانهم فأصبح روض إيمانهم زاهياً زاهرا وخربوا ربوع هواهم زهدا فى دنياهم ورغبة فى أخراهم فأضحى ربيع تقواهم بمولاهم عامرا دعاهم إلى مشاهدة جماله وجعل لهم جزيل نواله وأفضاله نصيباً وافرا.

فهم الذين تمزقوا فى حبه وتهتكوا فرأوا جمالا باهرا
فوجوههم بضيائه قد أشرقت وشذاهمو فى الكون أصبح عاطرا
ركبوا نجائب شوقهم تحت الدجى فلأجل ذا حمدوا سراهم باكرا
قد خصهم بالقرب منه وبالرضا وكسا وجوههمو ضياء مزهرا
مولى إذ العاصى ألم ببابه غفر الذنوب له وأضحى ساترا
وإذا أتاه الطالبون لفضله أعطاهمو منه نصيباً وافرا

فسبحانه من إله لم يزل عظيما قادراً حليما غافراً كريما ساتراً حاكما على الخلائق بسطوته قاهراً عادلا فى حكمه لاحائفا ولا جائراً من عامله أربحه بعد ما كان خاسراً ومن لجأ إليه بذله وفقره كان لذله راحما ولكسره جابراً ومن عصاه بجهله ثم تاب إليه من قبيح فعله كان لذنوبه غافراً ومن ذكره فى نفسه كان له بين ملائكة قدسه ذاكراً ومن تقرب منه شبرا تقرب منه ذراعا وافرا ومن طلبه عند شدته ودعاه عند كربته وجده لضره كاشفا ولخذلانه ناصرا.

أنت الذى مازلت منى حاضرا ... ولناظرى يا نور عينى ناظرا
ولقلبى الملهوف شغلا شاغلا ... ولمسمعى أبدا حديثا سائرا
فإذا نظرت فأنت قبلة ناظرى ... حيث اتجهت رأيت نورا باهرا
وإذا سمعت فعنك أسمع دائما ... وإذا نطقت فعنك أروى ماهرا
أنت الذى ما زلت لى فى وحدتى ... عند انفرادى مؤنسا ومسامرا
ما رمت منك على الحقيقة نصرة ... إلا وجدتك لى معينا ناصرا
كلا ولا ناديت فى غسق الدجى ... يا رب إلا كنت منى حاضرا
أبدا يناجيك الضمير وطالما ... أبدى العيان له دليلا ظاهرا
فلانت سرى فى الفؤاد ولم تزل ... فى خاطرى فى كل وقت حاضرا
يا من غدا مأوى الطريد ومن له ... باب بنيل الوفد براً وافرا
أنعم وجد فرضاك غاية مقصدى ... وسحاب دمعى فيك أضحى ماطرا
فامنن علىَّ بتوبة أمحو بها ... وزرى وكن لى بعد كسرى جابرا

أحمده أولا وآخراً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلصة ليس فيها شك ولا مرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى نبع الماء من بين أصابعه وجرى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما حدى الحادى إليه وسرى.

(إخوانى) اعلموا أن المحبة معنى يدق عن الأفكار ويخفى عن الأسرار فهى للخواص نور وللعوام نار ما علق الحب بقلب امرئ ولا حل إلا تلاشى واضمحل فالحب حرفان حاء وباء فحاء حتف وباء بلاء فهو فى الحقيقة داء يستخرج لدائقه من صفو رائقه دواء وشفاء فأوله فناء وآخره بقاء وظاهره تعب وعناء وباطنه سرور وهناء هو لمن جهله شقاء ولمن عرفه شفاء **﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾** فالناس فى المحبة على أنواع وأجناس

ومحبو الله خلاصة الناس قال الله تعالى: ﴿**والذين آمنوا أشد حبا لله**﴾ قال ابن عباس: أثبت وأدوم وذلك أن المشركين كانوا إذا عبدوا صنما ورأوا شيئا أحسن منه تركوا ذلك الوثن وأقبلوا على عبادة الأحسن وقال عكرمة ﴿**أشد حبا لله**﴾ فى الآخرة وقال قتادة: إن الكافر يعرض على معبوده وقت الرخاء ويقبل على الله تعالى فى وقت البلاء وذلك قوله تعالى: ﴿**فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه**﴾ والمؤمن لا يعرض عن الله فى السراء والضراء والرخاء والبلاء ولا يختار عليه سواه (وقيل) إن الكفار يتخذون معبودهم مصنوعهم والمؤمنون يرون الله تعالى صانع كل مصنوع وخالق كل مخلوق وقيل لأنهم أحبوا الأصنام وعاينوها والمؤمنون يحبون الله تعالى ولم يعاينوه بل آمنوا بالغيب أحبهم أولا ثم أحبوه ثانيا ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وأصح قال الله تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ وقال سفيان الثورى فى قول الله عز وجل: ﴿**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾ قال: هو الحب وقال أبو الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**كان داود عليه السلام يقول اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذى يبلغنى حبك اللهم اجعل حبك أحب إلى نفسى وأهلى ومن الماء البارد**» وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب الله تعالى فيحبنى ومن أحبنى فليحب أصحابى ومن أحب أصحابى فليحب القرآن ومن أحب القرآن فليحب المساجد فإنها أبنية أذن الله تعالى برفعها وتطهيرها وبارك فيها فهى ميمونة ميمون أهلها محبوبة محبوب أهلها فهم فى صلاتهم والله تعالى فى حوائجهم وهم فى مساجدهم والله تعالى فى نجح مقاصدهم**» وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل** [وفى رواية: «**قال لجبريل عليه السلام**»] **ناد فى أهل السماء والأرض إن الله عز وجل يحب فلانا فأحبوه فعند ذلك يلقى حبه فى الأرض ويقع فى الماء فيشربه البر والفاجر فيحبه البر والفاجر وإذا أبغض الله عبدا أمر الله تعالى جبريل أن ينادى بالعكس من ذلك فيبغضه البر والفاجر**» وفى هذا الخبر حكاية عن ثابت البنانى رحمه الله أنه دخل على خليفة من الخلفاء فقال له الخليفة: ما كان يدعو صاحبك صالح اليمانى رحمه الله فى دعائه فقال ثابت كان يقول فى دعائه: اللهم حببنى إلى قلوب عبادك فقال الخليفة على سبيل الاستخفاف وهذا كان دعاؤه فقال ثابت أتستخف بهذا الدعاء وقد سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل عليه السلام إنى أحب فلانا فأحبوه إلى آخره» فقال الخليفة: تبت إلى الله تعالى وأنبت قال ثابت فرجعت إليه من الغد فقام بين يدى وعانقنى وقبل رأسى وقال نبهك الله كما نبهتنى أنى رأيت البارحة فى المنام كأنى دخلت على رسول الله ﷺ فى مسجده فقال لى دم على قولك اللهم حببنى إلى قلوب العباد فإن أولياء الله لا يحبون عبدا إلا بعد أن يحبه الله ثم سلمت عليه وانصرفت وكان أبو يزيد البسطامى رحمه الله يقول فى مناجاته: إلهى لست أعجب من حبى لك وأنا عبد حقير وإنما أعجب من حبك لى وأنت ملك قدير وكان يحيى ابن معاذ الرازى يقول فى مناجاته يقول: إلهى ليس العجب من عبد ذليل يحب ربا جليلا بل العجب من رب جليل يحب عبدا ذليلا وقال بعض العارفين الحب حب يبذر فى أرض القلوب ويسقى بماء العقول فيثمر على قدر طيب الأرض وصفوا الماء فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإسلام أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وألا يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار»** وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»** وعن معاذ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»** (وقيل) كانت لعبد الله بن الحسن جارية أعجمية قال فكانت ذات ليلة نائمة فرأيتها قامت وتوضأت ثم قامت تصلى فلما فرغت خرت ساجدة وهى تقول سيدى بحبك لى إلا ما غفرت لى فقلت لها ويحك لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبى لك فربما هو لا يحبك فقالت لى يا بطال لولا حبه لى أتانى ملك وأوقفنى بين يديه وبحبه لى أخرجنى من دار المشركين وكتبنى فى ديوان المؤمنين فقلت لها اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى فقالت يا مولاى أسأت إلى كان لى أجران فصار لى أجر واحد ثم صرخت صرخة وقالت هذا عتق مولاى الأصغر فكيف عتق مولاى الأكبر ثم خرت ميتة هذه والله صفات المحبين المتعلقة قلوبهم بحب رب العالمين.

الحب فيه حلاوة	وتنسك وتهتك ببشائر
ما شاء يصنع بالمحب فإنما	حكم الهوى بيد الحبيب الآمر
لو كنت أملك فى الهوى أمر الذى	أهوى لكان مؤانسى ومسامرى
لكن قيادى فى يديه فتارة	يجفو وطورا حين يحنو زائرى

وقيل لبعض المحبين كيف رأيت المحبة فقال وقفت على ساحل بحر زاخر ماله من آخر فقرب منى قارب من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا فركبت موافقة له واتباعا فأجابت الروح من دعاها بسم الله مجراها ومرساها فلما توسطت اللجة توعرت سبل المحجة فما زلت حتى جمعنى فى مجمع بحرى يحبهم ويحبونه فأنا بين البقاء والفناء حتى أصل ذلك الفناء.

حروف المحبة مرموزها	يبشر ببلوغ المنى
فميم الممات وحاء الحياة	وباء البلاء وهاء الهناء
فلا تطمعن بطيب اللقا	وطول البقاء بدون الفنا
حمينا للوصال بحد النصال	فإن تلق تلق سمر القنا
تلقنا فلا تجزعن لمر النكال	وحر الوبال ففيه الهنا
ومت مثل ما مات أهل الهوى	وذابوا اشتياقا فنالوا المنى

وعن أبى سليمان الدارانى رحمه الله أنه كان يقول فى بعض مناجاته: سيدى لئن طالبتنى بذنوبى لأطالبنك بعفوك ولئن طلبتنى ببخلى لأطالبنك بجودك وكرمك ولئن طالبتنى بإساءتى لأطالبنك بإحسانك ولئن أدخلتنى النار لأخبرن أهل النار أنى أحبك فنودى أن يا أبا سليمان لا ندخلك النار بل ندخلت الجنة فتخبر أهلها بمحبتنا ولا تخبر أهل النار بمحبتنا فإن مكان المحبين الجنة ومكان الأعداء النار.

من ألم الهجر إليك الفرار	يا سالبى فى الحب طيب القرار
عذب بغير الهجر قلبى تجد	له على غير جفاك اصطبار
النار مع أنسك لى جنة	وروضة الجنة إن غبت نار
يهواك طرفى وفؤادى معا	والروح من هذا وهذا تغار
فإن دخلت النار أخبرتهم	إنى محب لك لكن أغار
عليك إن قالوا محب له	عذبه بين الأعادى جهار

(إخوانى) المحبة عروس مهرها النفوس ولها تخضع الرقاب والرؤوس فهى تجلى على الأسرار وتصفو بها الأكدار فهى للعارف نور وللجاهل نار إذا مزجت خمر المحبة عى أهل الصفا حضرت قلوب أهل الوفا فالذكر ألحانها والتوحيد ريحانها والشكر ترجمانها والهيبة سلطانها فأهل المحبة فتحت لهم أبواب جنة الوصال يتنعمون فيها بالغدو والآصال والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب وملائكة السرور يدخلون عليهم

من كل بـاب فالذين يتـلون الكتاب طوبـى لهم وحسن مـآب والذين يخشـون ربهم ويخافون سوء الحساب متكئون فيها على الأرائك نعم الثواب (كان وكان):

ما كل واصـل مواصــل	ولا العـنايـد فى المـناب
هذه سوابـق لواحـــــق	لمـن يشـا الـوهـــــاب
كم قـد رأينا عاشــــق	صــادق وآخـر يـدعـى
هــذا مجلـس مؤانـــس	وذاك بـــــرا البـــاب
لا تدعـى الحـب فينــا	وفـى فـؤادك غيـرنـــا
نخاف علـيك ينــــادى	يـا مدعـى كــــذاب
لكن إذا شئــت فاصبر	علـى مرات الــــشقــا
واخضع إذا شئت تحسب	من جـملة الأحـبــاب

وعن يوسف بن الحسين رحمه الله قال: سمعـت ذا النون المصرى يقول بينما أنا مار فى شوارع مصر إذ رأيت جارية مسفرة بغير خمار فقلت لها يا جارية أما تستحين أن تمشى بغير خمار فقالت يا ذا النون وما يصنع الخمار بوجه قد علاه الاصفرار فقال ذو النون ومن أى شيء علاه الاصفرار قالت من محبته فقلت يا جارية عساك تناولت شيـئا من شـراب القوم فـقالت اسكـت يا بطـال شربت بـكاس وده وبمت مـسرورة فأصبحت بحب مولاى مخمورة فقلت يا جـارية عسى فائدة أنتفع بها منك أو وصية أرويها عنك قالت يا ذا النون عليك بالـسكوت حتى يتوهموا أنك مبهوت وارض من الله بالقوت يبنى لك بيتا فى الجنة من ياقوت ثم أنشدت:

تهتك ولا تخش فى الحب عارا	وإيـاك إياك تـبدى اسـتتـارا
وبـادر إلى الـباب مـع فـتيـة	لهم فى الظلام عيون سهارى
وإن خفت عند المـسير الضلال	فوجه حبيبك يهدى الحيارى

أيها العارف إذا سرى نـسيم المحبة إلى مسام القلوب ارتاحـت إلى لقاء المحبوب فسمـعت المناجـاة فى الأسحار لأهل الـقلوب والأسرر فكـل أجاب على حـسب ما حصل له من الأحوال المترجـمة على لسان الحال أيها الحزين علينـا كيف وصلت إلينا قال ركبت جواد توكلى عـليه واشتياقى إليه فما شعرت إلا وأنا بـين يديه أيها الخائف من القوت كيـف رأيت الموت قال استعذبت التـعذيب فى رضا الحبيب فـرأيت فضله سابق وجواد عـزمى لاحق فكيف أرجو أن أنجو وأنـا برحمته واثق أيها الـزاهد كيف

عهدك بتلك المعاهدة قال سمعته يقول فى البذل والإنفاق **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾** فتركت ما عندى لما عنده وغمضت عينى عن الفانى فما فتحها إلا على الباقى أيها المحب لنا كيف اتصالك بنا قال وهل كانت إلا شربة شربتها فى حضرة بحبهم فسكرت بها فى خلوة ويحبونه فما أفقت من ذلك المشروب إلا بمشاهدة المحبوب.

لما علمت بأن قلبى فارغ	ممن سواك ملأته بهواك
وملأت كلى منك لم أدع	منى مكانا خاليا لسواك
فالقلب فيك هيامه وغرامه	والنطق لا ينفك عن ذكراك
والطرف حيث أجيله متلفتا	فى كل شىء يجتلى معناك
والسمع لا يصغى إلى متكلم	إلا إذا ما حدثوا بجلاك

وروى عن الربيع بن خيثم رحمه الله أنه كان يديم السهر فقالت له ابنته: يا أبت من أفضل خلق الله عز وجل قال: محمد ، قالت بحرمة محمد نم هذه الليلة فقال يا رب أنت تعلم أن السهر أحب إلىَّ من النوم ولكن لأجل ما أقسمت ابنتى علىَّ بمحمد أنام فى هذه الليلة فنام فرأى فى المنام أن فى البصرة أمة يقال لها ميمونة تكون زوجتك فى الجنة فلما أصبح خرج إلى البصرة فلما سمع أهل البصرة بقدومه تلقوه فلما دخل قال عندكم امرأة يقال لها ميمونة قالوا وما تصنع بميمونة المجنونة هى ترعى الغنم بالنهار وتشترى بأجرتها تمرا فتفرقه على الفقراء وتصعد بالليل على سطح لها فلا تدع أحدا ينام من كثرة البكاء والصياح قال لهم فما تقول فى صياحها:

عجبا للمحب كيف ينام ... كل نوم على المحب حرام

فقال: والله ما هذا كلام المجانين دلونى عليها فقالوا هى فى البرارى ترعى الأغنام فخرج إليها فوجدها قد اتخذت محرابا وهى تصلى فيه ورأى الغنم ترعى والذئاب تحرسها فتعجب من ذلك قال الربيع فلما فرغت من صلاتها قلت السلام عليك يا ميمونة قالت وعليك السلام يا ربيع قلت كيف عرفت اسمى قالت سبحان الله عرفنى اسمك الذى أخبرك البارحة فى المنام أنى زوجتك ولكن ليس الموعد ههنا الموعد بيننا غدا فى الجنة فقلت لها كيف اجتماع الذئاب بالغنم فقالت لما تعلق حبه بقلبى واحتكم تركت الدنيا عن قلبى فأصلح ما بين الذئاب والغنم ثم قالت يا ربيع أسمعنى شيئا من كلام سيدى فقد اشتاقت نفسى إليه فقرأت **﴿يا أيها المزمل* قم الليل إلا قليلا﴾** وهى تسمع وتبكى وتطرب إلى أن وصلت إلى قوله تعالى: **﴿إن لدينا**

أنكـالا وجحيـما*وطعامـا ذا غصة وعـذابا أليـما﴾ فصرخـت صرخة وخرت مـيتة فتحيرت فى أمرها فجـاءت جماعة من النساء فقلن نحن نغسلـها ونجهزها فقلت من أين عرفتن موتها قلن كن نسمع دعاءها وهى تقول: اللهم لا تمتنى إلا بين يدى الربيع فلما سمعنا بحضورك إليها علمنا أن الله استجاب دعاءها.

(إخوانى)إذا أصلح الله أرض قلـب قلبها بمحراث الخوف وبـذر فيها حَب الحُب وسقاها بماء الدمع فأنبتت زرع**﴿يحبهم ويحبونه﴾**سبحوا فى بحر حبه وعاموا ولازموا الخدمة على بـابه وقاموا وواظبوا على امـتثال أوامره وداموا وتولهوا فـيه فلأجل ذلك سهروا فى الليل ولم يناموا فإذا ماتوا من حبه شوقاً إليه لم يلاموا.

أهـل المحبـة بالمحـبـوب قد شـغلـوا	وفـي مـحبـتـه أرواحـهم بـذلـوا
وخـربوا كـل ما يـفـنى وقـد عمـروا	ما كان يبقى فيـا حسن الذى عملوا
لـم تلـههـم زينـة الدنـيا وزخـرفهـا	ولا جـناهـا ولا حـلـى ولا حلـل
هامـوا على الكـون من جد ومـن طر	ب وما استـقل بهم ربـع ولا طلل
داعـى التـشـوق ناداهـم وأقـلـقهـم	فكيـف يهدوا ونار الـشوق تشتـعل
من أول الـليـل قد سارت عـزائمـهم	وفى خيام حمى المحـبوب قد نزلوا
وافت لـهم خلع الـتشريـف يحملـها	عرف النسيم الذى مـن نشره ثملوا
هـم الأحـبـة إذ نـادهـم لانـهـمـوا	عن خدمة الصمد المحبوب ما غفلوا
سبحان من خصهم بالقرب حين قضوا	فى حبه وعـلى مقصودهم حـصلوا

قال عبد الله بن الفضل رحمه الله: توفى يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله فرؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى قيل بماذا قالت كنت أقول فى مناجاتى: إلهى إن كنت مقصرا فى خدمتك فما كنت مقصراً فى محبتك. قال ذو النون المصرى رحمه الله: سمعت برجل فى اليمن قد سما على المحبين وفاق على المجتهدين وعرف بالعلم والحكمة فخرجت حاجا فلما قضـيت نسكى مضيت إليه لأسمع كلامه وأنتفع بموعظته أنا وأناس معه يطلبون مثل ما أطلـب وكان معنا شاب عليهم سيما الصالحين وشعار المحبين فخرج الشيـخ إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالـسلام والكلام فصافحه الشيخ وأقبل عليه فقال له الشاب يا سيـدى قد جعلك الله طبيباً لأسقام القلوب وبى جرح قد أعيا الأطباء فإن رأيت أن تتلطف بى ببعض مراهمك فافعل فقال الشيخ عما بدا لك فـاسأل فقال ما عـلامة الحب لله قال أن تنـزل نفسك مـنزلة السقـيم ألا تراه

يحتمى عـن الطعام حذرا من السقام فصـاح الفتى صيحة ظننـا أن روحه قد خرجت فلما أفاق قال يرحمك الله فما علامة المحبـين قال إن درجة المحبين رفيعة فقال صفها لى فقال المحبين لله تعالى نظروا إلى نور جلال الله فصارت أبدانهم روحانية وعقولهم سماوية تسرح بين صفـوف الملائكة بالعيان وتشاهد تلك الأمور باليـقين فعبدوه بمبلغ استطاعتهم لا طمعاً فى جنته ولا خوفا من ناره قال فشهق الفتى شهقة خرجت روحه فجعل الشيخ يبكى ويقبله ويقول والله هذا مصرع الخائفين وهذه درجة المحبين.

يـا مـالـك الـقـلـب رقـا	رفـقـا بـعـبـدك رفـقـا
قـد لذ لـى فـيك وجـدى	فـلـسـت بـالـوجد أشـقـى
فـلا أرى لـلـمـشـتـكـى	بمـا أنـا مـنـك ألـقـى
فـإن أمـت فـسـرورى	بـأن أمـوت وتـبـقـى

وعن الحسـن البصرى قـال: أوحى الله تعالى إلـى داود عليه السـلام أن يا داود أحبنى وأحب مـن يحبنى وحببنى إلـى عبادى فقال يا رب أحبك وأحـب من يحبك فكيف أحببك إلى عبادك قال ذكرهم آلائى ونعـمائى فإنهم لم يعرفوا منى إلا الحسن الجميل.

يا من له فضل علىَّ جميل	هل لى إليك إذا اعتذرت قبول
فانا المقر بسوء فعلى سيدى	وبحسن ظنى عنـدك المقبـول

قيل إن الله أوحى إلى إبراهيم الخليل عليـه السلام إنك لى خليل وأنا لك خليل فاحذر أن أطلع علـى قلبك فأجده مشتغلا بـغيرى فأقطع حبك منى فـإنى إنما أختار لحبى من لو أحرقته بالـنار لم يلتفت قلبه عنى ولم يشتغـل بغيرى فإذا كان لى كذلك أسكنت محبتى فى قلبه فتواترت عليه ألطافى فقربته منى ووهبت له محبتى فأى نعيم يعدل ذلك عندى وأى شـرف أشرف منه عندى فوعزتى وجلالـى لأشفين صدره من النظر إلى وذلك أنى محب لمن أحبنى.

(إخوانى) إذا كان محـبته سبقت لـلعبد بالعـناية القديمـة كيف لا يسلك الـعبد الطريق المستقيمة يا جبريل أنم فلانا وأقـم فلاناً فالمحب بين يدى محبوبه قائم ولخدمته ملازم وفى حبه هائم فما عليه من عتب العاذل واللائم.

يـا عاذل الـقـلب فـى صـبـابتـه	ولائـم الـصـب فـى تـصـابـيـه
أتـرك ملامـى وصـد عـن عذلـى	فـالحـب معـنـى ولـست تـدريـه

وفى ضميرى منى لا أبوح به	وفى فؤادى من لا أسميه
قد أدهش الطرف فى محاسنه	وحير القلب فى معانيه
محجب والقلوب تشهده	مغيب والغرام يبديه
وجهه حيث قمت واجهنى	لاشىء يخفيه أو يواريه
إن قلت يا بغيتى ويا أملى	يقول لبيك فى تعاليه
ها أنا دان إليك مقترب	فخذ من الوصل صرف صافيه
واغنم زمان الرضا فما أحد	يدرى الذى فى غد يلاقيه

وقال أبو حيان رحمه الله: حضرت مجلس ذى النون رحمه الله فى فلاة مصر فحسبت من حضر فكان عددهم سبعين ألفا فتكلم فى محبة الله تعالى وما يتعلق بالمحبين وصفاتهم فمات فى مجلسه أحد عشر نفسا وماج الناس بالصراخ والبكاء ووقع على الأرض خلق كثير مغشيا عليهم ولم يفيقوا ذلك النهار فناداه بعض مريديه يا أبا الفيض أحرقت القلوب بذكر محبة الخالق وأورثتها الأحزان والنيران فلو بردت القلوب بذكر محبة المخلوقين فتأوه ذو النون تأوها شديدا وشق قميصه نصفين وقال: آه ثم أوه علقت قلوبهم واستعبرت عيونهم وحالفوا السهاد وخالفوا الرقاد فليلهم طويل ونومهم قليل أحزانهم لا تنفتل وهمومهم لا تنفد أمورهم عسيرة ودموعهم غزيرة باكية عيونهم قريحة جفونهم قد عاداهم الزمان وجفاهم الأهل والجيران قد أحرقت المحبة قلوبهم وصفا من الكدر مشروبهم لا جرم أنهم بشروا بالهنا وبلوغ المنا.

فلله قوم أخلصوا لحبيبهم	فأوسعهم فضلا وأتحفهم منًّا
هنيئاً لهم لما تملوا بحبه	وفازوا من الرضوان بالمنزل الأسنى
ذو العرش فى فردوسه يستزيدهم	فيا حبذا المولى ويا حبذا المعنى
يقول عبادى هل رضيتم بنعمتى	فها أنا منكم قاب قوسين أو أدنى
تملوا بوجهى وانظروا ما منحتكم	فمن نال منى نظرة فقد استغنى

(إخوانى) للمحبة رجال ما تركوا فى قلوبهم لغير محبوبهم مجال فما فى المحب عضو ولا جارحة إلا وعليه شواهد المحبة لائحة فالألسن قد شغلها أنيس **﴿فاذكرونى أذكركم﴾** والأسماع منصته لاستماع كلام الحبيب بألحان **﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾** والأبصار شاخصة لانتظاره **﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة﴾**

والأبدان قائمة بوظيفة ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ والقلوب مرتبطة برابطة ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ والأسرار مستغرقة فى مشاهدة حضرة ﴿**شاهد ومشهود**﴾ والأرواح ترتاح لأذكار ﴿**فروح وريحان**﴾ فما للعارف غفلة عن مشهوده ولا للعابد غفلة عن معبوده.

لما علمت بأن قلبى فارغ	ممن سواك ملأته بهواك
وملأت كلى منك حتى لم أدع	منى مكانا خاليا لسواك

قال ذو النون: رأيت فتى فى ظاهره الجنون وباطنه الفنون فعلمت أنه يحب مولاه مفتون فسمعته يبكى ويقول فى مناجاته مولاى قربت المحبين وطردتنى فما ذنبى وخصصتهم بالوصال منك وهجرتنى فواكربى وأيقظتهم للقيام بين يديك وأنمتنى فواندمى ولذذتهم فى السحر بمناجاتك وما لذذتنى فوا ألمى ثم أخذ فى البكاء قال ذو النون فحرك منى ما كان كامنا فقلت له يا فتى ما هذا البكاء فقال يا ذا النون أخبرنى سواد الثوب يزول بالماء والصابون وسواد القلب بماذا يزول فقلت والله أنا فى طلب فيه ما وقعت منه إلا فى الحيرة والتيه.

رأس سوادى فقلت وبلى أشد منه سواد قلبى طلبت منه لذاك غسلا.

فقال لى ليس ذا بصعب كذاك قلبى به سواد فازددت كربا لعظم كربى.

(إخوانى) إذا سكنت المحبة فى القلوب وأنارت بأنوار المحبوب فأثرت وأثمرت فى القلب سبعة أشياء لا يتم مصباح معرفة الرب إلا بها إخلاص النية لله والخوف من الله ورجاء ثواب الله والصدق مع الله والتوكل على الله وحسن الظن بالله والشوق إلى الله فهذه السبعة لا يتم مصباح معرفة ربك إلا بها كما أن المصباح لا يوقد إلا بسبعة أشياء لابد منها الزناد والحجر والحراق والكبريت والمسرجة والزيت والفتيلة فبدون هذه الأشياء لا سبيل إلى إيقاد المصباح فإن أردت يا هذا مصباح قلبك لمشاهدة ربك فلابد من زناد المجاهدة وحجر المكابدة وحراق الأشواق وكبريت المحبة ومسرجة التوكل وزيت الشكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح فى سلاسل التضرع إلى ربك فعند ذلك يتوقد نوره فى قلبك فتشاهد جمال ربك.

كشفت الحجاب وزالت الأستار	ومضى العتاب وطابت الأسمار
وأتى النسيم مبشراً ومخبراً	فصفا النعيم وزالت الأكدار
وروت حديثا عن شذاك معطراً	فصفت بلطف صفاتك الأسرار

شهدت معانيك القلوب بصفوها	فتحيرت فى حسنك الأفكار
وتولهت أهل الهوى وتحيروا	مذ شاهدوك وكيف لا يحتاروا

وحكى عن محمد بن أحمد المفيد قال سمعت الجنيد رحمه الله يقول: كنت نائما عند السرى رحمه الله فأيقظنى وقال يا جنيد رأيت كأنى وقفت بين يدى الله عز وجل وقال لى يا سرى خلقت الخلق وكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى معى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقين لا للدنيا أردتم ولا للجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فما الذى تريدون وما الذى تطلبون قالوا أنت المراد لو قطعتنا بالبلاء لم نحل عن المحبة والوداد فقلت لهم إنى مسلط عليكم من البلاء والأهوال ما يقوم بحمله الجبال أتصبرون على البلاء قالوا بلى إذا كنت أنت المبتلى لنا فافعل ما شئت بنا فهؤلاء عبادى حقا وأحبابى صدقا:

بما شئتموا فى الهوى عذبوا	فتعذيبكم عندنا يعذب
ومهما أردتم بنا فافعلوا	وفينا فدونكموا جربوا
فمن كان فينا محب لكم	فقد فاز منكم بما يطلب

(إخوانى) البلاء بالمحبين قد أضنى منهم الأجساد وتمكن من القلوب فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى المحبوب. قال إبراهيم الخواص: كان عتبة الغلام من الخواص المعروفين بالإخلاص وكان يزورنى فى بعض الليالى وكان صائم الدهر فبات عندى ليلة فقدمت له عشاء ليفطر عليه فلم يفطر إلا على الماء فلما صلى العشاء الأخيرة تحزم وقام يصلى إلى وقت السحر فسمعته يقول فى مناجاته: سيدى وإن تعذبنى فإنى لك محب وأن ترحمنى فإنى لك محب ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قلت له يا عتبة كيف كانت ليلتك فصرخ صرخة ثم قال يا إبراهيم ذكر العرض على أسرع الحاسبين قطع أوصال المحبين ثم غشى عليه فلما أفاق رفع رأسه وقال يا سيدى أتراك تعذب من أحبك بالنيران أو تبتلى قلبه بالهجران فسمع هاتفا يقول حاشاه أن يعذب من أحبه واجتباه واختاره واصطفاه.

فى وصف حبك ما يغنى عن العذل	وفى حديث ما يلهى عن العذل
ملكت فاحكم فكل منك محتمل	الأمر أمرك ليس الأمر من قبلى
وحق حبك ما قلبى بمنقلب	إلى سواك ولا حبى بمرتحل

ولو سفكت دمى عمداً بلا سبب ... لكان أهنا من الإغفاء للمقل
أنا الذى ما لقلبى عنك من عوض ... كلا ولا لولائى فيك من بدل
من خان عهدك أو ألوى على بدل ... واضيعة العمر بل يا خيبة الأمل
من لى سواك إذا أدرجت فى كفنى ... ومن أنيسى إذا أفردت عن خولى[1]
مالى سوى حسن ظنى عند منقلبى ... فلا تلمنى على المنقوص من عملى
ولى شفيع إذا حان اللقاء غدا ... هو المشفع فى جرمى وفى ذللى
خير الورى نسبا أزكاهمو حسبا ... أصفاهم عربا فى السهل والجبل
أفواهمو سببا أوفاهمو أدبا ... أعلاهمو رتبا فى العلم والعمل
بحقه يا إلهى جد بمغفرة ... على عبيد غدا بالذنب فى خجل
واسمح له منك يوما بالمسير إلى ... جنابه الرحب من قبل انقضاء أجلى
يا رب بالمصطفى المختار من مضر ... اغفر لنا سائر الزلات والخطل
يا رب بالمصطفى خير الأنام ومن ... له الشفاعة أنقذنا من الوجل
يا رب شفعه فينا يوم تبعثنا ... فنحن من خوفنا فى غاية الخجل
يا رب اغفر لنا كل الذنوب به ... وامنن وسامح فهذا غاية الأمل
يا رب بلغه عنا إننا أبدا ... نحبه بدليل فى الأنام جلى
يا رب صل عليه كلما طلعت ... شمس النهار وما لاحت على جبل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*****

المجلس السادس والأربعون فى وفاة النبى ﷺ

الحمد لله الذى حيّر ألباب أرباب العقول بالذهول عن الوصول إلى تحقيق تدقيق معرفته وأغرق سفن الأفهام فى تيار بحار الاستفهام عن دوام سرمديته وقص أجنحة أطيار الأفكار عن المطار إلى أوكار معرفة صمديته وهدم أساس مقياس الحواس بفأس الإياس فلا سبيل إلى تحديد صفاته وقدرته وأوقع أطيار الأذهان فى شباك معرفة ذاته فعجزت الأفلاك والأملاك عن إدراك أحديته وحجب العقول عن الوصول إلى حصرل سرمديته فهو الأول الذى لا أول لأوليته الآخر الذى لا آخر لآخريته الظاهر بالدليل لأهل وده ومحبته الباطن الذى لا يكتنفه الخاطر بفكرته السميع يسمع أنين الجنين تحت غشاء الحشا وأغطيته البصير الذى يبصر أثر دبيب النمل على الصخر إذا أخفاه الليل

(١) أى ما أعطاه الله من النعم والعبيد.

بسواده وظلمته العليم بما يخفيه العبد فى سريرته الجبار الذى خضع كل متجبر لعظيم هيبتـه القهار الذى قهر كـل متكبر بسلـطان سطوته تقـدسه الكائنات وتمجـده جميع المخلوقات ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

تـعـالى المـهـيـمـن فى عـزتـه	وجل عـن النقـص فى قـدرته
إلـه تـعـزز فـى مـلـكـه	فـكل الخـلائـق فى قـبـضتـه
تـفـرد فـى مـلـكـه بـالـبـقـا	وحذرهـم من سـطوة نـقمـته
لـه الخـلـق والأمر سـبـحـانـه	فـكل يـخافـون من سـطوتـه

فيا أيها السالك فى المطلب الأعلى كم فـى الطريق من مهالك صعبة المسالك فإن حصلت بتوفيقه هنالك فزت بوصالك ونلت غاية آمالك وشهدت جمالا لا يتمثل فى خيالك وسـمعت جوابا لا يخطـر ببالك وشربت شـرابا يرويك ويغنيـك عن أهلك ومالك وإن أردت الـوصول إليه بـقياسك ومـثالك تقـطعت أوصالـك دون وصالك وحظيت بخيبتك ونكالك فاقصر عـن كشفك وسؤالك واكشف عن بحثك وجدا لك واعلم أنه سبحانه بخلاف ذلك.

طريـق الحب كـم فيهـا مهـالك	وما فيـها لباغى الوصـل سالك
فإن رمـت النـجاة سلـمت حـقا	وإلا كـنت يـا مـغـرور هالـك
وإن وجدت حزت طـريق وصل	فـيا بـشراك إذ تمـشى هـنالـك
مطـالب وصـله جـلت وعـزت	فكـم فيـها لـطالـبهـا مهـالك

كم سارت قفول العقـول إلى بيداء معرفة ذاته فتاهت ولم تحـصل على الوصول كم قصدت الألباب بالـدخول فى هذا الباب وهو لا يزال مفقود كم بـعث العقل من رسول فرجع وهو بالحيـرة مفصول فالعقل واقف على البـاب لا يحول والفكر ملازم لهذا الجناب لا يزول والفـهم حائر فى إدراك الصمدية لا يفارقه الـذهول حير العقول فلا يعرف بالمعقول وأذهل الأذهان فلا يدرك بالمنقول.

تحيرت البصائر والعقـول	فما يدرى المحدث ما يقول
تحجب عزة وعلا اقتدارا	وجل فلا يصاب له مثيـل

فسبحانه من إله كيف الكيف وتنزه عن الكيفية وتقدس عن الأينية أول كل شىء وليس له أولية وآخر كل شىء وليس له آخرية لا يقاس بمثل ولا يوصف بجوهرية ولا

يعرف بجسمية خلق الشر وقضاه وخلق الخير وارتضاه ورحم من أطاعه وعذب من عصاه ولا يسئل عن قضية لا يحتجب عن أحبابه ولا يحجبهم بحجابه وقد تقدمت مواعيده القديمة الأزلية **﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية﴾**.

ألف الوصل ألفت كل قلب	لحبيب صفاته أزليه
وبباء البقاء أفنى نفوسا	لم يدع حبه لها من بقيه
ثم تمت له بتاء التعالى	كل ما شاء من أمور عليه
قسما صادقا بياء يقينى	ليس لى فى سواه ما عشت يديه

فسبحان ذى الملك والملكوت والعزة والجبروت وهو الحى الذى لا يموت يعلم خفيات السرائر وحركات الخواطر واختلاج الضمائر أغرق العقول فى معرفته ببحر زاخر ليس له أول ولا آخر سار يريد الأفكار فانقطع وحار فى طريق معرفته فهو أبدا سائر.

جاء جاسوس الحس ليدرك بعض صفاته فناداه القدر إلى أين يا حائر الأبواب مردودة والطريق مسدودة ليس إلى إدراكه سبيل وليس له شبيه ولا مثيل بحر لا يتمكن منه غواص لاستخراج الجواهر ولا يتبين للعين فيه كوكب زاهر.

تحيرت فى أمر الوصول إليكم	وهددنى التعجيز من كل جانب
وعدت وما أدركت ما كنت أبتغى	وما نلت مما أرتجيه مآربى

فسبحان من كون الأكوان ودبر الزمان وخلق الإنسان وعلمه البيان وأنزل القرآن وقدر الفكر والإيمان والطاعة والعصيان لا يمر عليه النسيان ولا يشغله شان عن شان لا تغيره الدهور ولا تختلف عليه تصاريف الأمور مقدر المقدور ومالك يوم النشور له المثل الأعلى وله الأسماء الحسنى والصفات العليا خلق السموات والأرض بينهما الرحمن على العرش استوى لاتبليه الأعصار ولاينهيه المقدار ولاتحويه الأقطار ولاتدركه الأبصار يكور الليل على النهار وكل شيء عنده بمقدار ذاته لا كالذوات وصفاته لا كالصفات رفيع الدرجات مميت الأحياء ومحيى الأموات لا تشتبه عليه اللغات ولاتختلف عليه الأصوات لايقاس بمقياس الحواس ولايأخذه نوم ولانعاس الأولياء فى حذر من مكره والملائكة من خيفته لا يفترون عن ذكره والإنس والجن فى دائرة قهره والجنة والنار تحت نهيه وأمره لا يصفه الواصفون ولا تكفيه الظنون ولا يلحقه المنون ولا تراه العيون وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون فالخلائق فى قبضة إرادته محصورون خلقهم وما يعملون وهو يعلم بما يفعلون لا يسئل عما يفعل وهم يسألون.

عز فـليـس تراه الـعيـون	وجـل فلا يـعتـريـه المنـون
تفـرد فى مـلكـه بالـبقـاء	وكل الـورى بالفـنا ذاهـبون
ويفعـل فى خلقه مـا يشاء	بغيـر اعتراض وهم يـسألون

أيها الكئيب المتحير فيه السليب فـى حسن معانيه إن أردت معرفته فاسلك طريق التوفيق بغـير تمويه فهو القريب الذى متى شـئت تلاقيه البعيد الذى لا بالمـسافة توافيه فإن صافيته سقاك من كأس صفوه صافية وإن شـربت بكأس محبته فالكأس هو ساقيه وإن أردت أن تسمـع ألحان ذكره ومثـانيه فقـل بلسان الـتوحيد والـتنزيه وإيـاك والتشبيه.

تـبـارك الله فـى عـلــيـاء عـزتـه	وجل معنـى فليس الوهم يـحويه
وجـوده سابـق لا شـىء يـشبـهـه	ولا شـريك لـه لا شك لـى فيـه
لا كون يـحصـره لا عون يـنصـره	لا كشـف يظهره لا جـهر يـبديه
لا دهر يـخلـقه لا نـقص يـلحـقه	لا نقـل يـسبقـه لا عقـل يدريـه
حارت جميع الورى فـى كنه قدرته	وليـس تدرك معـنى مـن معانـيه
سـبحـانـه وتعـالى فـى جـلالتـه	وجـل لطـفا وعـزا فـى تعـاليـه

فسبحانه من إله خلق آدم بيد قدرته وأسجد له جميع ملائكته وأسكنه فسيح جنته ثم حكم عليه بالمـوت وعلى ذريته وقال لنبيه محمد ﷺ يخـبره بقضيته **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾** فابلغ فى تـسليته ونجى نوحا من الـطوفان وأغرق أهل مخالفـته صيانة لأهل الإيمان وقضى عليه بالموت المكتوب على الإنس والجان وقال لنبيه ﷺ **﴿كل من عليها فان﴾** واتخذ إبـراهيم خليلا ووفـقه وسدده وأراه ملكوت الـسموات والأرض وأشهده وفوق إليه سهـام الموت المرصدة وقال لنبيه محمد ﷺ إذا أعـلمه بحاله وأيده **﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة﴾** واختار موسى نجيا وأسمعه كلامه وبلـغه من لذيذ خطابـه قصده ومرامه وأنفذ فيـه من الموت سهامه وقال لـنبيه محمد ﷺ **﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفـون أجوركم يوم القيامة﴾** وخلق عيسى من غير أب بلاشك ولاعى فأبرأ الأكمه والأبرص بإذنه وأعاد الميت فى قبره وهو حى وقال لنبيـه محمد ﷺ إخبارا عن عيسى عـليه السلام **﴿إنى متوفيـك ورافعك إلى﴾** واصطفـى محمدا ﷺ النبـى العربى الأمين المأمـون صاحب الجاه العريـض والعرض المصون ومع هذا القرب والمنـزلة التى لا يصل إليها الواصلون نعى إلـيه نفسه الكريمة وأنذره بريب المنون وسلاه بمـن مات قبله من الأنبياء والمرسلين فقال فـى كتابه المكنون

﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾.

لما نعى المختار خير الورى	من بعده كل مصاب يهون
مازلت أبكى بعده حسرة	حتى جرى من جفن عينى عيون
وقلت لما أن قضى نحبه	يا ليتنى لاقيت ريب المنون
لا تطمعى من بعده بالبقا	يا نفس هذا أبدا لا يكون
أبعد موت المصطفى خالد	أم فى البقا تطمع فى السكون
صلى عليه الله ما غردت	حمائم الأيك وأبدت شجون

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ولد نبيكم محمد ﷺ يوم الإثنين وخرج من مكة يوم الإثنين ودخل المدينة يوم الإثنين وتوفى يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وكان مرضه بالصداع وقال ابن أبى يزيد رضى الله عنه ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل وخرج من مكة يوم الإثنين ودخل المدينة يوم الإثنين وتوفى يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار لإحدى عشرة سنة مضت من الهجرة.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما أنزلت على النبى ﷺ سورة **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾** إلى آخرها قال رسول الله ﷺ: «**نعيت إلى نفسى**» فاقبل إلى منزل عائشة رضى الله عنها والحمى عليه قال بلال فلما أصبحت أتيت إلى حجرة رسول الله ﷺ فناديت السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة الصلاة جامعة فقال النبى ﷺ لفاطمة رضى الله عنها «**مرى بلالا يقرئ أبا بكر السلام ويقول له يصلى بالناس**» قال بلال فرجعت باكياً وأنا أطوف فى أزقة المدينة وأنادى واسيداه وانبياه واسوء منقلباه ليت بلالا لم تلده أمه قال ثم أتيت المسجد فوجدته غاصا بالناس فلقيت أبا بكر فبلغته السلام والرسالة ثم ناديت الصلاة رحمكم الله فأقمت الصلاة فلما قلت الله أكبر الله أكبر قال المسلمون أكبرناه تكبيرا وعظمناه تعظيماً فلما قلت أشهد أن لا إله إلا الله قال المسلمون شهدنا بها مع كل شاهد فلما قلت أشهد أن محمداً رسول الله غلبنى البكاء فبكيت وبكى الناس فتقدم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فأم الناس فلما قرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ونظر إلى موضع أقدام رسول الله ﷺ خفقته العبرة فبكى وبكى الناس فلما سمع النبى ﷺ ضجة

الناس قال لفاطمة: «**ما هذه الضجة التى فى المسجد**» قالت إن المسلمين فقدوك وقت الصلاة فرفع النبى ﷺ رأسه وقال: «**اللهم مر ملك الحمى أن يخفف عن نبيك حتى أخرج وأصلى بالناس وأودع أصحابى قبل فراق الدنيا**» قال فوجد النبى خفة فى بدنه فتوضأ وخرج متوكئا على الفضل بن العباس وأسامة بن زيد وعلى رضى الله عنه فلما رأى المسلمون أنوار النبى ﷺ تخترق المسجد وأحسوا بمجيئه جعلوا ينفرجون صفا صفا والنبى ﷺ يخترق الصفوف حتى وصل إلى محرابه فوقف بإزاء أبى بكر فصلى بالناس فلما فرغ رقى المنبر يخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم أقبل على الناس بوجهه الكريم كالمودع لهم: «**أيها الناس ألم أبلغكم الرسالة وأؤد لكم الأمانة والنصيحة**» قالوا بلى يا رسول الله قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وعبدت الله حتى أتاك اليقين فجزاك الله عنا أفضل ما جزى به نبيا عن أمته ثم نزل فودع أصحابه وصافحهم وهم يبكون ثم أقبل إلى منزل عائشة ولم يزل متمرضاً حتى أتى إليه ملك الموت فى زى رجل أعرابى فوقف بباب حجرة النبى ﷺ ثم نادى السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أتأذنون لى فى الدخول على الرسول فقالت فاطمة يا أعرابى إن نبى الله بنفسه عنك مشغول ثم نادى الثانية فرمق النبى ﷺ الباب فنظر إلى ملك الموت فقال لفاطمة أتدرين من يخاطبك قالت يا أبت رجل أعرابى فقال هذا ملك الموت هذا هازم اللذات ائذنى له فدخل فسلم وقال يا رسول الله إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى ألا أقبض روحك حتى تأمرنى فماذا أمرك فقال اكفف حتى يأتينى جبريل فهذه ساعته قالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن عندنا له جواب وكأنا ضربنا بصاخة ولم يتكلم أحد من البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت: فجاء جبريل فقال إن الله عز وجل يقرئك السلام وقال كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا فقال: «**يا جبريل إن ملك الموت استأذن على**» وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد ربك إليك مشتاق أما أعلمك ملك الموت بالذى يريد منك والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط إلا أن الله متم شرفك فقال النبى ﷺ: «**لا تبرح إذا حتى يجىء وأذن للنساء ثم قال أدن منى يا فاطمة**» فأكبت عليه فناجاها طويلا فبكت ثم رفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجباً فسألناها بعد ذلك فقالت قال لى إنى ميت اليوم فبكيت ثم قال دعوت الله أن يلحقك بى أول أهلى وأن يجعلك معى فأضحكنى قالت ثم جاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك ما تأمرنى يا

محمد قال: « **ألحقنى بربى الآن**» قال بلى مـن يومك هذا ولكن ساعتـك أمامك ثم خرج وخرج جبريـل فقال يا رسول الله هذا ما أنزل فيه إلـى الأرض قد طوى الوحى وطويت الدنـيا وما كانت لى فـى الدنيا حاجة غـيرك ولا لى فيها حـاجة إلا عودتك قالت عائشة فوالذى بعث محمداً ﷺ بالحق مـا فى البيت أحد يستطيع أن يجيب فى ذلك بكلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله يعـظم ما سمع من حديثه ووجدنا وأشفاقنا قالت فقمـت إلى النبى ﷺ حتى أضع رأسـه بين يدى وأمسك بصدره فجـعل يغمى عليـه حتى يغلب وجـبهته ترشح رشـحا ما رأيته من إنـسان قط فجعلـت أسل ذلك العرق فما وجدت رائحـة شىء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بـأبى وأمى ونفسى وأهلى ومالى ما تلقيه جـبهتك من الرشح فقال: « **يا عائـشة إن نفس المؤمـن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار**»[1] فعند ذلك ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهـده أخى بعثه إلى أبى فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجىء أحد وإنما صدهم الله عـنه لأنه ولى أمره جبريل وميكائيـل وإسرافيل فكان النبى ﷺ إذا أغمى عليه قال: «**الرفيق الأعلى**» قالت عائشة وكان قد دخل على أخى عبد الرحمن وبـيده سواك فجعل النبى ﷺ ينـظر إليه فعرفت أنه يعجـبه ذلك فقلت آخذه فأوماً إلىّ برأسه أن نعم فـناولته إياه فأدخله فى فيه فاشتد عليـه فقلت ألينه لك فأوماً برأسه أن نعم فلـينته له وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يـدخل يده فيها ويقول: «**لا إله إلا الله إن الموت لـسكرات**» ثم نصب يـده وهو يقول: «**اللهم الرفيق الأعلى اللهم الرفيق الأعلى**» قالت حتى قـضى نحبه ﷺ قالت عائشة رضـى الله عنها مات رسول الله ﷺ فى بيتى وفـى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بـين ريقى وريقه عند الموت فأنا أول مـن أعلم الناس بموته وأبو بكر الصـديق رضى الله عنه وهو أول من دخل عليه وهو مسجى ببردة يمانية فكـشف عن وجهه وقبله وقال وهو يبكى بأبى وأمى أنت يا رسول الله طبت حيا وطبت ميتاً أما الموتة التى كتبها الله عليك فقد متها فجزاك الله عن نصيحـتك للإسلام خيراً ثم خرج إلى الناس فأخبـرهم بوفاته قال ابن مسعـود رضى الله عنه إن النبـى ﷺ قال لجبريل عنـد موته من لأمتى مـن بعدى[2] فأوحى تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبى أنى لا أخذله فى أمته وبشره أنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثـوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محـرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال: «**الآن قرت عينى وطاب قلبى**»ودخل عليه أبو بـكر رضى الله عنه فقال له النبى ﷺ: « **سل يا أبا بكر**» فقال أبو بكر يا رسول الله دنا الأجل قال «**فدنا**

---

(١) لا أصل له فى كتب الأحاديث المعتبرة. (٢) لا حقيقة له.

وتدلى» فقال ليهنك يا نبى الله ما أعد الله لك قلت ليت شعرى أين منقلبنا فقال: **«إلى الله تعالى وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى والعرش الأعلى والرفيق الأعلى والعيش الأهنى والحد الأوفى فقال يا نبى الله من يلى غسلك قال رجال من أهل بيتى الأدنى فالأدنى»** قال ففيم نكفنك قال: **«فى ثيابى هذه وفى حلة يمنية وفى بياض مصر»** قال كيف الصلاة عليك ثم بكى وبكينا قال: **«مهلا غفر الله لكم وجزاكم الله عن نبيكم خيراً إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فأول من يصلى على الله عز وجل وهو قوله: ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته﴾ ثم يأذن للملائكة فى الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله تعالى ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل مع جنود كثيرة من الملائكة ثم أنتم فادخلوا على أفواجا أفواجا وزمراً زمراً وسلموا تسليما لا تؤذونى بصيحة ولا ضجة ولا رنة وليبدأ منكم بالصلاة الإمام وأهل بيتى الأدنى فالأدنى ثم أمر النساء ثم أمر الصبيان قال فمن يدخل القبر أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم ثم قوموا فأدوا عنى السلام إلى من بعدى من أمتى»** ولما توفى رسول الله ﷺ اجتمع الناس فى المسجد وضجوا بالبكاء والنحيب وأظلمت الدنيا ونادى بلال وانبياه ونادت فاطمة واأبتاه ونادى الحسن والحسين واجداه ونادى كل من المسلمين واحزناه وأول من بكاه ورثاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ولسان حاله يقول:

كيف تلتذ جفونى بالمنام	بعد شرب المصطفى كأس الحمام
أم لقلبى راحة من بعده	وجفونى بالبكاء سحت دوام
أن يكون غاب عن الدنيا ففى	جنة الخلد أعلى مقام
لكن المقدور حتم لازم	ما لنا من بأسه من اعتصام
ليس فى الدنيا بقاء لامرئ	بعد موت المصطفى خير الأنام
أحمد الهادى الشفيع المرتضى	فى البرايا سيد الرسل الكرام
فعلى الله صلى كلما	بكت السحب بأجفان الغمام

وبكاه عمر بن الخطاب ورثاه وقال بلسان حاله وجواه:

ليس البكاء وإن أطيل بمقنعى	الخطب أعظم قيمة من أدمعى
يا للرجال بحادث لم يحتسب	ولنازل ما كان فالمتوقع
تالله ما جار الزمان ولا اعتدى	بأشد من هذا المصاب وأوجع

خطب يسرع بالخطوب وفادح ... من لم يكن جزعا له لم يجزع
فقد الرسول فأظلمت كل الدنا ... والحزن عم لكل قلب موجع
مازال بالمعروف فينا آمراً ... يهدى الأنام بنوره المتشعشع
صلى عليه الله جل جلاله ... ما لاح نور فى البروق اللمع

ورثاه عثمان بن عفان رضى الله عنه وزاد فى البكاء وأطال وناداه بلسان حاله وقال:

ويحك يا نفس البدار البدار ... ما هذه الدنيا لحى بدار
كم كدرت صفوا وكم ألبست ... من تاه عزا ثوب ذل وعار
أيطمئن المرء فى منزل ... يرى كؤوس الموت فيه تدار
قد نفدَ العمر وقل البقا ... إلى متى يا نفس ذا الاغترار
ما بعد موت المصطفى خالد ... وليس فى الدنيا لحى قرار
صلى عليه الله ما أشرقت ... كواكب الصبح وناح الهزار

ورثاه على بن أبى طالب رضى الله عنه وبكى بالدمع الهمول ونادى بلسان حاله يقول:

لو جرى الدمع على قدر المصاب ... شابهت أجفاننا سح السحاب
ولو أن الدمع يشفى من بكى ... لم نزل بين رحاب الانتحاب
يا صروف الدهر قد كان الذى ... كنت أخشى من عواديك الصعاب
لم أك أحسب ما أخلده ... فأتى الدهر بمالا فى حساب
مات خير الخلق من قد خصه ... ربه بالصحب من خير صحاب
كل حى ذائق كأس الفنا ... هكذا المسطور فى أم الكتاب
أيها الناس لكم بالمصطفى ... أسوة بالموت يدنى بالذهاب
فثقوا بالله وارضوا وخذوا ... ما قضى الله بصبر واحتساب
واعلموا أن النبى المصطفى ... ذخرنا الشافع فى يوم المآب
فعليه الله صلى دائما ... كلما أمطر قطر من سحاب

(إخوانى) كيف يطمع بالبقاء فى هذه الدار وقد فقد النبى المختار فالأحشاء عليه محترقة والأجفان بالدمع غرقة والصبر زائل والدمع سائل مصابه هون جميع المصائب وفقده نغص عيش الحبائب وفض عقد الدموع وشب النار بين الضلوع وأذاب الدموع

الجامدة وأثار الهموم الخامدة فيا أيها الحزين أتطمع فى البقاء بعد موت سيد المرسلين أما لك عبرة فيمن فرضتهم الشهور والدهور فى الماضى من السنين أما لك فكرة فيمن صرع قبلك من الأنام من شيخ وكهل وشاب وطفل وجنين أما اعتبرت بما قبرت من صديق وشقيق وخليل وقرين إلى متى تلتفت إلى العلائق كأنك ما أنت من الموت على يقين أغرتك المهلة أم حادى الزمان لك بيقين بالله عليك أقبل نصحى قبل أن يعرق منك الجبين ويشتد نزعك والأنين وبكى عليك بماء الدمع المعين وتحصل فى قبره مظلم لا يظهر فيه النور ولا يبين ويبقى فيه كل امرىء بما كسب رهين أما سمعت آيات الله المبينة **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾** أما أنذرك ما جاءك فى القرآن **﴿كل من عليها فان﴾** أما وعظك الدهر وأسمعك الصوت **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾** إذا كان قد مات صاحب المقام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود ومن له الشفاعة فى اليوم الموعود فكيف بك وكيف حالك أيها المطرود المتخلف المذود الذى كل صحائفه سود وعمله عليه مردود يا من يغتر بدهر لا يدوم يا مصرا على المظالم والظلم والله أنت شؤم يا من يروع الناس بظلمه وعند الله تجتمع الخصوم.

(إخوانى) شُوقتم فما رغبتم وخوفتم فما رهبتم وأيقظكم الموت بمن أخذ قبلكم فما انتهيتم ووعظكم القرآن فما انزجرتم ولا اتعظتم كأنكم بمنادى الرحيل يناديكم انتبهوا يا نيام فقد طلبتم أما كان لكم فى موت المصطفى عبرة أما أجرى لكم عظيم مصابة عترة أما أيقظكم فقده من هذه السكرة أما جالت لكم فى قرب آجالكم فكرة أما اعتبرتم بمن مضى قبلكم من السادات أما تحسرتم على من دفنتم من الآباء والأمهات والبنين والبنات كيف تلذون باللذات وقد قال صاحب المعجزات: «**إن للموت لسكرات**» أما تمر حلو عيشكم الحياء حين قال عند الموت واكرباه أما أبكاكم توجع فاطمة البتول حين قالت لأبيها الرسول واكربى لكربك يا أبتاه أين أرباب العقول أين من هو بما يعنيه مشغول أين من اغتر بالبقاء فى هذه الدار الفانية وقد فقد الرسول:

أسفى على فقد الرسول طويل	أسفى مدى الأيام ليس يزول
رزء تكاد الأرض منه والسماء	هذي تميد له وتلك تميل
عمر القلوب بحزنه وبوجده	فلكل قلب لوعة وغليل
وبكل ناد نادب متحسر	وبكل ناحية عليل عويل
بأبى وأمى من ثوى فى تربة	والحزن فى قلبى عليه يجول

والأرض بدل صفوها بتكدر
وجرت بحار بالبكا وسيول
والجو أظلم بعد موت المصطفى
والسحب أدمعها عليه همول
أسفا على من جاءنا بهداية
وعليه حقا أنزل التنزيل
وله الإله أتى بتأييد له
وعليه منه شاهد ودليل
يا نفس لا بالموت تعتبرى ولا
تصغى لقول الدهر حين يقول
يا نفس بعد المصطفى أفتطمعى
فى الخلد كلا ما إليه سبيل
يا نفس كم تعصى إلهك جهرة
والقلب بالذنوب عليل
يا نفس توبى من ذنوبك إنه
من يعص رب العرش فهو ذليل
يا نفس كم تعصى وربك ناظر
ويرى فعالك والدجى مسدول
يا نفس قد أوقعت فى شرك الردى
حقاً وما لك للخلاص وصول
يا نفس لا ترجى البقاء فإنه
سيف المنايا فى الورى مسلول
كيف الطريق إلى النجاة وإننى
بقيود ذنبى أصبحت مغلول
ما حيلتى إلا البكاء وقد غدا
حزنى على قبح الذنوب يطول
من بعد موت المصطفى هل لامرئ
فى الدهر يوماً للبقاء سبيل
وهو النبى المصطفى والمجتبى
ونبى حق للورى ورسول
صلى عليه الله جل جلاله
ما حن مشتاق وسار دليل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*****

المجلس السابع والأربعون
فى مناقب الصالحين رضي الله عنهم أجمعين
وفيه قصة أبى يزيد البسطامى

الحمد لله الذى اختار لخدمته من اصطفاه من عباده وجذب إلى جنابه من أحب فأسرع إليه فى انجذابه وانقياده وحرك سواكن همم المريد فكان ذلك سبباً لحصول مراده وأخذ منه وسلبه عنه وقربه بعد إبعاده ونادمه فى الأسحار وأطلعه على الأسرار وما نال ذلك بحرصه ولا اجتهاده وأوصله إلى ما يوصل إليه وسلك به سبيل رشاده وملأ قلبه بحبه ووده لما رآه حافظا لعهده ووداده وتجلى عليه بإفضاله وإنعامه والغافل مشغول بطيب منامه ورقاده وقال له يا عبدى ها أنا متجلى عليك وناظر إليك ومن

حصلت له فقد ظفر بقصده وإسعاده.

مـــا لجــــفـــنـــى ورقـــاده	هـــــو راض بـــــــسُهَاده
أنـــا صــــب قـــد تـــخـــافـــى	فـــجـــفـــا طـــيـــب رقـــاده
يـــا خـــلـــى الـــقـــلـــب دع	مـــن ذاب مـــن طـــول بـــعـــاده
أنـــــت تـــدرى بـــــوجـــــد	وغـــــرام فــــــى فــــــؤاده
إن تـــــرى هـــــذا ضـــــلالا	إنـــــه عـــــين رشــــاده

لو علم الغافل مـا فاته لأكثر من نوحه وتعداده ولو سمع الحـبيب وهو يخاطب أحبابه لم تخرج تـلك الحسرة من فؤاده ولو شاهد جمال الحبيـب لاعتزل عن العالم بانفراده سبقت السابقة وقضى الأمر والله يختص برحمته من يشاء من عباده.

قف بـباب الحبـيب ليـلا وناده	وتشـكى مـن هجـره وبعـاده
وعـلى الـباب عـفر الخـد ذلا	ولـكـن حافـظـاً قـديم وداده
ثم قل طالـت القطيعة والـهجر	وجفـنى لـم يكتـحل بـرقاده
فالحبـيب الذى ترجيـه أضحى	جـوده فائـضا عـلـى قصـاده

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهـم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده»**.

فهم خواص الله أين تيمموا والذاكرون الله فى الآصـال القانتون المخلصون لربهم الناطـقون بأصدق الأقوال لم تـخل أرض منهمو قـد حكموا ذات اليمـين بها وذات الشمال.

روى رافع بن عبد الله قال لى هشام بن يحيـى الكنانى: ألا أحدثك حديثا رأيته بعينى وشهدته بنـفسى ونفعنى الله به فعسى أن ينفعك قلت حـدثنى يا أبا الوليد قال غزونا أرض الروم فى سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحارث ذو حظ من العبـادة يصوم النهار ويقوم الـليل فإن سرنا درس القرآن وإن أقـمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلـة خفنا فيها فخرجت أنا وإياه نحرس ونحـن محاصرون عند حصن من الحصون استصعب عـلينا أمره فرأيت من سعيد من العبادة فى تـلك الليلة وصبره على النصب مـا تعجبت منه فلما طلـع الفجر قلت له رحمك الله إن لنـفسك عليك حقا فلو أرحتها فبكى وقال يا أخى إنما هى أنـفاس تعد وعمر يفنى وأيام تنقضى وأنا رجل أرتقب الموت وأنـتظر خروج نفسى قال فأبـكانى ذلك فقلت له أقسـمت عليك

بالله إلا ما دخلت الخباء واسترحت فدخل فنام وأنا جالس ظاهر الخباء فسمعت كلاما فى الخباء فقلت ما فيه أحد سواه فتقدمت قليلا فإذا به يضحك فى نومه ويتكلم فحفظت من كلامه وهو يقول ما أحب أن أرجع ثم مد يده اليمنى كأنه يلتمس شيئاً ثم ردها ردا رقيقاً وهو يضحك ثم وثب من نومه وهو ينتفض فاحتضنته إلى صدرى مليا وهو يلتفت يميناً وشمالاً حتى سكن وعاد إليه فهمه وجعل يهلل ويكبر فقلت ما الخبر قال خير قلت حدثنى قال سمعتك تقول ما أحب أن أرجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها ردا خفيفاً فقال لا أخبرك فأقسمت عليه قال أو تكتم عنى ما حييت قلت بلى قال رأيت كأن القيامة قد قامت وخرج الخلق من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فبينما أنا كذلك إذ أتى رجلان لم أر أحسن منهما وجها فسلما علىَّ فرددتُ عليهما السلام فقالا لى يا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت له البشرى فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم قال فانطلقت معهما حتى أخرجانى عن جملة الموقف وإذا بخيل لاتشبه خيل الدنيا إنما هى كالبرق الخاطف أو كهبوب الريح فركبنا وسرنا فانتهينا إلى قصر شاهق ما يبلغ الطرف منتهاه كأنه صيغ من فضة وله نور يتلألأ فلما وصلنا إليه فتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيئا لا يبلغه وصف واصف وفيه من الحور والوصائف فلما رأونا أخذونا فى ألوان من القول الحسن بأنغام مختلفة يقولون هذا ولى الله قد جاءنا فمرحباً به وأهلا فسرنا حتى انتهينا إلى مجالس ذات أسرة من ذهب مكللة بالجواهر فوثب الجوارى إلىَّ بالترحيب والاستبشار حتى أجلسونى على السرير الأوسط إلى جانب الجارية وقلن هذه زوجتك ولك أخرى مثلها وقد طال انتظارنا لك فكلمتها وكلمتنى فقلت أين أنا فقالت فى جنة المأوى فقلت من أنت قالت أنا زوجتك الخالدة قلت فأين الأخرى قالت فى قصرك الآخر فقلت أقيم اليوم عندك وأتحول فى غد إلى الآخر ثم مددت يدى إليها فردتها ردا رقيقا وقالت أما اليوم فأنت راجع إلى الدنيا وستقيم ثلاثاً فقلت ما أحب أن أرجع فقالت لابد من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاث ثم نهضت من مجلسها فنهضت لوداعها فاستيقظت قال هاشم فغلبنى بالبكاء وقلت هنيئاً لك يا سعيد جدد لله شكراً فقد كشف لك عن ثواب عملك فقال هل رأى أحد غيرى ما رأيت فقلت لا فقال بالله عليك اكتم عنى ما دمت فى الحياة ثم قام فتطهر ومس الطيب وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فقاتل إلى الليل ثم انصرف فتحدث الناس بقتاله وقالوا ما رأينا فعل مثل اليوم لقد كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك يتبعونه فقلت فى نفسى لو يعلمون شأنه

لتنافسوا فى مثل عمله ثم مكث قائمـا إلى آخر الليل ثم أصبح صائما فقاتل أشد من اليوم الأول ثم مكث قائماً إلى آخر الليل ثم أصبح صائماً فقاتل أبلغ من كل يوم قال أبو الوليد فانطلقـت معه لأنظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقى نـفسه فى المهالك غالب النهار ولا يصل إليه شىء حتى إذا دنا غروب الشمس جاء سهم فى نحره فخر صريعاً وأنا أنظر إليه فضجت الناس وبادروا إليه وأخذوه وجاؤوا به يحملونه فلما رأيته قلت له هنيئا لك يا سعيد فـيما تفطر عليه الليلة يا ليتنى كنت مـعك قال فعض على شفته السفـلى وهو يضحـك ثم قال ﴿**الحمـد لله الذى صدقنـا وعده**﴾ثم مات قـال هشام فصحت يا عباد الله ﴿**لمثل هذا فليعمل العاملون**﴾ واسمعوا ما أخبـركم عن أخيكم هذا فأقبل الناس فحدثتهم بالحديث على وجـهه وما كان منه فما رأيت باكيا كالساعة ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر وضـاع الحديث وبلغ الخبر إلى مسلمة فجاء وقد وضعناه لنصلى عليه فقلت صلى عليه أيها الأمير فقال بل يصلى عليه الذى عرف من أمره ما عرف قال فصلينا عليه ودفناه فى موضعه وبات الناس يتحدثون به فلما أصبح الصباح تذكرنا حديثه فصاحوا صيحة واحدة وحملوا على العدو ففتح الله الحصن فى ذلك النهار ببركته رحمه الله تعالى.

بالـروح جد فى هـواهموا كـرما	وادخل حماهم تجد حمى حرما
واخـلع عـذار الوقـار مـطرحـا	للـهم واحذر بـأن ترى سئـما
وغـب عـن الـسكـون إن أردت	بأن تحظى فهذا به الهوى رسما
واشـرب بـأس الـغـرام أن تـرد	السكر وتبقى مـن جملة الندما
ولا تـبـالـى مـــن الـعـذول إذا	قال بـجهـل هذا الـغرام لـما ؟
وكـن محـبـا يـرى الوجـود إذا	شاهـد محـبوب قـلبـه عدمـا
يرضى بمـا يرتضى به الحبـيب له	فى حكمه حيث صح أو سقما
يـستـعذب المـوت حـين بان لـه	مـا قد رآه وفـى حبـه كرمـا

وعن أبى يعقوب الطبرى قال: خرجت فى سفر أريد الشام فوقعت فى التيه أياما حتى أشرفت على الهـلاك فبينما أنا كذلك إذ رأيت راهبين سائريـن قلت لهما: أين تريدان قالا لا ندرى قلت فمن أين أقبلتما قالا لا ندرى قلت أو تدريان أين أنتما قالا نعم نحن فى مـلكه وبين يديه فقلت فى نفـسى راهبان يتحققان التـوكل دونك فقلت لهما أتأذنان لى فى الصحبة قالا ذاك إليك فسرنا فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاة المغرب فتيمـمت وصليت فنظرا إلى وقد تيممت وصليـت فتعجبا من ذلك

فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما بالأرض فانفجرت عين ماء وإلى جانبها طعام موضوع فعجبت من ذلك فقالا لى ادن وكل واشرب فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم غار الماء وقاما إلى صلاتهما وأنا أصلى وحدى حتى أصبحنا وصليت الفجر ثم قاما وسارا إلى الليل وأنا معهما فلما أمسينا تقدم أحدهما فصلى برفيقه إلى ناحية دينهما ثم دعا بدعوات وبحث فى الأرض فظهر الماء وحضر الطعام فقال: ادن وكل فدنوت فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم غار الماء فلما كانت الليلة الثالثة قالا لى يا مسلم الليلة نوبتك قال محمد بن يعقوب فاستحييت من قولهما وداخلنى هم شديد وأمر غريب فقلت فى نفسى: اللهم إن ذنوبى لم تدع لى عندك جاها ولكنى أسألك بجاه محمد عندك ألا تفضحنى عندهما ولا تشمتهما بى ولا بدين نبيك محمد ﷺ قال فإذا بعين ماء قد انفجرت وطعام كثير فأكلنا وشربنا ولم أزل على تلك الحالة حتى بلغت النوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلبنى البكاء فلم أملك رده وأصابهما مثل ما أصابنى وارتفعت أصواتنا بالبكاء فلما أفقت قالا ما يبكيك فقلت أنا رجل مسرف على نفسى وليس لى عند الله من الجاه والمنزلة ما يبلغ هذه الكرامة قالا فكيف ظهر لك هذا قلت توسلت إليه بجاه محمد ﷺ وقلت ربى أنا مسرف على نفسى وهذا عدوان لدين نبيك محمد ﷺ فلا تشمتهما بدينه فظهر ما رأيتما فكانت الكرامة لمحمد ﷺ لا لى فقالا: لا والله نحن كذلك لما رأينا عجبنا من حالك فلما جاء وقت الوضوء والأكل فكلنا دعونا بدعواتك وقلنا اللهم إن كان دين هذا حقا ونبيه حقا فبحرمة نبيه عندك اظهر لنا ماءً واحضر لنا طعاما فحضر ما رأيته وكل ذلك ببركة نبيك وقد عرفنا أن دينه الحق وهو عند الله عظيم فامدد يديك فإنا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال فأسلما وخرجنا جميعاً إلى مكة فأقمنا بها مدة وخرجنا إلى الشام فتفرقنا فو الله ما ذكرتهما إلا وهانت علىَّ الدنيا وصغرت فى عينى.

لما رأيتك حاضرا فى القلب زاد بى الخمار	وبقيت فيك محيرا والقلب ليس له قرار
فامزج كؤسا بالرضا جهراً فما عنها اصطبار	دارت على أحبابه فإليهم أبدا يشار
لطفت فلما ذاقها الأحباب نحو الحب طاروا	بذلوا إليه نفوسهم وعلى نفوس القوم غاروا
وإليه فى بحر الهوى ركبوا	وبالأرواح ساروا طلبوه حقا بالقلوب
وعند ما نظروه حاروا وهاموا به	حتى لقد أنست بقربهم الديار
ورأوا إشارات الهدى	لاحت لديهم فاستناروا

يا مـن زمانـه يذهـب فى كـل مالا يـنفـعه ‏ ‏ ‏ إلـى متـى ذا التـوانى والـهجـر والتـعويـق

• انهـض فهـىء زادك قبل أن تـسير الـقافـلة ‏ ‏ ‏ وانهض فحصـل لنفسك على الطـريق رفيق

وإن مـنعـت فنـادى يا واصـلـين بحـقكـم ‏ ‏ ‏ عطـفاً علـى ما أضحى مـن الذنوب غـريق

يـا راحـلين بـقـلـبى ونـازلـين بمـهجـتـى ‏ ‏ ‏ حملـتمونى بضـعفى فى الحب مـالا أطيق

وحقكم لـست أنسى ما عشـت عند ودادكم ‏ ‏ ‏ وعـندكـم مـيثاقـى مـدى الـزمان وثـيـق

قال أبو يزيـد البسطامى رحمـة الله عليه: كنت يومـا فى بعض سياحتـى متلذذا بخلوتى وراحتى مستغرقا بفكرى مستأنساً بذكرى إذ نوديت فى سرى يا أبا يزيد امض إلى دير سمعان وأحضر مع الرهبات فى يوم عـيدهم والقربان فلنا فى ذلك نبأ وشان قال فاستعذت بالله من هـذا الخاطر وقلت لست أخاطر فلما كان اللـيل أتانى الهاتف فى المنام وأعاد على ذلك الكلام فانتبهت وأناأرجف وأرعد وعندى من هذا الكلام ما يقيم المقعد فنوديت فى سرى لا بأس علـيك أنت عندنا من الأولياء الأخيار ومكتوب فى ديوان الأبرار ولكن البس زى الرهبان واشدد مـن أجلنا الزنار وما عليك فى ذلك جناح ولا إنكار قال أبـو زيد فقمت من باكر وبادرت إلى امتـثال الأوامر ولبست زى الرهبان وحضرت مـعهم فى دير سمعان فلمـا حضر كبيرهم واجتمعـوا وأنصتوا إليه ليسـمعوا ارتج علـيه المقام فـلم يطق الـكلام كأن فى فـمه لجام فقـال له القسـيسون والرهبان ما الذى يمنعـك من الكلام أيها الربان فنحن بقولك نهتـدى وبعلمك نقتدى فقال ما يمنعنى أن أتكلم وابتدى إلى أن بينـكم رجلا محمدى وقد جاء لدينكم ممتحنا وعليكم معتدى فقالوا: أرنا إياه نقتله الآن فقال لا تقتلوه إلا بدليل وبرهان فإنى أريد أن أمتحنه وأسأله عـن مسائل فى علم الأديان فإن أجاب عنهـا وأبان تركناه وإن عجز عن تفسيرها قتلـناه وعند الامتحان يعز المرء أو يهان فقالوا له افـعل ما تريد فنحن ما حضرنا إلا لنستفيد فقام كبيرهم علـى قدميه ونادى يا محمدى بحق محمد عليك إلا ما نهضت قـائما على قدميك لـتنظر العيون إليـك فقام أبو يزيد ولسانـه لا يفتر عن التقديس والتمجيد فقال له البطـرك يا محمدى أريد أن أسألك عن مسائل فإن أجبت عنها وفسرتها اتبعناك وإن عجزت عن تفسيـرها قتلناك فقال له أبو يزيد سل عما تريد من المنقول والمعقول والله شاهد على ما تقول فقال البطرك: أخبرنى عن واحد لا ثانى له وعن اثنين لا ثالـث لهما وعن ثلاثة لا رابع لهم وعن أربعـة لا خامس لهم وعن خمسة لا سادس لهم وعن ستة لا سابع لهم وعـن سبعة لا ثامن لهم وعن ثمانية لا

تاسع لهم وعن تسعة لا عاشر لهم وعن عشرة كاملة وعن أحد عشر وعن اثنى عشر وعن ثلاثة عشر وعن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة وعن قوم صدقوا وأدخلوا النار وأين مستقر اسمك من جسمك وعن ﴿**الذاريات ذروا**﴾ وعن ﴿**الحاملات وقراً**﴾ وعن الجاريات يسراً وعن المقسمات أمراً وعن شيء تنفس بغير روح ونسألك عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين وعن قبر مشى بصاحبه وعن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الأرض وعن أربعة لا من ظهر أب ولا من بطن أم وعن أول دم أهرق على وجه الأرض ونسألك عن شيء خلقه الله ثم اشتراه ونسألك عن شيء خلقه الله ثم أنكره ونسألك عن شيء خلقه الله واستعظمه وعن شيء خلقه الله وسأل عنه وعن أفضل النساء وعن أفضل البحار وعن أفضل الجبال وعن أفضل الدواب وعن أفضل الشهور وعن أفضل الليالى وعن الطامة وعن شجرة لها اثنى عشر غصنا فى كل غصن ثلاثون ورقة وفى كل ورقة خمس زهرات اثنتان فى الشمس وثلاثة فى الظل وعن شيء حج إلى بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه الفريضة وكم من نبى خلقه الله وكم من مرسل وغير مرسل وعن أربعة أشياء مختلف طعمها ولونها والأصل واحد وعن النقير والقطمير والفتيل وعن السبد واللبد وعن الطم والرم وأخبرنا ما يقول الكلب فى نبيحه وما يقول الحمار فى نهيقه وما يقول الثور فى نعيره وما يقول الفرس فى صهيله وما يقول البعير فى رغائه وما يقول الطاوس فى صياحه وما يقول الدراج فى صفيره وما يقول البلبل فى تغريده وما يقول الضفدع فى تسبيحه وما يقول الناقوس فى نقيره وأخبرنا عن قوم أوحى الله إليهم لا من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة وأخبرنا أين يكون الليل إذا جاء النهار وأين يكون النهار إذا جاء الليل فقال أبو يزيد هل بقى أسئلة غير هذا قالوا لا قال فإن فسرتها لكم وأجبت عنها تؤمنوا بالله ورسوله قالوا نعم قال اللهم أنت الشاهد على ما يقولون ثم قال أما سؤالكم عن واحد لا ثانى له فهو الله الواحد القهار وأما سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار لقوله تعالى: ﴿**وجعلنا الليل والنهار آيتين**﴾ وأما سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لهم فهم العرش والكرسى والقلم وعن أربعة لا خامس لهم فهى الكتب المنزلة التوارة والإنجيل والزبور والفرقان وأما سؤالكم عن خمسة لا سادس لهم فهم الصلوات الخمس المفروضات على كل مسلم ومسلمة وأما سؤالكم عن ستة لا سابع لهم فهم الستة أيام التى ذكرها الله فى قوله تعالى: ﴿**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام**﴾ وأما سؤالكم عن سبعة لا ثامن لهم فهم السبع سموات

لقوله تعالى: ﴿**سبع سموات طباقا**﴾ وأما سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى: ﴿**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾ أما سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم تسعة رهط المفسدون لقوله تعالى: ﴿**وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون**﴾ وأما سؤالكم عن عشرة كاملة فهى العشرة أيام التي يصومها المتمتع عند فقد الهدى لقوله تعالى: ﴿**فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشر كاملة**﴾ وأما سؤالكم عن أحد عشر فهم إخوة يوسف لقوله تعالى حكاية عنه ﴿**إنى رأيت أحد عشر كوكبا**﴾ وأما سؤالكم عن اثنى عشر فهى عدة الشهور لقوله تعالى: ﴿**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله**﴾ وأما سؤالكم عن ثلاثة عشر فهى رؤيا يوسف لقوله تعالى: ﴿**إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين**﴾ وأما سؤالكم عن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة فهم إخوة يوسف لقوله تعالى: ﴿**قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب**﴾ فكذبوا ودخلوا الجنة وأما سؤالكم عن قوم صدقوا وأدخلوا النار فهم اليهود والنصارى لقوله تعالى: ﴿**وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء**﴾ فصدقوا وأدخلوا النار وأما سؤالكم أين مستقر اسمك من جسمك فمستقره أذناك وأما سؤالكم عن الذاريات ذروا فهى الرياح الأربع وأما سؤالكم عن الحاملات وقرا فهى السحب لقوله تعالى: ﴿**والسحاب المسخر بين والسماء والأرض**﴾ وأما سؤالكم عن الجاريات يشراً فهى السفن الجاريات فى البحر وأما سؤالكم عن المقسمات أمرا فهم الملائكة الذين يقسمون على الناس أرزاقهم من نصف شعبان إلى نصف رمضان وأما سؤالكم عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين فهم السبع سموات والسبع أرضين لقوله تعالى: ﴿**فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾ وأما سؤالكم عن قبر مشى بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام وأما سؤالكم عن شيء تنفس بلا روح فهو الصبح لقوله تعالى: ﴿**والصبح إذا تنفس**﴾وأما سؤالكم عن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الأرض فهو الماء الذى بعثته بلقيس فى قارورة من عرق الخيل إلى سليمان بن داود عليهما السلام وأما سؤالكم عن أربعة لا من أب ولا من بطن أم فهم كبش إسماعيل وناقة صالح وآدم وحواء وأما سؤالكم عن أول دم أهريق على وجه الأرض فهو دم هابيل لما قتله قابيل وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله ثم اشتراه فهو نفس المؤمن لقوله تعالى: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ وأما سؤالكم عن

شيء خلقه الله وأنكره فهو صوت الحمار لقوله تعالى: ﴿**إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾ وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء لقوله تعالى: ﴿**إن كيدكن عظيم**﴾ وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله وسأل عنه فهي عصى موسى لقوله تعالى: ﴿**وما تلك بيمينك يا موسى* قال هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي**﴾ وأما سؤالكم عن أفضل النساء فهي حواء أم البشر وخديجة وعائشة وآسية ومريم ابنة عمران رضى الله عنهم أجمعين وأما سؤالكم عن أفضل البحار فهو سيحون وجيحون والدجلة والفرات ونيل مصر وأما سؤالكم عن أفضل الجبال فهو جبل الطور وأما سؤالكم عن أفضل الدواب فهي الخيل وأما سؤالكم عن أفضل الشهور فهو شهر رمضان لقوله تعالى: ﴿**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن**﴾ وأما سؤالكم عن أفضل الليالي فهي ليلة القدر لقوله تعالى: ﴿**ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾ وأما سؤالكم عن الطامة فهو يوم القيامة، وأما سؤالكم عن شجرة لها اثنا عشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس زهرات اثنتان في الشمس وثلاثة في الظل أما الشجرة فهي السنة وأما الأغصان فهي الشهور وأما الأوراق فهي الأيام وأما الخمس زهرات فهي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ثلاثة في الظل المغرب والعشاء والصبح واثنتان في الشمس وهما الظهر والعصر وأما سؤالكم عن شيء حج إلى بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة فهي سفينة نوح عليه السلام وأما سؤالكم كم خلق الله من نبي وكم منهم مرسل وغير مرسل فأما الأنبياء فهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي وأما المرسلون منهم فثلثمائة وثلاثة عشر وأما سؤالكم عن أربعة أشياء مختلف طعمها ولونها والأصل واحد فهي العينان والأنف والفم والأذنان فماء العينين مالح وماء الفم حلو وماء الأنف حامض وماء الأذنين مر وأما سؤالكم عن النقير فهي النقرة التي ظهر فيها النواة والقطمير هي القشرة البيضاء والفتيل الذي يكون في بطن النواة وأما سؤالكم عن السبد واللبد فهو شعر الضأن والمعز وأما سؤالكم عن الطم والرم فهم الأمم الماضية قبل أبينا آدم عليه السلام وأما سؤالكم عما يقول الحمار في نهيقه فإنه يرى الشيطان فيقول لعن الله العشار وهو المكاس وأما سؤالكم عما يقول الكلب في نبيحه فإنه يقول ويل لأهل النار من غضب الجبار وأما سؤالكم عما يقول الثور في نعيره فإنه يقول سبحان الله وبحمده وأما سؤالكم عما يقول الفرس في صهيله فإنه يقول سبحان حافظي إذا التقت الأبطال واشتغلت الرجال بالرجال وأما سؤالكم عما يقول البعير في

رغائه فإنه يقول حسبى الله وكفى بالله وكيلا وأما سؤالكم عما يقول الطاوس فى صياحه فإنه يقول الرحمن على العرش استوى وأما سؤالكم عما يقول البلبل فى تغريده فإنه يقول سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وأما سؤالكم عما يقول الضفدع فى تسبيحه فإنه يقول سبحان المعبود فى البرارى والقفار سبحان الملك الجبار وأما سؤالكم عما يقول الناقوس فى نقيره فإنه يقول سبحان الله حقاً حقاً انظر يا ابن آدم فى هذه الدنيا غربا وشرقا ما ترى فيها أحدا يبقى وأما سؤالكم عن قوم أوحى الله إليهم لا من الإنس ولا من الجن ولا من الملائكة فهم النحل لقوله تعالى: ﴿**وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون**﴾ وأما سؤالكم عن الليل أين يكون إذا جاء النهار وأين يكون النهار إذا جاء الليل فإنهما يكونان فى غامض علم الله تعالى ما أظهر عليه نبى مرسل ولا ملك مقرب بل ذلك فى غامض علم الله تعالى ثم قال أبو يزيد هل بقى لكم سؤال قالوا لا قال فأخبرنى أنت عن مفتاح السموات ومفتاح الجنة ما هو فسكت كبيرهم فقالوا له أنت سألته عن مسائل كثيرة فأجاب عنها جميعها وقد سألك عن مسألة واحدة فعجزت عن جوابها فقال ما عجزت ولكننى أخاف أن أجيبه عن سؤاله فلا توافقونى فقالوا بلى نوافقك إذ أنت كبيرنا ومهما قلت لنا سمعناك ووافقناك عليه فقال مفتاح السموات والجنة قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما سمعوا ذلك منه أسلموا عن آخرهم وأخربوا الدير وبنوه مسجدا وقطعوا زنانيرهم فهنالك نودى أبو يزيد فى سره يا أبا يزيد أنت شددت من أجلنا زناراً واحداً فقطعنا من أجلك خمسمائة زنار:

يا رب إنى راض	ما شئت فضلا وعدلا
سيرتنى تحت أمر	رضيته لم أقل لا
هديت قوماً وكانوا	يصبون إلى الشرك جهلا
قومتهم فاستقاموا	جمعت للقوم شملا
حول الجناب تراهم	قد عفروا الخد ذلا
أصواتهم زينوها	بقول أشهد أن لا إله إلا[1]
وشاهدوا الحق جهرا	لما بدا وتجلى

(إخوانى) هؤلاء كانوا كفارا فى ظلمات العمى فأنقذهم الله بنور الهدى وحماهم من الردى وقال ابن عباس رضى الله عنهما: الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة

(١) أى إلا الله.

وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب إذ قالها فى كل يوم مرة فكيف بمن يكثر من قول لا إله إلا الله وجعلها شغله.

إخوانى إن كنتم عاصين فقولوا لا إله إلا الله فإنها تكفر الذنوب والعصيان وإن كنتم طائعين فجددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله فإنها تجدد الإيمان وتحرز الأمن والأمان والعفو والغفران من الملك المنان.

ما ضل عبد وأنت ترشده ... وكيف يشقى من أنت تسعده
أم كيف يطفى اللهيب من كبدى ... والشوق منى إليك يوقده
عليك لا لوم فى مهاجرتى ... الذنب ذنبى فلا أعدده
من أين لى الصبر عنك يا أملى ... فصبرى اليوم فيك أفقده
والله ما خاب فى توجه ... من أنت فى ذا الوجود مقصده
كلا ولا ضل عن طريق هدى ... من كان بالمصطفى تقيده
المجتبى المرتضى الذى سعدت ... زوراه منه حين تقصده
عليه منا الصلاة دائمة ... ومن إله ما خاب قاصده

*****

المجلس الثامن والأربعون

فى زواج على بن أبى طالب بفاطمة رضي الله عنهما وشفعهما فينا

الحمد لله العظيم المحمود الكريم المقصود القديم الموجود الذى أطلع من آفاق التوفيق لأهل التحقيق نجوم السعود وجلى عرائس الوجود فى مرآة الشهود فمن فهم المطلوب بلغ المقصود فسبحان مفجر الأنهار من صم صخر الجلمود ومطلع الأزهار من خلال الأشجار ومخرج ثمرها من عود زين السماء بالنيرين والبطحاء بالعمرين والزهراء بالسبطين وجعل جدهما أشرف الجدود فكم مشتاق إليه لهفان عليه كدحت نجائب الشوق إليه بالسوق الكدود فقطعت به مفارز الهجر والصدود فإذا وصلت إلى ذلك النادى نراها تنود وإذا حدا لها الحادى أرخت الدموع على الخدود.

عج على الوادى ونجد وعود ... أيها الحادى وأنجز بالموعود
ثم عرج بالمطايا فلها ... بين وادى الشيح والرند ورود

خلـها ترعـى بكـثبان الحـمى	فـلهـا فيـهـا هبـوط وصعـود
لا تسـقهـا أيهـا الحادى فـما	تـرك السـوق بهـا إلا الجلـود
لو تشـاهدها إذا ما استنـشقت	نسـمات الحـى بالـنفـس تجود
وإذا لاحـت لـهـا دار المـنـى	مدت الأعناق بالـسعى الكدود
للـنبـى الهاشـمى المـصطـفى	صفوة الرحمن من كل الوجود
فـعـلـيـه الله صلـى كـلـمـا	صدحت قمريـة من فوق عود

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فاطمة بضعة منى**» فاطمة حوراء أنسية وروى عن بعض الرواة الكرام أن خديجة الكبرى رضى الله عنها تمنت يومـاً من الأيام على سيد الأنام أن تنظر إلى بعض فـاكهة دار السلام فأتى جبريل إلى المفـضل على الكونين من الجنة بـتفاحتين وقال يا محمد يـقول من جعل لكل شيء قدراً كل واحدة وأطعم الأخرى لخديجة الكـبرى واغشها فإنى خالق منكما فاطمة الزهرا ففعل المختار ما أشار به الأمين وأمـر فلما سأله الكفار أن يريهم انشقاق القمر وقد بان لخديجـة حملها بفاطمة وظهر قالت خديجة واخـيبة من كذب محمدا وهو خير رسـول ونبى فنادت من بطنـها يا أماه لا تحزنى ولا ترهبـى فإن الله مع أبى فلما تم أمد حملهـا وانقضى وضعت فاطمة فأشرق بنور وجهـها الفضا وكان المختار كلما اشتاق إلى الجنة ونعيمها قبل فاطمة وشم طيب نسيمها فيقول حين ينشق نسماتها القدسية: «**إن فاطمة لحوراء إنسية**» فلما استـنارت فى سماء الرسالة شمـس جمالها وتم فى أفق الجلالة بدر كمالـها امتدت إليها مطالع الأفكار وتمنت الـنظر إلى حسنها أبصار الأخيار وخطـبها سادات المهاجرين والأنصار ردهم المخـصوص من الله بالرضا وقال إنى أنتظر بها القضا.

من مثل فاطمة الزهراء فى نسب	وفى فخار وفى فضل وفى حسب
والله فضلهـا حقـا وشرفـهـا	إذ كانت ابنة خير العجـم والعرب

ولقد خطبها أبو بكر وعمر فقال لهما رسول الله ﷺ: «**إن أمرها إلى الله تعالى**» ثم إن أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ كانوا جلوسا فى مسجد رسول الله ﷺ فتذاكروا أمر فـاطمـة رضى الله عـنهـا فـقال أبـو بكـر: قد خـطـبهـا الأشراف فـردهم رسـول الله ﷺ وقال: «**إن أمرهما إلى الله عز وجل**» وإن عليا لم يخطـبها ولم يذكرها ولا أرى ما يمنـعه من ذلك إلا قلـة ذات اليد وإنه ليـقع فى نفـسى أن الله تعالى ورسـوله إنما

يحبسانها لأجله ثم أقبل أبو بكر على عمر وعلى سعد وقال لهما هل لكما فى القيام إلى علىٍّ كرم الله وجهه فنذكر له أمرها فإن منعه من ذلك قلة ذات اليد واسيناه فقال سعد وفقك الله يا أبا بكر فخرجوا من المسجد والتمسوا عليا فى مسجده فلم يجدوه وكان ينضح الماء ببعير على نخل لرجل من الأنصار بأجرة فانطلقوا نحوه فلما رآهم قال ما وراءكم فقال أبو بكر رضى الله عنه يا أبا الحسن إنه لم يبق خصلة من خصال الخير إلا ولك فيها سابقة وفضل وأنت من رسول الله ﷺ بالمكان الذى عرفت من القرابة وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله ﷺ ابنته فاطمة فردهم وقال: «**إن أمرها إلى الله تعالى**» فما يمنعك أن تذكرها وتخطبها فإنى أرجو أن يكون الله عز وجل ورسوله يحبسانها لك قال فتغرغرت عينا على بالدموع وقال يا أبا بكر لقد هيجت على ما كان ساكنا وأيقظتنى لأمر كنت عنه غافلا والله إن لى فى السيدة لرغبة وما مثلى من يقعد عن مثلها ولكن يمنعنى من ذلك قلة ذات اليد فقال أبو بكر لا تقل هذا يا أبا الحسن فإن الدنيا وما فيها عند الله ورسوله كهباء منثور ثم إن علياً كرم الله وجهه حل عن ناضحه وقاده إلى منزله فشده فيه وأخذ نعله وأقبل إلى رسول الله ﷺ عند أم سلمة فطرق الباب فقالت من بالباب فقال رسول الله ﷺ: «**قومى وافتحى الباب له هذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما**» فقالت فداك أبى وأمى ومن هذا فقال هذا أخى وأحب الخلق إلى قالت أم سلمة فقمت مبادرة أكاد أعثر فى مرطى ففتحت الباب فإذا أنا بعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه فوالله ما دخل حتى أعلم أنى قد رجعت إلى خدرى فدخل وسلم عليه فرد النبى ﷺ السلام ثم قال له: «**اجلس**» فجلس بين يدى النبى ﷺ وجعل يطرق إلى الأرض كأنه قاصد حاجة يستحيى منه فقال له النبى ﷺ: «**يا على كأنك قاصد حاجة فابدأ بما فى نفسك فكل حاجتك عندى مقضية**» فقال على رضى الله عنه فداك أبى وأمى يا رسول الله إنك لتعلم أنك أخذتنى من عمك أبى طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبى لا أعقل شيئاً فهديتنى وأدبتنى وهذبتنى فكنت لى أفضل من أبى طالب وفاطمة بنت أسد فى البر والشفقة وإن الله عز وجل هدانى بك واستنقذنى مما كان عليه آبائى وأعمامى من الشرك إنك يا رسول الله ذخرى ووسيلتى فى الدنيا والآخرة وقد أحببت مع ما شد الله عز وجل بك من عضدى أن يكون لى بيت وزوجة أسكن إليها وقد أتيتك خاطباً ابنتك فاطمة فهل تزوجنى يا رسول الله قالت أم سلمة فرأيت وجه رسول الله ﷺ قد تهلل فرحا وسروراً ثم تبسم فى وجه على وقال: «**يا على هل معك شىء تصدقها إياه**» قال والله

ما يخفى عليك حالى ولاشىء من أمرى ما أملك غير درعى وسيفى وناضحى فقال رسول الله ﷺ: «أما سيفك فلا غنى لك عنه تجاهد به فى سبيل الله وأما ناضحك فتنضح عليه لأهلك وتحمل عليه رحلك فى سفرك ولكنى زوجتك على درعك ورضيت به منك وأبشر يا أبا الحسن فإن الله عز وجل قد زوجك بها فى السماء قبل أن أزوجك بها فى الأرض ولقد هبط على ملك من السماء قبل أن تأتينى لم أر قبله من الملائكة مثله بوجوه شتى وأجنحة شتى فقال لى السلام عليك يا رسول الله أبشر باجتماع الشمل وطهارة النسل فقلت وما ذاك أيها الملك فقال يامحمد أنا سبطائيل الملك الموكل بإحدى قوائم العرش سألت الله تعالى أن يأذن لى ببشارتك وهذا جبريل عليه السلام آت على أثرى يخبرك عن ربك بكرامة الله عز وجل لك قال النبى ﷺ فما استتم كلامه حتى هبط جبريل عليه السلام فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم وضع فى يدى حريرة بيضاء فيها سطران مكتوبان بالنور فقلت حبيبى جبريل ما هذه الخطوط قال إن الله عز وجل اطلع على الأرض اطلاعة فاختارك من خلقه وبعثك برسالته ثم اطلع إليها ثانية فاختار لك منها أخا ووزيرا وصاحبا وحبيباً عز وجه ابنتك فاطمة قلت حبيبى جبريل ومن هذا الرجل فقال أخوك فى الدين وابن عمك فى النسب على بن أبى طالب كرم الله وجهه وإن الله تعالى أوحى إلى الجنان أن تزخرفى إلى الحور أن تزينى وإلى شجرة طوبى أن احملى الحلى والحلل وأمر الملائكة أن تجتمع فى السماء الرابعة وعند البيت المعمور فهبطت الملائكة وأمر الله تعالى رضوان فنصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور وهو المنبر الذى خطب عليه آدم عليه السلام حين علمه الله الأسماء وأمر عز وجل ملكا من ملائكة الحجب يقال له راحيل فعلا ذلك المنبر وحمد الله بجميع محامده وأثنى عليه بما هو أهله فارتجت السموات فرحاً وسروراً قال جبريل وأوحى الله إلىَّ أن اعقد عقدة النكاح فإنى زوجت علياً وليى بفاطمة أمتى بنت رسولى وصفوتى من خلقى محمد ﷺ فعقدت عقدة النكاح وأشهد على ذلك الملائكة وكتبت شهادتهم فى هذه الحريرة وقد أمرنى ربى أن أعرضها عليك وأختمها بخاتم من مسك أبيض وأدفعها إلى رضوان خازن الجنان ثم إن الله تعالى لما أشهد على تزويج فاطمة ملائكته أمر شجرة طوبى أن تنثر مافيها من الحلى والحلل فنثرت ذلك والتقطته الحور العين والملائكة وإن الحور العين ليتهادونه إلى يوم القيامة وقد أمرنى أن آمرك بتزويجها علياً فى الأرض وأن أبشرها بغلامين ذكيين نجيبين فاضلين طاهرين خيرين فى الدنيا والآخرة قال رسول الله ﷺ ما

عرج الملك يا أبا الحسن حتى طرقت الباب الأوانى منفذ فيك أمر ربى فامض يا أبا الحسن فإنى ذاهب إلى المسجد ومزوجك على رؤوس الناس وذاكر من فضلك ما تقر به عينك» قال على كرم الله وجهه فخرجت من عنده مسرعا وأنا لا أعقل من شدة الفرح فاستقبلنى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما وراءك يا أبا الحسن قلت زوجنى رسول الله ﷺ فاطمة وأخبرنى أن الله تعالى زوجنى بها فى السماء وهذا رسول الله آت على أثرى إلى المسجد فيقول ذلك فى محضر من الناس ففرحا بذلك ودخلا المسجد فوالله ما توسطاه حتى لحق بنا رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل سروراً فقال رسول الله ﷺ: **«يا بلال اجمع المهاجرين والأنصار»**فانطلق بلال لأمر رسول الله ﷺ وجلس النبى ﷺ قريباً من منبره حتى اجتمع الناس ثم قام فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«يا معشر المسلمين إن جبريل أتانى آنفاً فأخبرنى أن الله عز وجل استشهد الملائكة عند البيت المعمور أنه زوج أمته فاطمة ابنتى من عبده على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأمرنى أن أزوجه فى الأرض وأشهدكم على أنى زوجته بها»**ثم جلس وقال لعلى**«قم يا على واخطب لنفسك»** فقام على رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله وشكراً لأنعمه وأياديه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا شبيه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ونبيه صلاة دائمة ترضيه وبعد فإن النكاح سنة أمر الله به وأذن فيه وقد زوجنى رسول الله ﷺ فاطمة وجعل صداقها درعى هذا وقد رضيت ورضى فاسألوه واشهدوا فقال المسلمون بارك الله فيكما وعليكما وجمع شملكما ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى أزواجه فأمرهن أن يدففن لفاطمة رضى الله عنها فضرب أزواج النبى ﷺ بالدفوف على رأس فاطمة قال على رضى الله عنه فأخذت درعى ومضيت به إلى السوق فبعته بأربعمائة درهم من عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما قبضت الدراهم وقبض الدرع قال لى يا أبا الحسن ألست الآن أولى منك بالدرع وأنت أولى منى بالدراهم قلت بلى قال فإن الدرع هدية منى إليك قال على فأخذت الدرع والدراهم وأتيت بهما إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من عثمان فدعا له بخير وقبض رسول الله ﷺ قبضة من الدراهم ثم دعا بأبى بكر رضى الله عنه فقال يا أبا بكر اشتر بهذه الدراهم ما يصلح لفاطمة وأرسل معه سلمان وبلالا يعينانه على حمل ما يشتريه قال أبو بكر رضى الله عنه وكانت الدراهم التى دفعها إلى رسول الله ﷺ ثلاثة وستين درهما فاشتريت فراشاً من خيش محشواً بالصوف وقطعاً من أديم ووسادة من أديم

حشوها مـن ليف النخل وقربة لـلماء وكيزاناً وستر صـوف رقيقاً فحملت أنـا بعضه وسلمان بعـضه وبلال بعضه وأقبلنا فـوضعناه بين يدى رسول الله ﷺ فلمـا نظر إليه بكى ثم رفع رأسه إلـى السماء وقال: «**اللهم بارك لقوم شعارهم الخوف منك**» قال على ودفع رسول الله ﷺ باقى ثمـن الدرع إلى أم سلمة وقال «**هذه الدراهم عندك**» فمكثت بعد ذلك شهرا لا أعاود رسول الله حياء منه غير أنى كنت إذا خلوت برسول الله ﷺ: «**يقول يا أبا الحسن زوجتك سيدة نساء العالمين**» قال على فلما كان بعد شهر دخل علـى أخى عقيـل بن أبى طالـب فقال يا أخـى ما فرحت قـط بشيء كفـرحى بتزوجك فاطمة بنـت رسول الله ﷺ فإن تدخل عليها قرت أعيننا باجـتماع شملكما فقلت والله إنـى لأحب ذلك وما يمنعنـى إلا الحياء من رسول الله ﷺ فقـال أقسمت عليك إلا مـا قمت معى فقمـت معه نريد رسول الله ﷺ فلـقيتنا فى طريـقنا أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ فذكرنا لها ذلك فقالت امهـلا ودعانا نحن نكلمه فى أمرها فإن كلام النساء أوقع فى النفس من كلام الرجال ثم انثنت راجعة فأعلمنها بذلك وأعلمت نساء رسـول الله ﷺ فاجتمعـت أمهات المؤمـنين إلى رسول الله ﷺ وكان فـى بيت عائشة فأحـدقن به وقلن يا رسول الله صلى الله علـيك فديناك بآبائنا وأمهـاتنا أنا قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة فى الأحياء لقرت عـيناها بذلك قالت أم سلمة فلما ذكرنا خديجة بـكى رسول الله ﷺ وقال: «**وأين مثل خديجة صدقتـنى حين كذبنى الناس وأعانتنى على ديـنى ودنياى بمالها**» فقالت أم سـلمة يا رسول الله إن خديـجة كانت كذلك غير أنها مضـت إلى ربها فالله تعالى يجمع بيننا وبيـنها فى درجات الجنة وهذا أخوك فى الـدين وابن عمك فى الـنسب على بن أبـى طالب يحب أن يدخـل على زوجته فاطمة فقال رسول الله ﷺ: «**يا أم سلمة أرسلى إلى أم أيمن وأمريها أن تنطلق إلى فتأتينى**» به فخرجت أم أيمن فإذا على ينتظرها فقالت له أجب رسول الله ﷺ قال على فانـطلق معها إلـى رسول الله ﷺ وهو فى حجرة عـائشة رضى الله عنهـا فقام أزواجه فدخلن البيت فجلست بين يدى رسول الله ﷺ مطرقا فقال: «**أتحب أن تدخل على زوجتك؟**» فقلت نعم فداك أبى وأمى فقال: «**حبا وكرامة تدخل عليها فى ليلتنا هذه إن شاء الله تعالى**» قال على ثم قمت من عنده فرحا مسروراً فأمر رسول الله ﷺ أن تزين فاطمة وتطيب ويفرش لها ودفع النبى ﷺ لعلى عشرة دراهم التى كانت عند أم سلمة وقال له: «**اشتر بهذه تمراً وسمنا وأقطا**» قال على فاشتـريت ذلك وأتيت به إلى رسول الله ﷺ فحسر عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدم فجعل يشدخ التمر بالسمن

ويخلطه بالأقط حتى جـعله حيسا ثم قال: «**يا على ادع مـن أحببت**» فخرجت إلى المسجـد فوجدت أصحاب رســول الله ﷺ فقلت اجـيبوا رسول الله ﷺ فقـام القوم بأجمعهم فأقبـلوا نحوه فأخبرته أن القوم كثير فخلل الـسفرة بمنديل ثم قال:«**ليدخلن عشرة عشرة**» ففعلت ذلك فجعلوا يأكلون ويخرجون والسفرة لا تنقص حتى أكل من ذلك الحيس سبعمائة رجل ببركة النبى ﷺ ثم دعا رسول الله ﷺ بفاطمة وعلى فأخذ عليا بيمينه وفاطمـة بشماله وجمعهما إلى صدره وقبلهما بين عينـيهما ثم دفعهما إليه وقال: «**ياأبا الحسن نعم الزوجة زوجتك**» ثم قام يمشى معهما إلـى البيت الذى لهما ثم خرج واخذ بعضادتى الباب وقال:«**جمع الله شملكما استودعتكما الله واستخلفته عليكما**» فأقبل عـلى رضى الله عنه علـى فاطمة يلاطفـها بالكلام حتـى جن الظلام فأخذت فـى البكاء فـقال ما يبـكيك يا سيـدة النساء ألـم ترضى أن أكون لـك بعلا وتكونى لـى أهلا فقالت يا ابن العـم كيف لا أرضى وأنت الرضا وفـوق الرضا وإنما فكرت فـى أمرى وحالى عند ذهـاب عمرى ونزولى فى قـبرى فشبهت دخـولى إلى فراش عزى وفخرى بدخـولى إلى لحدى وقبرى وأنا أسألك يا ابـن العم بحق أبى إلا بلغتنى قصدى وأربى وقـمت بنا إلى محرابنا فنتعبد فى هذه الـليلة فهو أحق وأحرى بنا فنهضا إلى المحراب وقاما إلى التهجد فى خدمة رب الأرباب.

(**إخوانى**) ما كانت همم القوم فى الدنيا ولـذاتهم فى راحة النفس وشهواتها ولا كانت تسـمو هممهم العـالية إلا إلى الدار الباقـية لا جرم جعل ذكرهم فـى الكتاب مسطوراً لو كتب لهم بالبشارة منشورا إنمـا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهـيرا فتركا فراش لذاتهما واشتغلا بـعبادتهما فكانا يقطعان الـليل بالقيام والنهار بالصيام حتى مضت ثلاثة أيام ثم رقدا على فراشهما فهبط الأمين جبريل عليه السلام فى اليوم الرابع على سيد الأنام وقال له ربك يقرئك السلام ويقول لك إن علياً وفاطمة الـكرام تركا فراشهمـا وهجرا المنام فى هذه الـثلاثة أيام وأقبلا علـى الصيام والقيام فـامض إليهما وسـل عنهما وقل لـهما إن الله تعالى قـد باهى بكما المـلائكة المقربين وأنكما تشفـعان يوم القيامة فى العصاة والمذنبين فقام الـنبى ﷺ وأتى منزلهما ودخل فصادف فى الـبيت أسماء بنت عميـس فقال لها: «**ما يوقفك ههـنا فى البيت رجل**»فقالت فداك أبى وأمى يا رسول الله إن البنت إذا زفت إلى زوجها احتاجت إلى امرأة تتعاهدها وتقوم بأمرها وبحوائجها فـقمت ههنا لأقضى حوائج فاطمة فتغرغرت عينا رسول الله ﷺ بـالدموع وقال: «**يا أسماء قـضى الله لك كل حاجة مـن حوائج**

الدنيا والآخرة» قال على رضى الله عنه وكانت غداة قر وبرد شديد وكنت أنا وفاطمة تحت العباءة فلما سمعنا كلام رسول الله همـمنا أن نقوم فنظرنا رسول الله ﷺ فقال: **«سألتكما بحقى عليكمـا لا تتفرقا حتى أدخل عليكما»** فرجع كل واحد إلى صاحبه ودخل النبى ﷺ فجلس عـند رؤوسنا وأدخل رجليه فيما بيننا فـأخذت رجله اليمنى وضممتها إلى صدرى وأخذت فاطمة رجله اليسرى فضمتها إلى صدرها وجعلنا ندفئ رجلى رسول الله ﷺ من البرد حتى دفئا ثم دعا لنا بخير ثم أمر عليا بالخروج فخرج فقال لفاطمة كيف رأيـت بعلك يابنية فقال أنه خير بعل يا أبـت ثم دعا بعلى فقال له ارفق بزوجتك والطـف بها فإن فاطمة بضعة مـنى يؤلمنى ما يؤلمها ويسـرنى ما يسرها استودعتكما الله واستخـلفته عليكما وأذهب عنكما الرجس وطهـركما تطيرا قال على كرم الله وجهه فـوالله ما أغضبتهـا ولا أكرهتها بعد ذلـك على أمر حتى قـبضها الله تعالى إليه ولا أغضبتنى ولا عصت لى أمرا ولقد كانت تكشف الهموم والأحزان كما نظرت إليها رحمة الله عليها.

من مـثل فـاطمة الـبتول وبـعلـها	أعـنـى عـلـيا سـيـد الـفـرسـان
نـالا مـن المختـــار أعـلا رتـبـة	فـلأجـل ذا فـاقا عـلـى الأقـران
تركـا فراشهـما وقـاما فى الـدجى	يـتـلـذذان بـطـاعـة الـرحـمـن
قد آثـر الأخرى عـلى الـدنيـا وما	فيـها من الـعيش الـيسـير الفـانى
والله قد باهى مـلائكة السما بـهما	وخـــصــهـــمــا بـــكـــل أمـــان
هم آل بـيت المـصطـفى والـعروة	الوثـقى لمـن يبـغى سـنى الإيمـان
وبـهم يـزول الـهـم عنـا والأذى	تـزول بـهمـا غـوايـة الـشيـطـان
مـاذا يقـول المادحـون لوصـفهـم	ومديـحهـم قد جاء فـى الفـرقان
يا فـوز من أضحـى به مـتمسـكاً	وغـــدا لـــه نـــور مـــن المـــنــــان
فيـهم غـدا أرجو الـنجـاة وأتقـى	سـوء الـعـذاب وزفـرة الـنـيـران
هم آل طـه الطـاهرون ومـن لهـم	شـأن عـظـيـم يـا لـه مـن شـان
قاموا وصاموا فى الهواجر والدجى	وتـرنمـوا فـى الـلـيـل بـالـقـرآن
فـإليـهم تـسعـى الوفـود وترتجـى	مـنهـم قرى الإكـرام لـلضـيفـان
آل الـنـبـى ورهطـه وأصـحـابـه	والـتـابعـون لـه عـلى الإحـسـان
هم آل بيـت المصطفى علـم الهدى	خيـر الورى المبـعوث من عـدنان
صلـى علـيه الله ما سـرت الصـبا	وتـناغـت الأطيـار فـى الأغصـان

المجلس التاسع والأربعون فى ذكر الموت والتفكر فيه

الحمد لله المتوحد بأنواع المصنوعات المتفرد باختراع المخلوقات المنزه عن التجسيم والتقسيم والسمات المتعالى عن الأشكال والأمثال والأماكن والجهات المقدس عن الأعيان والألوان والكيفيات الموصوف بقدم الأسماء والصفات القريب ممن دعاه لا بقرب المسافات المجيب لمن ناجاه بإخلاص الدعوات الذى يغفر الذنوب ويستر العيوب ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات العالم بمكنون الأسرار ومصون الأفكار والخفيات فلا يخفى عليه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السموات السميع فلا يعزب عن سمعه اختلاف الأصوات البصير فلا يعزب عنه دبيب النمل على الرمل فى الظلمات الواحد فلا ثانى له فى الكائنات الفرد الصمد المنزه عن البنين والبنات الباقى ويفنى كل أحد ويقضى عليه بالممات فسبحان مميت الأحياء ومحيى الأموات أفلا يعتبر العاقل بمصرع من قد مات وقد حوته القبور والدارسات أين العبيد والسادات فكيف يطمع فى البقاء وقد قال صاحب الدلائل والمعجزات: «**إن للموت لسكرات**» فانتبه بما أنت فيه يا أسير الغفلات وتزود للسفر الطويل فقد بقى القليل وضربت للرحيل الكاسات.

قد مضى العمر وفات	يا أسير الغفلات
فإلى كم ذا التعامى	عن أمور واضحات
لم يلن قلبك أصلا	بالزواجر والعظات
وتراه حملوه	سرعة للفلوات
أين من قد كان يفخر	بالجياد الصافنات
سار عنها رغم أنف	للقبور الموحشات
فاغنم العمر وبادر	بالتقى قبل الممات
واطلب الغفران ممن	ترتجى منه الهبات
اعف عنا يا رحيما	وأقلنا العثرات
غير جاه المصطفى	الهادى بهى المعجزات
حصل الزناد وبادر	مسرعا قبل الفوات
وإلى كم أنت غارق	فى بحار الظلمات
بينما الإنسان يسأل	عن أخيه قيل مات
أهله يبكوا عليه	حسرة بالعبرات

وله مال جزيل — كالجبال الراسيات
كم بها من طول مكث — من عظام ناخرات
وأنب وارجع وأقلع — عن عظيم السيئات
ثم نادى فى الدياجى — يا مجيب الدعوات
ما وجدنا من شفيع — فى مضيق الكربات
فعليه صلوات — زاكيات طيبات
وعلى الآل جميعا — وصحاب طاهرات

عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يوما يصف ثواب المجاهدين وما أعد الله لهم من الأجر والفضل فى الجنة فقلت يا رسول الله أيكون لغير المجاهدين من أمتك مثل أجرهم فقال: « **نعم من يذكر الموت فى كل يوم عشرين مرة**» وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات فإذا وجد الإنسان قد نفد أكله وانقطع أجله ألقى عليه هم الموت فغشيته كرباته وغمرته سكراته فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية لشجونها والصارخة لويلها فيقول ملك الموت ويلكم مم الفزع وفيم الجزع فما أذهبت لواحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا ولا أتيته حتى أمرت ولا قبضت روحه حتى استأمرت وإن لى فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحدا**»[1] قال النبى ﷺ: «**فو الذى نفس محمد بيده لو يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحة فوق النعش وهو ينادى يا ولدى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيرى فالمال لكم والتبعة على فاحذروا مثل ما حلى بى**».

لو كلم الميت من يشيعه — لقال لا تغترر فأنت أنا
قد كنت أرجو وغرنى أملى — عاجلنى الموت ما بلغت منى
مالى لغيرى جمعته وبقى — علىَّ من وزره شقا وعنا
وهو بما قد جمعت فى رغد — يأكله لذة له وهنا
فاعتبروا ياذوى العقول فقد — شرحت حالى لكم وفيه غنى

(١) حديث موضوع.

وقيـل إن للموت ألمـا لا يعلـمه إلا الذى يعـالجه ويذوقـه هو أشد من الـضرب بالسيوف وأعظم ألما من النشر بالمناشير والقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم مع بقاء قوة فى البدن فلذلك يستغيث المضروب ويصيح بخلاف الموت فإن الميت ينقطع صوته وتضعف قوته عن الصياح لشدة الألم والكرب على القلب فإن الموت قد هد كل جزء مـن أجزاء البدن وأضعف كـل جارحة فلم يتـرك له قوة للاستغـاثة أما العقل غشيته وسوسة وأما اللسان فقـد أبكمه وأما الأطراف فقد أضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والـصياح ولكنه ما يقدر على ذلك فإن بقـيت له قوة عند نزع الروح وجذبها خوار وغرغرة من حلقه وصدره وقدره وقد تغير لونه وأزبد حتى ترتفع الحدقتان إلى أعلـى جفونه وترتفع الأنثيان [الخـصيتان] إلى أعالى موضعهـما وتصفر أنامله ويموت كل عضو منه على حدته فأول ما يموت قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى تبلغ روحه إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهـلها وتحيط به الحسرة والندامة وروى أنه ﷺ لـما احتضر كان عنده قدح من ماء يدخل يده فـيه ويمسح ويقول: «**لا إله إلا الله إن للمـوت لسكرات**» وفى رواية كان يقول: «**اللهم هون على سكرات الموت**» وفى رواية: «**أعنى على سكرات الموت**» وكانـت فاطمـة رضى الله عنـها تقـول وارباه لكـربك يا أبـتاه وهو يـقول: «**لاكرب على أبيك بعد اليوم**» ذكره البخارى ومسلم.

وكان على رضى الله عنـه يحرض على القتال ويقول إن لم تقـتلوا تموتوا والذى نفس محمد بـيده لألف ضربة بالسيف أهون من مـوت على فراش وروى أن موسى عليه السـلام حين مات وصارت روحه إلى الله عز وجل قال الله عـز وجل يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى وهو حى فلا هو يموت فيستريح ولا يـنجو فيطير وفى رواية: وجدت نفسى كشـاة تسلخ وهى حية وقال تعالى: ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ أى بالحق من أمر الآخرة حين ينـتبه ويراه عيانـا وأما مشاهدة ملك المـوت وما يدخل على الـقلب من الروع والفزع فهو أمر قصر عن كنهه عبارة كل فصيح وضاق عن سعة هوله كل فسيح ولم يعلم حقيقة ذلك إلا الذى يتراءى لـه فى تلك الحال كما روى أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قـال لملك الموت هل تستطيع أن ترينى الصورة الـتى تقبض فيها روح الفاجر فقال تطـيق ذلك قال بلى قال له فاعرض بوجهك عـنى فأعرض بوجهه عنه ثم التفت فإذا هو رجل أسود مهول ثيابه سود قاتم الشعر منتن الريح يخرج لهيب

النار من فيه ومناخره كالدخان فغشى على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر إلا صورة وجهك لكفاه ونظر إبراهيم عليه السلام إلى أناس يبكون على ميت لهم فقال لو بكيتم على أنفسكم لكان خيراً لكم فإن ميتكم قد نجا من ثلاثة أهوال وجه ملك الموت قد رآه ومرارة الموت قد ذاقها وخوف الخاتمة وقد أمنها فينبغي للعاقل أن يبكى على نفسه فهو أولى به ويعلم إن الموت خلفه وفى طلابه.

ليبك على نفسه العاقل ... لينتبه النائم الغافل
يؤمل ذو الجهل آماله ... فيفجؤه موته العاجل
علام الجدال وهذا المآل ... وفيم المقام ولا طائل
ودنياكمو هى معشوقة ... ولكن حقيقتها باطل
وبرق ولكنه خلب ... وودق ولكنه ماحل
وطيف ولكنه هاجر ... وشهد ولكنه قاتل
منام وأضغاث أحلامها ... أمانى يؤملها الجاهل
فأين الشريف وأين الضعيف ... وأين المفضل والفاضل
وأين الشجاع وأين الجبان ... وأين المهذب وأين العاقل
فكل سيشرب كأس الفنا ... وكل بهذا الفنا نازل

(إخوانى) لا واعظ كالموت وما تتعظون وهو طالب لكم وأنتم عنه غافلون أتظنون أنكم فى الدنيا مخلدون ولابد من ورود كأس المنون تزودوا للرحيل إلى متى لا تذكر رحيلك عن جميع ما تملك حتى لا تفهم المواعظ وقد قيلت من أجلك تيقظ يا غافل فكم لعب الهوى بمثلك.

يا نفس مالك عن حمامك غافله ... وأراك فى ثوب الأمانى رافله
دنياك منزلة أقمت بظلها ... فتزودى منها فإنك راحله
إن لم يزل عنك الذى تحوينه ... منها وإلا كنت عنه زائله

قوله تعالى: **﴿ألهاكم التكاثر* حتى زرتم المقابر﴾** يعنى شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عن الاستعداد للموت قال رسول الله ﷺ: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» **﴿كلا سوف تعلمون﴾** عند سكرات الموت وأهواله **﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾** بعد الموت معاينة منكر ونكير فى القبر، وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه

قال: إن المؤمن إذا وضع فـى القبر وسع عليه قـبره سبعين ذراعا طولا ومثـله عرضاً وتنشر علـيه الرياحين ويستر بالحريـر فإن كان معه شيء من القرآن كفـاه نوره فى قبره ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظـه إلا أحب أهله إليه فيقوم من نومته كأن لم يشبع منها وإن الفاجر والفاسق والكافر يضيق عليه قبره حتى تدخل أضلاعه فى جوفه ويرسل عليه حيات كـأعناق الإبل فتأكل لحمه حتى لا تذر على عـظمه لحماً وترسل عليه شياطين صم بكم عمى معهم مطارق مـن حديد فيضربونه بها لا يسمعون صوته فيرحمـونه ولا يبصرون ما هو فـيه فيرقون له ويعـرض على النار بكرة وعـشيا وقال رسول الله ﷺ: «**يقول القبر للميت حين يوضـع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ماغرك بى إذ كنت تمر بى وإن كان صالحاً أجاب عـنه مجيب القبر فـيقول أرأيت إن كان يأمر بالمـعروف وينهى عن المنكر فيـقول القـبر إذا أتحول علـيه روضة من ريـاض الجنة ويـعود جسمـه نورا وتصعد روحه إلى الله عز وجل**».

وعن كعب الأحـبار رضى الله عنه أنه قال: مـا من يوم إلا والقبر يـنادى خمس مرات بهـذا الكلمات: يـا ابن آدم تمشى علـى ظهرى ومصـيرك فى بطنـى يا ابن آدم تضحك على ظهـرى ثم تبكى فى بطنى يا ابن آدم تأكل الحرام عـلى ظهرى ويأكلك الديدان فى بطنـى يا ابن آدم تفرح على ظهرى وتحزن فى بطـنى. روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنـه وقف على قبر فبكى فقـيل له إنك تذكر الجنة والنـار فلا تبكى وتبكى من هذا فقال إن رسول الله ﷺ قال: «**القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد**».

حق على من يكون الموت مورده	وظلمة القبر بعـد الموت ملحده
ألا يـرى قـط إلا خائفاً وجـلا	طوى السـرور وأقصاه وأبعـده
يبكى لما قد جنى الدهر من زلـل	بكاء من كان جسر النار مرصده

يا هذا احذر أن تصـبح عن طريق الهدى حائـرا وأن تعاهد على التوبـة فتضحى غادرا وقم إلى خلاص نـفسك مبادراً وكن لعواقب الأمـور فى كل حال ذاكرا ولازم خدمة مولاك حامدا له شاكراً واحذر أن تكون عند ربح المتقين خاسرا فكأنى بك وقد أقبل إليك الموت متسلطا قاهراً.

آه لـلـمـوت زائـر	قـد أبـاد الـعـشـائـرا
كم سـعى الدهـر باطـنا	ورأيـنـاه ظـاهـرا
ومـحـا مـن مـحـاسـن	قـد طـواهـن سـائـرا
كـم جـمـال بـقـهـره	قـد أحـل الـمـقـابـرا
ثـم أفـنـى أوائـلا	وأبـاد الأواخـرا
آه لـلـنـاعم الـنـضـير	طـوى مـنـه نـاظـرا
آه لـلـغـصـن إذ سـمـا	حـلـه المـوت كـاسـرا
كـم أفـنـى مـن أكـابـر	وأبـاد الأصـاغـرا
فـاز مـن كـان خـائـفـا	مـنـه فى الأمـن حـاذرا
واتـق الله حـيـثـمـا	مـنـه قد كـان حـاضـرا

وجاء فى الأثر أن الـروح إذا خرجت من الجسد ومضـى عليها سبعـة أيام تقول يارب ائذن لى حتى أنظر إلى جسدى ما حاله فيـقال لها اذهبى فيأتى الروح إلى القبر فتنظر إليه من بعيد فتراه متغيرا يسيل من منخره ماء ومن فمه ماء ومن عينيه ماء فكأنه فى وسط لجة فتقـول له صرت إلى هذا الحال بعد نضارة جسمـك ثم تمضى حتى إذا كان بعد سبعة أيام أخر تقول يارب ائذن لى حتى أنظر إلى جسدى ما حاله فيقول الله تعالى اذهبى فتأتى إلى القبر فتنظر إليـه من بعيد فتراه قد تغير وقد صار الماء الذى فيه صديداً والذى فى عينـيه قيحاً والذى فى أنفه دما فتقـول له صرت إلى هذا الحال ثم تمضى حتى إذا كان بعـد سبعة أيام قالت يا رب ائذن لى حتى أنـظر إليه هذه المرة ما حاله فيـقول لها اذهبى فتأتـيه فتنظر إليه مـن بعيد فتراه وقد صار الـصديد دودا وقد سقطت حدقتاه على وجهه والدود يدخل مـن فيه ويخرج من منخره فتقول له صرت إلى هذا الحـال بعد الـنعيم والدلال تالله مـا ينفع المـرء فى قبره غيـر التقى والـعمل الصالح.

الموت بحر موجه طافـح	يحار فيه العائم السائـح
يا نفس إنى ناصـح فاقبلى	منى فإنى مشفق ناصـح
لا ينفع الإنسان فى قبـره	إلا التقى والعمل الصالح

وقيل لإبراهيم عـليه السلام عظنا بما ينـفعنا فقال إذا رأيتم الناس مـشغولين بأمر الدنيا فاشتـغلوا بأمر الآخرة وإذا اشتغلوا بتـزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتـزيين بواطنكم

وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور فاشتغلوا أنتم بعمارة القبور وإذا اشتغلوا بعيوب الناس فاشتغلوا بعيوب أنفسكم وإذا اشتغلـوا بخدمة المخلوقين فاشتغلوا بخدمة الخالق رب الخلائق أجمعين فتيقظ يا هذا لنفسك قبل أن يناديك المنادى وتدرع دروع الصبر وجاهد الأعادى وشمر فى طلب خلاصك واقطع علق التمادى وعليك بما يفيد وما تنجو به يوم التنادى.

فما لك ليس بعمل فيك وعظ	ولا زجر كأنك من جماد
ستندم إن رحلت بغير زاد	وتشقى إذ يناديك المنادى
فلا تأمن لذى الدنيا صلاحا	فإن صلاحها عين الفساد
ولا تفرح بمال تقتنيه	فإنك فيه معكوس المراد
وتب مما جنيت وأنت حى	وكن متنبها قبل الرقاد
أترضى أن تكون رفيق قوم	لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال رسول الله ﷺ: «يهرم المرء ويشب معه اثنتان الحرص وطول الأمل فالحرص أحد المهلكات»، وقال (ﷺ): «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب**» [ويتوب الله على من تاب].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدى وقال: «**كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور**» يا حريصا على ارتكاب الآثام وعن هجوم الموت غافل وقد تحققت مفاجأة الأجل فما الحرص على المال والزلل فعل عاقل تعجل الذنب نقدا وتؤخر التوبة إلى قابل أما علمت أن مطل الغنى ظلم وقد أغناك الله بالشباب والصحة والفراغ وأنت بالتوبة مماطل أين من ملك الدنيا ودوخ الجبابرة وقاد الجحافل أين التائه المعجب على العباد كبرا أين القائل أين الصائل رشقتهم والله المنون بسهامها فأصابت المقاتل وصرعتها بعد الفرش والنمارق وبين الصفائح والجنادل:

يا عاشق الدنيا أما	فى حادث الأيام عاذل
أنت القتيل صبابة	بحطامها والحب قاتل
خيمت فى ظل المنى	والعمر يا مغرور راحل
وركنت للدنيا وكم	غدرت بذى ود مواصل
مع التنغص والأذى	يلتذ فى دنياه عاقل

قـف واعـتـبــر بمـنــازل	درست وقد كـانت أواهل
أيـن الــذيـن تــدبـروا	الدنـيا ومـا فازوا بـطائـل
قـادوا الجـيوش وذلــوا	أسد الشرى بظبى النواصل
فجـرت عليـهم حـادثات	الـدهر فـانقـلبـوا كلائـل
قـد فصـلـت أوصـالهـم	بـين الصـفائـح والجنـادل

قوله عـز وجل: **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** أى معالجة سكـرات الموت ورؤية ملك الموت وأن يكشـف للعبد عن مقعـده فى الجنة أو النار فهذه أمور مهولة وذلك عند مجيء سكرات الموت وهوالحق الذى ذكره النبى ﷺ من الإيمان بالغيب ثم بعده سؤال منكر ونـكير وهو ما يلقى الميت إذا أخذ وأما سكرة الموت فهو ما تقدم ذكره لأن للموت سكـرات وسكرات الموت بحسب كل شخص بما فعل فى دار الدنيا وسميت سكرة؛ لأنها تذهـل العقول وتغيب الذهن كحال السكران فى سكرته وذلك إن العبد تظهرْ له أعماله عند الموت من الحسن والقبيح وجزاء عمله فالمغتاب تـقرض شفاهه بمقاريض مـن نار والسامع للغيـبة يسلك فى أذنيه نـار جهنم والظالم تتفرق روحـه بكل مظلوم وآكل الحرام يقدم له الزقـوم وهكذا إلى آخر أفعال العبد.

كل هذه الحالات تظهر عند سكرات الموت فالميت يحوزها سكرة بعد سكرة وعند آخرها تقبض روحه وقوله تعالى: **﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾** يعنى يحيد بطول الآمال والحرص على البقاء فى الدنيا.

وروى عن عيسى عليه السلام أنه مر على قبر سام بن نوح فقال له بنو إسرائيل: يا روح الله ادع الله أن يحـيى لنا صاحب هـذا القبر حتـى نسمع منه حـديث الموت فصلى عـيسى عليه السـلام عند قبره ركعتـين ودعا الله تعالى أن يحيـى سام بن نوح فأحياه الله تعـالى فقام سام ينفض الـتراب عن رأسه وقد شاب رأسه ولحيـته فقال له عيسى عليه الـسلام: ما هذا الشيب الذى لم يكن فى زمانك قـال يا نبى الله سمعت النداء فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسى ولحـيتى من الهيبة فقال له عيسى عليه السلام منذ كم أنت ميت قال منذ أربعة آلاف سنة وإلى الآن ما ذهبت عنى سكرات الموت ولا مرارتها.

(إخوانى) ما هذه الغفـلة وأنتم إلى البلى وهـذا المصير وما هذه التوانـى والعمر

قصير وإلى متى هذا التمادى فى البطالة والتقصير وما هذا الكسل وقد أنذرك النذير خلفك والله عن باب الحبيب سوء التدبير إلى متى تتبهرج والناقد بصير.

هى المنيات والقبور	ثم إلى ربنا المصير
والناس فى غفلة نيام	أضغاث أحلامهم غرور
والعمر يمضى ولست تدرى	مثل سفين بنا تسير
يا نفس ما سر فهو حزن	لا تحسبى أنه سرور
تذكرى الموت واستعدى	له فقد جاءك النذير

(إخوانى) تذكروا القيامة فالأمر شديد وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لا يفيد وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد وحاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسبوا فعليكم رقيب عتيد وتأهبوا للموت فكأنكم به وقد أخذ الأحرار والعبيد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** أين أحبابكم الذين سلفوا أين أترابكم الذين رحلوا وانصرفوا أين أرباب الأموال وما خلفوا ندموا على التفريط فيا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب فيه الوليد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** فانتبه يا هذا فالدنيا أضغاث أحلام واعلم أنها دار لا تصلح للمقام ستفهم قولى بعد قليل من الأيام وما غاب عنك ستراه على التمام إذا انكشف الغطاء وتحقق الوعيد**﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** ويحك أما علمت إنك ترحل كل يوم مرحلة أما علمت أنه يحصى عليك من أعمالك الخردلة وكم من مؤمل خانه فى الحساب ما أمله ولم يبلغ من المقاصد ما يريد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** يا مضيعا عمره فى الخسران يا مطفئاً بهواه نور الإيمان متى تفيق من خمار الهوى أيها السكران أما آن لك الرجوع إلى الله أما آن كأنك قد أخذت بالأمان منه التقليد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** بت معرضاً عن المولى إلى متى هذا الإعراض ذهب شبابك وولى فى طلب الأعراض أما علمت ويحك أن عمرك فى انقراض وقواك كل ساعة فى انتقاض فتزود لسفرك فالسفر والله بعيد **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** أما علمت أن الموت لك بالمرصاد أما صاد غيرك ولك سيصطاد أما بلغك ما فعل بسائر القصاد أما حذرك غفلتك عنه فى كل موطن وواد أما سمعت قول الملك المجيد: **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** فيا مقبلا على ما يضره ومعرضا عما يفيد ومضيعاً عمره وهو يحصى عليه برقيب وعتيد أين المتحصنون بكل حصن منيع وقصر

مشيد أين المتكبرون من كل جبار عنيد أما أخرجهم الموت من قصورهم وقطع حبل أملهم المديد أما أصبح ومنهم ذو الشدة والبأس فى ظلمة القبر وحيد أما سمعوا قول الملك المجيد: **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾** (كان وكان):

اغنم وجودك بجودك   وازرع عسى تحصد
فالموت يأتى بغتة   وليس عنه محيد
من لك إذا ما ملك   من كان يهوى صحبتك
وحزت لحدك وحدك   مفلس غريب وحيد
إن كنت يا صاح نائم   يوم القيامة تتنبه
إذا رأيت الخلائق   فى موقف التهديد
يقال اقرأ كتابك   كفى بنفسك شاهده
وقد أتيت لموقف   بسائق وشهيد
فدع دموعك تجرى   قبل أن يقال لمن عصى
ألم تكن قبل تدرى   إن الحساب شديد
ترى الخلائق حيارى   من هول ما قد شاهدوا
وليس يعلم من هو   منهم شقى وسعيد
فمن أطاع المولى   فذاك منه قد قرب
ومن عصاه وخالف   فذاك منه بعيد
كل القلوب قد لانت   لكن قلبك قد قسا
كأن قلبك أضحى   بين القلوب حديد
ويحك فنبه قلبك   واسمع كلامى واتعظ
عسى قساوة قلبك   تلين بالتشديد
وإن تخف فى القيامة   من شؤم ذنبك الزلل
فلذ بجاه الهادى   صاحب الشفاعة البشير
هو النبى المشفع   فيمن عصى من أمته
فى يوم يسجد   وتظهر بدائع التحميد
فيقال ارفع رأسك   واشفع تشفع ثم قل
يسمع وسل تعط عندى   ما تشتهى وتريد
صلى عليه وسلم   رب السموات العلا
ما سارت النوق تطلب   قطع الفلا والبيد

اللهم كن لنا إذا أودعنا الألحاد وجفانا الأهل والعواد وتخلت عنا أهل الصفا والوداد ولم يبق إلا عفوك يا كريم يا جواد برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المجلس الخمسون

فى ذكر الصالحات التائبات الصابرات من النساء

الحمد لله الذى تعزز فى ربوبيته أزلا وأبداً وتقدس فى سرمديته فلم يزل فردا صمدا الذى لا تدرك سرمديته أبداً ولا تحصى الأفكار لفرديته عدداً جل عن الأضداد والأنداد والصحبة والأولاد تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا فمن شبَّهه أو مثَّلَهُ فقد استحق عذابا رصدا ومن ألحد فى وصفه فلن تجد له من دونه ملتحدا ومن نظر إلى ساحل بحر التوحيد بعين التشبيه والتحديد مات حسرة وكمدا ومن نظر بعين التنزيه والتحميد اطلع على غوامض الحقائق وحاز حكما وزبدا فالعارفون طاشوا فى بيداء معرفته فعاشوا عيش السعداء والخائفون ذابوا بنار قهر سطوته فماتوا موت الشهداء نظروا إلى الدنيا بعين اليقين فعلموا أن الإنسان لن يترك سدا ففتحوا سمع اليقظة فسمعوا حادى الرحيل قد حدا فخرجوا من ناديهم وعرجوا على حاديهم فإذا الدليل يناديهم **﴿إن علينا للهدى﴾** فأول قدم فى سلوكهم أن خلع على صعلوكهم خلعة شرفوا بها على ملوكهم فخرا وسؤددا حلوا الزاد للسفر وأحل السهر فلما هبت عليهم نسمات السحر أدركوا أربا ومقصدا:

قد لاح نور الهدى من حبهم وبدا	وقد تغنى حمام الحمى وشدا
وقد تعطر عرف البان حين سرى	من الحمى ورأى المشتاق ما قصدا
فيارعى الله صباهم من حرق	ومغرما بات يقضى ليله سهرا
يدعو إلى الله والأبصار هاجعة	عساه يمنح من إرشاده رشدا
من قد أطاع النبى الهاشمى ومن	رأى سنا هديه الوضاح حين بدا
هو البشير النذير المستضاء به	من جود إحسانه عم الوجود ندى
صلى عليه إله العرش ما طلعت	شمس وما سَارَ سَارٍ فى الفلا وحدا

قوله عز وجل: **﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾** قال ابن عباس رضى الله عنهما **﴿فالصالحات قانتات﴾** أى مطيعات **﴿حافظات للغيب﴾** أى

للفروج فى غيبة الأزواج وقيل حافظات لسرهم بما حفظ الله والمرأة إذا حفظت فرجها وصانت نفسها لزوجها ابتغاء مرضاة الله وطلب ثوابه فقد وجبت لها الجنة والكرامة على الله عز وجل لقوله تعالى: **﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾** إلى قوله: **﴿أولئك فى جنات مكرمون﴾** وروى عن بعض الصالحين أنه رأى جارية فى البادية وهى تمشى وتعرج وليس عندها ولا معها أحد فقال لها من أين أقبلت فقالت من عند البيت فقال وإلى أين قالت إلى الحبيب قال فما تستوحشين وحدك فى هذه البادية والفلاة فرفعت صوتها ونادت بأعلاه **﴿يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾** ثم قالت: يا بطال من استأنس بالله استوحش ممن سواه ومن طلب رضاه صبر على قضاه.

يا مؤنس الأبرار فى خلواتها	يا خير من حطت به النزال
من ذاق حبك لم يزل متلهجاً	أنت الحبيب وما سواك محال
أنشأتنى ورحمتنى وسترتنى	أحسنْ فأنتَ المحسن المفضال
مالى سواك وأنت غاية مقصدى	والكل أنت وما عداك ضلال
آنست قلبى يا حبيبى والمنى	يا من له الإنعام والإفضال

وعن عثمان الجرجانى قال: خرجت يوما من الكوفة أريد البصرة فرأيت فى الطريق امرأة عليها جبة صوف وخمار من شعر وهى تمشى وتقول: إلهى وسيدى ما أبعد الطريق على من لم تكن له دليلا وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيساً قال فدنوت منها وسلمت عليها فردت علىَّ السلام وقالت من أنت يرحمك الله فقتلت عثمان الجرجانى فقالت حياك الله يا عثمان أين تريد قلت البصرة قالت وما تصنع فيها قلت حاجة لى فقالت يا عثمان هلا أعلمت صاحب الحاجة يوجه بها إليك ولا يتعبك قلت ليس بينى وبينه تلك المعرفة فقالت يا عثمان وما الذى قطعك عن معرفته قلت كثرة الذنوب قالت بئس والله ما صنعت أما والله لو وصلت حبلك بحبله لتمسكت منه بأقوى سبب وقضى حوائجك من غير تعب فلما سمعت منها ذلك بكيت وقلت أريد منك الدعاء فقالت أعانك الله على طاعته وجنبك عن معصيته فلما عزمت على الانصراف أخرجت من جيبى دراهم كانت معى فقسمتها بينى وبينها وقلت استعينى بهذه على حالك فقالت من أين لك هذه الدراهم قلت أنا أصعد إلى الجبل فأحتطب منه حطباً وأحمله على عاتقى وأبيعه فى أسواق المسلمين وأرتفق بثمنه قالت نعم الكسب الحلال أحل ما أكل المرء من كسب يده لكن يا عثمان لو صحت

معاملة ذى الجلال واتكلت عليه حق الاتكال لكفاك مؤنة حمل الحطب من رؤوس الجبال قلت فإذا لم يكن لى سبب فمن أين المطعم والمشرب قالت يا عثمان أتريد أن أريك كيف صححت مع سيدى عقدة التوكل عليه قلت بلى فمدت يديها وهممت بشفتيها فإذا يداها مملوءة دنانير ثم قالت خذ هذه يا عثمان فوالله ما طبع عليها اسم ملك ولا سلطان واعلم إنك لو أحببت مولاك لأغناك عن سائر الخلق وكفاك.

توكل على الله الكريم فإنه	سيأتيك بالرزق الكفاف وبالجزل
وسلم إلى مولاك أمرك إنه	سيكفيك أسباب الكريهة والثقل
ومن يتوكل فى الأمور جميعها	على الله يحظى بالتباشير والفضل
ويلقى جميع الناس بالرحب والرضا	ويحنو على الجيران والصحب والأهل
فذاك الذى قد أذهب الله همه	وحازه بالإحسان فى القول والفعل
فلله در القوم فازوا بقصدهم	من الله رب العرش فى العقد والحل
إذا كان حقا راضياً بعذابهم	فذلك أحلى عندهم من جنى النحل
فسبحان من عالم بصلاحهم	ومن خالق فرد ومن حاكم عدل

فلله درهم من أقوام قاموا يناجون الحبيب والناس نيام ويفرحون بأدبار النهار وإقبال الظلام ويجتهدون فى خدمة الملك العلام فلا جرم جاء مدحهم فى الكتاب العزيز البديع الأحكام فقال تعالى فى محكم الآيات ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات**﴾. قيل كان بالبصرة جارية يقال لها أسماء العابدة وكانت ذات حسن بديع وقدر رفيع حسنة العينان حلوة اللسان وكان مولاها ذا نعمة ويسار وسطوة واقتدار فمرت الجارية يوماً بمجلس صالح المرى وهو يعظ الناس فوقفت إلى جانب النساء تسمع وعظه وكان لموافقة الأقدار يتكلم فى أهوال القيامة وصفة النار وما أعد الله فيها لأهلها من الأهوال والنكال والسلاسل والأغلال فنظرت الجارية إلى الرجال والنساء وهم يتصارخون ويبكون فرق قلبها وطاش عقلها ولبها فأجرت الدموع وتزايد بها القلق والولوع فالتفت صالح المرى إليها فرأى دموعها جارية فسأل عنها فقالوا هذه أسماء الجارية فالتفت إليها بوجهه وقصدها برشق سهام وعظه وناداها أيتها الصارخة برخيم صوتها أوى عليك خوفا من الآزفة كأنك بعظيم جرمك عارفة وأنت من ذلك خائفة فقد أتعبت الحفاظ والكتبة سنين وسهرت فى المعاصى حينا بعد حين فكم من فتى برخيم صوتك فضحتيه وبحسنك وجمالك قد فتنتيه وبعملك القبيح أسهرتيه وعن طاعة ربه وصلاته شغلتيه فحفاظك بسوء فعلك يشهدون ومن قبيح آثامك

يضجون فبادروا بالتوبة قبل حلول الندم والخوف قبل زلة القدم فقالت يا صالح إنى كنت فيما مضى جاهلة غافلة وعن صلاح حالى ذاهلة ولم أعلم أن الأمر يكون هكذا بل كان سيدى يحب منى الغناء واختلاف الألحان على طول المدى وإنى تائبة إلى الله عز وجل لم أنطق منها بشىء أبدا فقال صالح يا أسماء اعلمى أنه من رفع صوته بالغناء وأصر على معصية المولى كان مأواه ناراً سوداء تذيب الأجسام وتورثه الذل والعناء فنادت يا صالح قد برح الخفاء وذهب الباطل واختفى وجاء الحق وقرب الوفاء ثم ذهبت إلى منزلها فلقيت غلاما كان لمولاها فقالت له يا غلام أنت تعلم أنى كنت مثقفة فاكتم على أمرى وخذ ثيابى هذه واعطنى جبتك ولا تكشف لأحد سرى فخلعت ما كان عليها ولبست جبة الغلام وقطعت شعرها ودخلت منزلا خفيا من منازل مولاها فصارت تقوم الليل وتصوم وتتضرع فى الأسحار بالبكاء والاستغفار هذا ومولاها يطوف عليها الأماكن وهو حزين على فراقها فلما خالطها الاصفرار والذبول واكتست أثواب النحول أقبلت إلى مولاها وقد أنحلها الصيام والقيام وأطفأ حسنها الوجد والغرام فسلمت عليه فرد عليها السلام وقال لها من أنت فقالت أنا سرور قلبك وراحة سرك ولبك أنا جاريتك أسماء فقال لها وما الذى بلغ بك إلى هذا الحال قالت: شؤم المعصية والخوف من جهنم وما فيها من الأهوال فقال والله لئن لم ترجعى عن هذا الأمر وتلبسى ثيابك وتتركى التشويه بنفسك لأوثقنك كتافا ولأذيقنك أنواع العذاب فقالت يا سيدى إن ضربك يفنى وعذاب مولاى لا ينقطع ولا يفنى أبدا فاصنع ما شئت فلما سمع ذلك من مقالها أمر الغلمان فشدوا وثاقها وضربها بالسوط ضربا شديدا فرفعت رأسها إلى السماء ونادت يا عظيم العظماء يا من له الأسماء الحسنى ويا ولى كل مولى أغثنى وأجرنى يا مجير الهلكى ومغيث المكروبين فى السر والنجوى فلما رفع السوط ليضربها خدرت يده وأحس بمن جذبه من ورائه فالتفت فلم ير أحدا وإذا بمناد يناديه يا عدو الله خل ولية الله فخر مغشيا عليه والدم يسيل على يديه فقامت أسماء تمسح الدم عن يديه وتقول له يا مسكين عليك بطاعة مولاك وتب من ذنوبك وخطاياك فلما أفاق قال لها يا منية النفس ما ظننت أنك وصلت إلى هذه المنزلة فوالله لا خالفت لك طريقاً ولا برحت لك ما عشت رفيقاً ثم اتفقا على العبادة والطاعة راضياً من دنياهما بالقناعة.

(إخوانى) إن كان النساء عملن لهن همة كالرجال وقصدن باب ذى الجلال وظهر من صالح الأعمال حتى حسنت منهن الأحوال وبلغن المقاصد والآمال فكيف حالك

أيها البطال المصر على قبائح الأفعال المسوف بالتوبة بكثرة الإهمال قال السرى السقطى: أرقت إليه فلم أستطع الغمض فيها فقلت فى نفسى أخرج إلى المقابر لعلى برؤية القبور والتفكر فى البعث والنشور يزول همى وغمى فخرجت إليها فما وجدت قلبى منشرحاً إليها فقلت أدخل الأسواق لعلى باختلاط الناس يزول عنى الباس ففعلت ذلك فما انشرح قلبى هنالك فقلت أدخل البيمارستان وأنظر إلى المجانين وإلى أفعالهم لعلى أعتبر بأحوالهم فدخلت إليه فوجدت قلبى مقبلا عليه فقلت إلهى وسيدى إلى هنا سيرتنى ولأجله من منامى أيقظتنى فنوديت فى سرى ما أتينا بك إلى هذا المكان إلا ولنا فيه نبأ وشان قال السرى: فتقدمت إلى مكان المجانين فرأيت جارية مصفرة اللون ويدها إلى عنقها مغلولة وهى بذكر الله مشغولة فسمعتها تنشد وتقول:

أعيذك أن تغل يدى ... بغير جناية سبقت
تغل يدى إلى عنقى ... ولا خانت ولا سرقت
وبين جوانحى كبد ... أحس بها قد احترقت
وحقك يا منى قلبى ... يميناً برة صدقت
لئن قطعتها قطعاً ... غراما فيك ما نطقت

قال السرى: فقلت للقيم على المجانين ما هذه الجارية فقال جارية اختل عقلها فحبسها مولاها فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وأنشدت تقول:

معشر الناس ما جننت ولكن ... أنا سكرانة وقلبى صاحى
قد غللتم يدى ولم آت ذنباً ... غير هتكى فى حبه وافتضاحى
أنا مفتونة بحب حبيب ... لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحى الذى رأيتم فسادى ... وفسادى الذى رأيتم صلاحى

قال السرى: فلما سمعت كلامها أبكانى وأقلقنى وأشجانى فلما رأت دموعى تنحدر على وجهى قالت: يا سرى هذا بكاؤك على صفته فكيف لو عرفته حق معرفته فقلت بالله العجب من أين تعرفنى هذه الجارية ولم يكن بينى وبينها معرفة سابقة فقالت يا سرى: ما جهلت منذ عرفت ولا فترت منذ خدمت ولا قطعت منذ وصلت ولا حجبت منذ وقفت وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا ثم أنشأت تقول:

تحقق حق الحق من نور باطنى ... فأصبح قلبى للحبيب مصافيا
قدمت على وصف وصفت لسيدى ... وهل ينعت العبد الضعيف مواليا

فقلت: يا جارية أراك للمحبة تذكرين وللوجد تظهرين فلمن تحبين فقالت لمن تعرف إلينا بآلائه وتحبب إلينا بنعمائه وجاد علينا بجزيل عطائه فهو قريب إلى القلوب مفرج الكروب حليم على من عصاه قال فقلت لها من حبسك فى هذا المكان فقالت حاسدون مبغضون تعاونوا على ورمونى بالجنون وهم أحق بهذا الاسم منى ثم أنشدت تقول:

يا من رأى وحشتى فآنسنى	بالقرب من وصله فأنعشنى
يا ساكنى لا خلوت من سكنى	دهرى ويا عدتى على الزمن
أوحشنى ما فقدت منه	فقد عاد بإحسانه يقربنى
وعاد أيضا وجاد متعطفا	كذا مذ كنت حين عودنى
حسبى من الكون من شغفت به	أصحبه مؤنسا ويصحبنى
وكنت فى غفلة فنبهنى	وكنت فى رقدة فأيقظنى

فقلت لها: ما الاسم فقالت دع الاسم عنك يكفيك فما سمعت يغنيك فبينما نحن كذلك إذا أقبل إليها سيدها فقال الموكل بها أين تحفة فقال قد دخل عندها الشيخ السرى فكلمها بكلام أصغت إليه فدخل سيدها فرأى السرى عندها فعظمه وقبل يديه وقال يا سيدى: لقد رحمت ببركتك فقال له السرى أى شىء أنكرته منها فقال يا سيدى هذه جارية تضرب بالعود فأعجبتنى فاشتريتها بجميع مالى وهو عشرون ألف درهم لفرط حسنها وحسن ضربها بالعود وأملت أنى رابح فيها مثل ثمنها فدخلت عليها فى بعض الأيام والعود فى حجرها وهى تغنى وتنشد وتقول:

وحقك لا نقضت الدهر عهدا	ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحى والقلب وجدا	فكيف أقر أو أسلو وأهدا
فيا من ليس لى مولى سواه	تراك رضيتنى فى الناس عبدا

فلما فرغت من غنائها بكت طويلا وضربت العود فى الأرض فكسرته وجعلت تهيم وتصيح وهى ذاهلة العقل فاتهمتها بمحبة المخلوق ثم كشفت عن حالها فما أجد لذلك أثرا فقال لها السرى يا جارية أهكذا جرى فأنشأت تقول:

خاطبنى الحق من جنانى	فكان وعظى على لسانى
قربنى منه بعد بُعْد	وخصنى منه واصطفانى
أجبت لما دعيت طوعاً	ملبيا للذى دعانى
وخفت مما جنيت قدما	فوقع الحب بالأمانى

قال السرى لسيدها: أطلقها وعلى ثمنها أنا أزنه لك فصاح سيدها وافقراه من أين لك هذا الجارية فقلت لا تعجل تكون فى هذا المكان حتى أزن لك ثمنها قال السرى فمضيت إلى منزلى وبت ليلتى أتضرع إلى الله عز وجل وأتوجه إليه وأتوكل فى قضاء حاجتى عليه فلما كان وقت السحر وإذا بقارع يقرع الباب فقلت من بالباب فقال حبيب من الأحباب جاء فى سبب من الأسباب من عند الملك الوهاب ففتحت له الباب فإذا هو شاب حسن الثياب نقى الأثواب ومعه خادم وشمعة وخمس بدر على رأس حماله فقلت من أنت يرحمك الله فقال أنا أحمد بن المثنى قد أعطانى الجبار من الأموال ما يعجز عن حمله الرجال فبينما أنا نائم إذ هتف بى هاتف من قبل الحق تعالى فقال لى يا أحمد هل لك فى معاملتنا فقلت وقد زال النوم عنى ومن أولى بذلك منى فقال احمل إلى الشيخ السرى خمس بدر يعطيها لمولى تحفة ليفك أسرها من الرق وتحظى منا بالعتق فلنا بها عناية ولطف ورعاية فحملت إليك المال وأطلعتك على الحال قال السرى فسجدت شكراً لله عز وجل فلما صلينا الصبح وأضاء النهار أخذت بيد أحمد ومضينا إلى البيمارستان وإذا الموكل بها يلتفت يمينًا وشمالا فلما رآنى قال مرحباً بك ادخل فإنها عليك لهفانة ولها عند الله حرمة ومكانة فإنه البارحة أتانى هاتف وقال:

انها منى ببـــال	ليس تخلو من نوال
قربت ثم تسامت	وعلت فى كل حال

فانتبهت وحفظت ما قال لها الهاتف وكررته حتى رأيتكم قال فدخلنا عليها فسمعناها تنشد وتقول:

قد تصبرت إلى أن عيل فى حبك	صبرى قد كتمت الوجد لكن
ليس يخفى عنك أمرى ضاق من قيد	وغلى وامتهانى فيك صدرى
إن تكن عنى راض لا أبالى	طول دهرى أنت لى خير أنيس
يا منى سؤلى وزخرى من ترى	يعتق رقى ويفك اليوم أسرى
ليس غيرك اللهم ربى	أنت لى كاشف ضرى

قال السرى: فبينما هى تنشد إذ أقبل مولاها وهو يبكى وينتحب فقلت له لا بأس عليك قد أتيناك بمالك الذى وزنته فى الجارية وتربح خمسة آلاف درهم فقال لا والله فقلت تربح عشرة فقال لا والله فقلت تربح المثل فقال لا والله ولو أعطيتنى

الدنيا بما فيها لما قبلت منها شيئاً هى حرة لوجه الله تعالى فقلت له أخبرنى ما الخبر فقال يا أستاذ أتانى آت البارحة فى المنام فوبخنى فى الملام وأغلظ على فى الكلام وقال تهين ولية الله يا عدو الله فانتبهت مرعوبا مذعورا قد هانت على الدنيا وخرجت عن جميع ما أملكه وأنا هارب إلى ربى ثم بكى وخرج علىَّ وجهه هائما قال السرى فالتفت إلى ابن المثنى فرأيته يبكى فقلت له ما يبكيك فقال ما رضينى مولاى لما ندبنى إليه ولا وجدت لمالى قبولا بين يديه أشهدك أنى قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله البديع وجلاله الرفيع ثم قامت تحفة فنزعت ما عليها ولبست جبة صوف وخماراً من شعر وخرجت هائمة على وجهها فخرجنا معها وهى تنشد وتقول:

هربت منه إليــه	بكيت منه عليه
وحقه وهو مولى	لا زلت بين يديه
حتى أنال وأحظى	ما أرتجيه لديــــه

فما زلنا نتبعها حتى خرجت إلى ظاهر المدينة وهى تنشد وتقول:

يا سـرور السرور أنـت سرورى	يا حـياة النـفوس أنت حـبورى
أنـت نارى وجـنتـى ونعـيمـى	وأنـيـســى وأنـت نـور الـنـور
كم نرى بصير المحب على البعد	وكم يلـبث الهوى فـى الصدور

قال السرى: ثم مضت حتى غابت عنا ثم أتى مولاها وصحبنى كذلك ابن المثنى برهة من الزمان إلى أن توفـى سيدها وقضى نحبه وبقيت أنا وابن المثـنى فعزمنا على الحج إلى بـيت الله الحرام فبـينما نحن نطـوف بالكعبـة وإذا بصوت مقروح مـن كبد مجروح وهو ينشد ويقول:

قـد تـهـتـكـت بـحـبـك	كـيف لـى مـنـك بقـربـك
فـتـــرفـــق بـــفــــؤاد	يـشـــتـكـى شـدة بـــعــدك
خـبـت يـــا نـفـــس إذا	آخـــذك الله بـــذنـــبـــك
فـسـلـى العـفـو جـهـاراً	والـرضـا مـن عـنـد ربـك

قال السرى: فاتـبعت الصوت فإذا امرأة كالخيـال ذاهلة العقل والبال فـلما رأتنى قالت السلام علـيك يا سرى قلت وعليك السلام من أنـت فقالت لا إله إلا الله وقع التناكـر بعد المعرفة أنت إلـى الآن محجوب وقلبك غيـر مسلوب ثم قالت إنـها تحفة

فقلت لها ما الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت:

أفادنى كـل المنـى ... وخص قلبى بالغنى
وقد أزال سيـدى ... عن باطنى ثقل العنا
إن لم يداركنى بما ... أرجو وإلا من أنـا

فلما فرغـت من إنشادها بكت وانتـحبت وهاجت واضطربت ثـم رفعت رأسها وقالت سيدى ومولاى فاز أهل التقى ونجا من اتقى وخاب من كان حظه الطرد والشقا فأسألك يـا سيدى إلا ما قربت الوصـل واللقا فقد تولـهت عليك فخذنـى إليك فلا حاجة لى فى البقائم صرخت ووقعت على الأرض فحـركتها فإذا هى ميتة فنظر إليها أحمد بن المثنى فطار قلبه وحار لبه ثم بكى وانتحب واهتز واضطرب وصعد الزفرات وأظهر الحسـرات ثم صرخ ووقع على الأرض فحـركته فإذا به قد مـات قال السرى: فجهزتهما وصليت عليهما ودفنتهـما ورجعت وقد عجبت من حالهما وقرب آجالهما رحمة الله عليهما.

لله رجـال قـد صـبـروا ... وبـسعـدهـم سبق الـقـدر
قـامـوا لله بـأمـر الله ... ولـولا الله لمـا قـدروا
كـسروا بـالذل نـفـوسـهـم ... جـبـروا والله ومـا كـسـروا
بـحـديـثـهـم وبـذكـرهـم ... المـسك يـفوح ويـنـتـشـر
وبـقاع الأرض لـفـقـدهمـوا ... تـبكـى فـيرق لـهـا الحجـر
نـاحوا أسـفا صـاحوا لـهفـا ... بـاحوا وبـحبـهم اشـتـهـروا
رفعوا قـصصا وشكوا غـصصا ... ورسول الـقوم بهـا السـحرا
لـو تـسـمـع فرط أنـيـنـهـم ... فـى لـيـلـهـم لمـا اعـتـذروا
صـدقـوا والله بمـا وعـدوا ... ووفـوا والله بمـا نـذروا
جـادوا بـالـروح فمـا أبـقـوا ... وكـذا بـالمـال فـلـم يـذروا
نـظروا ذهـلـوا ويـحق لـهـم ... مـن مثـلهـموا وبـه ظفـروا

فـلـله درهم من أقـوام امتثلـوا ما به أمروا ونـظروا إلى الوجـود بعين الاعتـبار وتفكروا فهم الذين بمحبوبهم اتصلوا وعلى مطلوبهم حصلوا.

عـلـى أبـوابـكـم عـبـد ذلـيـل ... قـلـيـل الـصـبر نـاصـره قـلـيـل
لـه أسـف عـلـى مـا كـان مـنـه ... وحـزن من صـدودكـمـو طويـل

يمد إليكموا كف افتقار | ودمع العين من أسف يسيل
يرى الأحباب وقد وردوا جميعا | وليس له إلى ورد سبيل
وكيف يضام جاركم وأنتم | كرام لا يضام لكم نزيل
فإن يرضيكمو طردى وبعدى | فصبرى فى محبتكم جميل
وحق ولائكم وشديد شوقى | سلواى عن هواكم مستحيل
قطعت بحبكم أيام عمرى | فلا أسلو وقد بقى القليل
يحدثنى الصبا عنكم حديثا | يصح بنشره الجسم العليل
فأسكر من شذاها حين هبت | وأنظر حيثما مالت أميل
ونروى عن شفيع الخلق طرا | حديثا فيه للمضنى دليل
هو المختار من كل البرايا | هو الهادى البشير هو الرسول
عليه من المهيمن كل وقت | صلاة دائما فيها القبول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المجلس الحادى والخمسون
فى ذكر مولد النبى ﷺ بأوسع ما تقدم

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود الموصوف بالكرم والفضل والجود والمنزه فى وحدانيته عن الأبناء والآباء والجدود المقدس فى ذاته عن الصاحبة والمصحوب والوالد والمولود العليم بأعداد الرمل والقطر وحباب السنبل والعنقود البصير بحركات الذر فى البحر والبر تحت ظلام حنادس الليالى السود الحكيم الذى فجر الأنهار من صم الجلمود وأخرج رطب الثمار من يابس العود لا تمثله الأفكار ولا تحويه الأقطار ولا ينهيه المقدار ولا تفنيه الأعصار ولا تدركه الأبصار وهو الواحد المعبود المعطى الذى لا مانع لما أعطى ولا دفع لما قضى الكريم الذى جاد بعده بجزيل رفده وثوابه وكم رآه عن بابه معرضا الحليم الذى يستر العاصى برحمته وقد رآه لمعصيته متعرضا الغفار الذى يغفر الذنوب ويستر العيوب ويعفو عما مضى القهار الذى قهر الجبابرة وكسر الأكاسرة وضرب بسهم بعاده من سل سيف عناده وانتضى حير الأفكار فى مدارك سبحات جلاله العظيم وأذهل العقول عن الوصول إلى أصول كنه جلاله القديم وأخرس الألسن عن عبارات إشارات سر أفعاله بعد الفصاحة

والتكليم وأدهش الخواطر عن الإحاطة به فلا يـرام بالتوهيم فهو القديم الماجد الكريم الواحد المـنزه عن الولـد والوالد المقـدس عن المشارك والمساعد المتـعالى عن المـشابه والمماثل والمضاد والمعاند المشكور على جميع النعم المحمود بجميع المحامد الذى أسبل ستره الجميل على عبده الذليل العاصى وهو نـاظر إليه ومشاهد فهو المعروف بالربوبية الموصوف بالإلهيـة المنفرد بحقيقة الوحدانـية تنزه عن الأوهام الخيالية وتـعزز فى بقائه عن الفناء والمثلية عـالم بكل خفية وجلية يقبل التائب ويـحب الآيب وليس على بابه بواب ولا حاجب مـن أعرض عمن سواه رفعـه ورقاه إلى أرفع المراتب يـزيل الضرر ويتجلى فـى وقت السحر وينادى هل من مسـتغفر هل من تائب ويسـتعرض حوائج السائلين ويجود على التائبين بخلع الجود والمواهب.

إلـه جـل عـن شـبـه ومـثـل	وعن نـد يعـود وعن مـصاحـب
تـفرد فـى عـلاه فـلا شريـك	يـنـازعـه علـيـه ولا مـحـارب
تحجـب حيث شـاء فلا يـدانى	وجلـى عن المـماثـل والمنـاسب
تجلـى للقـلوب فلـيس يخـفى	وهل يخفى الحبيب على الحبايب

فسبـحانه من إلـه شهدت بوحدانـيته السـموات وما فيهـا من العجـائب وأقرت بربوبيتـه الأرضون فى مشارقها والمغارب واصطـفى محمداً ﷺ نبيه المبـعوث بالدين الواصب الموصوف بأحسن الأوصاف وأجل المـناقب الذى شرف الله به الوجود وكمل به السعـود وبلغه أسنى المراتـب أوجده فى مثل هذا الـشهر الشريف وأخرجـه مطهراً سالماً مـن جميع المعايـب خمدت لولادته النـيران وخرت لمبعثـه الأوثان وارتج إيوان كسرى ورمى بـالمحن والمصائب ومنـعت الشياطين مـن الصعود إلى السـماء وصمت آذانهم عن خطاب العلا**﴿لايسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب* دحوراً ولهم عـذاب واصب﴾** فهو الـنبى الكريم والـرسول العظيـم المنزل عليـه فى الآيات والذكر الحكيم **﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾** نبى استخرجه الله من عنصر لؤى بن غالب وفضله على أهل المشارق والمغارب سمعه يسمع صرير القلم بصره إلى السبع الطباق ثاقـب لسانه ما نطق بالهوى ولا تحدث قط بحديـث كاذب يداه بركاتها فى المطاعم والمـشارب قلبه لا يغفل ولا يـنام ولكن الخدمة على الـدوام مراقب قدمه قبلهـا البعير فزال منـه ما شكاه من المخاوف والمعاطـب آمن به الضب وسلمـت عليه الأشجار وخاطبته الأحجار وحن إليه الجذع حنين حزين نادب.

حداة العيس رفقا بالنجائب | فقلبي سار في أثر الركائب
وجسمي ذاب من سقم ووجد | ومن شوق إلى لقيا الحبايب
فهل لي من سبيل للتلاقي | فدمعي قد غدا مثل السحائب
لئن سمح الزمان بطيب وصل | وبلغت المقاصد والمآرب
لالتثمن ذاك الترب جهرا | وأرويه بأدمعي السواكب
وأحظى بالعقيق وساكنيه | ومن قد حل في تلك المضارب
قباب قد حوت بدرا منيرا | إذا ما مابس في تلك الذوائب
تخر له بدور الحسن طوعا | سجود في المشارق والمغارب
فقل ما شئت عمن ليس تحصى | فضائله بحصر أو بكاتب
فمن ذا يستطيع له انحصار | أيحصى القطر أو رمل الكثائب
عليه من المهيمن كل وقت | صلاة ما بدا نور الكواكب
وخص الآل والأصحاب جهرا | جميعهم وعترته الأطايب

(روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**» وذكر أبو محمد المكى وأبو الليث السمرقندى رحمهما الله أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة قال اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى وتقبل توبتى فقال له الحق جل جلاله من أين عرفت محمدا قال إلهى لما خلقتنى ورفعت رأسى إلى عرشك فإذا عليه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا منه عندك فتوسلت إليك به فلما دنا آدم تاب الله عليه وغفر له ببركة نبيه محمد ﷺ.

دمعى على وجنتى من أجلكم يسفح | وناظرى لسواكم قط ما يطمح
إن كنت أذنبت من لى غيركم يصفح | فالصلح عند اللقا بعد الجفا أصلح

ثم إن الله تعالى أودع نور محمد ﷺ فى ظهر آدم وأسكنه جنته وسجد له ملائكته ثم عرفه قدر ما أودعه من السر ثم قال له يا آدم تطهر وسبح وقدس واغش زوجتك على طهارة منك ومنها فإنى مخرج منكما نورى ففعل آدم ما أمره به ربه فنقل الله نور محمد ﷺ إلى حواء وكان ذلك ليلة الجمعة لاثنتى عشرة ليلة من رجب فكان يرى فى وجه حواء دارة كدارة الشمس فلما وضعت شيثا عليه السلام انتقل النور إلى جبينه فلما كبر وأخذ حد الرجال أخذ عليه آدم العهد والميثاق ألا يضع هذا السر إلا فى المطهرات من النساء ليصل إلى المطهرين من الرجال فما زالت تلك

الأنوار تنتقل من أصلاب الأخيار إلى المحصنات من النساء الأطهار وتدنو وتقترب إلى أن وصلت إلى عبد الله بن عبد المطلب.

ما زال نـور محمد متنـقلا	فى الطيبين الطاهرين ذوى العلا
حتى لعبد الله جاء مطهرا	وبـوجـــه آمنـة بـــدا متهلــــلا

ولما انتقل النور إلى آمنة أمنت به من المخاوف الكامنة ظهرت لانتقال نوره الآيات تباشرت بقدومه جميع المخلوقات نـودى فى جميع أقطار الأرض والسموات يا عرش تبرقع بالوقار يا كرسى تذرع بالفخار يا سدرة المنتهى ابتهجى ويا أنوار المهابة تبلجى يا جنان تـزخرفى يا حور من المـقصورات أشرفى يـا معشر الملائكة تمنطقى واصـطفى وبالعرش حفـى يا رضوان افتح أبواب الجنان يـا مالك اغلق أبواب النيـران فإن النور المخزون والسر المكنـون الذى هو فى خزائن قدرتى من الأزل فى هذه اللـيلة إلى بطن آمنة قد انتقل ظهر عند ذلك صفاء يقينها وانطوت الأحشاء على جنينها فأول شهر من شهور حملهـا تزلزل قصر كسرى الشهر الـثانى امتلأت الأكوان بالبشر الـشهر الثالث غاضت بحيـرة ساوة الشهر الرابع انقطـع وادى سماوة الشهر الخامس وطـفت بحيرة طبرية الشهر السـادس مات أبوه عبد الله للأسرار الخفية الشهر السـابع خمدت النيران الشهـر الثامن انشق الإيـوان وذل كسرى وهان الشهـر التاسع سقط عـن رأس كسرى التاج وعظم كربه وهاج فسأل عن ذلك الكهان والرهبان فقيل له قد آن مولد سيد ولد عدنان وهو نـبى آخر الزمان المبـعوث بالدليل والبـرهان المنعوت فى الـتوراة والإنجيل والزبور والفرقان الذى يظهر دينه على سائر الأديان.

شهـر ربيـع فاق كـل الزمـان	إذ جاءنا فيــه الهدى والأمان
لأن فـيه مـولـد المـصطـفـى	المجتبى الهادى لـطرق البيان
محـمد المـبعـوث من هـاشم	إلى جميع الخلق إنس وجان
صـلى عـليـه الله رب العـلا	ما سار ركب منه يطلب أمان

قال ابن أبـى زيد: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثـنين لاثنتى عـشرة ليلة مـن ربيع الأول عام الفيل فـابتهجت الأكوان لقدوم هذا النـبى الجليل ففى أول ليلـةحصل منه لآمنة السرور والهنا وفى اللـيلة الثانية بشرت بنيل المنى وفى الليلـة الثالثة قيل لها قد حملت بمن يقوم بحمدنا وبشكرنا وفى الليلة الرابعة سمعت تسبيح الملائكة معلنا وفى الليلة الخامسة رأت فى منامها الخليل وقال لـها أبشرى بهذا النبى الجليل صاحب النور

والسنا وفى الليلة السادسة دام السرور والفرح وما فتر ولا ونى وفى الليلة السابعة سطح نور الرضا وعم ذلك الفضا وفى الليلة الثامنة طافت الملائكة ببيت آمنة لما قرب وضعها ودنا وفى الليلة التاسعة بدا سعدها والغنى والسنا وفى الليلة العاشرة زال عنها التعب والنصب والعنا وفى الليلة الحادية عشرة وضعت الحبيب المصطفى فأشرق البيت وصفا وزال عنها الشك وانتفى وابتهجت المروة والصفا وخر عند وضعها ساجدا للعلى الأعلى رافعا أصبعه إلى السماء كالمتضرع المبتهل لمولاه وفاح فى الكون عطره وشذاه ضجت الملائكة بالتكبير والتهليل وأشرق الكون بنور وجهه الجليل قالت آمنة ورأيت سحابة بيضاء قد نزلت من السماء فغيبته عنى وسمعت قائلا يقول طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها ومروا به على أهل البحار كلها وعلى الوحوش فى فلواتها والجن فى خلواتها وأعرضوه على كل روحانى ليعرفوه باسمه وصفته وطوفوا به على موالد الأنبياء لتعمهم آثار بركته قالت آمنة ثم انجلت عنه السحابة فإذا هو مدرج فى ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء تسارع إلى خدمته ثلاثة أنفس مع أحدهم ذهب أحمر ومع الثانى إبريق من الجوهر ومع الثالث منديل من سندس أخضر فغسلوا وجه الحبيب بماء الإبريق وأخرجوا من المنديل خاتم التصديق ختموا به على ظهر النبى الشفيق فتم بذلك سعده والتوفيق وقائل يقول خذوه عن أعين الناظرين وأعطوه صفوة آدم ومعرفة شيث ورقة نوح وخلة إبراهيم واستسلام إسماعيل وصبر أيوب وعلم يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وأمر سليمان وحكمة لقمان وقوة موسى وزهد يحيى وبشر عيسى واغمروه فى أخلاق النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين فسبحان من جعل هذا النبى الكريم سلطان الأنبياء ونشر له ذكرا ورفع له قدرا خمدت لولادته النيران وأضاءت قصور بصرى وخرت الأصنام والأوثان وارتج إيوان كسرى فهو صاحب الشفاعة الكبرى وبه شرف الله الوجود وجعله رحمة لكل موجود دنيا وأخرى.

لشهر ربيع آية لم تزل كبرى ... به أطلع الرحمن فى ليله بدرا
تبدى ونور الحسن فوق جبينه ... فنور منه الأرض والسهل والوعرا
وأظهر جبريل البشارة معلنا ... يقول لأهل الأرض جاءتكم البشرى
وقد وضعته أمه وهو ساجد ... وقد ملأ الأكوان من نشره عطرا
فكم ملك من حول منزل أمه ... يعظمه سرآ ويشكره جهرا
وطاف به جبريل شرقا ومغربا ... فحير فيه العقل والذهن والفكرا

وزفوه والأملاك قد أحدقت به ... ملؤوا براً كما ملؤوا بحرا
فيا ليت كل الدهر عندي مولد ... لخير الورى والخلق أجمعهم طرا

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس وأحلم الناس وأزهد الناس وأنصح الناس وأكثر الناس تواضعا وأصحهم إيماناً وأكثرهم إنصافا وأوسعهم صدرا يشكر يسيرا ويرحم أسيرا ويوقر كبيرا ويبدى بشرا وسرورا ويصوم هجيرا ويقوم ديجورا وناداه العلى الأعلى ﴿يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيرا* وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾.

أهدى النسيم إلى الوجود عبيرا ... لما أتانا بالنذير بشيرا
وافى بمولد أحمد الهادى الذى ... أهدى إلينا فرحة وسرورا
لما بدى وجه النبى تهللت ... كل البقاع وقد نطق شكورا
وانشق إيوان وفاضت ساوة ... وانكف كسرى فى الأنام كسيرا
وتساقط الأصنام عند ولاده ... وتصاعد الكهان منه زفيرا
خمدت له نار المجوس وتذللا ... وغدا به صوت الغمام مطيرا
كم آية فى حمله ظهرت فما ... تخفى وزادت الزمان ظهورا
ورأته آمنة يسبح ساجدا ... عند الولاد إلى السماء مشيرا
قالت رأيت عجائبا فى وضعه ... يظل فيها ذو الحساب حسيرا
آيات أحمد لا تحد لواصف ... ولو أنه أملى وعاش دهورا
بشراكموا يا أمة المختار فى ... يوم القيامة جنة وحريرا
فضلتموا حقا بأشرف مرسل ... خير البرية باديا وحضورا
صلى عليه الله ربى دائما ... ما دامت الدنيا وزاد كثيرا

(إخوانى) لما ولد المصطفى راق العيش وصفا وزهق الباطل واختفى وظهر مصباح الإيمان وما انطفا وهب نسيم مولده فى جميع الأقطار فاكتسب من نوره عزا وشرفا فلما هب بأرض فارس أطفا النيران فأول من نشقه سلمان فجاء مسرعا إلى الإيمان يقطع المراحل والكثبان حتى فاز برؤية سيد الأكوان وأقر بالوحدانية للرحمن وأدرك من المختار ما تمنى وما خاب سعيه ولا تعنى وفاز من المصطفى بقوله ﷺ: «سلمان منا»:

سواك في الكون لا يسمى ولا يكنى | لما تجلى لقلبى حسنك الأسنى
من هند من دعد من علوى ومن لبنى | الكل عندك رووا يا كامل المعنى

ولما هب ذلك النسيم بأرض الروم نشقه المزكوم ورحم به المرجوم فأول من نشقه بلا شك ولا ريب سيد أهل الروم صهيب فجاء منقاد الزمام إلى الإسلام وفاز برؤية خير الأنام ونال بصحبته كل القصد والمرام ما أومض بارق وفاح خزام إلا وهاج إلى الحب غرام.

يا نسمة حيهم خذ لى خبرا | قالت لى قد أتيت منهم بسلام

ولما هب ذلك النسيم بأرض اليمن أول من نشقه أويس القرنى فى السر والعلن فبذل نفسه للمصطفى من غير ثمن وآمن به على بعد الوطن وأثنى عليه الرسول المؤتمن بقوله عليه السلام: **«إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن»** وما كفاه هذا الوصف الحسن حتى خرج له المنشور ببلوغ الوطر بقول المصطفى سيد البشر لعمر رضى الله عنه: **«يا عمر إذا رأيت أويساً فسلم عليه واطلب منه أن يستغفر لك فإنه يشفع فى مثل ربيعة ومضر»**.

هذه نسمة حب من | سحيق المنسك أعطرا
ما لمزكوم هواها | من شذاها قط محير
أنا مجنون هواه | واله فيه محير
أنا عبد الحبيب | هو العبد محير
دائما أرجو لقاه فعسى | بالوصل أظفر
هكذا قد قال حقا | سيد الكون وبشر
كل من يهوى حبيباً | فمع المحبوب يحشر

ولما ذهب النسيم على بلاد الحبشة وجال فأول من نشقه بلال فجذبته عناية التوفيق بالتصديق إلى الإيمان فأعلن بالأذان وصار شاويشا لدين الإسلام ونشر للمصطفى الرايات والأعلام فخصه النبى التهامى بالمدح السامى بأن قال: **«يا بلال أنت تنشر بالذكر أعلامى وترفع به قدرى ومقامى فلأجل ذلك ما دخلت الجنة إلا وسمعت خشخشتك قدامى»**.

عبد دعاه لقربه مولاه | جهراً فباح بسر ما أولاه
لا غرو إن خلع العذار ممزقا | أطماره فرحا بما آتاه
إن المحب إذا دعى لوصال من | يهوى ويأبى كذبت دعواه
قف وقفة العبد الذليل عساه أن | يرضى ويرفع حجبه لتراه

وإذا سئلت وقيل من هذا الذى	يشكو على أبوابنا بلواه
فقل الفقير المستجير بعفوكم	يرجو رضاكم كى ينال مناه

(إخوانى) سبقت العناية للعبد الحبشى وغلبت الشقاوة على العم القرشى استنشق صهيب الروم ريح المعرفة فرحا سائحا فى القفار وهائما بحب المختار وهبت نسمات القبول والإيمان على سلمان فهجر الأهل والأوطان وجاء من فارس لرؤية سيد الأكوان وسبق لأويس وصفه الحسن بقول الصادق المؤتمن: «**إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن**» وينشد مفرد.

ذم المنازل بعد منزلة اللوى	والعيش بعد أولئك الأقوام

ولما مر باليمن ذاك النسيم الغامر نشقه عامر فاهتدى إلى الإسلام بعد عبادة الأصنام وفاز بتقبيل أقدام سيد الأنام ومات على محبته موت الكرام وقصته تحير العقول والأفهام وذلك أن عامرا كان يعبد صنما من الأصنام وكان له ابنة مبتلاة بالفالج والجذام وكانت مقعدة لا تستطيع النهوض ولا القيام وكان عامر ينصب الصنم ويضع ابنته أمامه ويقول له هذه ابنتى سقيمة فداوها وإن كان عندك لها شفاء فاشفها من بلائها وعافها وأقام على ذلك سنين وهو لا يطلب لها من الصنم حاجة فيقضيها فلما هبت عليه نسمات العناية بالتوفيق والهداية قال لزوجته إلى متى نعبد هذا الحجر الأصم الأبكم الذى لا ينطق ولا يتكلم وما أظنه على دين أقوم فقالت زوجته اسلك بنا سبيلا عسى نرى إلى الحق دليلا فلابد لهذه المغارب والمشارق من إله خالق فبينما هو على سطح داره معتكف على صنم اعتراه إذ شاهد نورًا قد طبق الآفاق وملأ الوجود بالضياء والإشراق ثم كشف الله عن عين بصيرته لينتبه من نوم غفلته فرأى الملائكة قد اصطفت وبالبيت قد حفت ورأى الجبال ساجدة والأرض هامدة والأشجار قد تمايلت والأفراح قد تكاملت وسمع مناديا ينادى قد ولد النبى الهادى ثم أتى إلى الصنم فإذا هو منكوس وقد علته الذلة ووافت إليه العكوس فقال لزوجته ما الخبر ثم حدق إلى الصنم بالنظر فسمعه يقول ألا إن النبأ لعظيم قد ظهر وولد من تشرف به الكون وافتخر وهو النبى المنتظر الذى يخاطبه الحجر والشجر وينشق له القمر وهو سيد ربيعة ومضر فقال لزوجته أتسمعين ما يقول هذا الحجر فقال سله ما اسم هذا المولود الذى شرف الله به الوجود فقال أيها الهاتف المتكلم على لسان هذا الحجر الجلمود بالذى أنطقك كما أنطق الجلود فى اليوم المشهود ما اسم هذا المولود فقال

اسمه محمد المصطفى ابن زمزم والصفا أرضه تهـامة بين كتفيه علامة تظله من الهجير غمامة فقال لزوجته اخرجى فى طلبه لنهتدى إلى الحق بسببه وكانت ابنته السقيمة فى أسفل داره مقيمـة فلم يشعر إلا وهى معهما عـلى سطح الدار قائمة فقال لـها يا بنية وأين الملـك الذى كنت تجـدينه وسـقمك الذى كـنت تكـابدينـه وسهرك الذى كـنت تواصلينه فقالت يا أبت بينما أنا قـائمة فى طيب أحلامى إذ رأيت نور أمامى وشخصا قد أتانى فقلت ما هذا النور الذى أراه والشـخص الذى أشرف على نوره وسناه فقيل لى هذا نور سيد ولد عدنان الذى تعطرت بمولده الأكوان قلت أخبرنى عن اسمه فقال اسمه محمد وأحمد يرحم العانى ويعفو عـن الجانى فقلت فما دينه قال حنيف ربانى قلت فما نسـبه قال قرشى عدنانى قلت فمـن يعبد قال المهيمن الوحـدانى قلت فمن أنت أيها المخاطب الروحانى قال أنا من الملائكة الـذين بشروا بجماله الدانى قلت فما تشاهد ما أنا فيه مـن الألم وترانى قال توسلى بجاهه فقد قال ربـه القريب الدانى قد أودعته سـرى وبرهانى فلأحيـين به من دعانى ولأشفـعنه يوم القـيامة فيمن عـصانى فمددت يدى وبـنانى ودعوت الله بجاهه كمـا بصرنى وهدانى ثم مررت بـيدى على جسدى وجثمانى فاستيقظت وأنا صحيحة كما ترانى[1]:

لـما دعـوت بـجاهـه رب الـعـلا	سـمـع الدعـاء مـنـى وشفـانـى
وعلـمت أنـى قد شفـيت بـنوره	لـمـا تـبـدى سـيـد الأكـوان
وبـجاهـه قـد زال عـنى كـل مـا	أشـكـوه مـن ألـم ومـن أحـزان

فقال عامر لزوجته إن لـهذا المولود أسرار ونبأ ولقد سمعنا ورأينـا من آياته عجبا فلأقطعن فى محبته أودية وربا ولأجدن فى رؤيتـه طلبا فساروا مجدين ولمكة قاصدين إلى أن وصلوا إليها وقدمـوا عليها ثم سألوا عن دار آمنة فطرقوا عـليها الباب فبادرت بالجواب فقالوا لها أرينا هذا المـولود الذى نور الله به الوجود وشرف به الآباء والجدود فقالت لن أخرجه لكم فإنى أخاف عليه من اليـهود فقالوا نحن فارقنا فى حبه أوطاننا وتركنا أدياننا وأتعبنا أبداننا لنرى جـمال هذا الحبيب الذى من قصده لا يخيب فقالت إذا كان ولابد مـن رؤياه فامهلوا واصـبروا ولا تعجلوا ثـم غابت ساعة وقالـت لهم ادخلوا فلمـا دخلوا وفى البيت حصلـوا رأوا أنوار الحبيب فذهلوا وكبـروا وهللوا ثم كشف عن وجهـه الغطاء فأشرف نور ضيـائه وأضاء وطلع عمود نور مـن وجهه إلى

(١) حوادث ولادته ﷺ لم تثبت بطريق صحيح.

السماء فصاحوا وشهقوا وكادوا أن يصعقوا ثم قبلوا أقدامه وأكبوا عليه وأسلموا على يديه ثم قالت لهم أسرعوا فإن جده عبد المطلب قلدنى الأمانة أن أخفيه عن الناس وأكتم شأنه فخرجوا من عند الحبيب وفى قلوبهم من الشوق نار ولهيب ثم وضع عامر يده على قلبه وقد غاب عن عقله ولبه ثم صاح وقال دونى إلى بيت آمنة واسألوها أن ترينى جمالة ثانية فرجعوا إلى المنزل فلما رآه بادر إليه وأكب على قدميه ثم شهق شهقة ومات فى شهقته وعجل الله بروحه إلى جنته هذه والله أحوال المحبين العاشقين وصفات الصادقين فيا أيها اللبيب اسمع صفات هذا الحبيب الذى قد ملأ الكون عزا وجمالا وأضحى نوره فى الآفاق يتلألأ وكساه الإله من ملابس فضله هيبة وجلالا وخفف عن آمنة ببركته من الكروب أثقالا وعطر بمولده الأقطار فتعطرت يمينا وشمالا

يا مولد المصطفى حزت إقبالا	بذكره يبلغ المشتاق آمالا
يا مدعى الحب فيه وهو ذو وله	وفى هواه جفا أهلا وأطلالا
مت فى محبته إن كنت تعشقه	موله القلب مشتاقا والآلا
فالنوق تعشقه وجدا وتقصده	شوقا وتطلب من نعماه أفضالا
أما تراها إذا لاحت قباب قبا	تحط عنها حداة العيش أثقالا
بحقه يا إلهى جد لنا كرما	بالعفو والصفح إكراما وإجلالا
فقد لجأنا إلى باب الكريم	ومن يلجأ إليه يرى رحبا وإقبالا
هو النبى الذى أضاء الوجود به	وفيه خالفت لواما وعذالا
صلى عليه إله العرش ثم على	أهليه والصحب آبادا وآزالا

ثم إن آمنة حصل على أثر النفاس ضعف وألم شغلها عن رضاع هذا النبى المحتشم فسأل رضاعه الوحش والطير والريح كل يقول رب دعنى أرضع صفوتك من خلقك وأكرم خلقك عليك وقالت الملائكة ربنا أنت تعلم أننا نحبه فمرنا بتربيته لنتشرف بنور طلعته ونحظى ببركته فقال الله تعالى أنا قادر على أن أربيه من غير رضاع ولا سبب ولكن سبقت كلمتى وتمت حكمتى وكتبت على نفسى أنى إذا أعطيت أحدا شيئا فلا أعود فيه وقد كتبت فى الأزل من الحكمة القديمة إنه لا يرضع هذه الدرة اليتيمة والنفس الكريمة غير حليمة الحكيمة وكانت حليمة فى بلدها مقيمة ولسان القدر يناجيها فى ناديها وقد حدا بسعدها حاديها.

سيرى حليمة ورضعى هذا المفدى هذا الذى فى حسنه ما زال فردا
هذا الذى لولاه ما عشق الحمى كلا ولا كان السرور إليه يهدى
هذا الذى فى الحسن أضحى مفردا ولا قطعنا فى السرى عنقا ووجدا
هذا الذى لولاه ما كان النقا يهوى ولا كان المحب وجدا
وإذا تبدى يا حليمة فابشرى بالقرب لا تلقين بعد اليوم صدا
فلك الهنا برضاعه فهو الذى عن وجهه قمر الملاحة ما تعدا
وإذا رأيت شمس طلعة وجهه ورأيت خد قد حكى خزا ووردا
ورأيت ثغرا باللجين مرصعا ورأيت معنى من معانى الحسن فردا
قولى لبعلك لا تخف هذا الذى تلقى فى كل ما تبغيه قصدا

وكان من عادة أهل مكة أن يخرجوا بالأطفال إلى المراضع قالت حليمة فأصابتنا سنة لم يأت الغيث فيها ولم تنبت الأرض شيئا فجئنا فى أربعين امرأة نلتمس الرضاع ليواسونا بالرفد فدخلنا مكة وأتى أهل مكة أولادهم عند الكعبة فوقف كل والد إلى جانب ابنه فتقدمت كل امرأة فأخذت مولوداً فنظرت أنا فلم أر بقى غيره مولودا وليس إلى جانبه أحدا فسألت عن أبيه فقيل لى إنه يتيم مات أبوه وأمه حامل به وهى الآن ضعيفة فقلت لبعلى لم يبق إلا هذا المولود فهو يتيم لا أب له فقال ويحك خذيه ولا نرجع خائبين فلعل الله تعالى أن يرزقنا بأجره وثوابه وكان الأمر كذلك قالت حليمة فأخذته وإنى لضعيفة على أثر نفاسى وليس فى ثديى قطرة لبن من الضعف والجوع قالت فلما حملته قوى ضعفى واشتدت قوتى ثم وضعت ثديى فى فيه فسال اللبن وتدفق فشرب حتى روى وسمعت قائلا يقول طوبى لك أيتها السعدية فهذا النسمة الهاشمية قالت ثم ركبت الدابة وكانت ضعيفة لا تستطيع المشى فجعلت تسبق الدواب فى القافلة فتعجب الناس من ذلك قالت وكنا إذا نزلنا به تحت شجرة يابسة اخضرت لوقتها وإذا جعلناه فى البيت المظلم أضاء وجهه كالمصباح حتى يغلب نوره نور السراج فقلت لبعلى أرأيت ما أرى فقال أو ما أخبرتك أنه نسمة مباركة قالت فلما وصلنا به إلى المنزل كان عندنا شياه عجاف فأخذنا يده ومررنا بها عليها فدرت لوقتها قالت وكثر الرزق والخير عندنا ببركته حتى حسدنا عليه جميع المراضع قالت وكنت إذا أعطيته ثديى أخذه وإذا أعطيته ثدى أخيه لم يأخذه فعلمت أنه منصف عادل قالت وانقطع عنا الغيث فقالوا يا حليمة إن هذا المولود الذى عندك على وجهه نور فلو أخذته معك حتى نستقى به الغيث لكان خيرا لنا قالت فأخرجته لهم فأخذوه وحملوه

على أيديهم وخرجوا إلى ظاهر البلد فدعوا به وإذا السحب قد جاءت بالغيث حتى خفنا الغرق قالت ولم يزل عندنا حتى قضيت رضاعه فعزمنا على الرحيل به إلى أمه فقال لى بعلى كيف نرده وقد وجدنا الخير والبركة على وجهه قالت فأتينا به إلى أمه فقلت لها إنا وجدنا الخير والبركة على وجه ولدك ونحن نسألك أن تدعيه لمناسبة أخرى فقالت خذاه فأخذناه وفرحنا به وكان يخرج هو وأخوه لرعى الأغنام فكان أخوه يقول لحليمة يا أماه إن أخى الحجازى إذا وقف بقدميه على الوادى اليابس يخضر لوقته وإذا جاء إلى البئر لسقى الأغنام يعلو الماء إلى فم البئر وإذا نام فى الشمس جاءت غمامة فظللته من حر الشمس وتأتى إليه الوحوش وهو نائم فتقبل أقدامه فقالت له توص بأخيك فلما كان فى بعض الأيام خرجا على عادتهما يلعبان فجاء أخوه وهو مصفر اللون وقال يا أماه أدركى أخى الحجازى فقد أصيب فقلنا وما شأنه قال بينما وأخى نلعب إذ جاءنا ثلاثة نفر كأن وجوههم القمر عليهم ثياب خضر معهم طشت وإبريق من الذهب والفضة فاختطفوه ثم أضجعوه وشقوا فؤاده فأدركاه قالت فقمنا إليه مسرعين فوجدناه سالما آمنا فرحا مسرورا ليس به ألم ولا بفؤاده أثر .

قال ابن عباس رضى الله عنهما: وكان الله سبحانه وتعالى قد بعث إليه جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام ومعهم طشت وإبريق وماء من الجنة وماء من الرحيق المختوم ومنديل من السندس الأخضر فأضجعه جبريل فشق صدره بأمر الملك الجليل وشق قلبه وأخرج علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان منك يا سيد المرسلين ثم صب عليه الماء وأتم غسله ثم أعاد فؤاده كما كان أول مرة فكان يرى أثر المخيط فى صدره حتى مات رسول الله ﷺ وهو أحد الأقوال فى قوله تعالى ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ ثم قال جبريل لميكائيل زنه بعشرة من أمته فوزنه فرجحهم ثم قال له زنه بعشرين فوزنه فرجحهم فقال له زنه بأهل الأرض كلهم فوزنه فرجحهم فهو بدر الكمال وتاج الجمال وواسطة العقد وهلال الشرف وتاج الكون فجميع الفضائل والمفاخر منسوبة إليه وهو المشفع غدا فيمن يصلى ويسلم عليه ﷺ.

هذا ربيع أتى بالبشر مبتسم	لأجل طه الذى بالله يعتصم
خير الأنام حبيب الله شافعنا	غيث وعون له الإحسان والكرم
فى يوم الإثنين أنوار الحبيب بدت	من مكة وانجلت حقا به الظلم
وأصبح الكون مسرورا ومبتهجا	والأرض تزهو به والبيت والحرم
تقول آمنة فى يوم مولده	جاء السرور لنا والفضل والنعم

سميت أحمد والبارى الكريم كذا سماه من قبل ما يجرى به القلم
فى لوح قدرته باسم الحبيب جرى محمد صفوة البارى له الذمم
وعند وضعى رأيت الطير عاكفة حولى وقد أقبلت للبيت تلتثم
وجاءنى طائر أرخى بأجنحة على فؤادى فزال السقم والألم
وما لقيت بحملى فيه من ألم مثل النساء التى أودى بها السقم
وخر فوق الثرى لله خالقه مثل اللبيب الذى للأجر يغتنم
أصنام مكة خرت عند مولده وأخمد النار جهرا وهى تضطرم
وقد عد هاربا إبليس منذعر وجنده بسهام الله تنهزم
ما نال فخر النبى المصطفى أحد من الأنام له البرهان والحكم
ماذا أقول بوصفى فى الرسول وقد أثنى عليه إله واحد حكم
صلى عليه إله العرش ما طلعت شمس وما لاح ثغر البرق يبتسم

اللهم إننا قد حضرنا مولد نبيك الكريم فأفض علينا ببركته لباس العز وأسكنا بجواره فى دار النعيم ومتعنا فى الجنة بالنعيم المقيم اللهم نسألك بجاه هذا النبى المصطفى وبآله أهل الصدق والوفا كن لنا معيناً ومسعفا وبوئنا من الجنة غرفا وارزقنا ببركته قبولا وعزا اللهم إنا نتوسل إليك بنبيك المختار وآله الأطهار وأصحابه الأخيار أن تكفر عنا الذنوب والأوزار واحرسنا من جميع المخاوف والأخطار ومتعنا برؤيته فى دار القرار وتقبل منا ما قدمناه من يسير أعمالنا فى السر والأجهار وارحمنا بقدرتك واغفر لنا إنك عفو غفار برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

*****

المجلس الثانى والخمسون فى زيارة النبى ﷺ

الحمد لله الذى دعا عباده الأبرار إلى أشرف بيت وأعظم مزار يسر لهم الطريق وجعل دليلهم التوفيق فبلغوا المقاصد والأوطار أقامهم على بابه وقربهم من جنابه فحصل لهم العز والفخار وعدهم بالضيافة والقرى فقطعوا المفاوز إلى أم القرى ولذهم قطع القفار وكتب فى قلوبهم الإيمان وعاملهم بالرضوان فطافوا بالبيت ذى الأركان والأستار بشرهم منه بنيل المنى وأراحهم فى الحياة من الخوف والعنا وسائر الأخطار ورقاهم إلى عرفات ليكفر عنهم السيئات والأوزار نفروا من ذنوبهم إليه وتابوا

بالمزدلفة بين يديه فى فرح واستبشار وكتب لهم رضوان الأنعام عند المشعر الحرام بالنجاة من النار كشفوا رؤوسهم وحلقوا شعورهم وأكثروا تسبيحهم وتقديسهم للكريم الغفار قربوا هداياهم ونحروا ضحاياهم فوعدهم بالأجور الغزار ومحا عنهم صحائف الذنوب وأرواحهم من الكروب عند رمى الجمار فإذا طافوا للوداع وعزموا على الارتحاع حثوا نجائب الشوق بسرعة الشوق إلى النبى المختار ياله من نبى أرسله الله تعالى بالمعجزات والدلائل واستخرجه من أشرف القبائل وشرف به مضر ونزار وجعل دينه الأقوم وشرعه المعلم فكل حرف من حروف المعجم يشهد له برفيع الرتبة والمقدار قوم ألف قامته فأشرقت بباء بهجة الشموس والأقمار حرسه بتاء التأييد من كل شيطان مريد وثبته فى سائر الحركات بثاء الثبات فعدل وما جار توجه بجيم الجود والوفاء وحباه بحاء الحلم والاصطفاء وخصه بخاء الاختصاص والصفاء من سائر الأكدار داواه بدال دوام الإحسان فخرت لهيبته الأصنام والأوثان وأصبحت بذال الذل والهوان فى انتكاس واحتقار أرسله براء الرحمة وزاى الزهادة والقناعة وميزه بسين السادة وشين الشفاعة فى أهل الذنوب والأوزار صاده بصاد الصيانة وقلده بسيف الأمانة وأتحفه بضاد الضياء والأنوار فتح له طريق الإقبال وأنقذ به أمته من ظاء الظلم والضلال فأصبحت مسرورة بفاء الفرح والاستبشار وشرفه بقاف قاب قوسين وأكرمه بكاف كلامه المنزه عن الريب والمين ولاطفه بلام لطفه المقدس عن الشك والشين ومنَّ عليه بميم منه وأطلعه على الأسرار أخمد لنوره نار فارس وأذل لها هيبته الفرسان العوابس وتوجه بواو الوقار وميزه فى العالمين بياء اليقين وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين وأنزل عليه فى كتابه المبين بالفضل والفخار **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار﴾**.

يا حاديا يحدو لخير الورى	هيجت فى قلبى من الشوق نار
سر بى رعاك مع فتية	مالى عنهم منذ صاروا اصطبار
يا جيرة حلوا بوادى قبا	رميتموا فى القلب منكم جمار
أنتم كرام يا عريب النقا	وجاركم من كل جور يجار
نلت بكم المنى فى منى	وليس لى ما عشت عنكم قرار
فى عرفات قد عرفت الهوى	وقد غدا سر التدانى جهار
متى أرى الأحباب قد واصلوا	ويجمع الشمل بقرب المزار
ويبعد البعد ويدنو اللقا	ويفرح القلب وتدنو الديار

وأعزم السير إلى من به تنمحى	الخطايا وتقل العثار
المصطفى المختار خير الورى	وخير من طوى إليه القفار
وخير من تأتى ملوك الورى	لبابه بالذل والانكسار
صلى عليه الله ما رنمت	حمامة الأيك وغنى الهزار

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من زار قبرى وجبت له شفاعتى**» رواه الدارقطنى رحمه الله وقال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى**» رواه البخارى ومسلم رحمهما الله وقال ﷺ: «**من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى**» رواه الإمام على كرم الله وجهه. وقال رسول الله ﷺ «**من زرانى فى قبرى فكأنما زارنى فى حياتى ومن مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمنين وأن** بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة» وقال رسول الله ﷺ «**من زارنى بعد وفاتى وسلم علىّ رددت عليه السلام عشراً وزاره عشرة من الملائكة كلهم يسلمون عليه ومن سلم على فى بيته رد الله تعالى علي روحى حتى أسلم عليه**» وقال ﷺ «**من حج وزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى**» رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وفى المعنى:

زر من تحب وإن شطت بك الدار	وحال من دونه ترب وأحجار
لا يمنعنك بعد عن زيارته	إن المحب لمن يهواه زوار

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قدم علينا أعرابى بعد ما دفنا النبى ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه ثم قال يا رسول الله السلام عليك صلى الله عليك فقد سمعنا قولك فيما رويت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله تعالى عليك ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما**﴾ وقد ظلمت نفسى وجئتك لتستغفر لى فنودى من داخل القبر يا هذا قد غفر لك.

إن كنت تغدو فى الذنوب جليدا	وتخاف فى يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه	وأباحك الإيمان والتوحيدا

وعن أبى الحسن الصوفى رحمه الله قال: وقف حاتم الأصم على قبر النبى ﷺ فقال يارب إنا قد زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودى يا هذا ما أذنا لك فى زيارة

قبر نبينا إلا وقد طهرناك ارجع ومن معك من الزوار مغفورا لكم فإن الله عز وجل قد رضى عنك وعمن زار قبر نبيه محمد ﷺ. وعن أبى الفضل رحمه الله أن أعربياً أتى قبر النبى ﷺ فقال: اللهم إنك أمرت بعتق العبيد على رؤوس قبور الأحباب وهذا حبيبك وأنا عبدك فاعتقنى على رأس قبر حبيبك من النار قال فهتف بى هاتف تسأل العتق لك وحدك هلا سألت لجميع الخلق لأعتقهم على قبر رأس هذا الحبيب اذهب فقد أعتقناك يا أعرابى.

أستغفر الله مما كان من زللى	ومن ذنوبى وإفراطى وإصرارى
يا رب هب لى ذنوبى يا كريم	فقد أحكمت حبل الرجاء يا خير غفار
إن الملوك إذا شابت عبيدهم	فى رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا سيدى أولى بذا كرما	قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

وعن أبى عبد الله محمد بن العلاء رحمه الله قال: دخلت المدينة وقد غلب علىّ الجوع فزرت قبر النبى ﷺ وسلمت عليه وعلى الشيخين رضى الله عنهما وقلت يا رسول الله جئت وبى من الفاقة والجوع ما لا يعلمه إلا الله عز وجل وأنا ضيفك فى هذه الليلة ثم غلبنى النوم فرأيت النبى ﷺ فى المنام فأعطانى رغيفاً فأكلت نصفه ثم انتبهت من المنام وفى يدى نصفه الآخر فتحقق عندى قول النبى ﷺ: «من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى» ثم نوديت يا أبا عبد الله لا يزور قبرى أحد إلا غفر له ونال شفاعتى غدا.

من زار قبر محمد	نال الشفاعة فى غد
بالله كرر ذكره	وحديثه يا منشدى
واجعل صلاتك دائما	جهراً عليه لتهتدى
فهو الرسول المصطفى	ذو الجود والكف الندى
وهو المشفع فى الورى	من هول يوم الموعد
والحوض مخصوص فى الـ	ـحشر عذب المورد
صلى عليه ربنا	ما لاح نجم الفرقد

وعن أبى فضل محمد بن نعيم رحمه الله قال: كان محمد بن يعلى الكنانى رحمه الله يزور قبر النبى ﷺ كثيرا ويراه فى المنام كثيرا فخرج لزيارة قبر النبى ﷺ يوماً فاندقت رجله فتعوق عن زيارته فخرج الحاج فكتب الكنانى رقعة وناولها لبعض

الحجاج وقال له إذا وصلت إلى قبر النبى ﷺ فارم بهذه الرقعة إلى قبره وقل يا رسول الله إن الكنانى يقرئك السلام ويقول لك قد عرفت العذر الذى عاقه عنك فلما فعل الرجل ذلك رأى الكنانى فى نومه رسول الله ﷺ وهو يقول له يا كنانى قد وصلت رقعتك وعذرناك.

يا حبيب القلوب يا خير ذخر	ضاق من أجْل عاقتى عنك صدرى
عوقتنى الأعذار عنك فيا من	هو قصدى عساك تقبل عذرى

وحكى العتبى رحمة الله قال: كنت عند قبر رسول الله ﷺ فرأيت أعرابيا قد أقبل على بعير فنزل عنه ثم أتى قبر النبى ﷺ فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا صفوة الله أنت الذى أنزل الله عليك ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما**﴾ وقد ظلمت نفسى وها أنا قد أتيتك فاستغفر من ذنبى فاشفع لى عند ربى ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبى الذى ترجى شفاعته	عند الصراط إذا ما زلت القدم
أنت البشير النذير المستضاء به	وشافع الخلق إذ يغشاهم الندم
تخصهم بنعيم لا نفاد له	والحور فى جنة المأوى لهمّ خدم
تُعطى الوسيلة يوم العرض مغتبطا	عند المهيمن إذ ما تحشر الأمم
والحوض قد خصك الله الكريم به	يوماً عليه جميع الخلق تزدحم
تسقى لمن شئت يا خير الأنام وكم	قوم لعظم الشقاء والبعد قد حرموا
صلى عليك إله العرش ما طلعت	شمس وحن إليك الضال والسلم

قال العتبى: ثم غلبنى النوم فرأيت رسول الله ﷺ فقال يا عتبى أدرك الأعرابى وبشره أن الله قد غفر له:

سلام على قبر النبى محمد	نبى الهدى والمصطفى والمؤيد
وكان رسول الله أفضل من مشى	على الأرض إلا أنه لم يخلد
شهدت على ألا نبوة بعده	وأن ليس حى بعده بمخلد
وأول من ينشق عنه ضريحه	وخير الورى الهادى المشفع فى غد

وأكوابه مثل النجوم وحوضه | لوراده فازوا بأعذب مورد
فيا خير مبعوث إلى خير أمة | ومن خص بالدين القويم المؤيد
سألتك يا خير الأنام شفاعة | بها أرتجى سؤلى وأبلغ مقصدى
عليك سلام الله يا خير مرسل | وأشرف مخلوق وأكرم سيد

وقال بعضهم: رأيت أنس بن مالك رضى الله عنه أتى قبر النبى ﷺ ورفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبى ﷺ ثم انصرف رضى الله عنه وروى ابن وهب رضى الله عنه عن مالك رضى الله عنه أنه كان إذا سلم على النبى ﷺ يدنو من القبر ويوجه وجهه إلى القبر ويسلم ويدعو ولا يمس القبر بيده.

ولزائر قبر النبى عشر كرامات: إحداهن يعطى أرفع المراتب الثانية يبلغ أثنى المطالب الثالثة قضاء المآرب الرابعة بذل المواهب الخامسة الأمن من المعاطب السادسة التطهير من المعايب السابعة تسهيل المصائب الثامنة كفاية النوائب التاسعة حسن العواقب العاشرة رحمة رب المشارق والمغارب.

يا سائقا يطوى السباسب والثرى | مهلا فإن الخير فى أم القرى
لا تنزلن بغير طيبة إنها | سطعت بأنوار الرسول كما ترى
عجباً لتربتها تداس ولو درى | الماشى بها ما داس مسكا أذفرا
شوقى لتلك الأرض شوق موله | ولع البكاء بطرفه فاستعبرا
ذو صبوة ما هب ريح هواكمو | إلا وحن لطيبه وتذكرا
يهوى الضريح ويشتهى لو زاره | ويود ذلك أنه لو قدرا
يا عيشنا الماضى القديم | خلفت عندى حسرة وتفكرا
أترى يساعدنا الزمان ونلتقى | ويعود غض العيش غصنا أخضرا
وافوز بالحرم الشريف فإنه | حرم ضياء صباحه قد أسفرا
وأمرغ الخدين فى الأرض التى | اختار مدفنه فيها وتخيرا
هى خير أرض تشرفت وتقدست | بحلول من هو فى الورى خير الورى
المصطفى المختار أكرم مرسل | للعالمين وخير من وطئ الثرى
هذا الذى ظهرت معاجزه فقل | ما شئت عنه محدثا ومخبرا
من كفه نبع الزلال وعاد من | بين الأصابع سائلا متفجرا
وكذلك عين قتادة قد ردها | بعد العمى فرأى بها وتبصرا

وأتى لأخمصة البعير مقبلا ... وشكا إليه وقد أطال وأكثرا
نسجت عليه العنكبوت قبابه ... من بعد ذلك للبرية لا يرى
وكذاك أشجار الفلاة أتت له ... سعيا وإنكارا على من أنكرا
وحديدة رجفت بكف محمد ... سيفا وعاد كما علمت مجوهرا
ورفاعة نقل الحديث معنعنا ... وبكل ما أخبرته لك أخبرا
وعليه سلمت الغزالة مثل ما ... أبدا البعير له السلام بلا مرا
والشاة لما أعجفت وهزالها ... للجسم أصبح مسقما ومغيرا
عجزت عن المرعى فلا ترعى وقد ... طوت الفؤاد من الطوى فتضمرا
وأمر راحته على ضرع لها ... فجرى وسح كمزنة وتحدرا
وله حنين الجذع أعظم شاهد ... فاشهد ودع من قال زورا وافترى
وكذا ذراع الشاة خاطبه فإن ... أنكرت ذاك فقد فعلت المنكرا
والذئب جاء إلى النبى محمد ... قصدا ومرغ خده فوق الثرى
وبتفله فى البئر بعد ملوحة ... من ذاق منها ذاق حلوا سكرا
وانشق فى أفق السماء لأحمد ... قمر وخر من الثريا للثرى
والغار فيه عجائب مشهورة ... ظهرت وحق لمثلها أن يظهرا
وأتاه جبريل الأمين بإذن من ... خلق الخلائق كيف شاء وصورا
ناداه قم وارق البراق بإذن من ... رفع الطباق فأنت أعظم من سرى
فرقى على متن البراق وجال فى ... الملكوت ليلا والضحى ما أسفرا
وبسائر الأملاك صلى قائما ... شكرا وسبح ربه واستغفرا
ثم انتهى للمنتهى من سدرة ... والصدر حيث أقام إذ تصدرا
ولأحمد جبريل قام مخاطبا ... سر آمنا سيراً سريعاً أكبرا
فتقدم المختار وهو مقدم ... دون الأنام ومن عداه تأخرا
قطع المسافة والمقامات التى ... وقف التفكر دونها وتحيرا
ما زال إذ سمع الخطاب فلا تكن ... فيما سمعت مقدما ومؤخرا
والله خص محمداً بسلامه ... لما رقى ولقد رقى أعلى الذرى
فهو البشير الشاهد العلم الذى ... للناس أنذر حين جاء وبشرا
قسما لقد أعطى مواهب لم تكن ... لسواه فافهم سرها وتدبرا
الله أعطاه الفضائل كلها ... وأناله ما قد أنال وأكبرا

فـى حضـرة المـلكـوت بان مـحلـه ولـقد حـوى قدراً هـناك ومـفخـرا
وعـلـيـه قد دارت كـؤوس مـحبـة وبـها تـخصـص وحده دون الـورى
هـبت عـلـى الأكوان مـنهـا نـفحـة فـتمـايـلت طـربا وخـر لـها حـرا
من كـان ساقيـه الحبـيب فكـيف لا يـزداد سكـرا فى الـوجـود لما يـرى
طـوبـى لمن قـد ذاق مـنـها قـطـرة ولـو أنهـا بالـكون أعـظم تـشتـرى
هى خمـرة العهد الـقديم فمن سـقى مـنـها تـكـامـل عـقـله وتجـوهـرا
قوموا لدامى الراح فـى غسق الدجى فحبـيبكم كـشف الحجاب لمـن يرى
ولحـانـها جـدوا المسـير وشـمـروا فـلقـد يـفوز بـشـربهـا مـن شمـرا
لـلسـكـر أقـوام له صـلـحـوا لقـد نـالـوا نصـيـبـاً مـن رضاه مـوقـرا
قـطعـوا العـلائـق من سـواه تلـذذا بـهواه حـتـى العـسر صـار مـيسـرا
بـاعوا الـذى يفـنى بما يـبقـى فقـد ربـحت تجـارتـهم فنعـم المـشتـرى
وجـميـع مـا نـالوا بـجـاه مـحمـد وبـجاهـه مـحى الـذى قـد سطـرا
صـلى عـليـه الله مـا اخـتـرق الفـلا ركـب تـنجـد فـى المسيـر وغـورا
وعـلـيـه صـلـى الله جـل جـلالـه مـا أم ركب فـى الدجـى أم القـرى
وعـليـه صـلى الله مـا لمـع الـضيـا وأضـاء قـنـديـل الـصـراح ونـورا

اللهم صـل على سيدنا محـمد وعلى آله وصحبه وسـلم اللهم ارزقنا فـى الدنيا زيارته وفى الآخرة شفـاعته وأحينا على محبـته وأمتنا على سنته واحـشرنا فى زمرته وأرنا وجهه واسقـنا من حوضه واجعلنا ممن فـاز بصحبته ولا تخالف بنـا عن طريقه وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقـنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

*****

المجلس الثالث والخمسون فى مناقب الخلفاء الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله الكريم الـغفار الحليم الستار مـكور الليل على النهـار وكل شىء عنده بمقدار حارت فى قضايـاه العقول والأفكار تاه فى بيداء أبديته أولو الـبصائر والاعتبار قهر الجبابرة بـقهر عزته فهو الواحد القهـار وكسر الأكاسرة بقوة سطوته فـهو العظيم الجبـار كون الأكوان ودبر الـزمان فلا يحـتاج إلى أعـوان وأنصار لا يقـادر قدره ولا

يستحق العبادة غيره قد عم إحسانه سائر الأماكن وجميع الأقطار يعلم دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ولا فى قرار البحار يعلم سر العبد عند مآله ومنقلبه ويطلع على ضميره عند قصده وطلبه ﴿**سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار**﴾ فسبحانه من إله اصطفى واجتبى وانتقى وارتضى واختار ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾ واصطفى محمداً ﷺ نبيه المنتخب ورسوله المختار واجتبى أبا بكر الصديق وخصه بالتصديق والهيبة والوقار وانتقى للصواب عمر بن الخطاب فحلا ذكره وطاب للبادين والحضار وارتضى عثمان بن عفان لجمع القرآن فجمعه ما بين أخماس وأعشار واختار على بن أبى طالب لتفريق الكتائب وإظهار العجائب وأشهار ذي الفقار فهم الذين أنزل فى حقهم على لسان رسوله المختار محمد رسول الله ﴿**والذين معه أشداء على الكفار**﴾ فأبو بكر مؤنسه فى الغار وعمر وزيره وأمينه على الأسرار وعثمان المقتول بيد العدوان شهيد الدار وعلى بن أبى طالب ابن عمه وارث علمه الفارس الكرار فهؤلاء خلفاؤه ووزراؤه الأئمة الأبرار الذين وفوا للنبى ﷺ بعهودهم وقد جرت بسعدهم الأقدار وقد بايعوه على ما يحب ويختار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأخيار «فى المعنى».

الطرف فى معناك حار	يا من له أبدا يشار
وحياة حبك لا سلوت	وإن سلوت على عار
كيف السلو وأنت فى	قلبى وإن نأت الديار
يا أيها الهادى البشير	الهاشمى المستنار
قد خصك الله الكريم	بصحبة الشيخ الوقار
وكذاك فى عمر الذى	عمر الشريعة باشتهار
والبر عثمان الذى	نال الشهادة والفخار
وعلى البطل الرضا	مردى الطغاة بذي الفقار
فهم أصحاب المصطفى	ما خاب من بهم استجار

فعليه صلاة ربنا ما ناح فى الصبح الهزار وعلى الصحابة بعده ما زمزم الحادى وسار.

وروى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «رحم الله أبا ...

بكر زوجني ابنته وحملني على ناقته إلى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله ورحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة ورحم الله عليا اللهم أدر الحق معه». «في المعنى».

همو صحابة خير الخلق أيدهم — رب السماء بتوفيق وإيثار
فحبهم واجب يشفي السقيم به — فمن أحبهموا ينجو من النار

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الحوضي أربعة أركان فأول ركن منها في يد أبي بكر والثاني في يد عمر والثالث في يد عثمان والرابع في يد علي فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض عثمان لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أبغض عثمان وأحب عليا لم يسقه علي فمن أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد كتب من المؤمنين ومن أحب عثمان فقد استنار بالنور المبين ومن أحب علياً فقد أحسن والله يحب المحسنين ومن أحسن الظن فيهم فهو مؤمن ومن أساء الظن فهو منافق». «في المعنى».

ومن أحسن الظن في الله الكريم وفي — رسوله كان مكتوبا من الشرف
ومن أحب أصحاب المصطفى فله — جنات عدن يرى في ظلها غرف
ومن يكن باغضا فيهم فإن له — نار الجحيم ويضحي باكيا أسفا
فهم نجوم الهدى في كل مظلمة — والله حسبي فيما قلته وكفى

وعن أبي هريرة رضي الله عنه[1] قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ أقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: «مرحبا بالمواسي بماله مرحبا بالمؤثر على نفسه» ثم أقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «مرحبا بالمفرق بين الحق والباطل مرحبا بمن أكمل به الدين وأعز به المسلمين» ثم أقبل عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: «مرحبا بصهري وزوج ابنتي الذي جمع به نوري السعيد في حياته الشهيد في مماته ويل لقاتله من النار» ثم أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «مرحبا يا أخي وابن عمي والذي خلقت أنا وهو من نور واحد» معشر المسلمين هؤلاء لا يتفق حبهم إلا في قلب مؤمن ولا يتفرق إلا في قلب منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله «في المعنى»:

---

(١) لم أجده.

حب النبى على الإنسان مفترض	وحب أصحابه نور ببرهان
من كان يعلم أن الله خالقه	لا يرمين أبا بكر ببهتان
ولا أبا حفص الفاروق صاحبه	ولا الخليفة عثمان بن عفان
ولا عليًا أبا السبطين نعم فتى	وصى به الله فى سر وإعلان
ركن الشريعة بحر العلم منتخب	والبيت لا يستوى إلا بأركان
شاعت مناقبه فى الناس كلهم	ما بين علم وأحكام وتبيان
لا تستطيع العدا منه محاربة	ولو أتوه بأبطال وشجعان
فهم صحابة خير الخلق خصهم	رب العباد بجنات ورضوان
فمن أحبهم قد نال منزلة	عند الإله وجزاه بإحسان
عليهم من سلام الله أطيبه	ما ناحت الورق فى أوراق أغصان

وروى أبو سعيد الخدرى[1] رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**دخلت الجنة فبينما أنا أطوف فى رياضها وبين أنهارها وبين شجارها إذ ضربت بيدى إلى ثمرة فأخذتها فانفلقت فى يدى على أربع قطع فخرج من كل قطعة حورية لو أخرجت ظفرها لفتنت أهل السموات والأرض ولو أخرجت كفها لغلب ضوؤها ضوء الشمس والقمر ولو تبسمت لملأت ما بين السماء والأرض مسكا من رائحتها فقلت للأولى من أنت قالت لأبى بكر الصديق فقلت امضى إلى قصر بعلك فمضت وقلت للثانية لمن أنت فقالت لعمر بن الخطاب فقلت امضى إلى قصر بعلك وقلت للثالثة لمن أنت قالت للمختضب** بدمه **المقتول ظلما عثمان بن عفان فقلت لها امضى إلى قصر بعلك فمضت وقلت** للرابعة لمن أنت والله فسكتت ثم قالت والله يا رسول الله إن الله **تعالى خلقنى على حسن فاطمة ولقد سمانى على اسمها وإن الله تعالى زوجنى من على بن أبى طالب** رضى الله عنه **قبل أن يتزوج فاطمة بألفى عام**» فهم خلفاء النبى ﷺ وأنصاره وأصحابه وهم حاقون يوم القيامة إلى دار الكرامة:

فهم أصحاب المصطفى وهم الخواص	من الأمم أهل المآثر والمفاخر
والفتوة والكرم وبعدلهم سادوا	الورى وبنورهم تجلى الظلم
خلقنا أفضل شافع للخلق	فى يوم الندم صلى عليه ربنا
ما مسح دمع وانسجم وعلى صحبته	الكرام الطاهرين أولى الشمم

(١) لم أجده فى كتب الحديث المعتبرة.

وقيل [1] إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما كان فى بعض أشغال النبى ﷺ فأدركتهما صلاة العصر فقال عمر بن الخطاب لعثمان رضى الله عنهما تقدم فصل بنا فقال عثمان رضى الله عنه أنت أولى بالتقدم يا عمر فإن رسول الله ﷺ قدمك وأثنى عليك فقال عمر رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول «**نعم الرجل عثمان صهرى وزوج ابنتى ومن جمع الله به نورى**» فقال عثمان رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عمر أكمل الله به الإسلام**» فقال عمر رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عثمان تستحى منه الملائكة**» فقال عثمان رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عمر كمل الله به الدين وأعز به المسلمين**» فقال عمر رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عثمان جمع القرآن وهو حبيب الرحمن**» فقال عثمان رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نعم الرجل عمر يتفقد الأرامل والأيتام ويحمل لهم الطعام وهم نيام**» فقال عمر رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى حقك: «**غفر الله لعثمان مجهز جيش العسرة**» فقال عثمان رضى الله عنه أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى حقك «**اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب وسماك رسول الله ﷺ الفاروق وفرق الله تعالى بك بين الحق والباطل**» فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فدعا لهما وشكرهما على حسن أدبهما بعضهما مع بعض:

طوبى لمن قلبه بالله مشتغل ... يبكى النهار وطول الليل يبتهل
خوف الوعيد وذكر النار أذهله ... والدمع على الخدين ينهمل
يهوى صحابة خير الخلق كلهم ... فحبهم واجب يرجى به الأمل
الله فضلهم حقا وشرفهم ... بالمصطفى وبه قد ضاءت السبل
صلى عليه إله العرش ثم على ... أهليه والصحب ما حنت له الإبل

وروى أبو هريرة [2] رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما قدما يوما إلى حجرة رسول الله ﷺ فقال على لأبى بكر رضى الله عنهما تقدم فكن أول قارع يقرع الباب وألح عليه فقال أبو بكر تقدم أنت يا على فقال على رضى الله عنه ما كنت بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول فى حقه

---

(١) لا أصل له وإن كان معناه حقا.

(٢) لا أصل له.

«ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدى على رجل أفضل من أبى بكر الصديق» فقال أبو بكر رضى الله عنه ما كنت بالذى يتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ «أعطيت خير النساء لخير الرجال» فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى صدر إبراهيم الخليل فلينظر إلى صدر أبى بكر الصديق» فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم عليه السلام وإلى يوسف وحسنه وإلى موسى وصلاته وإلى عيسى وزهده وإلى محمد ﷺ وخلقه فلينظر إلى على» فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع العالم فى عرصات القيامة يوم الحسرة والندامة ينادى مناد من قبل الحق عز وجل يا أبا بكر ادخل أنت ومحبوبك الجنة» فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ يوم حنين وخيبر وقد أهدى إليه تمراً ولبنا: «هذه هدية من الطالب الغالب إلى على بن أبى طالب» فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «أنت يا أبا بكر عينى» فقال أبو بكر أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ «يجىء على كرم الله وجهه على مركب من مراكب الجنة فينادى منادياً يا محمد كان فى الدنيا والد حسن وأخ حسن أما الوالد الحسن فأبوك إبراهيم الخليل وأما الأخ فعلى بن أبى طالب رضى الله عنه» فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يجىء رضوان خازن الجنان بمفاتيح الجنة ومفاتيح النار ويقول يا أبا بكر الرب جل جلاله يقرئك السلام ويقول لك هذه مفاتيح الجنة ومفاتيح النار ابعث من شئت إلى الجنة وابعث من شئت إلى النار» فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «إن جبريل عليه السلام أتانى فقال لى يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك أنا أحبك وأحب عليا فسجدت شكرا وأحب فاطمة فسجدت شكرا وأحب حسنا وحسينا فسجدت شكراً» فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح عليهم» فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «إن علياً يجىء يوم القيامة ومعه أولاده وزوجته على مراكب من البدن فيقول أهل القيامة أى نبى هذا فينادى مناد هذا حبيب الله هذا على بن أبى طالب» فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه

رسول الله ﷺ: «**غداً يسمع أهل المحشر من ثمانية أبواب الجنة ادخل من حيث شئت أيها الصديق الأكبر**» فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «**بين قصرى وقصر إبراهيم الخليل قصر على بن أبى طالب**» فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «**إن أهل السموات والأرض من الكروبيين والروحانين والملأ الأعلى لينظرون فى كل يوم إلى أبى بكر الصديق**» فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال الله تعالى فى حقه وحق أهل بيته ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا**﴾ فقال على رضى الله عنه أنا لا أتقدم على رجل قال الله تعالى فى حقه ﴿**والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون**﴾ فنزل جبريل عليه السلام إلى الصادق الأمين من عند رب العالمين وقال يا محمد العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول لك إن ملائكة السبع سموات لينظرون فى هذه الساعة إلى أبى بكر الصديق وإلى على بن أبى طالب ويستمعون ما جرى بينهما من حسن الأدب وحسن الجواب من بعضهما البعض فقم إليهما وكن ثالثهما فإن الله تعالى قد حفهما بالرحمة والرضوان وخصهما بحسن الأدب والإسلام والإيمان فخرج النبى ﷺ إليهما فوجدهما كما ذكر له جبريل فقبل النبى ﷺ وجه كل واحد منهما وقال: «**وحق من نفس محمد بيده لو أن البحار أصبحت مداداً والأشجار أقلاما وأهل السموات والأرض كتابا لعجزوا عن حصر فضلكما وعن وصف أجركما**».

من ذا يطيق بأن يحصى الثناء على	محمد وعلى الصديق صاحبه
وقد رقى عمر الفاروق منزلة	وحاز عزاً وفخراً فى مراتبه
وحاز عثمان فضلا بالنبى وقد	أثنت جميع البرايا عن مناقبه
وذو الفقار على المرتضى فله	بحر من العلم يبدو من عجائبه
فهم ملاذ لمن خاف الحساب إذا	ضاقت عليه أمور فى مذاهبه
عليهم صلوات الله مالمعت	فى الليل أنوار برق فى غياهبه

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

المجلس الرابع والخمسون
فى ذكر الصلاة والسلام على النبى ﷺ

الحمد لله الذى انشق أهل صفوته من طيب محبته نسيما ونادمهم فى الأسحار بلذيذ الأذكار فأصبح لهم نديما وسقاهم من الكؤوس المصفاة فى خلوة المناجاة شراباً صرفا قديما وتجلى عليهم فهاموا وجداً به وحق لواجدهم أن يكون لهيامه عليما وبصرهم بهداهم وآتاهم تقواهم وهداهم صراطاً مستقيما وأرسل إليهم رسولا كريما ونبيا مبجلا عظيما وأنزل عليه فى كتابه العزيز تفضيلا له وتكريما **﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾** ياله من نبى شرف الله به زمزم حطيما وخصه باجتبائه واصطفائه وسماه اسمين من أسمائه رؤوفا رحيما فمن تمسك بشريعته نال فضلا جسيما وحاز فى الجنة نضرة ونعيما كم أطلق أسيراً وآثر مسكينا عديماً وكم جبر كسيراً وأغنى فقيراً ورحم يتيما توسل به آدم فألهم الصلاة عليه فعاد عزيزاً كريما ودعا به نوح فأضحى من الغرق سليما واستغاث به الخليل فصارت النار عليه برداً وسلاما لما أكثر عليه صلاة وتسليما واستجار به إسماعيل فأغيث بالفداء وكان للنعم بعد الردى مستديما وصلى عليه موسى فأضحى مخاطبا وكليما وبشر به عيسى فنال رفعة وتقديما وسلمت عليه الأشجار وصلت عليه الملائكة الأبرار فحصل لهم الفخار عند من لم يزل عظيما فيا معشر العصاة ما أغفلكم عن الصلاة عليه فإنها تكفر ذنبا عظيما وتورث عزاً وتكريما فأكثروا من الصلاة عليه وافعلوا ما ندبكم مولاكم إليه تلقوا جنة ونعيما وتجنبوا عذابا وجحيما فقد قال فى حقه من جمع بين خَلقه وخُلقه **﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾** وبشر من أصلى عليه من أمته بالفضل فى جنته فقال تعالى **﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريما﴾** فأكثروا من الصلاة عليه فإنها تجلى هموما وتشفى سقيما وقد أمركم الله تعالى بالصلاة عليه تنبيها لكم وتفهيما وتذكيرا لكم وتعليما **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾** :

جل الذى بعث الرسول رحيما ... ليرد عنا فى المعاد جحيما
وبه نرجى جنة ونعيما ... أضحى على البارى الكريم كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما
ما ضل عن وحى الإله وما غوى ... حاشا رسول الله ينطق عن هوى

الصادق الثقة الأمين بمن روى ... قد نال من رب السماء علوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

وافى الروح الأمين مبشراً ... نادى به يا خير من وطئ الثرى

أجب المهيمن يا محمد كى ترى ... ملكا كبيراً فى السماء عظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

فأجابه المختار حين دعا به ... رب السموات العلا لخطابه

ركب البراق وقد أتى لجنابه ... أمسى له الروح الأمين نديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

فمتى أرى الحادى يبشر باللقا ... ويضمنا ناد المحصب والنقا

وأرى ضريح المصطفى قد أشرفا ... مولى رحيما لن يزال حليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

وأقول للزوار فزتم بالمنى ... يهناكمو طيب المسرة والهنا

فاستبشروا من بعد فقر بالغنى ... فالله زادكمو به تكريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم الرضا عن آله الكرماء ... وكذلك عن أصحابه الخلفاء

فهاهمو دينى وعقد ولائى ... قوم تراهم فى المعاد نجوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

وروى أبو طلحة رضى الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ ووجهه يبرق فقلت يا رسول الله ما رأيتك كاليوم أطيب نفسا ولا أطهر منك بشراً فقال رسول الله ﷺ: **«ومالى لا تطيب نفسى وقد جاءنى جبريل عليه السلام الساعة فقال يا رسول الله من صلى عليك صلاة من أمتك كتبت له بها عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات وقال له الملك مثل ما قال»** وفى لفظ آخر: **«ورد الله تعالى عليه مثل قوله»** وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كنت أخيط شيئا فى وقت السحر فسقطت الإبرة منى وانطفأ المصباح فدخل رسول الله ﷺ فأضاء البيت من ضياء وجهه فوجدت الإبرة فقلت ماأضوأ وجهك يارسول الله صلى الله عليك فقال يا عائشة: **«الويل لمن لم يرنى يوم القيامة»** قالت فقلت ومن الذى لم يرك يوم القيامة قال: **«البخيل»** فقلت ومن هو البخيل يا رسول الله قال **«الذى إذا ذكرت عنده لم يصل على»** وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى: ﷺ إنه قال: **«صلوا على فإن صلاتكم زكاة لكم[1] وسلوا الله تعالى الوسيلة»** قال يا رسول الله وما الوسيلة

---

(1) لا أصل له بهذا اللفظ.

قال: «أعلى درجة فى الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو»:

أحمد المصطفى سراج منير	خاتم الرسل صادق الأنبياء
خص بالحوض والشفاعة فى	الحشر لكل الورى ورفع اللواء
والمقام المحمود والسبق للناس	دخول فى الجنة الفيحاء
ثم يعطى وسيلة وهى	أعلى درجات الجنان دار البقاء
فعليه الصلاة فى كل وقت	وزمان يبقى على الآناء

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى عشية الخميس نزلت الملائكة بأيديهم قراطيس من فضة وأقلام من ذهب يكتبون عشية الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعه وعشية الجمعة صلاة من يصلى على فأكثروا من الصلاة على يوم الجمعة»**[1] . عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **« من صلى على صلاة واحدة يوم الجمعة قضى الله له مائة حاجة من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ويبعث إلى ملكا يدخل على فى قبرى ويخبرنى باسمه ونسبه وعشيرته فاكتبه عندى فى صحيفة بيضاء»**.

وقال رسول الله ﷺ: **«إن لله ملائكة سياحين يبلغون إلى صلاة من يصلى عليَّ فى مشارق الأرض ومغاربها فمن صلى على كل يوم جمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة»** وقال رسول الله ﷺ: **«تباهوا بالصلاة عليَّ فإنها تبلغنى»**[2] وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة وما جلس قوم مجلسا ولم يصلوا فيه على إلا كانت عليهم حجة يوم القيامة إن شاء عفا عنهم وإن شاء آخذهم بها»** وروى أن النبى ﷺ قال: **«ثلاثة تحت ظل عرش الرحمن عز وجل يوم لا ظل إلا ظلة»** قيل من هم يا رسول الله قال: **«من فرج عن مكروب من أمتى ومن أحيا سنتى ومن أكثر الصلاة على»**، وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب»**[3].

صلوا على هذا النبى الكريم	تحظوا من الله بأجر عظيم
وتظفروا بالفوز من ربكم	وجنة فيها نعيم مقيم

(١) لا حقيقة لها. (٢) بهذا اللفظ لا وجود له. (٣) لم أجده.

طوبى لعبد مخلص فى الورى صلى على ذاك الجناب الكريم
وقد غدا من فرط أشواقه بحبه فى كل واد يهيم

وروى أنه ﷺ قال: **«من صلى على تعظيما لحقى خلق الله تعالى من ذلك القول ملكا أحد جناحيه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان فى الأرض السابعة وعنقه تحت العرش فيقول الله تعالى صل على عبدى كما صلى على نبيى فهو يصلى عليه إلى يوم القيامة»**[1].

وروى أنه ﷺ قال: **«إن الله عز وجل وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له ومن قال لا إله إلا الله رجح ميزانه ومن صلى على كنت شفيعه يوم القيامة»** وروى أنه ﷺ قال: **«إن الله تعالى وكل بقبرى ملكين**[2] **فلا أذكر عند مسلم فيصلى على إلا قال الملكان مجيبان له غفر الله لك فيقول حملة العرش والملائكة جوابا للملكين آمين ولا أذكر عند أحد فلا يصلى على إلا قال الملكان له لا غفر الله لك ويقول حملة العرش وسائر الملائكة جوابا للملكين آمين»**.

وروى أنه ﷺ قال: **« ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير الصلاة على ألا تفرقوا على أنتن من جيفة الحمار وما من مجلس يصلى على فيه إلا فاحت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على محمدﷺ»**. وأن للصلاة عليه رائحة تفوق روائح جميع الطيب تعرفها الملائكة فتميزها من سائر الطيب.

إن الصلاة على المختار إن ذكرت فى مجلس فاح منه الطيب إذ نفحا
فأسكر القوم رياه فتعرفه الأملاك لما تبدى النور واتضحا
والقوم حضرة الذكر طيبه هذا ومحبوبهم فى القلب ما برحا
محمد أحمد المختار من مضر أزكى الخلائق جمعا أفصح الفصحا
صلى عليه إله العرش ثم على أهليه والصحب نعم السادة النصحا

وروى أنه ﷺ قال: **«لن يلج النار من صلى على»**[3]. وروى أنه ﷺ: **«قال من صلى على مائة مرة زحزحت النار عنه مائة عام»**[4] وروى أنه ﷺ قال: **«أكثركم على صلاة أكثركم فى الجنة أزواجا»**[5]. وروى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عن

---

(١) حديث موضوع. (٢) حديث ضعيف. (٣) لم أجده فى الكتب المعتبرة.
(٤) حديث موضوع. (٥) لا يصح.

النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى يا محمد من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه».

سلام على نور هدينا بنوره — وعن سمو قدره عن مناله
سلام على من لم أذق صد بعده — ولم أرتقب في النوم طيف خياله
سلام على من عمنا لطف فضله — ولم تخل من أكماله وجماله
عليه سلام الله ما ذر شارق — وما لا برق مخبرا عن وصاله

روى أنه ﷺ قال: «إن العبد ليسأل الحاجة ولا يصلى عليَّ عقيب سؤاله فترفع الحاجة على سحابة فإذا صلى على قضيت حاجته واستجيب دعوته وفتحت له أبواب السماء» وروى أنه ﷺ: «من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه ألا يكتبا عليه عمل ثلاثة أيام»[1] وروى أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسنات المؤمن وسيئاته فتنزل صحائف من عند الله عز وجل بيض حسناته فترجع حسناته على سيئاته فيقول الله عز وجل هذه صلاتك على محمد ثقلت بها ميزانك وجعلتها لك ذخيرة.

لأحمد فضل لا يحد ولا يحصى — وليس له في الدهر حد فيستقصى
فمن كان مثلى مذنبا ومقصراً — فجاه رسول الله قد جبر النقصا
فيا فوز من صلى عليه من الورى — فذاك بتثقيل لميزانه خصا
هو القرشى الهاشمى الذى سرى — من المسجد الأسنى إلى المسجد الأقصى
نبى دنا من قاب قوسين مذ دنا — فسبحان من وصى إليه بما وصى
عليه صلاة لا انتهاء لوصفها — من الله ربى لا تعد ولا تحصى

روى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح وأمسى وقال اللهم يا رب محمد وآل محمد صل على محمد وآل محمد واجز محمدا ﷺ ما هو أهله أجازه الله ثواب ألف صباح ولم يبق لنبيه محمد ﷺ حق إلا أداه إياه وغفر له ولوالديه وحشر مع محمد وآل محمد»[2].

وعن وهب بن منبه رضى الله عنه أنه قال: لما خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه فتح عينيه فنظر إلى باب الجنة فرأى عليه مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال أى رب هل تخلق خلقا هو أعز عليك منى فقال نعم نبينا من ذريتك فلما خلق الله تعالى له حواء وركب فيه الشهوة قال يا رب زوجنى بها قال الله تعالى أد مهرها

(١) لا يصح وإن كانت الصلاة عليه ﷺ مرغبا فيها كل الترغيب. (٢) لم أجده.

قال يا رب ومـا مهرها قـال أن تصلى علـى صاحب الاسم مـائة مرة قال إن فـعلت تزوجنيهـا قال نعم فصلى آدم على الـنبى ﷺ مائة مرة فكان ذلك مـهرها فزوجه الله تعالى بها.

أنت الذى صـلى عليـك الله يا	خير الورى فى ذكره وكذا قرى
وأبـوك آدم إذ رأى حـوا وقـد	زينـت بأنواع الحـلى والجـوهر
صلى عليك فـكان ذلك مهرها	والحـور بين مـهـلـل ومكـبـر
أنت الـذى حقا عليـه سلـمت	وحش الفـلا فى كل بر مـقفر
صلى عليـك الله يا خير الورى	ما نـاح قمرى بـغصن أخـضر

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فأناخ ناقته على باب المسجد ثم دخل فقعد بإزاء رسول الله ﷺ فلما قضى أربه وأراد أن يقوم قال أناس من أصحـاب رسول الله ﷺ يا رسول الله الناقة التى مع الأعـرابى مسروقة فالتفـت النبى ﷺ إليه ثـم قال له: «**ماتقول؟**» فأطـرق رأسه وجعل يـضرب الأرض بسبابته فأنطق الله تعالى الناقة مـن وراء الباب فقالت يا رسول الله والذى بعثك بالحق بشيراً ونذيراً ما سرقنى هذا الرجل وإنما سرقنى غيره وإن هذا ابتاعنى بماله وإنه لبرىء ثم قال النبـى ﷺ للأعرابى: «**بالذى أنطقـها ببراءتك ما قلت حـين أطرقت برأسك وضربت الأرض بسبابتك**» فقال يا رسول الله قلت اللهـم لست برب استحدثناك ولا معك شريك في ملكـك أعانك على خلقنا أنت كما تقول وفـوق ما نقول أسألك يا رب أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وتبـرئنى ببراءة مما أنا فيه فقال النبى ﷺ: «**والذى بعثنـي بالحق لقد رأيت الملائكة ازدحموا على أفواه السكك يكتبـون مقالتك فمن أصابه مثل ما أصابك قال مثل مقالتك بوأه الله تعالى مما أنزل به**»[1].

هذا الـنبـى محمـد خيـر الورى	ونـبـيـهـم وبـه تـشـرف آدم
ولـه البـها ولـه الحـياء بـوجهـه	كـل الغـنى مـن نـوره يتـقسـم
هو فـى المدينـة ثاويـا بضريـحه	حيـا ويسـمع من عـليـه يسـلم
وإذا تـوسل مـسـتـضـام بـاسمـه	زال الـذى مـن أجـله يـتـوهـم
يـا فوز مـن صلـى عـليـه فإنـه	فـى جـنة المـأوى غـدا يـتنـعـم
صـلى عـلـيـه الله جل جـلالـه	مـا راح حـاد بـاسـمـه يـتـرنم

(1) غير صحيح.

وروى أن أصحاب الحديث يأتون يوم القيامة بمحابرهم فيقول الله تبارك وتعالى لجبريل يا جبريل اقض حوائجهم فإنهم كانوا يصلون كثيرا على النبى ﷺ فى الدنيا فخذ بأيديهم وأدخلهم الجنة.

وقال بعض الصوفية: كان لى جار مسرف على نفسه فلما مات رأيته فى المنام وهو فى دار السلام فقلت له: بم نلت هذه المنزلة قال: حضرت مجلس الذكر فسمعت المحدث يروى عن رسول الله ﷺ أنه من صلى ورفع صوته بها وجبت له الجنة[1] فرفع المحدث صوته بالصلاة على النبى ﷺ ورفعت صوتى معه وجميع القوم فغفر لنا فى ذلك اليوم.

وجاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «**أتانى جبريل عليه السلام يوما فقال لى يا محمد قد جئتك ببشارة لم آت بها أحداً قبلك ولا بعدك وهى أن الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر له إن كان قائما قبل أن يقعد وإنْ كان قاعدا قبل أن يقوم**» فعندها خر النبى ﷺ ساجداً لله تعالى شكراً على ذلك.

ألا يا رسول الله يا خير مرسل	عليك صلاة الله لا تتناهى
فيافوز من صلى عليك من الورى	صلاة يعم الكون منك سناها
عليك صلاة الله يا أشرف الورى	محلا ويا أعلى البرية جاها
عليك صلاة الله ما سار راكب	إلى طيبة بالذكر طاب رباها
عليك صلاة الله ما هبت الصبا	وفاح بعرف المسك طيب شذاها

وروى أن امرأة رأت ولدها بعد الموت يعذب فحزنت لذلك وبكت ثم رأته بعد ذلك وهو فى النور والرحمة فسألته عن ذلك فقال: مر رجل بالمقبرة فصلى على النبى ﷺ وأهدى ثوابها للأموات فحصل نصيبى من ذلك المغفرة فغفر لى.

وقال بعض العارفين: صليت ليلة فلما جلست التشهد نسيت الصلاة على النبى ﷺ فغلبتنى عيناى فنمت فرأيت النبى ﷺ فقال لى: «**أنسيتنا من الصلاة علينا**» فقلت يا رسول الله اشتغلت بالثناء على الله عز وجل فقال: «**أما علمت أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل الثناء عليه إلا بالصلاة على ولا يُجاب الدعاء إلا بالصلاة على ولا يقضى الحاجات إلا بالصلاة على ألم تسمع قوله تعالى: ﴿صلوا عليه وسلموا تسليما﴾**».

(1) لم أجده.

صلـوا على من أتـت حقا بشـائره	الهـاشمى الذى طـابت عنـاصره
هو الـرسول الذى شـاعت رسالـته	فى الخلـق طرا وقد عمـت مآثره
هو الـنبـى الذى تـأتى المـلوك لـه	علـى الرؤوس فتـأتيـهم مفـاخره
هو الـطبـيب لـداء النـاس كلـهم	يشفى الـسقيم وللمكـسور جابره
صلى عـليه إله الـعرش ما طلـعت	شمس وما ناح فوق الغصن طائره

قال سفيان الثـورى رضى الله عنه: بينما أنا فى الـطواف إذا رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلا وهو يصلى على النبى ﷺ فقلت يا هذا إنك تركت التسبيح والتهلـيل وأقبلت بالصـلاة على النبى ﷺ فـهل عندك فى هذا شىء فـقال من أنت عافاك الله فقلت أنا سفيان الثورى فقـال لولا أنك غريب فى أهل زمانك لم أخبرتك عن حالى ولا أطلعـتك على سرى ثم قال خرجت أنا ووالـدى حاجين إلى بيت الله الحرام حتى إذا كان فى بعض المنازل مرض والدى فقـمت لأعالجه فبينما أنا عند رأسه إذ مات واسود وجهـه فقلت ﴿إنا لله وإنا إليـه راجعون﴾ مات والدى واسـود وجهه فجذبت الإزار على وجهه فغلبتى عينـاى فنمت فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجها ولا أنظف منه ثوباً ولا أطيب منـه ريحا يرفع قدماً ويضع أخرى حـتى دنا من والدى فكشـف الإزار عن وجهه ومـر بيده على وجـهه فعاد وجهـه أبيض ثم ولـى راجعاً فتعلقت بثوبه وقلت من أنت يرحـمك الله فقد منّ الله بك على والدى فى دار الغربة قال: «**أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما إن والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكـثر الصلاة على فـلما نزل به مـا نزل استغاث بـى وأنا غياث من أكثـر الصلاة على**» فانتبهت فإذا وجهه أبيض.

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم	يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
شفـع نبيـك فى ذلى ومـسكنـتى	واستـر فإنـك ذو فضـل وذو كرم
واغفر ذنوبـى وسامحنى بهـا كرما	تفضلا مـنك يا ذا الفضل والـنعم
إن لم تغثـنى بعفوك منـك يا أملى	واخجلـتى واحيائى منـك واندمى
وقد وعـدت بأن ندعـو تجيب لـنا	وقد دعـونا فجد بـالعفو والـكرم

(**إخوانى**) أكثروا من الصلاة على النبى الكريم، فإن الصلاة تكفر الذنب العظيم وتهدى إلى الصراط المستقيم وتقى قائلها عذاب الجحيم ويحظى فى الجنة بالنعيم المقيم وقد قيل فى بعض الروايات: إن للمصلين عـلى سيد المرسلين عشر كرامات إحداهن

صلاة الملك الغفار الثانية شفاعة النبى المختار الثالثة الاقتداء بالملائكة الأبرار الرابعة مخالفة المنافقين الكفار الخامسة محو الخطايا والأوزار السادسة قضاء الحوائج والأوطار السابعة تنوير الظواهر والأسرار الثامنة النجاة من النار التاسعة دخول دار القرار العاشرة سلام العزيز الجبار.

يا رب صل على الهادى البشير ومن ... له الشفاعة فى العاصى أخى الندم
يا رب صل على المختار من مضر ... أزكى الخلائق من عرب ومن عجم
يا رب صل على خير الأنام ومن ... ساد القبائل فى الأنساب والشيم
يا رب صل على مولى شفاعته ... لكل هول من الأحوال مقتحم
صلى عليه الذى أعطاه منزلة ... علياء إذ كان حقا أفضل الأمم
صلى عليه الذى أسرى به فرقى ... لقاب قوسين لم يُدْرَكْ ولم يَرِمِ
صلى عليه الذى أعلاه مرتبة ... ثم اصطفاه حبيباً بارىء النسم
صلى عليه صلاة لا انقطاع لها ... مولاه ثم على صحب وذى رحم

اللهم صل على سيدنا محمد الذى شرفته على سائر الأنام ورفعته إلى أشرف مقام وجعلته هاديا إلى دين الإسلام ودليلا إلى دار السلام اللهم فكما أمرتنا بالصلاة عليه فبلغ اللهم صلاتنا منا عليه إليه يا رب العالمين اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا ممن فاز بمتابعته وائتمر بشريعته واهتدى بسنته واقتدى بصحابته اللهم أوردنا حوضه وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته واجمع بيننا وبينه فى مستقر الرحمة والرضوان ودار السلام برحمتك يا ذا الجلال والإكرام.

*****

المجلس الخامس والخمسون فى فضل قول لا إله إلا الله جعلنا الله وإياكم من أهلها وتقبل منا ومنكم قولها

الحمد لله الذى لا يعلم ما هو إلا هو ولا يغفر الذنوب ويستر العيوب إلا هو ولا يكشف الكروب ويجبر القلوب إلا هو جل عن النظائر والأشباه وتقدس عن الالتباس والاشتباه وهو الله لا إله إلا هو فهو المحمود الذى لا يحمد على المكاره ألا هو المشكور الذى لا يشكر على السراء والضراء إلا هو الكريم المقصود الذى لا يعرف بالكرم والجود إلا هو الرحيم الودود الذى لا يقصد بالركوع والسجود إلا هو القديم الذات البديع الصفات الذى لا يدعى لكشف الكربات إلا هو ﴿وإن يمسسك الله بضر

﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ إليه أمركم وعليه رزقكم وهو حسبكم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو لانت لعظمته الجلامد وقامت على وحدانيته الشواهد وإلهكم إله واحد لا إله هو كيف ينكر وجوده أهل الطغيان والغى وهو الحى الذى لا إله إلا هو كيف تجحد وحدانيته أم كيف تنكر فردانيته وقد شهد الله أنه لا إله إلا هو قدر بحكمته الأشياء وخلق بقدرته الظلام والضياء هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو ساتر العيب وراحم الشيب وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو كيف لا يجود بالمتاب لم أناب وهو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذو الطول لا إله إلا هو فاضرب أيها الموحد بسيف التنزيه رقاب أهل التشبيه واحذر أن تفوه بمثل ما فاهو فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو والأولياء فى حذر مكره لا يغفلون عن خدمته ولا يفترون عن ذكره والكافرون عسر عليهم ذلك وشق فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو فلا يغرنك يا هذا شيطانك الغرور ولا تركن إلى الجاحد الكفور ولا تتكاثر بدنياك وتتفاخر ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو.

الله ربى لا أريد سواه — هل فى الوجود حقيقة إلا هو
يا من له وجب الكمال بذاته — فالكل غاية فوزهم لقياه
أنت الذى لما تعالى جده — قصرت خطا الألباب دون ثناه
أنت الذى امتلأ الوجود بحمده — لما اغتدى ملآن من نعماه
سبحان من خرق الحجاب لعبده — وهداه منهج قصده فرآه
سبحان من ملأ الوجود أدلة — ليلوح ما أخفى بما أبداه
سبحان من ظهر الجميع بنوره — فيه يرى أشياء من صافاه
سبحان من أحيا قلوب عباده — بلوائح من فيض نور هداه
فالعارفون مشاهدون لصنعه — مستغرقون بذكرهم إياه
مولاى أنسك لم يدع لى وحشة — إلا محا ظلماتها بسناه
عجز الأنام عن امتداحك إنه — تتصاغر الأفكار دون مداه
من كان يعرف أنك الحق الذى — بهر العقول فحسبه وكفاه
وإذا أردت بأن تفوز وترتقى — درج العلا أو تنال منه رضاه
أدم الصلاة على محمد الذى — لولاه ما فتح المكبر فاه
وله الوسيلة واللواء وكوثر — يروى الورى وكذا يكون الجاه
صلى عليه الله ما سرت الصبا — وتعطرت بمديحه الأفواه

قال الله تبارك وتعالى: **﴿شهد الله أنه لا إلـه إلا هو والملائكة وأولوا العلـم قائما بالقسط لا إلـه إلا هو العزيز الحكيم.إن الـدين عند الله الإسلام﴾** قال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾** الآية خرت ساجدة.

وعن ابن كيسان شهد الله بتدبيره العجيب وصنعه المتقن الغريب وأموره المحكمة لنفسه عـند خلقه أنه لا إله إلا هو. وعن غـالب القطان قال: أتيت الـكوفة فى تجارة فنزلت قريباً من الأعمش فكنت أختلف إليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة فقـام يتهجد من الليل فـمر بهذه الآية **﴿شهـد الله أنه لا إله إلا هـو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾** ثم قال: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهـادة وهى لى عند الله وديعة **﴿إن الدين عند الإسلام﴾** قالها مـراراً فقلت فى نفـسى لقد سمع فيـها شيئا فصلـيت معه وودعته ثـم قلت له سمعتك تردد هذه الآية فما بلغك فيها قال والله لا أحدثك إلى سَنَة فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فـلما مضت السنة قلت له يا أبا محمد قـد مضت السنة فقال حدثنى أبو وائل عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بصاحبها يوم القيامة فـيقول الله تعالى إن لعبدى هذا عـندى عهداً وأنا أحق من وفى بالـعهد أدخلوا عبدى الجنة**» وقيل إن من قرأ **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة﴾** الآية عند منامه خلق الله تعالى منها ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة.

ما فـى الوجود سـواك رب يعـبد	كلا ولا مـولى سـواك فيـقصـد
يا مـن له عنت الـوجوه بأسـرها	ذلا وكـل الـكـائـنـات تـوحـد
أنـت الإله الـواحد الـفرد الـذى	كـل القـلوب لـه تـقر وتـشهـد
يـا من تـفرد بـالبـهـاء وبالـسنـا	فـى عزة ولـه الـبقـاء الـسرمـد
يا مـن له وجـب الكـمال بـذاته	فلـذاك تشقى مـن تشاء وتسـعد

وقال ابن عـباس رضى الله عنهـما فى قوله تـعالى: **﴿غافر الذنب﴾** يعنى لمن يقول لا إله إلا الله **﴿وقابل التوب﴾** لمن يقـول لا إله إلا الله **﴿شديد العقاب﴾** لمن لم يقـل لا إله إلا الله، وقال تعـالى: **﴿إلا من اتخذ عند الـرحمن عهداً﴾** قال ابن عباس العهد شهادة أن لا إله إلا الله وقال تعالى: **﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾** قال على رضى الله عـنه كلمـة التقوى قـول لا إله إلا الله وقال تعـالى: **﴿إليه يصعـد الكلم**

الطيب﴾ أى قوله لا إله إلا الله وقال تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾** أى من جاء بقول لا إله إلا الله وقال بعض أهل العلم قول لا إله إلا الله حرز منيع وحصن حصين فمن قال لا إله إلا الله تحصن من كل سوء لقوله عليه السلام: **«مجدوا ربكم بقول لا إله إلا الله فإن الله تبارك وتعالى يقول هى حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى»** وقال ابن عباس رضى الله عنهما لو يعلم المذنبون ما فى قول لا إله إلا الله لاكثروا من ذكرها فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ولا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا كل حرف منها يكفر ذنوب ساعة. وقيل إن العبد إذا قال لا إله إلا الله فى ساعة من نهار أو ليل طاش ما فى صحيفته من الذنوب والخطايا حتى تسكن إلى أمثالها من الحسنات وقال رسول الله ﷺ: **«أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله»** وقال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولون لا إله إلا الله»** وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى بعثهم ولا فى نشورهم وكأنى بهم وقد خرجوا من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون لا إله إلا الله حتى يدخلوا الجنة فيقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور»** وسئل رسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل قال: **«أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى»** وقال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تبارك وتعالى لملائكته قربوا منى أهل لا إله إلا الله فإنى أحبهم»**.

(إخوانى) إن أهل التوحيد فى مقعد صدق عند مليك مقتدر سبقت محبته لهم قبل خلقهم وطاعتهم له قبل إيجادهم فصاروا أولياء بالموهبة القديمة لا جرم جاء مدحهم فى الآيات الكريمة المبينة المكنونة يحبهم ويحبونه.

نالوا مرادهمو بحب حبيبهم	وتمتعوا بدنوه ووصاله
وعليهم ظهر الجمال لأنهم	بقلوبهم نظروا لحسن جماله
وبه اشتغلوا ويا طوبى لمن	قد أصبح المحبوب من أشغاله

وقال رسول الله ﷺ: **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدما»** وقال ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»** وعن الصنابحى رحمه الله قال: دخلت على عبادة بن الصامت رحمه الله وهو فى النزع فبكيت فقال مهلا لم تبكى فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن استشفعت لأشفعن لك ولئن استطعت

لأنفعنك ثم قال والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خيرا إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله حرم الله عليه النار**» وعن أبي الأسود الدؤلي أن أبا ذر رضي الله عنه حدثه أنه قال أتيت النبي ﷺ **وهو نائم وعليه ثوب أبيض ثم أتيته ثانيا فإذا هو نائم ثم أتيته ثالثا وقد استيقظ فجلست إليه** فقال: «**ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق ثلاثا ثم قال الرابعة على رغم أبي ذر**» فخرج أبو ذر وهو يقول على رغم أنف أبي ذر. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دخل السوق وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي دائم لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير ورفع بها صوته كتب له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة**» رواه الترمذي رحمه الله فلما سمع قتيبة بن مسلم بهذا الحديث كان يركب كل يوم في موكبه وهو يومئذ أمير ويأتي السوق فيقول هذا الحديث ثم يركب.

تهتك ولا تخش في الحب عارا ... وإياك إياك تبدي استتارا
ونزه حبيبك عن مشبه ... وعطر بذكراه ربعا ودارا
وبح اسمه ثم صرح وقل ... حبيبي يا قوم يهدي الحيارا
وجهرا فوحده بين الملا ... ليعطيك منه أجورا غزارا

(إخواني) انظروا إلى فعل هؤلاء الموحدين كيف لا يمنعهم الحياء عن إشهار ذكر رب العالمين ولا يستنكفون عن تنزيه الحق بين سائر المخلوقين وقد قال تعالى: ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**» رواه البخاري ومسلم رحمهما الله وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**» رواه

البخارى ومسلم رحمهما الله.

وقال رسول الله ﷺ: **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة»** فانظروا رحمكم الله إلى كلمة الإخلاص ما أعظم شأنها وما أرفع عند الله مكانها فأكثروا من ذكرها لتنالوا جزيل أجرها فبها يحصل الثواب الكامل والأجر الوافر وبقولها يتميز المؤمن من الكافر وما من عبد يسمع المؤذن فيقول مثل ما يقول فإذا قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله ومسح وجهه بيديه تبركا بهما على لحيته إلا كتب الله تعالى بكل شعرة أصابتها يده حسنة وحط عنه بها سيئة.

وقال بعض الصحابة رضى الله عنه: من قال لا إله إلا الله ومد بها صوته تعظيما لها غفر الله له أربعة آلاف ذنب قيل فإن لم يكن له أربعة آلاف ذنب قال يغفر من ذنوب أهله وجيرانه. وقيل يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان فيخرج له تسع وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيه خطاياه وذنوبه فتوضع فى الميزان ثم يخرج قرطاس مثل الأنملة فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله فتوضع فى الكفة الأخرى فترجع على خطاياه وذنوبه ويسامحه الله تعالى ويأمر به إلى الجنة كل ذلك بفضل قول لا إله إلا الله وفضل لا إله إلا الله كثير لا يحصى وعظيم لا يستقصى وينشد لمؤلفه.

الكل فى بحر حبه تاهوا — وقد تفانوا فى سر معناه
وصححوا العقد مخلصين له — بقولهم لا إله إلا هو
يا معشر الذاكرين كلكم — قولوا معى لا إله إلا هو
وراقبوا من يعمكم كرما — بفضله لا إله إلا الله هو
فالكون قد فاح نشره عبقا — بذكره لا إله إلا هو
والعرش تسبيحه له أبدا — سبحان من لا إله إلا هو
وكل ما فى السماء من ملك — تسبيحه لا إله إلا هو
وكل ما فى الجبال من عظم — تسبيحه لا إله إلا هو
وكل ما فى البحار من سمك — تسبيحه لا إله إلا هو
وكل ما فى الوجود من بشر — تسبيحه لا إله إلا هو
وكل ما فى الزمان من عجب — اعجبه لا إله إلا هو
وكل شىء تراه من حسن — أحسنه لا إله إلا هو
وكل شىء يلوح من ملح — زينته لا إله إلا هو

وكل أهل العلوم قد علموا ... بأنه لا إله إلا هو
وكل أهل العقول قد فهموا ... بأنه لا إله إلا هو
والإنس والجن كلهم شهدوا ... بأنه لا إله إلا هو
والرعد والبرق إذا يسبحه ... فقوله لا إله إلا هو
وكل من ضل عن طريق هدى ... دليله لا إله إلا هو
وكل من يشتكى أذى سقم ... شفاؤه لا إله إلا هو
ومن أتاه بالذل مفتقراً ... غناؤه لا إله إلا هو
ومن أتى بائسا ومنكسرا ... فجبره لا إله إلا هو
يا غارقا فى بحار غفلته ... انهض وقل لا إله إلا هو
تعصيه جهراً حلمه كرما ... يستره لا إله إلا هو
يا قوم لا تغفلوا بجهلكم ... عن ذكره لا إله إلا هو
كيف تنام العيون عن ملك ... سبحانه لا إله إلا هو
تنسوه فى الليل والنهار ولا ... ينساكمو لا إله إلا هو
هو الإله العظيم قدرته ... سبحانه لا إله إلا هو
يا فوز من مات وهو معتقد ... يشهد أن لا إله إلا هو

*****

سبحانه ما أعم رحمته ... المذنب تاب من خطاياه
وها أنا مذنب عصيت وقد ... كان الذى كان حسبى الله
قد ضاع عمرى وليس لى عمل ... فى يوم حشر يرضى به الله
وقد أتانى المشيب ينذرنى ... بقرب موتى وما سألقاه
من كان مثلى فى المذنبين أسا ... يبكى على ذنبه وينعاه
من كان مثلى قد شاب وهو على ... قبيح مالا يحبه الله
من كان مثلى يأتى الذنوب ... ولا يخاف مما جنى ويخشاه
يأتى إلى الله وهو معتذر ... عساه يمحو له خطاياه
يا من عصى الله وهو ينظره ... فى الذنب إذ لا يخاف عقباه
إن كنت مثلى مقصرا وجلا ... من قبح ذنب فى الحشر تلقاه
فلذ بجاه الشفيع أفضل من ... يشفع فى الحشر عند مولاه
محمد المصطفى الرسول ومن ... شرفه الله ثم نباه
صلى عليه الإله خالقه ... ما سار سار وطاب مسراه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المجلس السادس والخمسون فى سعة رحمة الله تعالى غمرنا الله وإياكم والمسلمين برحمته وعاملنا بلطفه ورأفته

الحمد لله الرحيم الذى يرحم من عباده الرحما الكريم الذى يسبل على العاصى ذيل حلمه جوداً وكرما الحليم الذى يرى المذنب ويستره إذا أبدى على زلته حسرة وتندما العليم الذى يعلم فى الضمائر ويطلع على السرائر ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء العظيم الذى لا يتعظمه ذنب إلا غفره ولا يرى عيباً إلا ستره فضلا منه ونعما سبقت رحمته غضبه وقد قال تعالى: لينقذ المؤمنين من العصيان والغى﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾فغفر ذللا ومأثما من لجأ إلى حمى جنابه احتمى ومن تاب إليه نجا ومن توكل عليه كفاه هما وغما وألما فيا معشر التائبين أبشروا بالصيانة والعصمة واشكروه على هذه النعمة فقد كتب ربكم على نفسه الرحمة وأجرى لكم بالسعادة قلما فالعارفون قد بشرهم بنيل المقصود فى الوجود علما والمحبون قد أباحهم الجنة والنظر إليه وسقاهم بكؤوس أنسه فأضحوا لحضرة قدسه ندما والخائفون قد لزموا له ذلا وخضوعا وأبدوا على ما أسلفوا بكاء وخشوعا فأخرج لهم﴿**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا**﴾فألبسهم من الأمان بالغفران تاجا معلما فيا من أيامه فى الغفلة ضائعة وصحائفه لزلاته جامعة أقبل على مولاك بنية خالصة ونفس طائعة فقد قال تعالى لنبيه صاحب الشفاعة الشائعة: ﴿**فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة**﴾ فكم غفر ذنوبنا وكم جبر قلبا وكم قبل متندما.

قل للذى ألف الذنوب وأجرما ... وغدا على زلاته متندما
لا تيأسن من الجميل فعندنا ... فضل ينيل التائبين تكرما
يا معشر العاصين جودى واسع ... توبوا ودونكم المنى والمغنما
لا تخشوا من قبح ذنب سالف ... إنى أحب أن أجود وأرحما
ها قد أبحتكمو جنانى فادخلوها ... بالأمن فمن أتى بابى حمى
يا أيها العبد المسىء إلى متى ... تفني زمانك فى عسى ولربما
بادر إلى مولاك يا من عمره ... قد ضاع فى عصيانه وتصرما
واسأله عفواً ثم لذ متوسلا ... بمحمد جالى الضلالة والعمى
خير الأنام الهاشمى المجتبى ... والمرتضى وهو الكريم المنتمى

أزكى البرية عـنصراً وأجل من	قد خص بـالتقريب من الـسما
صلى عليه الله ما سرت الصبا	وشدا الهـزار على الربـا وترنما
وعلى الصحابة والقرابة بعدهم	ما سبـح الإله الداعي وعـظما

قوله عز وجل: **﴿قل يا عبادى الذيـن أسرفوا على أنفسهم لا تقـنطوا من رحمة الله إن الله يغفـر الذنوب جميعـاً إنه هو الغفور الـرحيم﴾** خاطب الله سبحـانه وتعالى عباده المسرفين على أنفسهم المخالفة وبما اكتسبوا من الذنوب والعصيان وبما اقترفوا من الفسق والـطغيان فظنوا أنـهم لا يغفر لهـم وقنطوا من رحمة الله عـز وجل فقال الله تعالى: **﴿قل يا عبادى الذيـن أسرفوا على أنفسهم لا تقـنطوا من رحمة الله﴾** يعنى لا تيأسوا من عفو الله وكرمه ومغفرته **﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾** لمن أناب وتاب من ذنبه ورجع عن ظلمه واستغفر من قبيح فعله إنه هو الغفور الـرحيم الغفور لمن تاب وندم علـى ما فعل من الذنـوب الرحيم لمن رجع عـن الأفعال المذمومة إلـى الأفعال المحمودة.

وروى عقيل بن أحمد بإسناده عن ابن سـيرين قال: قال على رضى الله عنه ما فى القرآن آية أوسع مـن قوله تعالى: **﴿قل يا عبـادى الذين أسرفوا على أنـفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾** وروى عبد الله بن حامـد بإسناده عن أسماء بنـت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ يقـرأ قوله تعالى: **﴿يا عبادى الذين أسرفـوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾** ولا يبالى وفى مصحف عبد الله بن مسعود أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء

وروى الأعمش عـن أبى سعيـد الأزدى عن أبى الكـنود قال: دخل عـبد الله بن مسعود المسجد فـإذا واعظ يعظ الناس وهو يذكر النار والأغلال فـجاء حتى قام على رأسه فقال يا مذكر لم تقنـط الناس ثم قرأ قوله تعالى: **﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطو من رحمة الله﴾** الآية.

وروى ابن فـتحويه بـإسناده عن زيـد بن أسلم أن رجـلا كان فى الأمم الماضـية يجتهد فى العبادة فيشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله تعالى فلما مات رؤى فى المنام وهـو بين يدى الله تعالى وقد قـال يا رب مالى عندك قال الـنار قال يا رب فأين عبادتى واجتهادى فقال له إنك كنت تقنط الناس من رحمتى فى الدنيا وأنا اليوم أقنطك من رحمتى.

لا تقنطن فـــإن الله منـــان وعنده للورى عفو وغفران

إن كان عندك إهمال ومعصية فعند ربك افضال وإحسان

يا هذا لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المسامحة بين يديه لما أحالك فى مغفرة الذنوب عليه فقال تعالى: **﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾** ثم قال سبحانه وتعالى لما رأى عفوه وسيعا **﴿إن الله يغفـر الذنوب جميعا﴾** وروى عبد الله بن حـامد عن محمد الأصفهـانى بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنهـما قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشى يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه يقول يا محمد كيف تدعونى إلى الإسلام وأنت تزعم أنه من قتل نفسا أو أشرك أو زنى يضـاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا وإنى قد فعلت ذلك كله فهل تجد لى رخصة فأنزل الله تعالى **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾** الآية فبعث بـها إلى وحشى وأصحابه فـقال وحشى هذا شرط شديد لعلـى لا أقدر عليه فهل غير ذلك فـأنزل الله تعالى **﴿إن الله لا يغـفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** فبعث بها إلى وحشى فقال وحشى أرانى أبعد فى شبهة فـلا أدرى يغفر لى أم لا فهل غير ذلك فـأنزل الله تعالى: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾** فبعث بها إلـى وحشى وأصحابـه فقال وحشى نعـم هذه فجاء فأسـلم هو وأصحابـه فقال المسلمون يا رسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين.

إن كان ذنبك قد خفيت عواقبه فما سجدت لطاغوت ولا وثن

أو كنت ذا سيئات جل موقعها فإن ربـك ذو فضـل وذو منن

إن لم يكن عفوه للمذنبين غداً فعفوه ليت شـعرى بعد ذا لمن

(إخوانى) لو أراد الله عقوبة المؤمن فى جهنم وتخلـيده لما ألهمه معرفته وتوحيده وقد قال تعالى: **﴿لا يصلاها إلا الأشقى* الذى كذب وتولى﴾**.

يا من أسرف فيما مضى ثم اعترف كن محسنا فيما بقـى تعطى الشـــرف

وأبشر بقــــــول الله فى تنزيلــه **﴿إن ينتهوا يغفر لهـــــم ما قد سلف﴾**

وقال قتادة: ذكر لنا أن أنـاسا أصابوا ذنوبا عظاما فى الجاهلـية فلما جاء الإسلام أشفقوا وخافوا ألا يتاب عليهم فدعاهم الله سبحانه وتعالى بهذه الآية **﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾** الآية.

وعن أبى هـريرة رضى الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أخطأتم حتـى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم**» رواه ابن ماجه رحمه الله وروى مسلم فى صحيحه عن النبى ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى يا عبادى إنـكم تخطئون بالليل والنـهار وأنا أغـفر الذنـوب ولا أبالى فـاستـغفرونـى أغفر لـكم**» وعن أبـى موسـى الأشعرى رضى الله عنه عـن النبى ﷺ قال: «**إن الله تبارك وتعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسـىء النهار ويبسط يده بـالنهار ليتوب مسـىء الليل حتى تطلـع الشمس من مغربها**» رواه مسلم رحمه الله.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا وتستغـفروا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغـفرون فيغفر لهم» رواه مسـلم رحمه الله وعـن أنس بن مالـك رضى الله عنـه قال: سمعـت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى يا ابن آدم لـو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استـغفرتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**».

واخجلـة العبد من إحسـان سيده ... واحسرة القلب مـن إلطاف معناه
وكـملـه مـن أيـاد غيـر واحـدة ... عـلىَّ لـطـفا لـعـلـمى أنـه الله
وكم عكفت على العصيان مستتراً ... ممن سواه وما فـى الكون إلا هو
يولى الجميل ويبدى الفضل مبتدئا ... لا كان فى الناس عبد ليس يرعاه
يا نفس كم بخفى اللطف عاملنى ... وقد رآنـى على مـا ليس يـرضاه
يا نفـس كم زلة زلت بهـا قدمى ... ومـا أقـال عثـاري ثـم إلا هـو

روى أبو مـوسى الأشعرى رضـى الله عنه عـن النبى ﷺ أنـه قال: «**أمتـى أمة مرحومة عجل عقابها فى الدنيا بالزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتـى رجل من أهل الكتـاب فقال هذا فداؤك مـن النار**» وقال ﷺ: «**يتجلى الله تبارك وتعالى لـنا يوم القيامة ضاحكا يقول أبـشروا يا معشر المسلمين فإنـه ليس منكم مسلما إلا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا**» وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلـق بألفـى عام فى ورقـة آس ثم وضعـها عـلى العـرش ثم نادى يـا أمة محـمد إن رحمتى سبقت غضبى أعطيتكم من قبل أن تسألونى وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى**

من لقينى منكم وهو يشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أدخلته الجنة» وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا كان يوم القيامة ينادى من تحت العرش يا أمة محمد أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى**» وعن الحسن رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى مائة رحمة أهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا فوسعتهم إلى آجالهم وإن الله تبارك وتعالى قابض تلك الرحمة إلى يوم القيامة فيضيفها إلى التسعة والتسعين فيكملها مائة رحمه لأوليائه وأهل طاعته**».

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه دخل إلى النبى ﷺ فوجده يبكى فقال ما يبكيك يا رسول الله قال: «**جاءنى جبريل عليه السلام وقال لى إن الله تبارك وتعالى يستحى أن يعذب أحدًا قد شاب فى الإسلام فكيف لا يستحى من شاب فى الإسلام أن يعصى الله تعالى**» وحدثنا هارون بن محمد عن أحمد بن سهل رضى الله عنه قال رأيت يحيى بن أكثم فى المنام فقلت يا يحيى ما فعل الله بك قال دعانى فقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت فقال ما هكذا حُدثت عنك قال فبم حدثت عنى قلت حدثنا عبد الرزاق عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ عن جبريل عليه السلام عنك يا رب أنك قلت إنى لأستحى أن أعذب شيبة شابت فى الإسلام وأنا شيخ كبير فقال الله تبارك وتعالى صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهرى وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق النبى وصدق جبريل وصدقت أنا ثم أمر بى ذات اليمين إلى الجنة.

أستغفر الله ممن كان من زللى	ومن ذنوبى وتفريطى وإسرارى
يا رب هب لى ذنوبى يا كريم فقد	أمسكت حبل الرجا يا خير غفار
إن الملوك إذا شابت عبيدهم	فى رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت خالقى أولى بذا كرما	قد شبت فى الذنب فاعتقنى من النار
وقد روى عنك خير الخلق من مضر	المصطفى المجتبى من خير أطهار
بأنك الله رب العرش قلت لنا	وقولك الحق فى نقل وأخبار
إن الذى من أتانى ليس يشرك بى	أغفر له ما جنى من قبح وأوزار
وإننى شبت فى الإسلام يا أملى	فاغفر ذنوبى وأسبل حسن أستار

أخرج مسلم من حديث سلمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله**

تبارك وتعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فأنزل الله منها إلى الأرض رحمة واحدة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض حتى إن الفرس لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه فإذا كان يوم القيامة رد الله تعالى هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين فأكملها مائة رحمة فيرحم بها عباده يوم القيامة» إخوانى لا رحيم أرحم من الله ولا كريم أكرم من الله فاشكروه على هذه النعمة.

جل رب أمضى على الخلق حكمه	وله فى قضائه كل حكمه
قسم السعد والشقاء فطوبى	للذى كانت السعادة قسمه
كم له رحمة على الخلق عمت	كم له فى المعاد أشمل رحمه
عفوه واسع لمن قد أتاه	بمتاب وعنه كفر إثمه
كل من جاء تائبا قبل التو	بة منه وكان أهلا لنقمه
عظمو شانه فقد فاز عبد	عن صفات الأنام قدس اسمه
وارحموا تُرحموا فطوبى لعبد	أسكن الله قلبه منه رحمه

وقال ﷺ فى آخر حديث يصف فيه القيامة والصراط: «إن الله تبارك وتعالى يقول للملائكة من وجدتم فى قلبه مثقال ذرة خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا فيقول الله تعالى رحمتى وسعت كل شيء - فكان أبو سعيد رضى الله عنه يقول: إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ - فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفعت الأنبياء فلم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط إلا التوحيد قد عادوا حمما فيليقهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منه كما تخرج الحبة من حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم فتعرفهم أهل الجنة فيقولون هؤلاء عتقاء الله أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقول ربنا قد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول الله تبارك وتعالى ولكم عندى أفضل من هذا فيقولون وأى شيء أفضل من هذا فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا» رواه البخارى ومسلم رحمهما الله.

رضاك خير من الدنيا وما فيها — يا منير القلب قاصيها ودانيها
وما ذكرتك إلا همت من طرب — كان ذكرك ألحان أغانيها
وحق حبك ما قصدى الديار ولا — الأموال من عرض الدنيا فأفنيها
فنظرة منك يا سؤلى ويا أملى — أشهى إلى من الدنيا وما فيها
وليس للنفس آمال تؤملها — سوى رضاك فذا أقصى أمانيها

وفى الخبر: أن الله تبارك وتعالى يشفع آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى ألف ألف وعشرة آلاف ألف وروى جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال **«شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»** قال جابر: فمن لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة يعنى لا يحتاج إلى الشفاعة.

يا من شفاعته تنجى العصاة غدا — من العذاب الأليم الرافع الشرر
أنت النبى الشفيع المستضاء به — يوم القيامة يوم الروع والحذر
فاشفع لنا عند رب العرش خالقنا — يا سيد الخلق من أنثى ومن ذكر

وفى الخبر: أن أعرابيا قال يا رسول الله من يلى حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال: **«نعم»** فتبسم الأعرابى فقال رسول الله ﷺ **«مم ضحكك يا أعرابى»** قال إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح فقال رسول الله ﷺ **«وصدق الأعرابى ألا لا كريم أكرم من الله هو أكرم الأكرمين»**[1]. ثم قال الأعرابى:

إن الكريم إذا تعين حقه — عند امرئ أعفاه منه تكرما
ويسامح الجانى ويغفر ذنبه — ويكون حقا قد أساء وأجرما

وفى الخبر المشهور: أن الله تبارك وتعالى كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق أن رحمتى تغلب غضبى ويروى أنه إذا كان يوم القيامة أخرج الله تبارك وتعالى كتابا من تحت العرش فيه مكتوب إن رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثل أهل الجنة.

ذنوبى كثيرة ما أطيق احتمالها — وعفوك عن ذنبى أجل وأكبر
وقد وسعتنى رحمة منك ههنا — وإنى لها يوم القيامة أفقر

---

(١) لم أجده فى كتب الأحاديث التى اطلعت عليها.

وروى أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ ﴿**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**﴾ فقال الأعرابى والله ما أنقذهم منها وهو يريـد أن يوقعهم فيها فقال ابن عباس رضى الله عنهما خذوها من غير فقيه.

وقيل: إن الله تعالى إذا أراد أن يستر عبده يوم القيامة ولا يفضحه على رؤوس الأشهاد ليعطيه كتابه بيمينه وهو مشحون بالسيئات وذلك العبد خائف مما فى الكتاب لعلمه أن ذنوبه كثيرة فيقرأ فى الوجه الذى فيه السيئات سرا ويقـول فى نفسه سبحان الله ليس لى حسنة واحـدة وتقول الخلائق سبحان الله ليس فى كتاب هـذا العبد سيئة واحدة فإذا فرغ من قراءته سـراً يقول الله تبارك وتعالى عبدى هذه حسـناتك فى ظهر كتابك أظهرتها لخلقى وسترت عنهم سيـئاتك فى الدنيا والآخرة يا ملائكتى امضوا به إلى الجنة بعفوى ورحمتى.

يـا من لـه سـترا عـلـى جـميـل	هل لـى إليك إذ اعـتذرت قـبول
أبديـتنـى ورحمـتنـى وسـترتـنـى	كـرما فـأنت لمن رجاك كـفيـل
وعصيـت ثم رأيت عفـوك واسعا	وعـلى سـترك دائـما مـسـدول
فـلك المحـامد والمحـاسن والـثنـا	يا مـن هو المـقصـود والمسـؤول

وعن أنس بـن مالك رضى الله عنـه أن رسول الله ﷺ سأل ربه فى ذنـوب أمته فقال: «**يارب اجعل حسابهم إلى لئلا يـطلع على مساويهم غيرى**» فأوحى الله تبارك وتعالى إليه هم أمتك وأنا أرحم بهم منك فلا أجعل حسابهم إلى غيرى لئلا ينظر فى مساويهم أحد غيرى.

يا مـن له عـلم الـغيـوب ووصفـه	سـتر الـعـيـوب وكل ذاك سـمـاح
أخفيـتْ ذنب العبد عـن كل الورى	كـرمـا فلـيـس عـلـيه ثَمَّ جـنـاح
فـلك الـتفـضل والـتكـرم والرضـا	أنـت الـكـريم الواهـب الـفـتـاح

وعن معاويـة بن قرة قال: قال ابن مـسعود رضى الله عنه أربـع آيات فى سورة النساء خير لهذه الامة من الدنـيا وما فيها قوله عز وجل ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلـك لمن يشاء**﴾ وقوله تعالى ﴿**ولو أنهـم إذ ظلموا أنفسـهم جاؤوك فاستـغفروا الله واستغـفر لهم الرسـول لوجدوا الله توابا رحـيما**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إن تجتنـبوا كبائر ما تـنهون عنه نـكفر عنكـم سيئاتكم ونـدخلكم مدخـلا كريما**﴾ وقوله تعالى: ﴿**من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**﴾ قال أبو

غالب كنت أختلف إلى أبى أمامة بالشـام فدخلت على مريض من جيرانه وهو يعاتبه ويقول له يا ظالما نفسه ألم آمرك ألم أنهك فـقال الفتى يا عماه لو أن الله تعالى دفعنى إلى والدتى وجـعل أمرى إليها مـا كانت صانعة بـى قال تدخلك الجنـة قال فإن الله تعالى أرحـم بى من والدتى ثم قبـض الفتى فدخل معه عـمه القبر يلحـده فلم سواه صاح وفزع فقلت له مـالك قال فسح له فى قبره وملئ نورا. وعـن عمر بن الخطاب رضى الله عـنه قال قدم إلـى رسول الله ﷺ سبى فإذا امـرأة من السبى تسـعى وقد وجدت صبـيا فى السبـى فأخذته وألصقـته ببطنـها وأرضعته فـقال رسول الله ﷺ: **«أترون المرأة طارحة ولـدها فى النار»** قلنـا لا والله فقال: **«لله أرحم بعبـاده من هذه المرأة بولدها»** رواه البخارى ومسلم رضى الله عنهما.

لا نرجى العفو من ربنا ... أم كيف لا نطمع فى حلمه

وفى الصحيحين أن الله أرحم بعبده من أمه.

(**إخوانى**) إذا كان الحق سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من أمه فكيف لا يقبل العبد على طاعته ويقلع عن معصيته ويقدم بين يديه ما يعود نفعه عليه وقد قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾**.

قدم لنفسـك خـيرا ... ما دمت مالك مالك

وأعد جواباً سريعاً ... إذا سمعت سـؤالك

فكل ما قـد فعلتـه ... تـراه ثـم ينـالك

وقال بكر بن سليم الصواف رحمه الله: دخلنا على أنس بن مالك رضى الله عنه فى العشيـة التى قبض فيها فقـلنا له يا أبا عبد الله كيـف تجدك قال لا أدرى ما أقول لكم إلا أنكم ستعايـنون من لطف الله وعفوه ما لم يكن لكم فى حـساب فما برحنا من عنده حتى غمـضنا. وقيل إن الله تعالى ألطف وأرحم ما يـكون بعبده إذا نزل فى لحده ووضع خشن التراب على لين خده وجفاه من كان يرغب فى قربه ووده فإذا وضع الميت على المغتسـل أولا وجرد من ثيابه وأيس من أحبابه فينادى واسـوأتاه وافضيحتاه ولا يسمع نداءه غير مولاه فيجيبه الحق سبحـانه وتعالى يقول يا عبدى أنا سترتك فى الدنيا وأنا أسترك فى الآخرة.

يا من له السـتر الجميل عـلى الورى ... ويجود بـالاتصال منه وبـالقرى

أبـديتـنى ورحـمتـنـى وستـرتنـى ... وهديتنـى لطفا فكنـتُ مقصرا

فـارحم بـعفـوك زلـتى يـا سيـدى ... ومصون وجه فى التراب معفرا

فإذا أخرج الميت من الدار وحمل على النعش فإنه يصيح واغربتاه فيقول الله سبحانه وتعالى: يا عبدى إن كنت اليوم غريبا فإنى منك لا زلت قريبا ياعبدى لا تخف فإنى مقيل عثرتك وأرحم غربتك ومؤنس وحدتك

يا راحم الغرباء يا من جوده	قد عمنى يا مؤنسى فى وحدتى
أمسيت من أهلى غريبا مفردا	ولأنت يا مولاى راحم غربتى

فإذا أنزلوه فى لحده وضعوا على خشن التراب لين خده ثم تركوه وانصرفوا ومضوا عنه وانحرفوا فيصيح وواحدتاه فيناديه الرب الكريم الرؤوف الرحيم عبدى هل تتوحش وأنا أنيسك علىّ تشتكى الوحده وأنا جليسك يا عبدى ألست بربك فيقول بلى يا رب فيقول يا عبدى كيف تركت ما أمرتك به واتبعت ما نهيتك عنه أما علمت أن مرجعك إلىّ وأعمالك معروضة بين يدى أنسيت عهدى أم أنكرت وعيدى ووعدى فالآن تخلى عنك الصاحب والصديق وتجردت عن المال الوثيق فلا المال نفعك فى مآلك ولا الصديق أخلصك من قبيح أفعالك فما حجتك وما معذرتك فيقول يا رب احتوى على قلبى حب الدنيا وحب المال فحملانى على الذنوب والأثقال وها أنا قد صرت فى جوارك وأنا الليلة ضيفك فلا تعذبنى بنارك وإن لم ترحمنى فمن يرحمنى فيقول الله تعالى يا عبدى مضوا عنك وتركوك ولو أقاموا عندك ما نفعوك وإلى بابى وجهوك وعلى كرمى خلفوك يا عبدى طب نفسا وقر عينا فأنت ضيفى والكريم لا يخيب ضيفه يا ملائكتى أحسنوا فى ضيافته وكونوا عليه أشفق من أهله وقرابته.

إذا ما الموت فى جسمى السقيم	سرى وأتى على عظمى الرميم
وبت مجاور الرب الرحيم	فقولوا لى وقد وافى نعيمى
لك البشرى قدمت على كريم	تولى العمر واقترب الرحيل
وزادى للأخرى زاد قليل	وفى لحدى إذا حان النزول
فهنونى أحبائى وقولوا	لك البشرى قدمت على كريم

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم» رواه ابن ماجه رضى الله عنه وقيل إن موسى عليه السلام قال فى بعض مناجاته يارب فقال الله تعالى لبيك يا موسى فقال موسى عليه السلام يارب أنت أنت فمن أنا حتى أجاب بالتلبية فقال يا موسى إنى آليت على نفسى ألا يدعونى عبد من عبادى بالربوبية إلا أجبته بالتلبية فقال موسى

يارب هذا لكل عبد طائع قال ولكل عبد مذنب قال يا رب أما الطائع فبطاعته فما بال المذنب فقال الله تعالى يا موسى إنى إذا جازيت المحسن بإحسانه ومنعت المسىء لإساءته فأين جودى وكرمى.

تعصى وتجهر بالعصيان إعلانا وأستر الذنب إنعاما وإحسانا
ولا أجازى مسيئا بالفعل ولا أجزى الذى تاه عصيانا وعدوانا
ومن أتى تائبا بالذل منكسرا نعطيه من فضلنا عفوا وغفرانا

وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن وليا من أوليائى قد مات فى أرض فاذهب إليه وغسله وكفنه وصلى عليه وواره تحت التراب فهو جارك فى الجنة فأتى موسى عليه السلام فوجد ميتا فى خربة وليس عنده أحد ولا يملك شيئا فى الدنيا والناس يثنون عليه شرا ويصفونه بكل فسق وعصيان فغسله موسى وصلى عليه ودفنه وقال يا رب إنى امتثلت ما أمرتنى به فى حق هذا الميت والناس يثنون عليه شرا ويصفونه بكل قبيح فقال الله تعالى يا موسى صدق عبادى وأنا أعلم منهم بما لا يعلمون ولكن لما دنت وفاته ناجانى بخمس كلمات وقد غفرت له بها فقال موسى يارب وما هن الكلمات قال يا موسى الكلمة الأولى قال يا رب أنت تعلم أنى أحب الصالحين وإن لم أك صالحا والثانية قال يارب أنت تعلم أنى أبغض الفاسقين وإن كنت فاسقا والثالثة قال يارب لو أعلم أن دخول الجنة ينقص من ملكك شيئا لما سألتك جنتك والرابعة قال يارب لو أعلم أن دخولى النار يزيد فى ملكك شيئا ما سألتك الجيرة منها والخامسة قال يارب إن لم ترحمنى أنت فمن يرحمنى فرحمته يا موسى أفكان يليق بكرمى أن أرده خائبا وقد تكلم بهذه الكلمات فعفوت عنه وغفرت له وأنا الغفور الرحيم.

فكم لبيت عبدى إذ دعانى وراعيت الوداد وما رعانى
أنا المرخى الستور على المعاصى على عبد الجسور إذا عصانى
أيجمل بى إذا العاصى أتانى وعاتب نفسك فيما جفانى
وجدد توبة منه وأبدى تضرعه بدمع منه فانى
أقنطه وأمنعه جنانى وقد وافى كشيب عانى
فكم أعددت للتواب عندى من الخيرات فى عرف الجنان
وإن نادانى العاصى بسر وإخلاص حوى كل المعانى

ومـن يـطـع الـرسـول يـنـال عـزا ويـحـظـى بـالمـسـرة والأمـانـى
شفـيع المـذنبين رسـول حـق مـن قـد خـص بـالسـبـع المـثـانـى
علـيه مـن المهيـمـن كـل وقت صـلاة مـا ثـنـى غـصـن بـان

اللهم فقهنا فى الدين وعلمنا التأويل ولا تذلنا يا ملك
يا حق يا مبين واجعلنا من عباك المفلحين
برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة